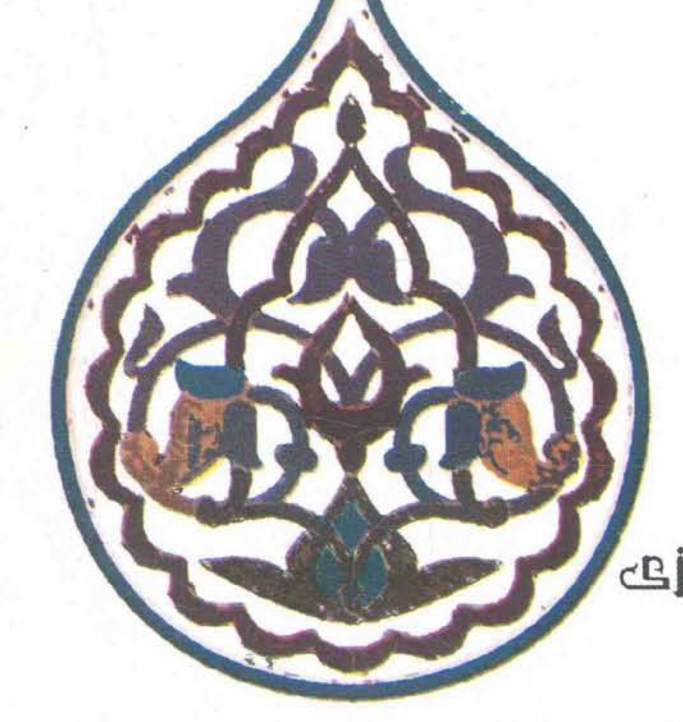





المشروع القومي للترجمة

زين الأخبار



تأليف

أبي سعيد عبد الحي

ابن الضحاك بن محمود الكرديزي

ترجمة

عفاف السيد زيدان

1066

التصحيح اللغوى : شوكت المصرى

الإشراف الفنى : حسن كامل .

المشروع القومى للترجمة

زين الأخبار

تأليف : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الجرديزى
(المتوفى عام ٤٤٣ هـ)
ترجمة : عفاف السيد زيدان



٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجرديزى ، أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود

زين الأخبار / تأليف : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الجرديزى ؛

ترجمة : عفاف السيد زيدان - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ،

٢٠٠٦ .

٥٤٤ ص ، ٢٤ سم (المشروع القومى للترجمة)

١ - إيران القديم - تاريخ - ٢ - التاريخ .

(أ) زيدان ، عفاف السيد (مترجم) ٩٣٥

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٣٠٥٧
الترقيم الدولى I.S.BN. 977 - 437 - 108 - 9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتـــويات

(الباب الثالث : ملوك الطوائف)

(الباب الرابع : ملوك الساسانيين)

(الباب الخامس : الأكاسرة)

(الباب السادس)

(الباب السابع)

(الباب الثامن)

(الباب التاسع)

(الباب العاشر)

(الباب الحادى عشر)

(الباب الثانى عشر)

(الباب الثالث عشر)

(الباب الرابع عشر)

(الباب الخامس عشر)

(الباب السادس عشر)

14

(الباب السابع عشر)

(الباب الثامن عشر)

(الباب التاسع عشر)

إهـــداء(*)

إلى والدى رحمة الله عليه الصوفي الزاهد والتقي النقي، فقد كان من عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١) .

وإلى والدتى رحمها الله العابدة، القانتة، الساجدة، الصوامة، القوامة التى لم يبهرها زخرف الدنيا، أو ترف العيش عن ذكر الله ﴿ أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٥) .

وإلى زوجى العالم الجليل فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور سيد عبد التواب عبد الهادى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر : فقد كان عالمًا ثاقب الفكر، بعيد النظر، صاحب رؤية علمية شاملة، وكان يرى أن ترجمة المصادر الفارسية والتركية والأردية إلى اللغة العربية هى من ألزم اللوازم للمكتبة العربية، لأن الحضارة الإسلامية كتبت بهذه اللغات جميعها، وأن الترجمة تذلل العقبات لمن يؤرخون لهذه الحضارة بمفهومها الواسع الشامل. وقد ساعدني وشجعني على تبنى هذا المنهج رغم ما يحفه من المشقات، وما يكتنفه من المصاعب. رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء، فقد كان نعم الزوج، ونعم العالم.

(*) الإهداء والشكر والتنويه للمترجمة .

وإلى إخوتي وأخواتي فقد غمروني بسابغ عطفهم، وشملوني بفيض حنانهم، وأحاطوني بغامر حبهم في كل مراحل حياتي، صغيرة وكبيرة، فاشتد بهم أزري، وصح بهم عزمي، فقد تحقق لي بهم ما طلبه سيدنا موسى عليه السلام من رب العزة جلت قدرته ﴿ واجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ● هرُونَ أَخِي ● اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ● وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ● ﴾ (طه: ٢٩ - ٣٢) .

وإلى أولادي : محمد، وميسرة، ورامين، وأنار .. فهم القبس الذي أستمد منه قوتي، وهم النور الذي يشع فيضيء دياجير الظلام في دروب الحياة.

وإلى أحفادي محمود، وعلي، وياسين ثم إلى الذين سيأتون ولا يزالون نطفًا في عالم الغيب : فعليهم تنعقد الآمال نحو مستقبل زاهر مشرق تسود فيه الأخلاق، وتنتشر الفضائل ويعم العدل، وتنهض مصر فتية مثل سالف عصورها الزاهرة، وليس هذا على الله بعسير.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر، وخالص التقدير، إلى أخي العزيز الأديب الأستاذ حسين عبد التواب عبد الهادى المدير بهيئة المكنز الإسلامى، فقد أمدنى بكافة الكتب التى كانت ضرورية لدراسة هذا الكتاب وترجمته، ولا أذكر أننى طلبت منه كتاباً - حديثًا كان أم قديماً - إلا وكان بين يدى فى أقصر مدة وأقل وقت، وقد شارك معى مشاركة مهمة فى ترتيب فهارس هذا الكتاب، فإليه أتقدم بخالص الشكر والعرفان والتقدير، داعية المولى جل شأنه أن يمتعه بالصحة والعافية.

أما الباحثان النابهان الأستاذ محمد أحمد معبد عبد الكريم، والأستاذ محمد عبد الباقى محمد، فهما يدرسان الدكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، ولقد ساعدانى فى تصحيح هذا السفر الكبير، ولولا مساعدتهما الفعالة المخلصة فى تصحيح أخطاء الكمبيوتر والترتيب والتنسيق، لتأخر هذا الكتاب عن الصدور فترة طويلة، لأنه احتاج إلى جهود متضافرة حتى يأتى بصورة تكون أقرب إلى الكمال من وجهة نظرنا. فإليهما أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان، مبتهلة إلى المولى جلت قدرته أن يهيئ لهما من الأمر رشداً، وأن يفقههما فى الدين، وأن ينفع بعلمهما، إنه على ما يشاء قدير.

فإذا تركت أرض مصر الحبيبة، إلى أرض إيران الشقيقة، فإننى أقدم جزيل شكرى، وعميق مودتى إلى العالمة الجليلة الأستاذة الدكتورة پرى الماسى أستاذ اللغة والأدب الفارسى بجامعة العلامة طباطبائى؛ فقد تفضلت مشكورة بإرسال طبعة جديدة من كتاب (زين الأخبار) على وجه السرعة حينما علمت بترجمتى لهذا الكتاب إلى اللغة العربية.

والدكتورة پرى دائمة التعاون مع طالبات الدراسات العليا بقسم اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، وهى تمثل الصلة الثقافية الوثيقة والعلاقات الأخوية الحميمة التى لا تنقطع ولا تفتر بين شعب مصر والشعب الإيرانى. وصداقتى بالدكتورة پرى قديمة تمتد إلى عقود طويلة، تخللتها لقاءات حارة جمعتنا معًا حينما جاءت هى وشقيقها الدكتور على ألماسى إلى مصر، وحينما ذهبت أنا إلى إيران. فإليها أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم التقدير وخالص الود، وجميل الثناء.

تنـــويه

● **اللغة الفارسية** التى كتب بها كتاب زين الاخبار في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى هى اللغة الفارسية التى نشأت فى ظل الإسلام فى القرن الثالث الهجرى، وأصبحت تكتب بالأبجدية العربية، وحوت كثيراً من الألفاظ والمصطلحات العربية، وقبل الإسلام كانت توجد اللغة الفارسية القديمة، وهى لغة قريبة الصلة باللغة السنسكريتية ، وكانت تكتب بالخط المسمارى وبالحروف الآرامية .

ودخلت الأبجدية العربية بكامل حروفها إلى الأبجدية الفارسية، غير أن الفارسية تزيد أربعة أحرف عليها وهذه الأحرف هى :

١ - **الباء المثلثة** : پ وتنطق كما ننطق P فى اللغة الإنجليزية ، كما فى كلمة Pen .

٢ - **الجيم المثلثة** : چ وتنطق كما ننطق Ch فى اللغة الإنجليزية ، كما فى كلمة Chair .

٣ - **الزاى المثلثة** : ژ وتنطق كما ننطق حرف J فى اللغة الإنجليزية، كما فى كلمة Juice .

٤ - **الكاف ذات الشرطتين** : گ وتنطق كما ننطق حرف الجيم غير المعطشة فى العامية المصرية، أو حرف G فى اللغة الإنجليزية، كما فى كلمة Great .

● **المؤرخ الجرديزى :** ينسب إلى مدينة كرديز ، وهى إحدى المدن الأفغانية الكبيرة وتقع في جنوب شرق العاصمة كابل، وقد رأينا أن نقلب الگاف الفارسية فى اسمه إلى حرف الجيم العربية فأصبح الجرديزى، وأصبحت مدينته گرديز جرديز وقد تأسينا فى ذلك بما فعله المؤرخون والجغرافيون المسلمون القدماء الذين زاروا هذه المناطق منذ فجر التاريخ وذلك حتى يسهل النطق بها فى العربية.

● **حساب الجُمَّل :**

حروف حساب الجُمَّل هى :

أبجد ، هوَز ، حُطى ، كلمُنْ ، سَعَفصْ ، قرَشَتْ ، ثخذ ، ضَظغ .

وتتخذ هذه الحروف بهذا الترتيب في الحساب، ويسمى حسابها حساب الجُمُّل بضم الجيم، وفتح الميم وتشديدها .

وكانت تستعمل للدلالة على الأرقام المعرفة لأن فيها تسعة أحرف للآحاد، وتسعة للعشرات ، وتسعة للمئات، وحرف للألف .

فالآحاد :	أبجد	هوز	حط
	أ ب ج د	هـ و ز	ح ط
	١ ٢ ٣ ٤	٥ ٦ ٧	٨ ٩

والعشرات :	ى	كلمن	سعفص
	ى	ك ل م ن	س ع ف ص
	١٠	٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠	٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠

والمئات :	قرشت				ثخذ			ضظ	
	ق	ر	ش	ت	ث	خ	خ	ض	ظ
	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠

الألف :	غ
	غ
	١٠٠٠

وإذا زاد العـدد على الألف كررت الحروف فخمسـة آلاف : هغ ، وأربعون ألفًا : مـغ . وهذا ترتيب المشارقة ، وللمغاربة ترتيب آخر يخالفه في بعض المجموعات .

وقد استخدم الجرديزي : حساب الجُمَّل في جداوله في الحديث عن فترات الحكم للخلفاء، والسلاطين، والأمراء .

مقدمة المترجمة

- ١ -

إن المصادر التاريخية التى بين أيدينا الآن لا نستطيع أن نؤرخ من خلالها لحياة الجرديزى؛ فهى غفل من الحديث عنه[١] وليس لدينا الآن إلا شذرات قليلة مبثوثة فى ثنايا كتابه العظيم (زين الأخبار).

تحدث الجرديزى عن نفسه فى عدة مواضع من كتابه[٢] فذكر أنه مؤلف الكتاب ومصنفه، وأن كنيته : أبو سعيد، واسمه : عبد الحى بن محمود، المتخلص بالجرديزى. والجرديزى نسبة إلى جرديز، وهى مدينة تقع جنوب شرقى كابل بأفغانستان؛ وجنوب غرب جلال آباد؛ وشرق غزنين بالقرب من حدود وزيرستان؛ على رأس الطريق بين غزنين والهند.

ويبدو أنه عاش فى غزنة بأفغانستان وكتب مصنفه فيها. فقد سمى الكتاب (زين الأخبار) تيمناً بالسلطان عبد الرشيد[٣] بن السلطان محمود الغزنوى، وقد لقب السلطان عبد الرشيد بـ (زين الملة) وهو فى بعض مواضع من الكتاب يصف بعض مظاهر الطبيعة فى غزنى[٤] فيقول : "وفى هذا اليوم الثامن من آذار يرون العصافير بديار غزنة، ويصير الجو لطيفاً"، وفى بداية حديثه عن الغزنويين يذكر أن الأحداث التى وقعت فى عهدهم قد رآها رأى العين، وهذا يدل على أنه قد اتصل ببلاطهم وقرب منهم، كما يدل على أن الجرديزى وقت وفاة سبكتكين وتولى السلطان محمود عام ٣٨٩هـ كان قد بلغ مرحلة النضج واستيعاب الأحداث وتمثلها والكتابة عنها. وفى حديث الجرديزى عن الأمير (مودود) نراه يدعو للسلطان عبد الرشيد بن محمود الغزنوى مرة

بدوام ملكه وأخرى بدوام دولته، مما يدل على أن الجرديزى لم يدرك فتنة طغرل ومقتل السلطان عبد الرشيد (المتوفي ٤٤٤هـ)، وهذا يدل على أن وفاة الجرديزى كانت بين عامى (٤٤٢هـ ٤٤٣هـ).

- ٢ -

ذكر اسم (تاريخ زين الأخبار) فى المصادر الآتية :

- المصدر الأول : كتاب (زين الأخبار)، فنحن نجد الجرديزى يفتتح مقالة الأعياد فى كتابه بهذا النص : يقول مصنف هذا الكتاب (زين الأخبار ...).

- المصدر الثانى : مخطوطة الكتاب الموجودة فى مكتبة الكلية الملكية فى مدينة كيمبردج، وقد نسخت عام ٩٠٢هـ أو ٩٣٠هـ، وهى أقدم النسخ التى عثر عليها لهذا الكتاب، وقد افتتحت هذه النسخة بالآتى :

هو إلله أكبر جل جلاله "

تاريخ زين الأخبار، من تصنيف :

أبى سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الجرديزى .

- المصدر الثالث : كتاب (طبقات أكبرى) لنظام الدين أحمد بن محمد مقيم الهروى المتوفي عام ١٠٠٣هـ، ففى مقدمة هذا الكتاب يذكر لنا مؤلفه - مؤلف الهند المعروف - المصادر التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه، ويذكر من هذه المصادر كتاب "تاريخ زين الأخبار". ومن الجائز أن يكون المؤرخ قد اعتمد على النسخة التى ذكرناها خاصة وإنها قد كتبت فى الهند، ومن الجائز أيضاً أن يكون قد اعتمد على نسخ أخرى لم تصلنا.

ومهما يكن الأمر فإن النص المحقق الذى اتخذناه أساساً لترجمتنا هو نص صحيح النسبة للجرديزى، وتطبيق أصول النقد المعروفة تؤكد لنا صحة هذه النسبة.

هذا بالإضافة إلى أن الشك في صحة النسبة لم يتسرب إلى أحد من العلماء الذين تناولوا هذا الأثر بالدراسة أو التحقيق.

- ٣ -

وهذا الكتاب يتناول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف، وهو متنوع الجوانب متعدد الاتجاهات، ففيه التاريخ، والآثار، والأعياد، والعادات والتقاليد، والأنساب والمعارف، ويكفي تدليلاً على هذا التنوع والتعدد أن نلقي نظرة عامة على موضوعات هذا الكتاب ومحتوياته :

- في البداية تحدث عن أخبار ملوك العجم، وقد قسمهم إلى خمس طبقات تحدث عن كل طبقة منها على حدة، ولكن الجرديزي من (طهمورث) إلى (زوبن طهماسب) لم يعط لهؤلاء الملوك عنوان طبقة، ثم بدأ بعد ذلك بالطبقة الثانية مباشرة، وربما يكون هذا الخطأ من الناسخ.

٢- الطبقة الثانية : الكيانيون.

٣- الطبقة الثالثة : ملوك الطوائف.

٤- الطبقة الرابعة : ملوك الساسانيين.

٥- الطبقة الخامسة : الأكاسرة.

الباب السادس(٥) : جدول تواريخ خلفاء الإسلام وملوكه

(أ) جدول الرسول ﷺ : وقد تحدث الجرديزي أولاً عن نسبه الشريف ﷺ من جهة أبيه وأمه، ومن جهة جدته لأبيه وجدته، لأمه ثم وضع جدولاً رصد فيه : أعمامه ﷺ وعماته.

نساءه ﷺ وآباءهن وقبائلهن .

أبناءه ﷺ .

دوابه ﷺ وأجناسها .

مواليه ﷺ .

غزواته ﷺ .

ثم يتابع الحديث عن سيرته ﷺ حتى وفاته.

(ب) جدول خلفاء الإسلام وملوكه :

ابتدأ فى هذا الجدول بأبى بكر، فبقية الخلفاء الراشدين، وعَدَّ منهم الحسين بن على، ثم بنى أمية حتى مروان بن محمد، وهو يذكر عن شخصية كل خليفة الحقائق الآتية :

الكنى.

الأسماء والأنساب.

الألقاب.

أسماء الأمهات.

الحُجَّاب.

الكُتَّاب.

توقيعات الأختام.

العمر.

ابتداء الخلافة.

مدة الخلافة.

ثم يعود الجرديزى ليتحدث عن سقوط بنى أمية.

الباب السابع : أخبار خلفاء الإسلام وملوكه ابتداءً من أبى بكر الصديق حتى خلافة القائم بأمر الله

وفي الحديث عن الخلفاء العباسيين يفتتح الجرديزى كلامه بجدول يتناول فيه خلفاء الدولة العباسية، وقد سار فيه على النهج الذى سار عليه فى الجدول السابق، ونعنى به جدول الخلفاء الراشدين وبنى أمية، إلا أنه يزيد عليه أمرين هما : أسماء الوزراء، وأسماء القضاة.

وتحت عنوان فى أخبار أمراء خراسان يصنع الجرديزى أمرين :

الأمر الأول : يصنع جدولاً يورد فيه الآتى :

أسماء الأمراء.

دار الملك.

أسماء الخلفاء فى عهد كل أمير.

مدة الإمارة.

تاريخ ابتداء الإمارة.

الباب الثامن : فى استخراج التواريخ من الأخرى

التاريخ الرومى - التاريخ الهجرى - التاريخ الهندى.

المقالة الثانية : فى جداول الأعياد وأسبابها

وقد افتتحها الجرديزى بحديث قصير عن أسباب الأعياد، ثم كتب جدولاً بَيَّن فيه أعياد المسلمين، وأردف ذلك بشرح أسباب هذه الأعياد.

- **الباب التاسـع** : أسباب أعياد المسلمين.
- **الباب العاشـر** : جدول أعياد اليهود.
- **الباب الحادى عشر** : أسباب أعياد اليهود.
- **الباب الثانى عشر** : جدول أعياد النصارى وشرح أسبابها.
- **الباب الثالث عشر** : جدول أعياد المجوس ومناسباتهم.
- **الباب الرابع عشر** : شرح أعياد المجوس واحتفالاتهم.
- **الباب الخامس عشر** : جدول أعياد الهنود.
- **الباب السادس عشر** : شرح أعياد الهنود.
- **الباب السابع عشر** : فى المعارف والأنساب.

وقد افتتح الجرديزى هذا الباب بالحديث عن أحوال الترك وأنسابهم، واستقصى فى ذلك جميع طوائفهم.

- **الباب الثامن عشر** : فى معارف الروم.
- **الباب التاسع عشر** : فى معارف الهنود. وبهذا الباب يختم الجرديزى كتابه.

من خلال النظرة العامة على المحتويات السابقة نجد أن الجرديزى قد ابتدأ كتابه بالقصص القديمة عن وطنه، شأنه فى ذلك شأن بقية المؤرخين العجم، لكننا نلاحظ أنه قد أوجز الحديث فى الجزء الأسطورى، ثم خفف من حدة هذا الإيجاز فبسط الحديث بعض الشيء عن الجزء المحقق من تاريخ العجم. ولكن الوفاء للعقيدة الإسلامية والإخلاص لها يظهران فى تلك العبارة التى ختم بها الجرديزى حديثه عن هذا القسم، فهو يقول فى ختام حديثه عن يزدجرد بن شهريار : "وبه اختتمت مملكة العجم، واستولى المسلمون على إيرانشهر، وهى، لا تزال فى أيديهم حتى الآن، وستظل كذلك حتى يوم القيامة بمنة الله تعالى".

ثم يتناول بعد ذلك بشيء من الإفاضة مع التركيز الكامل أحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد الرسول ﷺ حتى القائم بأمر الله.

ثم يعرج إلى موطنه فيسجل أحداثه وأحداث الوقائع التي عاشها بنفسه، فنراه يخص خراسان وأمراءها بحديث مفصل، ونستطيع أن نقسم هذا الجزء إلى قسمين :

- قسم لم يعش الجرديزي أحداثه، ويبدأ بعبد الله بن عامر بن كُريز والي خراسان من قبل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وينتهي بأبي الفوارس عبد الله بن نوح الساماني.

- وقسم ثان عاش الجرديزي أحداثه - كما يصرح هو بذلك - ويبدأ بالسلطان محمود الغزنوي، وينتهي حسب جدول أمراء خراسان بالسلطان عبد الرشيد بن محمود الغزنوي.

وهذا القسم يعتبر حديث الجرديزي عنه وثيقة مهمة عن هذه الفترة. ومن أول الكتاب حتى بداية الباب الثامن يعتبر وحدة كاملة متجانسة تمثل التاريخ الحقيقي في هذا الكتاب؛ ومن أول الباب الثامن حتى نهاية الكتاب يعتبر قسماً ثانيًا يتميز بالطابع الحضاري حتى يسوغ لنا أن نعده درسًا حضاريًا خالصًا في مقابل الدرس التاريخي الخالص الذي يمثله القسم الأول من الكتاب.

إن الدراسة الهادئة المتأنية لهذا الكتاب تخلص بنا إلى تحديد المنابع والمصادر التي استقى الجرديزي منها كتابه، ونستطيع أن نحصرها في ثلاثة منابع :

المنبع الأول : مشاهدات الجرديزي :

ويجسد هذا في المقدمة التي بدأ بها حديثه عن تأريخه للغزنويين، فهو يقول فيها :
"يقول مؤلف هذا الكتاب أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الجرديزي :

عندما انتهينا من أخبار وتواريخ الأنبياء والملوك والعظماء وملوك العجم وخلفاء الإسلام وأمراء خراسان بدأنا بذكر أخبار يمين الدولة رحمة الله عليه ... لأنه لم يكن لكل الأخبار التي قرأناها هذا الحال الذى لأخباره، فالأشياء الأخرى سمعناها وقرأناها من الكتب، ومن الجائز أن يكون المصنفون والرواة أضافوا إليها قليلاً أو كثيراً، أو قالوها للتعجب والعظة والعبرة، أو لتعظيم كتبهم وإجلالها، ولكن هذه الأخبار عنه رأيت أكثرها رأى العين".

المنبع الثانى : المؤلفات والمصنفات :

من الجائز أن يكون الجرديزى قد ألقي الأضواء في المقدمة التي وضعها لكتابه على المصنفات والمؤلفات التى اتخذها منابع له، ولكن هذه المقدمة للأسف من الأجزاء المفقودة من الكتاب. أما في داخل نص الكتاب فتوجد إشارات إلى هذه المصادر متناثرة هنا وهناك، وهى التى اعتمدنا عليها في تقرير حديثنا عن مصادر الجرديزى. وهذه المصادر هى :

- الأوستا : وقد رجع إليها كمصدر من مصادره حينما تحدث عن أعياد الفرس.
- التوراة : رجع إليها الجرديزى فى حديثه عن أعياد اليهود.
- الأناجيل : جعلها كمصدر من مصادره حينما أرخ لأعياد النصارى.
- الآيات القرآنية : أتى بها من أول الكتاب فى مناسباتها.
- فى نهاية حديثه عن معارف الترك وأنسابهم نجد الجرديزى يقول :

كانت هذه كل معارف الترك التى وجدت بعضها :

فى (المسالك والممالك) للجيهانى.

وبعضها فى كتاب (توضيح الدنيا).

وبعضها فى كتاب عبيد الله بن خرداذبه.

وبعضها أوردته هنا من أماكن أخرى.

أما كتاب (المسالك والممالك) فهو لأبي عبد الله الجيهاني البلخي وزير السامانيين حوالي عام ٣٦٦هـ، ويقول عنه الجرديزي في حديثه عن السعيد نصر بن أحمد الساماني : "وكان أبو عبد الله الجيهاني رجلا عالمـاً شديد الذكاء، جلداً، فاضلاً، وكان بصيراً بكل شيء وله تآليف كثيرة في كل فن وعلم". وهذا الكتاب لا يوجد بين أيدينا الآن.

وأما كتاب (توضيع الدنيا) فإن الأستاذ عبد الحي حبيبي يذكر في أحد الأصلين المخطوطين أنه ورد (توضيح الدنيا)، وفي الأصل الثاني (تواضع الدنيا)، ثم يقرر أن هذا الاسم قد ذكر خطأ وصحته (ربع الدنيا) وينسب لأبي عبد الله بن المقفع لأنه لا يوجد كتاب باسم (تواضع الدنيا أو توضيح الدنيا).

وإلى هذا أيضاً ذهب الأستاذ سعيد نفيسي في مقدمة الجزء الذي حققه من كتاب الجرديزي. ويرجح هذا التصحيح أن الجرديزي قال في بداية معارف الترك : "هكذا يقول أبو عمرو عبد الله بن المقفع في كتاب (ربع الدنيا). وهذا الكتاب لا وجود له بين أيدينا الآن، وقد قتل ابن المقفع بين أعوام ١٣٩ أو ١٤٢ أو ١٤٥هـ.

أما كتاب عبيد الله بن خرداذبه فالجرديزي وإن كان لم ينص عليه في النص السابق فقد ذكر في أول معارف وأنساب الترك أنه كتاب (الأخبار)، وهذا الكتاب مفقود لم يصل إلينا. وابن خرداذبه هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه المتوفي عام ٣٠٠هـ، وهو صاحب كتاب (المسالك والممالك) وهو الكتاب الذي وصل إلينا من مؤلفات ابن خرداذبه هذا. ومن الملاحظ أن الجرديزي يقول في النص المذكور أنه قد أورد بعض المعلومات التي استمدها من مصادر أخرى غير هذه المصادر التي ذكرها، كذلك يذكر في تأنٍ واحتياط العالم أنه من الجائز أن تكون للترك قبائل أخرى ولكن لم تصله أخبارها، ولهذا يلتمس من الترك العذر في عدم ذكره لهذه القبائل.

يذكر الجرديزي في أعياد اليهود كتاب (التواريخ) الذي صنفه أبو عبد الله الجيهاني باعتباره أحد المصادر التي اعتمد عليها. وبذلك يكون قد رجع إلى مؤلفين من مؤلفات الجيهاني هما: (المسالك والممالك) و (التواريخ)، وللأسف لم يصل إلينا هذان الكتابان.

- في حديث الجرديزي عن الصين ينقل عن أبي زيد الحكيم، وهو أبو زيد أحمد ابن سهل البلخي المتوفى عام ٣٢٢هـ وهو أقدم الجغرافيين المسلمين، وله ستون مؤلفًا منها كتاب (صور الأقاليم) وهو أقدم كتاب في الجغرافيا الإسلامية.

- يذكر الجرديزي في أعياد المسلمين أنه اعتمد على المؤلفات التي تتعرض لمثل هذه الأعياد، وخاصة كتب أبي الريحاني البيروني المتوفى عام ٤٤٠ هـ ، ورغم أن الجرديزي لم يعين هذه المؤلفات فإن الأستاذ عبد الحي حبيبي يخصص منها كتابين هما (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) و (الآثار الباقية عن القرون الخالية) وهما موجودان بين أيدينا ومطبوعان.

المنبع الثالث : السماعات :

وهي أخبار سمعها الجرديزي شفاهًا ورواها في كتابه، ونجد الجرديزي في بعض الأحيان يسند هذه الأخبار إلى قائلها، وفي بعض الأحيان يغفل هذا القائل فلا يذكره، فمثلا في أعياد اليهود نراه يعقب على بعضها قائلاً : "هكذا سمعت من خواجة أبي الريحان رحمه الله"، وفي نفس هذا الفصل يقول : "سمعت أن قابوس بن وشمگير"... ولم يحدد مصدر سماعه.

وفي معارف الهنود يقول : "حكى لي أحمد بن ولك الجرديزي" ثم يحكي عن بعض غرائب الهنود في مسائل الطب والعلاج ويقول : إن بعض أصدقائه قد رآها وبعضها سمعه، ولم يحدد الجرديزي أسماء أصدقائه الذين رأوا بعض هذه الغرائب ولا أسماء الذين سمع منهم.

والجرديزي مؤرخ متواضع أمين في تأريخه؛ فمثلاً في القسم الخاص بالأعياد نجده يذكر في الجداول اسم العيد أو المناسبة، وعند الشرح والتفسير لا يجد أدنى حرج في أن يصرح ويقول : لم أجد شيئًا عنه في الكتب.

هذه هي المنابع التي استخلصناها من دراستنا لنص الجرديزي، ونعقب عليها الأن فنذكر آراء الباحثين الذين درسوا كتاب الجرديزي وأخرجوه، سواء شمل هذا الإخراج نص الكتاب كله أو قسماً من أقسامه.

- يذكر المستشرق الروسي بارتولد في كتابه عن تركستان الذي ترجم تحت عنوان (تركستان نامة) ترجمة كريم كشاورز جـ١ ص٧١- ٧٢ تهران[٦] :

إن تاريخ خراسان حتى نهاية الدولة السامانية يعتبر كتاب (زين الأخبار) هو المرجع الأصلي عنه الباقي لدينا، لأن كتاب (أخبار ولاة خراسان) الذي ألفه علي السلامي المتوفي عام ٣٠٠هـ قد فقد.

ثم يقارن في هذا الجزء بين ابن الأثير المتوفي عام ٦٣١هـ في كتابه (الكامل)، وبين الجرديزي فيذكر أن المصدرين يكادان يتفقان في بعض الموضوعات اتفاقًا كاملاً في الألفاظ، ويرجع هذا الاتفاق إلى أن المؤلفين قد استقيا مادتهما من مصدر واحد هو السلامي بلا شك. ثم يذكر أن ابن الأثير قد ذكر أخباراً مفصلة عن تاريخ السامانيين حتى موت أبي علي الصاغاني، ومن المحتمل احتمالاً قوياً أن يكون تاريخ السلامي قد وصل إلى هذا التاريخ.

ثم يعود بارتولد فيقرر أن وقائع السنوات التي بين ٣٤٤ ، ٣٦٥هـ، وهي وقائع مفقودة لا نجد لها أثرًا في كتاب ابن الاثير، وإنما نجدها مفصلة إلي حد ما في كتاب الجرديزي - هذه الوقائع إنما ذكرها الجرديزي لأنه قد اعتمد على مصدر لم يعتمد عليه ابن الأثير.

ثم يؤكد بارتولد اعتماد الجرديزي على السلامي فيذكر أن ابن خلكان المتوفي عام ٦٨١هـ في كتابه (وفيات الأعيان) قد تحدث عن عمرو بن الليث نقلاً عن السلامي. وعند المقارنة بين هذا الحديث وحديث الجرديزي نجد اتفاقًا في الألفاظ بينهما، مما يدل على اعتماد الجرديزي على السلامي في هذا القسم.

ويتابع الأستاذ سعيد نفيسي بارتولد فيذكر في مقدمة القسم الذي أخرجه من (زين الأخبار) أنه يظن "أن الفصل الخاص بأمراء خراسان والذي يشتمل على مطالب دقيقة للغاية وبها جدة وطرافة قد أخذها الجرديزي من السلامي".

ويتفق الأستاذ عبد الحي حبيبي مع الأستاذ سعيد نفيسي في هذا فيذكر أن من الجائز أن يكون الجرديزي قد استفاد في فصل ولاة خراسان من الكتاب المفقود لأبي علي السلامي المتوفى عام ٣٠٠هـ وهو (أخبار ولاة خراسان).

- يذكر الأستاذ حبيبي أن من بين المصادر المهمة التي اعتمد عليها الجرديزي كتاب (الأعلاق النفيسة) لأبي علي بن أحمد بن علي بن رسته الأصفهاني المتوفى عام ٢٩٠هـ فنحن نجد صلة قوية بين ابن رسته والجرديزي في موضوعات : الخزر والبلكار والمجغريان والسقلاب والروس وسرير والسلان، حتى إنه من الممكن أن نقول : إن الجرديزي قد ترجم هذه الأجزاء من نسخة قديمة كاملة ووضعها في كتابه. ثم أورد الأستاذ حبيبي نماذج من كل من ابن رسته والجرديزي، ومنها يبدو التشابه الكامل بينهما.

- يذكر الأستاذ حبيبي أن كتاب (طبائع الحيوان) لشرف الزمان طاهر المروزي المؤلف حوالي عام ٥١٤ هـ يتشابه في بعض المباحث مع كتاب الجرديزي، وذلك في حديثه عن الصين والترك والهند. ولعل هذا راجع إلى أن المروزي قد اعتمد على الجرديزي، أو أن الاثنين كان لهما منبع واحد مشترك.

- كما يقرر العلامة محمد القزويني في مقدمته أن (زين الأخبار) يتشابه مع كتاب (الآثار الباقية) للبيروني.

- كذلك يقرر الأستاذ نبي هادي الهندي(٧) أن الجرديزي في الباب الخاص باستخراج التواريخ قد تأثر بالبيروني، أما الحياة الاجتماعية والمذهبية للأصول المختلفة في الدنيا في ذلك الوقت فقد وردت عنها في المصادر العربية معلومات كافية، وقد أخذ الجرديزي خلاصة كل هذه المعلومات وترجمها إلى الفارسية ثم قدمها إلى أهل العلم من لغته بلغتهم، كما يذكر أن الجزء الخاص بالأنساب قد وقع فيه الجرديزي تحت

تأثير طريقة مؤرخى العرب القدماء الذين يقسمون البشر إلى أنواع مختلفة، وطبقًا لعقيدتهم فإن الجنس البشرى يأخذ منبعه من أصل ومنشأ واحد، ثم انتشروا فى الأرض وتوطنوا فيها وتجاوروا.

يتحدث الشهرستانى المتوفى عام ٥٤٨هـ فى كتابه "الملل والنحل" عن طوائف الهند، وفى حديثه عن طائفتى (المهاكالية) و (الجهكلية) نجده يتشابه مع الجرديزى الذى يذكر فى هذا الجزء مقتبسات من الجيهانى، فهل اعتمد الشهرستانى أيضًا على الجيهانى فيكون الجيهانى مصدرًا مشتركًا بينه وبين الجرديزى، أم نقل عن الجرديزى؟ احتمالان واردان، وكلاهما يثبت أصالة الجرديزى، لأن الشهرستانى من مؤرخى الملل والنحل الثقات المشهود لهم بالدقة والأمانة، فهو يقول عن نفسه (جـ١ ص٢٢) : "وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كَسْرٍ عليهم" فإذا كان قد نقل عن الجرديزى فهذا توثيق للگرديزى، وإن كان قد أخذ عن الجيهانى فهذا توثيق لمصادر الجرديزى.

- ٥ -

أما عن أهمية الكتاب بالنسبة للحضارة الإسلامية وقيمته الأدبية بالنسبة للتراث الفارسى فإن العلامة الأستاذ محمد القزوينى يقول عنه : "إنه كتاب نفيس"، ويقول عنه الأستاذ سعيد نفيسى : "إنه كتاب رفيع، فهو من حيث أسلوب الكتابة الفارسية سلس وسهل، يمتلئ بالنكات التاريخية التى لا توجد فى كتاب آخر قط، وهو أكثر أهمية لدى الإيرانيين من أى كتاب آخر للتاريخ".

ثم يذكر الأسباب الدافعة إلى نشر الجزء الذى حققه من الكتاب فيجملها فى "الأهمية البالغة لهذا الكتاب النفيس"، ولأنه يراه مناسبًا وملائمًا لإرشاد من يريدون أحسن نموذج للإنشاء البسيط السهل الفصيح، وأيضًا للمطالب التاريخية الجديدة التى يحتويها".

ويقول عنه المؤرخ الأفغاني الأستاذ عبد الحي حبيبي - وهو الذى قام بنشر النسخة التى اعتمدنا عليها فى هذه الترجمة - : إن أسلوبه الدرى مثل كتابات القرن الخامس سلسة رشيقة شائقة، وهو يستخدم أحيانًا كلمات ولغات وتعبيرات جميلة تعد مكسبًا من حيث اللغة والتاريخ والنحو".

ويقول عنه بهار فى كتابه (سبك شناسى جـ٢ ص ٥٠) :

"هو كتاب عظيم ... كتب بسبك فارسى قديم، بلغة غاية فى النضج والسلاسة ... وهو إلى السبك القديم أقرب من البيهقى، وهو يشبه سبك البلعمى، وقد اجتهد كاتبه أن يكون غاية فى السلاسة، ولكن من فرط إيجازه وتقييده يذكر رؤوس الموضوعات فإنه لا يترك ميدانًا فسيحًا يجول فيه القلم كما يجول فى تاريخ سيستان والبيهقى".

وفى رأينا أن الإيجاز كان مطلبًا أساسيًا من الجرديزى ولهذا استخدمه عن قصد وتعمد، ولم يكن استخدامه لقصر فى النَفَس أو قلة فى المادة العلمية.

ويقول عنه الدكتور ذبيح الله صفا فى كتابه (تاريخ أدبيات إيران جـ١ ص ٦٣٥) :
"زين الأخبار من جملة كتب التاريخ العظيمة، وهو نثر فى غاية السلاسة والرقة، ومن خصائص أسلوب الجرديزى رعاية جانب الإيجاز، وذكر رؤوس الحوادث، وتجنب الإسهاب والإطناب، وعدم الدخول فى الجزئيات، ومع أن الكلمات العربية قد وجدت طريقها بقدر وافٍ إلى أسلوب الجرديزى فإن أسلوب السبك فيه قديم، وهو قريب إلى السبك فى الدولة السامانية".

وذكر بروان فى معرض حديثه عن الكتب المهمة فقال "وهناك كتاب تاريخى آخر كبير الأهمية فيما يتصل بخراسان خاصة وهو كتاب "زين الأخبار" الذى ألفه الجرديزى فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى (أى القرن الخامس الهجرى) ص ٣٦٢ الترجمة العربية.

ووصفه دهخدا بأنه واحد من الكتب العظيمة فى النثر الفارسى جـ٣ ص ٥١١ .

هذا وقد نال (زين الأخبار) عناية فائقة من العلماء والباحثين، ويكفى تدليلاً على هذا تلك النشرات العلمية المتعددة للأجزاء المختلفة من هذا الكتاب:

- كتب المستشرق الروسي بارتولد، مقالة عن الكتاب فى دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان (الجرديزى).

ثم نشر القسم الخاص بأنساب ومعارف الترك فى كتاب بعنوان (سفر فى آسيا) نشره فى بطرسبرج عام ١٨٩٣-١٨٩٤م.

- ترجم المستشرق المجرى جيزاكون هذا الجزء الذى نشره بارتولد إلى اللغة المجرية عام ١٩٠٣م.

- في عام ١٨٩٨م نشر بارتولد في بطرسبرج القسم المتعلق بتاريخ خراسان، وقد وضعه فى كتابه (تركستان قبل الغزو المغولى).

- نشر ميرزا عبد الله غفاروف بعض الأجزاء التي نشرها بارتولد في كتابه (منتخبات فارسية) الطبعة الثانية، المجلد الأول، موسكو عام ١٩١٦م.

- القسم الخاص بمعارف الهند : ترجمه إلى الإنجليزية وعلق عليه العلامة مينارسكي، ونشر فى لندن عام ١٩٦٤م ضمن مقالاته العشرين.

- القسم الخاص بأمراء خراسان من الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة الغزنوية : نشره الدكتور محمد ناظم فى برلين عام ١٩٢٨م، ثم أعاد طبعه فى طهران عام ١٣١٥هـ ش الموافق ١٩٣٦م، وكانت نشرته محل نقد شديد من العالمين الجليلين محمد القزوينى وسعيد نفيسى.

١ - وفى عام ١٣٢٥هـ ش الموافق ١٩٤٦م نشرت مجلة سخن - فى عدد فروردين - الجزء الخاص بأعياد واحتفالات الفرس، وقد قام بتحقيقه فى دقة بالغة الأستاذ صادق كيا، وقد وعد باستكمال تحقيق الأجزاء الباقية من الكتاب، ولكنه لم يظهر حتى الآن.

٢ - وفى تهران عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩٥٤م نشر الأستاذ سعيد نفيسى جزءاً من الكتاب يشتمل على الطبقة الرابعة : لملوك الساسانيين؛ حتى نهاية الباب السابع من الكتاب.

٣ - وفى تهران عام ١٣٤٧هـ ش الموافق ١٩٦٨م أخرج العالم المحقق الأستاذ عبد الحى حبيبى النص الكامل لكتاب "زين الأخبار"، وقد أخرجه لأول مرة في ثوب علمي دقيق مزوداً بالمقدمات والحواشي والتعليقات والفهارس المدروسة.

٤ - وفى فاس عام ١٩٧٢م ترجم هذا الجزء إلى اللغة العربية الأستاذ محمد ابن تاويت المغربى، وقد ترجم النص بكل أخطاء التحقيق التي وقع فيها الدكتور محمد ناظم.

- ٧ -

إن النسخ الخطية التى عثر عليها لهذا الكتاب تنحصر حتى الآن فى نسختين توجدان فى انجلترا، إحداهما في كيمبردج، وقد كتبت عام ٩٠٣هـ أو ٩٣٠هـ، والثانية في مكتبة بادليان بأكسفورد، وقد كتبت سنة ١١٩٦هـ، والنسخة الأولى تعتبر أصلاً للنسخة الثانية.

هذا وقد سقط من أول النسختين عدة أوراق، وأيضًا يوجد داخلهما أوراق ناقصة، وقد نبه عليها الأستاذ عبد الحى حبيبى فى أماكنها.

كما أصابت الرطوبة نسخة كيمبردج في بعض المواطن، بالإضافة إلى كثير من الأخطاء التى وقع فيها الناسخ. كل هذا مثل صعابًا أمام الباحثين مما جعلهم يحجمون عن إخراج نص الكتاب كاملاً أو ترجمته، واتجه الجميع سواء فى التحقيق أو الترجمة إلى العناية ببعض أجزاء من الكتاب، وخاصة ماله مراجع متوفرة يسهل الرجوع إليها وتقويم نص الجرديزى وقراءته قراءة صحيحة من خلالها.

ثم جاء الأستاذ عبد الحى حبيبى وعزم على إخراج النص كاملًا فأعانه الله على ما عزم، وأخرج الكتاب كاملًا مصحوبًا بالفروق بين النسخ، وقراءات الدارسين للنص، وترجيح بعض هذه القراءات على بعض. وقد استعان الأستاذ عبد الحى حبيبى بالمصادر الأصيلة المختلفة فى التحشية على النص؛ وفى استكمال بعض النقص الموجود فى النسخ المخطوطة. ومن خلال العمل فى هذا الكتاب تتبدى شخصية الأستاذ حبيبى وما يتمتع به من أمانة علمية محمودة، فنراه مثلاً فى بعض الأحيان يقرر أن بعض الكلمات لم يستطع أن يقرأها، وأن البعض الآخر لم يكن له مرجع فيه إلا الحدس فقط.

- ٨ -

هذه هى رحلة (زين الأخبار) مع العلماء والباحثين، أما رحلتى مع الجرديزى وكيف عرفته مؤرخًا فذًا فهى تبدأ من فترة طويلة. ومنذ أيام الطلب والتحصيل، حينما أوفدتنى جامعة الأزهر فى منحة دراسية إلى جامعة كابل لدراسة درجة الدكتوراه فى الأدب الفارسى وذلك فى أوائل عام ١٩٦٨م. وفى الأعوام التى أمضيتها هناك قرر قسم اللغة الفارسية أن أدرس إلى جانب بحثى : البلاغة الفارسية، والنحو الفارسى، والتاريخ، لأن هذه المواد كانت لا غنى عنها فى دراسة البحث الذى كنت أكتب فيه، ووافق مجلس الكليـــة على قرار القســـم، وأسند تدريس التاريخ إلى الأستاذ الكبير عبد الحى حبيبى، فكنت أختلف إلى حلقات درسه مرتين كل أسبوع، وكانت تعقد فى الجمعية التاريخية التى كان يشغل منصب الرئاسة فيها إلى جانب عمله أستاذاً للتاريخ بجامعة كابل. ولم يكن الأستاذ عبد الحى حبيبى آنذاك غمراً، بل كان علماً بين علماء التاريخ القديم والحديث والمعاصر فى أفغانستان، وهو معروف بمؤلفاته الممحصة الموثقة لدى جميع الباحثين الذين كتبوا عن أفغـــانستان فى شتى عصـــورها، وكنت فى كل مرة أختلف إليه فيها أزداد إعجابًا بمنهج الرجل ومؤلفـــاته العظيمة، وأخبرنى فى تلك الآونة أنه بصدد نشر المتن الكامل لكتاب (زين الأخبار).

ووفق الأستاذ عبد الحى حبيبى فى نشر كتاب (زين الأخبار) فى شهر فروردين عام ١٣٤٧هـجرية شمسية، الموافق أبريل عام ١٩٦٨م وقد طبعه فى إيران، وبدأت أقرأ فى صفحات (زين الأخبار) منذ ذلك التاريخ. وفي كل يوم كان يقوى عندى الأمل فى أن تتاح لى الفرصة وأنقل هذا السفر العظيم يومًا إلى اللغة العربية، وبدأت أشمر عن سواعد الجد؛ لأننى أعلم أننى سأخوض بحرًا عميقًا فيحسن أن أعد للأمر عدته، وأعددت نفسي إعدادًا كاملاً وزودتها بكافة الوسائل التى يحتاج إليها المترجم.

وعلى الرغم من هذا فقد تكبدت في ترجمة هذا الكتاب صعوبات هى أكبر بكثير من أن يتسع المجال لذكرها تفصيلاً، وكانت أهم هذه الصعوبات تتمثل فى الآتى :

أولاً : إن الكتاب - كما سبق أن شرحنا - عبارة عن موسوعة تاريخية اشتملت على كل ما يتعلق بتاريخ إيران بمفهومها القديم، وكانت تشتمل على إيران وأفغانستان وأجزاء كبيرة من آسيا الوسطى، بالإضافة إلى ذكر الأحداث المهمة فى العالم الإسلامى منذ بعثة الرسول ﷺ حتى خلافة المقتدر بالله، ذاكرًا بالتفصيل - مع كل هذا - أحداث خراسان بعد الفتح الإسلامى، وولاتها، وحركات التمرد فيها. ثم انتقل من الجزء التاريخى البحت إلى حضارات الأمم والشعوب، فتحدث عن أصلها، وأنسابها، وأعيادها. وقد حرص المؤلف أن يجعل من كتابه دائرة معارف يثبت فيها كل المعارف التى سبقت على كتابه، ومن أجل ذلك تضمن الكتاب أمورًا مغرقة فى القدم، ولطالما صادفتنى إشارات اضطررت فيها إلى الرجوع إلى المكتبات العامة والخاصة، أدقق فى الحقائق وأراجع الكتب التى عنيت بنفس الموضوعات التى عالجها (زين الأخبار) مما كلفنى رهقًا وجهدًا كان فى كثير من الأحيان فوق طاقتى.

ثانيًا : إن هذا الكتاب مضى على تأليفه عشرة قرون؛ وهذا يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشى والتعليقات التي توضح ما غمض من النص وتفصل ما أجمل فيه. وأشهد أن الوقت الذى بذلته فى هذه الحواشى وتدقيقها لا يقل عن الترجمة بأى حال، وحقيقة أن الأستاذ عبد الحى حبيبى قد بذل جهدًا كبيرًا يذكر له ويشكر عليه فى تزويد كتابه بالحواشي الدقيقة، ولكن هذا كان من أسباب مضاعفة جهدى لأننى عنيت بترجمة معظم حواشيه، ثم أضفت أنا ما وجدته مهمًا بالنسبة للقارئ العربى.

ثالثًا : سبق أن شرحنا المصادر التى اعتمد عليها الجرديزى فى كتابه، وهى كما يبدو مصادر متنوعة وأصيلة فى كلا التراثين العربى والفارسى.

لذا كان لزامًا علىّ أن أعود إلى النصوص الأصيلة وأثبتها فى الحواشى، مع إثبات المقارنات بين هذه النصوص ونص الجرديزى ما أمكن السبيل إلى ذلك.

رابعًا : إن الجرديزى عُرِف بأسلوبه العلمى الدقيق، فهو لا يميل إلى الاستطراد أو الإطناب، وينهج منهج الإيجاز، ويقرر هو ذلك حينما يذكر أن الذين لم يتحدث عن معارفهم وأنسابهم كأهل إيران إنما ترك الحديث عنهم لأمرين :

الأمـر الأول : أن أحوالهم معروفة ومشهورة.

الأمر الثانى : أنه لو شغل بعرض هذه المعارف فإن الكتاب سيخرج عن حد الاختصار.

ولم تكن ترجمة مثل هذا الأسلوب العلمى الدقيق بالمهمة السهلة اليسيرة؛ لأن المترجم فيها يحس بقيود شديدة، فكل لفظة يجب أن ترد فى الترجمة بمعناها الدقيق، لذلك اجتهدت أن تجىء الترجمة مطابقة للأصل، وقد كلفنى هذا عناءً استمر خمسة أعوام متتالية، ترجمت النص فيها أكثر من مرة، حتى أصل إلى ترجمة جيدة تكون قريبة من هذا النثر النفيس للمؤلف.

خامسًا : يعتبر صاحب هذا الكتاب من مؤرخى الأفغان القلائل الذين يُعنون مع دقة اللفظ وإيجازه برشاقة المعنى وجمال التعبير، فهو يتأنق فى عباراته وتراكيبه، ويبدع فى اختيار ألفاظه وأساليبه، ولم تكن مهمة المترجم بالسهلة أيضًا فى هذا؛ لأن المترجم يجب أن يتأنق فى أساليبه واختيار ألفاظه تأنقًا يكون شبيهًا بالمؤلف أو قريبًا منه؛ مع المحافظة على النص وعدم البعد عنه أو التصرف فيه بأى حال.

سادسًا : مؤرخ (زين الأخبار) من المؤرخين الذين تأثروا ببيئتهم تأثرًا كبيرًا، شأنه فى ذلك شأن أى أديب شاعر، ولهذا استخدم بكثرة التعبيرات والأمثال والحكم التى لا تدرك معانيها بسهولة، وتكثر التأويلات والأقوال فيها، وهنا أنوه بفضل أخ

وعالم فاضل هو الدكتور محمد أمان صافى الأفغانى - رحمه الله رحمة واسعة - وكان أستاذاً بجامعة كابل ومنتدباً فى جامعة الأزهر، فقد كنت أثناء ترجمتى لهذا الكتاب أرجع إليه إذا ترددت فى معنى مَثَل أو حكمة أو عبارة، وكنا نتدارس الأمر ونقلبه على وجوهه المختلفة حتى ننتهى إلى رأى هو أقرب إلى الصواب فى نظرنا.

سابعًا : أورد الجرديزى فى كتابه بابًا خاصًا عن الهنود، فتحدث أولاً عن أعيادهم، ثم عن معارفهم وأنسابهم، وقد روى الجرديزى الكثير من غرائب الهنادكة وطقوسهم، كما أورد الكثير من الكلمات الهندية فى ثنايا هذا الباب. وهنا أذكر أيضًا بمزيد من الشكر والامتنان الأستاذ الفاضل خواجه معين الدين كريم الدين الهندى الذى عاوننى على نطق هذه الكلمات نطقًا سليمًا، وزودنى بالمصادر التى تبحث فى العادات القديمة للهند، وأمدنى بالصور المختلفة، فكان ذلك عونًا لى على تأصيل فهمى للنص وقت ترجمة هذا الباب، جزاه الله عنى خير الجزاء وأحسنه.

ثامنًا : (زين الأخبار) حافل بالكثير من الألفاظ العربية، وقد اجتهدت أن أحافظ عليها ما أمكن السبيل إلى ذلك.

وبعد : فهذه هى رحلتى مع الجرديزى، وهذا هو كتابه (زين الأخبار) أتقدم به إلى المكتبة العربية، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى إعداده توفيقًا يتناسب مع الجهد الذى بذل فيه؛ إنه الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

د/ عفاف السيد زيدان

القاهرة مدينة نصر، يناير ٢٠٠٧م

الهوامش

(١) راجع مقدمتى كل من نفيسى وحبيبى.

(٢) ص ١٧٣ - ٢٥٢ - ٢٥٥ ط حبيبى.

(٣) اعتلى السلطان عبد الرشيد نجل السلطان محمود الغزنوى عرش السلطنة فى أوائل عام ٤٤١هـ.

(٤) غزنة = غزنين = غزنى ويطلق عليها الآن اسم غزنى، وهى إحدى المدن الكبيرة بأفغانستان وتقع فى جنوب غرب كابل، وهى على طريق المواصلات بين كابل وقندهار، وكانت عاصمة ملك السلطان محمود الغزنوى (متوفى عام ٤٢١هـ) ويوجد بها قبره، وكذلك قبر ابنه السلطان مسعود، ويوجد بها الكثير من آثار الغزنويين، وتبعد عن كابل العاصمة مائة وخمسين كيلو متراً؛ أى حوالى ساعتين بالسيارة. (المترجم)

(٥) هكذا فى النص.

(٦) تهران = طهران تكتب بالتاء وهذا هو الصحيح كما ورد فى المصادر الفارسية، ولكنها تكتب بالطاء فى المصادر العربية.

(٧) مجلة آدب (مؤرخان دورة غزنويان)، العدد الرابع، السنة الثالثة والعشرين ١٣٥٤هـ ش، كابل، أفغانستان.



الباب الأول

طهمورث بن إينكهد

حينما جلس طهمورث[1] بن أينكهد بن إسكهد بن هوشنگ على عرش السلطنة كانت للشياطين القوة والغلبة على بني الإنسان، فحاربهم ومنع أذاهم فضاق الأمر عليهم، وكان يقتل كل من يقبض عليه منهم، ويسومهم الخسف والعذاب، حتى قدموا إليه وقالوا له : إلى متى ستعذبنا ؟ فقال : حتى ينطق الوتر الأصم؛ وتثمر الأشجار ثياب الملوك؛ وأمسك الريح في قبضتي؛ وآكل طعامًا لذيذًا لم تزرعه بقرة، ولم تنضجه نار. فصنع الشياطين طنبورًا وقالوا : هذا هو الخشب والوتر الذي ينطق، وأتوا بدود قز نسج الحرير على الشجر، وعالجوا إخراج الحرير من شرانقه، وغزلوه، وقالوا : وتلك هي الشجرة التي أثمرت لباس الملوك. وهيأوا عسل النحل، وقالوا : وهذا هو الطعام الشهي اللذيذ الذي أتي دون مشقة بقرة ودون أن تنضجه نار. ولقد قام بهذه الأعمال ثلاثة من الشياطين : اسم أحدهم هشتم؛ والآخر أداورا؛ والثالث اسمه ونتو، وقد بني طهمورث قهندر[2] ومرو[3] وكانت وفاته في إيرانشهر[4].

جمشيد بن ويونكهان

حينما جلس على عرش السلطنة حارب الشياطين، وقصر أيديهم عن بني الإنسان، وقذف بهم بعيدًا عن العمران، فسكنوا البحار والخرائب والصحاري، وكلفهم بعمل الصعاب من الأمور التي لا يستطيع القيام بها بنو الإنسان؛ فألقى بحجر طاحونة على رقبة شيطان وجلس عليها وحمله في الهواء، ودعا الله عز وجل أن يرفع الحر والبرد والمرض والموت عن بني الإنسان، فاستجاب الله دعاءه؛ لحسن سيرته، ورفع هذه الآفات[5].

وظل على هذه الحال ثلاثمائة عام[٦]. وحينما استجاب الله دعاءه أقام عيد النوروز شكرًا له.

وقد أمر الشياطين فحفروا المناجم واستخرجوا الجواهر، وغاصوا فى البحار فأتوا بالدر واللآلئ، وعلموا الناس هذا العمل، كما أمر بصباغة الملابس.

وحينما رأى الشياطين ما حل بهم من آلام تضرعوا إلى إبليس، الذى جعل من نفسه ناصحًا لجمشيد، ويقولون : إنه أظهر نفسه له بصورة ملاك، وقال له : لقد أرسلت إليك من السماء، (وإن أهلها) يقولون : لقد أقمت أمور الأرض، فتعال الآن إلى السماء، وأقم أمورها؛ لأنها مختلة. فخدع جمشيد بذلك، ودعا الناس (إلى عبادته)، ولم يستطع أحد قط أن يمنعه؛ لعظمته ومهابته فزالت نعمته بكفره[٧]. وخرج (عليه) ابن أخته الضحاك، الذى كان يدعى بيوراسب، واستولى على ملكه، وهزمه، حتى هرب ودخل أرض بابل متنكرًا، وظل الضحاك يبحث عنه حتى وجده بعد مائة عام فمزقه بمنشار كبير.

وقد قسم جمشيد الناس إلى أربعة أقسام، من جملة هذا : الطبقة الأولى العلماء؛ والثانية المبارزون والجند؛ والثالثة الكتاب والأطباء والمنجمون؛ والرابعة المزارعون والتجار والحرفيون[٨]. وبنى مدينة بابل وإصطخر وفارس وهمدان وطوس.

الضحاك[٩]

اسمه بيوراسب، وهو ابن أروانداسپ بن زبنكاو بن ويريشيد بن باركى، أبو العرب بن فروال بن سيامك، وكانوا يسمونه : أروينداسب، ملك العرب. وكانت أمه دع بنت وينكهان. ويقول بعض النسابين : هو الضحاك بن قيس بن علوان الحميرى. ظهرت على كتفيه حيتان، ويقول البعض : لحمتان[١٠]، وكان يقتل كل يوم رجلين ويعطى دماغهما لهاتين الحيتين. ويقولون : كان يضعهما على اللحمتين حتى تسكنا وتهدنا.

استولى على الملك من جمشيد وقتله، وفي عهده انتشر السحر والفسق والفجور، وقرب إليه الشياطين والأشقياء، وكان يعاقب الناس بأن يضعهم في القدور ويطبخهم، وحينما استشرى فساده، وضج الناس جميعًا منه، وقتل كثيرًا من الناس من أجل الحيتين قدم إليه رجل اسمه كاوه، يعمل بالحدادة وقال له : لقد قبضوا على وَلَدَىَّ ليقتلوهما من أجل حيتيك، فأمر الضحاك فأطلقوا سراحهما. وحينما خرج كاوه من عند الضحاك، قدموا دفترًا يقرظون فيه الضحاك، وقالوا لكاوه : لقد سلك الضحاك فى عهده مع الرعية مسلكًا كريمًا وعدل بينهم، وقد حرر جميع سادة إيران رسائلهم فحرر أنت أيضًا رسالتك؛ لأنك أحد سادة إيران، فأخذ كاوه ذلك الدفتر ومزقه، وألقى به تحت الأقدام، وقال : أيها الناس هل عميت أبصاركم ؟! وخرج ووضع الجلدة التي يلبسها الحدادون على رأس خشبة، وصاح : ليتبعني كل من يريد أن يبحث عن أفريدون، فتبعه خلق كثير، واتجهوا إلى جبل البرز، وذهبوا إلى أفريدون، وسلموا عليه بالملك، فكرم كاوه، وأطلق على تلك الجلدة الدرفش الكاوياني، وأمر ففتحوا أبواب الخزائن، ومنح هؤلاء القوم أموالاً كثيرة، وطرزت الدرفش بالدر والجواهر الثمينة، وقد عظم ملوك العجم تلك الدرفش تعظيمًا شديدًا، وكانوا يعودون مظفرين من كل مكان يذهبون إليه تحت لوائها وقد أضاف كل واحد عليها شيئًا من الدر الثمين، حتى كان زمان عمر بن الخطاب فحاربوا فى صحراء القادسية ولحقت الهزيمة بالعجم، واستولى (المسلمون) على تلك الدرفش، ونزعوا منها الجواهر، وجعلوها كأن لم تكن شيئًا. وبنى الضحاك مدينة بابل فى عصر جمشيد بأمره.

أفريدون بن أثفيان[11]

وحينما خرج كاوه على الضحاك ؛ يقول المغان[12] : إن الله سبحانه وتعالى بعث الوحى إلى أفريدون على لسان ملاك اسمه نيروسنگ ليتحد مع كاوه ويقبض على الضحاك ويقيده، ويحمله إلى جبل دباوند[13]، ويسجنه فى جب هناك. ثم ذهب أفريدون مع كاوه، واجتمع حوله الجند من كل مكان، فحسده إخوته، وتحينوا الفرصة حتى يقتلوه، وحينما نزل أفريدون وأتباعه على جبل، صعد إخوة أفريدون إلى أعلى الجبل

ودحرجوا حجرًا كبيرًا على أفريدون، وكان نائمًا، فاستيقظ حينما سقط الحجر بالقرب منه، وصاح بالحجر وقال : ينبغي أن يقف ذلك الحجر هناك، وتعجب إخوته وجميع الجند، وتيقنوا أن كل ما يفعله أفريدون إنما هو بتأييد من السماء.

ثم ذهب إلى منزل الضحاك ومدينته التي كانوا يسمونها كنگك دژ. وكان الضحاك قد صنع هناك الأسحار، وفعل أخوه من أنواعها سبعين نوعًا؛ فصنع أشياء مثل الحيات والأسد والببر والنمر وما شابه ذلك؛ بحيث لا يستطيع أحد قط الدخول في قصر الضحاك دون إذن منه.

ولما وصل أفريدون إلى بابل دخل كثير من رجال الضحاك في طاعته فكثر جنده، ودخلوا قصر الضحاك (بعد أن) أبطلوا سحره بالتعاويذ الصادقة، ودخل أفريدون قصر الضحاك وجلس مكانه. وكان الضحاك قد ذهب إلى الهند، فقدم إليه الخازن وقص عليه ما كان من أمر أفريدون، فقال الضحاك : الأمر للضيف على المضيف. فقال الخازن : أي ضيف جالس نساءك ؟ !!. فغضب الضحاك، وصاح على الخازن، وسحر نفسه باشقا وأتى إلى سطح القصر فرأى نساءه وأخوات جمشيد أرنواز وشهر ناز يجلسن مع أفريدون، فلم يطق صبرًا، وألقى بنفسه من فوق سطح القصر، وتحول من تلك الصورة إلى صورته الحقيقية، فحمل أفريدون العمود المعروف "بگرز گاوسار" أي العمود الذي في رأسه صورة ثور، وطلب القوة من الله تعالى، واستعان بالملائكة؛ وطلب الضحاك القوة من الشياطين. وأتت الملائكة ونصرت أفريدون، وأبطلوا سحر الضحاك، وقبض أفريدون على الضحاك، وقطع من جلده وترًا، وشده وثاقًا، وحمله إلى جبل دماوند.

وفي الطريق غلب النعاس على أفريدون فأمر بنداد بن فيروز أن يحرس الضحاك؛ لأن بنداد هذا كان معروفًا بالشجاعة والجرأة. ونام أفريدون فقال الضحاك لبنداد : لو تطلق سراحي أعطيك نصف الملك، فسمعه أفريدون فشدد الوثاق عليه، وسموا ذلك المكان "نوبندگان". ثم حمله إلى دوماند، وقيده بالسلاسل الحديدية، ورماه في بئر وهو مصفد بالأغلال والقيود، وأطلق على حراسه اسم دهاكان نكاهيد(١٤) أي حراس الضحاك.

وبنى گرگان ودهستان، ووهب لحاكم كل منها إقطاعًا، وأمر أن يجلس على عرش فضى، وكتب منشورًا ليكون (الملك) له ولأبنائه من بعده حتى يوم القيامة، وبنى مدينة سمدان[١٥] في اليمن، ويسمونها غمدان[١٦]، وأحاط قصورها باثني عشر سورًا، وكانت هذه القصور فوق قمة جبل تصل ظلالها إلى ثمانية عشر ميلاً.

وحينما استقام أمر الملك لأفريدون قضى حق كاوه، فوضع الدرفش فى خزائنه، وقد أجلها ملوك العجم وعظموها، وكانوا يحفظونها فى خزائنهم، حتى كان عهد عمر بن الخطاب، فأخذها المسلمون، ومزقوها، ونزعوا جواهرها.

وأمر أفريدون فدعا الناس الذين خلصهم أرمايل وزير الضحاك، وأنجاهم من الموت، وكانوا أكراد الجبل الغربى من دماوند، وشكر أرمايل على هذا العطف وهذه الشفقة.

وعلم أفريدون الناس علم الطلسم، وأتى بعلم الطب، وجعل يوم مهرروز[١٧] من مهرماه[١٨] عيدًا، وهو اليوم الذى أمسك فيه الضحاك وأوثق قيوده، فسُرَّ الناس وابتهجوا، وجعل أفريدون ذلك اليوم عيدًا.

وأسماه عيد المهركان، وهو الذى أتى بالفيل من الغابات وسخره، كما أطلق الحمار على الحصان فولد البغل، وهو الذى أتى بالحمام والبط من المزارع إلى المدن.

وقسم الدنيا بين أبنائه : فولى إيرج بلاد فارس والعراق والعرب، وأطلق على هذه الولاية اسم إيرانشهر يعنى بلاد إيرج. وولى سلمًا بلاد الروم ومصر والمغرب. وولى تور الصين والترك والتبت؛ ولهذا السبب يسمونها توران. ولكن تملك الحسد تور وسلم على إيرج؛ لأن والدهم منحه إيران، فتنازعا معه. وذات يوم كانوا يتناظرون، ولم يرد إيرج على كلامهما، فضربه تور بكرسى ذهبى على رأسه، ثم أعمل كلاهما السيف فيه وقتلاه، وحملا رأسه وأرسلاها إلى أفريدون، فبكى عليه طويلاً حتى كف بصره، وأعقب إيرج ابنة أنجبت له ولدًا أسموه منوچهر؛ لأن أفريدون حينما احتضنه أبصرت عيناه، وقال : "مناچهر" يعنى أنه يشبه صورتى[١٩].

وحينما مضى خمسمائة عام على ملك أفريدون، خرج منوچهر ليثأر لإيرج.

وقد مات أفريدون في مدينة بَم من ولاية كرمان، وبنى في السغد إيوانًا، وكانوا يسمون السغد "هفت أشيان". وقد بنى فيها سبعة من الملوك : الأول جم، والثاني بيوراسب، والثالث أفريدون، والرابع منوچهر، والخامس كاوس، والسادس مهراسپ، والسابع گستاسپ. وكان منوچهر هو ابن حفيدة أفريدون وإيرج، وقد ولد في جبال سوس[٢٠]، ويسمون هذا المكان باسيان[٢١].

وخرج من ذلك الجبل على رأس ثلاثين ألف رجل، وحارب كلا العمين، وثأر للجد فقتل العمين، فدعا له أفريدون وأثنى عليه، ووضع تاجه على رأسه ومات في تلك اللحظة.

منوچهر
حفيد إيرج بن أفريدون

وبعض النسابين العجم ينسبه على خلاف ذلك، ويذكرون أنه ولد في جبل منوش بولاية خراسان. وقد خرج مع أهل بيته على رأس ثلاثين ألف رجل، وطلب الثأر لجده. وفي عهده ظهر موسى عليه السلام، وحينما مضى على ملكه ستون عامًا خرج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من مصر (وغرق فرعون، الوليد بن مصعب)[٢٢]، في النيل. وحينما مضت سبعون عامًا على ملك منوچهر، خرج أفراسياب بن پوشونگ وحارب منوچهر، وحاصره في جبال طبرستان، واستولى على ملكه؛ ثم استرده منه بعد اثنى عشر عامًا، ووضع الحدود بين إيران وتوران. وفي عهده ظهر گرشاسب بطل إيران، وگرشاسب هذا كان جد سام بن نريمان وجد رستم. وقد عمر منوچهر البلاد، وشق من نهر الفرات قناة كبيرة، وأمر بحفر القنوات، وشجع الناس على الزراعة. وحينما استولى أفراسياب على إيران، بنى في هذه الآونة مدينة پوشنگ[٢٣].

زوبن طهماسپ

بن زوبن هوست بن رانديناك بن منوچهر

حينما اعتلى سرير الملك حارب سران بن وتشكان، وطرده من إيران، واستدعى گرشاسب من گرگان، وذهب هو إلى زابلستان وهزم تلك الولاية، وامتد ملكه حتى الهندوستان. وظل الملك في تلك الأسرة حتى عهد فرامرز بن دستان. وأقام سداً من أرمنية إلى دجلة، وشق نهيراً فى أرض السواد يسمونه نهر زاب، زرع عليه البساتين والغياض والرياض والضياع، وصنف الأطعمة أنواعًا. وهو الذى بنى ما هدمه أفراسياب.

الهوامش

(١) ذكر المسعودى فى (مروج الذهب) أن كيومرث كان أول ملك نصب فى الأرض، ثم ملك بعده أوشهنج بن فروال بن سيامك بن يرنيق بن كيومرث، ثم ملك بعده طهمورث بن نويحان بن أرفخشذ بن أوشهنج. (المسعودى : مروج الذهب طبعة بيروت جـ١ ص ٢٤٣ إلى ٢٤٦). بدأ (زين الأخبار) تاريخه بطهمورث وفيما يظهر أن حديثه عن كيومرت وأوشهنج فقد مع ما قد فقد من كتابه، وقد ابتدأ الثعالبى كتابه بهما ص١ إلى ص ٧ . (المترجم).

(٢) ويذكر الثعالبى هذا الرأى بصيغة التمريض، وينسبه للمسعودى فى مزدوجته بالفارسية، كما يذكر بصيغة التمريض أيضًا : أن طهمورث هو أول من كتب بالفهلوية.

(٣) مدينة مرو شاه جان : وكانت قاعدة للجيوش الإسلامية فى القرنين الأول والثانى الهجرى، وينسب بناؤها الأول إلى الملك طهمورث. أما مرو رود فهو اسم لمنطقة ومدينة تاريخية مهمة فى وادى مرغاب بأفغانستان، وقد بنى هناك الأحنف بن قيس قصره المشهور، وقديمًا كانت مروشاه جان ومرو رود منطقة واحدة، أما الآن فنصفها فى أسيا الوسطى ونصفها فى أفغانستان (المترجم).

(٤) إيرانشهر : كانت تشمل فى القديم بلاد فارس والعراق والعرب (انظر الجرديزى).

(٥) ويقال له : (جم) ترخيمًا، ويقال : إنه سليمان بن داود عليهما السلام، وهذا خطأ لأن بينهما أكثر من ألفى عام (الثعالبى ص ١٠).

(٦) ويذكر الثعالبى أنه بقى ثلاثمائة وثلاثين عامًا (ص ١٤).

(٧) يذكر الثعالبى أن (جم) لما عظم أمره طغى وتجبر وأنف من العبودية، وادعى الربوبية فعاقبه الله أشد العقاب. (الثعالبى ص١٦).

(٨) بعد أن يذكر الثعالبى هذه الطبقات يعود فيذكر نصًا من كتاب الآئين هو الآتى : "إن مراتب الناس كانت فى أيام (جم) على الأسنان فكان أعلاهم سنًا أعلاهم مجلسًا، ثم كانت فى أيام الضحاك على الغنى والثروة، ثم كانت فى ملك أفريدون على الغنى والسابقة، ثم كانت فى أيام منوچهر على الأصول والقدم، ثم كانت فى أيام كيكاوس على العقل والحكمة، ثم كانت فى أيام كيخسرو على البأس والنجدة، ثم كانت فى أيام لهراسف على الدين والعفة، ثم كانت فى ملك الملوك بعده على الأحساب، ثم كانت فى أيام أنوشروان على اجتماع هذه الخصال المذكورة إلا الغنى والثروة فإنه كان لا يعتد بهما". الثعالبى ص ١٤، ١٥ (المترجم).

(٩) الده أك. (المسعودي ص ٢٤٧).

وقد أورد المسعودي نسبه على الوجه الآتي : بيوراسب بن أروانسب بن رستوان بن نيا داس بن أطاح ابن فروال بن ساهر فرس بن كيومرث (المسعودي ص ٢٤٧).

ويذكر الثعالبي أنه سمي بيوراسب لأن كلمة بيور باللغة الفهلوية ما جاوز المائة ألف من العدد، وكان له أكثر من مائة ألف فرس بسروجها وألجمتها وما يليق بها من صنوف الأموال. (الثعالبي ص ١٨).

وقد ورد اسمه في (الآثار الباقية) على الوجه التالي : بيور اسب بن أورنداسب بن زينكاو بن بريشند بن غار، وهو أبو العرب العاربة بن فرواك بن سيامك. (البيروني : الآثار الباقية ص ١٢٠) (المترجم).

(١٠) استناداً على قول الثعالبي والطبري أن الذي ظهر بمنكبيه كان لحمتين طويلتين، كل واحدة منهما كرأس الثعبان، (ص ٢٢ الثعالبي، الطبري جـ١ ص ١٩٨). وردت الكلمة في نص الگرديزي (دوريش) ومعناها لحيتان، ولكن فيما يبدو أنها غير صحيحة. يقول الطبري : "إنه خرج في منكبه سلعتان فكانتا تضربان عليه فيشتد عليه الوجع حتى يطلبهما بدماغ إنسان" الطبري جـ١ ص ١٩٦ .

السلعة – بالكسر : زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها.

(١١) أفريدون بن أثقابان بن جمشيد (المسعودي جـ١ ص ٢٤٧) (المترجم).

(١٢) مفردها : مغ، ومعناها آتش پرست، يعني عبدة النار وهم المجوس (برهان قاطع) (المترجم).

(١٣) جبل دباوند يقع بين الري وطبرستان، ويسميه الطبري دنباوند، وفي الكتب الفارسية وردت دماوند ودباوند وقد استخدم الجرديزي اللفظين.

(١٤) يذكر الأستاذ حبيبي أن من الجائز أن تكون (دها كان نكاهتده) يعني (نگاهند گان ده آك) و (ده آك) معربها : الضحاك، يعني حرس الضحاك.

(١٥) سمدان : بفتح الأول والثاني، اسم قلعة محكمة في اليمن.

(١٦) بضم الأول وسكون الثاني : اسم قصر في صنعاء اليمن، وكان مقراً للملوك هناك، وخرب في عهد عثمان ابن عفان.

(١٧) وهو اليوم السادس عشر في كل شهر من السنة الشمسية.

(١٨) وهو الشهر السابع من السنة الشمسية.

(١٩) يذكر الثعالبي في هذا الموضوع أن هذا الولد هو ابن أفريدون وليس ابن بنت إيرج، لأنه عند وفاة إيرج كانت زوجة أفريدون المسماه ماه آفريد حبلى، ووضعت مولوداً هو الذي أطلق عليه هذا الاسم. (الثعالبي ص ٥٢) (المترجم).

(٢٠) سوس : بلدة في خوزستان.

(٢١) باسيان : وتقع في نفس خوزستان.

(٢٢) هكذا النص في الجرديزي وفي الطبري، وهو نص لم يقرر مضمونه – بحسب علمي – أحد من المتخصصين في دراسة هذه الحقبة.

ذكر ماسبيرو في كتابه "دليل زائر متحف القاهرة" أن منبتاح هو فرعون الخروج، أي فرعون الذي غرق في البحر.

وهناك رأى ثان يقول به ج . دى ميسلي، وهو أن فرعون الخروج تحتمس الثاني. ويرى دانييل رويس في كتابه " شعب التوراة" أن فرعون الخروج هو أمينوفيس الثاني.

ويقرر الأب ديفو في كتابه " تاريخ إسرائيل القديم" أن رمسيس الثاني هو فرعون الخروج. ويرى الأب مونتي في كتابه " مصر والتوراة" أن رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد أما منبتاح فهو فرعون الخروج (راجع : موريس بركاي : دراسة الكتب المقدسة. دار المعارف ص ٢٥٨-٢٧١) (المترجم).

(٢٣) معربها فوشنج، وينسب لها طاهر الفوشنجي المعروف بطاهر ذى اليمينين مؤسس الدولة الطاهرية، وهذه المدينة تقع على الطرف الغربي لنهر هرى بالقرب من هرات بأفغانستان، وقد خربها ودمرها تيمورلنك، ولكن المدينة لا تزال موجودة وسوف يأتي التعريف بها في أكثر من موضع (المترجم).

الباب الثانى

الكيانيون

كيقباد بن دع بودكا بن مالشو بن نودر بن منوچهر الملك

حينما جلس كيقباد على العرش قسم مياه الترع، وشيد الأبنية، وأمر بالتعمير والبنيان ، وأخذ العشر من الغلال، وأقام قصراً فى بلخ ، وحارب أفراسياب وطرده من إيران، وزوجته هى : فرانك بنت نوسا الرومنه[١].

وقد وُلد منها ابن أسماه كنيه ، واختفى ، ثم ولد له ابن آخر من امرأة أخرى أسماه كى رش ، ثم ابن آخر أسماه كى يشين[٢] وكان أرد شير بابك من نسل كى بازپين .

كيكاوس بن كيقباد

حينما اعتلى كيكاوس سرير الملك – ملك الأقاليم السبعة – ودانت له كل ملوك الأرض بالطاعة والولاء ، سار سيرة حسنة ، وعطف على الرعية ، وسلك مسلكًا طيبًا ، واستن سننًا حميدة ، وبنى ناحية المشرق مدينة أسماها كيكرد[٣].

وبنى سبع مدن أخرى، وهو الذى بنى سمرقند، وأتمها سياوش. وذهب إلى مازندران ، وحارب سمر بن عنتر[٤] فمات أكثر جيش كيكاوس ، وسحروه ، وقبضوا عليه، وحبسوه فى بئر مع طوس بن توروكيو وبيژن أبناء گودرز كشواد كان[٥].

وأصيبت عيون حشم كيكاوس بالعمى، وحينما رأت سوداوه[٦] بنت سمر كيكازس عرضت نفسها عليه (وقالت) : "لو تقبلني سأنجيك من هذه المحنة" فتقبلها كيكاوس، ووعد أن يأخذها معه حينما يرحل، وأتى خبرهم إلى رستم بن دستان فامتطى رستم مع اثنى عشر ألفًا من الرجال المسلحين ظهور إبل البخت، ورحلوا عن سيستان، وقطعوا الفيافى والقفار، وقدموا إلى مازندران[٧] التى يسمونها اليمن، وقصدوا تلك القلعة، وكان حراسها من السحرة فصنعوا السحر، فظهرت السحب، وصار هؤلاء المحبوسون

كالعميان، لا يعرفون الليل من النهار؛ فأعمل رستم السيف، وقتل الكثير، واستولى على القلعة، وتحير فى أمر هؤلاء القوم الذين وجدهم عُميًا؛ فقالت سوداوه : ليسحقوا أكباد هؤلاء السحرة، ويضعوا دماءها فى عيونهم، ففعلوا ذلك؛ فأضيئت عيونهم، وعادوا إلى إيران. ومنح كيكاوس رستم ولاية سيستان والنيمروز وكابل وزابلستان ورخود[٨]، كما يكون له ما يستولى عليه من الهند وستان، وأعطاه المنشور والعهد على هذا النحو.

وكانت أمور كيكاوس تسير سيرًا حسنًا حتى أضله إبليس عن جادة الطريق، وأزمع قصد السماء، فصنع صندوقًا، ونصحه وزراؤه وقادته فلم ينتصح.

وطار فى الهواء فى الصندوق، فسقط مهمومًا مغمومًا نادمًا على فعلته، ولبس خشن الثياب، ونام على خشن الفراش، ولم يضحك أبدًا، ولم ينظر إلى السماء، ولم يأكل اللحم؛ وامتنع عن النساء، وبكى كثيرًا على فعاله وندم عليها ندمًا شديدًا، وكان ابنه سياوش عاقلاً متأنيًا ذكيًا آية فى الجمال. وذات يوم راودته سوداوه عن نفسها فلم يجبها، فقالت سوداوه لكيكاوس : لقد راودنى سياوش عن نفسى، فأمر كيكاوس بقتل سياوش، فأضرموا نارًا عظيمة؛ وألقى فيها سياوش، ولكنه خرج سالمًا، وعلى الرغم من ذلك فإن الغضب لم ينسل من قلب كيكاوس. وجاء الخبر إليه بمجىء أفراسياب لحرب الإيرانيين، فأرسل سياوش لحربه بمشورة طوس نوذر، وحينما أتى سياوش إلى ساحة الوغى جنح أفراسياب للسلم وعقد الصلح مع سياوش، وانتهى بذلك الفساد.

وحينما سمع كيكاوس لام سياوش على ذلك وغضب عليه، فرحل سياوش غاضبًا، ولجأ إلى أفراسياب، فاستقبله أفراسياب، وأكرم وفادته، وزوجه ابنته فرنگيس، ومنحه مائة فرسخ من ولايته.

وحينما استقام أمره حسده الترك على ذلك، وأشعل كرسيوز الفتنة بينه وبين أفراسياب حتى تغير قلب أفراسياب عليه، وظل كرسيوز يحرضه ويثير حفيظته ويوقع (الفتن) بينهما، حتى أحضر أفراسياب سياوش وأمر فقطعوا رقبته فى طست ذهبى، فلما وصل الخبر إلى إيران اضطربت الدنيا، وارتج قادة إيران، ودبت العداوة والبغضاء بين إيران وتوران، ولا تزال موجودة حتى الآن.

"كيخسرو بن سياوش بن كيكاوس"

وهو من بنت أفراسياب، وكانت فرنگيس ابنة أفراسياب حاملاً به حينما قتل سياوش، وولدت كيخسرو، وسلمته إلى پيران ويسه(٩).

وحينما اشتد عوده، أراد أفراسياب أن يقتله، فدعاه إليه، فسلب الله عز وجل العقل والذكاء من كيخسرو في تلك اللحظة، فكان يهذى بكلام دون تعقل أو روية، فقال أفراسياب : إن هذا لا يخشي منه أبداً، وتركه ولم يقتله.

وحينما أتى الخبر إلى كيكاوس أن له ابنًا فى التركستان، أرسل گيو بن گودرز لطلبه، فأعمل الحيلة حتى أتى به من التركستان.

وحينما وصل كيخسرو إلى كيكاوس ألبسه التاج، وأجلسه على سرير الملك، وفى البداية قضى حق گيو وأكرمه.

وفى عهده بنى گيو مدينة باورد، وبنى مدينة طوس، وعضد رستم بن دستان، وقاد جيشًا من إيران، وذهب إلى تركستان طالبًا الثأر لوالده من أفراسياب فجرد الترك من ثيابهم وعذبهم، وأدرك أفراسياب بآذربيجان، وقتله.

وقد أدار رستم كل هذه المعارك فأعفاه كيخسرو من الخدمة جزاءً وفاقًا على تلك الأعمال التى أداها، ومنحه سيستان وكابل والهند والسند وزابل، وجعل كيخسرو كى لهراسب وليا لعهده، وقد كان من أرومته أيضًا. وهو (كيخسرو) الذى بني فيروز خره بالشام، وهذه المدينة وضع أساسها أفراسياب، وبناها كيخسرو، وأتمها الإسكندر.

وحينما استقامت كل هذه الأمور، وهدأ فؤاده من أفراسياب، كتب الوصايا إلى كى لهراسب، وركب ذات يوم، وذهب إلى الصحراء، وكان معه كل عظماء إيران، فضربوا الخيام، ونصبوا العرش الذهبى، واعتلى كيخسرو العرش، وجلس أمامه كل عظماء إيران ووجهاؤها وأعيانها. وقال لهم : سأذهب إلى الله تعالى، فقد تضرعت إلى الله سبعة أيام وليالى؛ وطلبت منه أن يرفعني إليه قبل أن يضلنى الشيطان عن جادة الطريق.

فقـال أهل إيران : نحن لا نرضى بـهذا ، ولن نعيش بدونك، ثم جعل كى لهراسب وليًا لعهده؛ وأعطى رستم منشور ولاية سيستان وغيرها ، فلا يستطيع شخص قط أن يأخـذهـا منه أو من أبنـائه، وأعطى طوس الجـيش ومـفـاتيـح الكنوز، وأوصـاه أن يـعطى الفقراء والضعفاء واليتامى حقوقهم؛ وكتب له منشوراً على هذا النحو، وأعطى طوس نودر قيادة جيوش إيران وعدة من مدن خراسان والدرفش الكاوياني، كما أعطاه أيضًا قطيع الجياد، وأعطى رستم ثيابه وبساتينه، وأعطى سروج الدواب إلى (كيو كودرز)، وأعطى الخيام والقصور إلى بيژن، كذلك أعطاه ختمه وخاتمه، وأوصى كل شخص بكل نوع، ثم نهض؛ وذهب؛ ورافقه رستم وطوس (وكودرزوكيو) وبيژن؛ فأعادهم، وذهب وحده؛ واختفى فى الصحراء.

كـى لـهراسـب

ابن كـيـوجـى بن كـى منـش بن كـيـقـبـاد

اقـتـعـد الملك ودون الدواوين، واتـخـذ سـريراً من ذهـب، وعـقـد التـاج المكلل بأنوا ع الجواهر الثمينة على رأسه، ودانت له ملوك الهند والروم والترك بالطاعة والولاء، وأرسل سنحاريب[١٠] إلى بيت المقدس، ولكنه لم يظلم أهلها كثيراً، وأعطى الملك فى حياته إلى ابنه كشتاسب.

كـى گشـتـاسـب بن كـى لـهراسـب

حينما جلس على العرش ظهر فى زمـانه زردشت بن بورشـسب بن فـيـدراسب، وهو من أهل آذربيجان من مدينة موقان، وأتى بدين المغان وعبادة النيران، ولم يمض على ملك گـشـتـاسب يومـان حـتى خـرج زردشـت وقـبـل ذلك كـانوا يدينـون بدين الصـابئة.

وحينمـا أتى بكتـاب الأستا[١١]، وأمر بعبادة النـار، وأجاز نكـاح المحارم، وقبل گشـتـاسب دينه، وأمـر فكتبـوا الأسـتـا على جلد البـقـر، وزينـوها بالذهـب،

ووضعوها في قلعة إصطخر في خزائن ملوك العجم، وساند أسفنديار جده في أمر دين زردشت، وبالغ في نصرته وأكره كل من لم يقبله على الدخول فيه، وقتل كل من لم يمتثل للأمر، وبنى بيوت النار.

وظل زردشت بينهم خمسة وثلاثين عامًا. وأخيراً قتله رجل يدعونه براتروكرش، وكان عمره سبعة وسبعين عامًا، وحينما قتل زردشت ملّك كشتاسب جاماسب (أجلس گشتاسب جاماسپ مكانه) وأسماه مويد الموابدة، وكان أول مؤيد للموابدة، وثبت إسفنديار بن گشتاسب على دين زردشت وبالغ في ذلك.

وفي ذلك الوقت قدم أرجاسپ التركي من بلاد توران، وأدار رحى الحرب على باب بلخ؛ وقبض على كي لهراسپ الذي كان مشغولاً بعبادة الله تعالى في معبد آزخداه[١٢] في بلخ، وقتله؛ وقطعه أربعة أجزاء، وعلقه على أبواب بلخ الأربعة، وسبى بنات گشتاسب أخوات إسفنديار وحملهن إلى التركستان.

وكان گشتاسب في گرگان في هذا الوقت، وحينما حضر كان الترك قد استولوا على خراسان، وكان گشتاسب قد حبس إسفنديار في قلعة گنبدان[١٣] فأرسل من أطلق سراحه، وذهبا معًا لحرب أرجاسپ الذي قفل بجيشه راجعًا عن إيران، ودخل إسفنديار إلى التركستان عن طريق هفت خان؛ وجد واجتهد حتى فتح قلعة روئين[١٤].

وقتل أرجاسپ، وأطلق سراح أختيه هماي وأوفيه[١٥]، ورجع إلى إيران. وكان گشتاسب قد وعده إذا عاد مظفراً منصوراً من التركستان أن يعطيه التاج والعرش، وأشهد بشوتن بن گشتاسب وجاماسپ على هذا، وحينما رجع إسفنديار لم يف گشتاسپ بذلك، وقال: "لقد لوى رستم العنان عن طاعة أمرنا فائتني به طائعًا مقيدًا مصفدًا حتى أعطيك التاج والعرش" وحينما وصل إسفندريار إلى نهر هيرمند[١٦] تقدم إليه رستم للخدمة وعظمه وسجد له، وقال: لقد حللت في منزلك، وأنا عبد. وأعد مأدبة عظيمة قدمها إليه، فقال إسفنديار: أمرني الملك إما أن تقبل الدين الجديد دين زردشت؛ أو تحاربني؛ أو تعطيني يدك حتى أقيدك وأصفدك وأحملك إلى الملك، فيرى ما يكون الأمر. فقال رستم: لن أقبل دين زردشت؛ فأنا أعتنق هذا الدين من عهد گيومرث

حتى هذا الوقت، ولن أتخذ الآن دينًا آخر؛ ولا يجب إعطاء اليد لتصفد وتقيد، وأنا وأبى وجدى قد أتينا بأعداء إيران مصفدين مقيدين، وأمر سيئ أن تقيد أيدى رجل مثلى؛ وحربك أيضًا لا تجوز، فأنت ابن الملك كشتاسپ من أرومة الكيانيين ولكنى سأحضر معك وأشرح عذرى أمام الملك، فإذا عفا أو أمر بشيء آخر فالأمر له، فقال إسفنديار: لن أرضى أبدًا بغير الحرب (ونرى) لمن يكون النصر، وعلى الرغم من اعتذار رستم له فإنه لم يتراجع، وتحاربا فى اليوم التالى، فأجهد إسفنديار رستم وأتعبه، ورجع مجروحًا مريضًا، وفى اليوم التالى قدم رستم نافضًا يديه من روحه، وتقاتلا وتبارزا، ورمى رستم سهمًا فى عين إسفنديار فوصل إلى دماغه فأجهز عليه فى الحال، وقفل رستم راجعًا، وأوصاه إسفنديار، ومزق رستم ثيابه وهال التراب على رأسه، وقال : أيها الأمير إنك تعلم أن هذا ليس جرمي، وأنت لم تمتثل للأمر ولم تطع، وأنا اجتهدت لأنجى نفسى حتى وقع ذلك، فقال إسفنديار : هذا ما كتبته السماء، والآن يجب أن تأخذ بهمن ابنى وتربيه وتعلمه وتؤدبه، ففعل ما أوصاه به[١٧]. وحينما وصل الخبر إلى كشتاسب نزل عن العرش وافترش الأرض وبكى بكاءً مرًا . وبعد مدة أرسل كشتاسب بخت نصر إلى بيت المقدس، فاستولى على الولاية، وقهر اليهود، وقتل كثيرًا منهم، وبنى إسفنديار قلعة بلخ، وفى آخر عهده استدعى بهمن بن إسفنديار من سيستان، وجعله وليًا لعهده، ومات كشتاسب.

بهمن بن إسفنديار بن گشتاسپ

ويدعى أردشير الطويل الباع[١٨]، وكان أحسن ملوك العجم، وسار إلى سيستان طالبًا لثأر أبيه، وقدم إليه زال، فأغلظ له القول ، وطرده من عنده. وكان رستم قد مات فحارب فرامز ابنه، وكافح كثيرًا، ولكنه لم يستطع أن يقبض على فرامز حتى مات فصلبه ميتًا، وأمر فأمطروه وابلاً من السهام. وقتل كثيرًا من أهل سيستان، وخرب ديارهم، وحمل خزائن رستم وسام وكنوزهما التى كانوا قد ادخروها فى ألف عام، وبنى مدينة بهمن أردشير التى يسمونها الأبلة، كما بنى مدينة بأرض ميسان، كذلك بنى بهمن آبار التى يسمونها المنصورة في حدود السند.

هماى[19] بنت بهمن بن إسفنديار

وكانوا يسمونها چهر أزاد[20] وقد نقلت قصبة الملك من بلخ إلى العراق، وجعلت المدائن عاصمة ملكها، وظلت ببلخ أربعة أعوام حتى تم بناء المدائن، وأقامت جسراً على نهر دجلة، وأجرت مياه الفرات. وهى التى روجت الطواحين المائية، وقبلها كانت الطواحين يدوية، وهى التى بنت مدينة همدان[21] وأعطت الملك فى حياتها إلى أخيها وابنها[22] واسمه داراب بن بهمن، وأمرت هماى فشقوا القنوات وحصنوا المدن.

داراب[23] بن بهمن بن إسفنديار

وكان عادلاً بين الرعية؛ إذ كتب الرسائل إلى العمال والمرازبة : أن لا تظلموا أحداً وألا تنحازوا إلى أحد، وأمرهم بإحضار كل دخل الولاية إلى الخزائن، وإجراء الأرزاق، على الرعية. وهو أول من ختم الدراهم، وأول من وضع البريد، وأمر بتحنيف أذناب دوابها، وبنى مدينة داريكرد، وبنى بمصر داراً بشاه. وجعل ابنه دارا وليًا لعهده.

دارا بن داراب

حينما اعتلى سرير الملك كان شديد التكبر، ولكنه كان رحيمًا على الرعية، وكان الإسكندر قد قسم عرش مقدونيا في الروم، وحينما أرسل دارا رسولاً إلى بلاد الروم لإحضار الضرائب التي كان والد الإسكندر يرسلها إلى فارس امتنع الإسكندر وخرج على دارا، وحاربه وهزمه، وأثناء هزيمة دارا جحده أتباعه وقتلوه، وحملوا رأسه إلى الإسكندر. ولما عرف الإسكندر أنهم من خاصة دارا - فأحدهما وزيره، والآخر أمير حرسه - أمر فسلخوا جلودهما وشنقوهما ونادوا : أن هذا جزاء من يخون سيده، وبنى مدينة بأرض الجزيرة وأسماها دارابو، وعمرها، وبنى فيها قلعة جمع فيها كل شيء.

الهوامش

(١) قال الطبرى : وكان متزوجًا بفرنك ابنة تدرسا التركى، وكان تدرسا من رؤوس الأتراك وعظمائهم (ج١ص٤٥٦) (المترجم).

(٢) اختلفت رواية الجرديزى عن رواية الطبرى، فالطبرى يقول : إن كل أبنائه ولدوا من زوجته التركية وأسماؤهم : كى أفنه، وكى كاوس، وكى أرش، وكيبه أرش، وكيفاشين، وكيبيه. الطبرى ج١ صـ ٤٥٦ (المترجم).

(٣) يعني المدينة التي بناها كي.

(٤) يذكر الثعالبي أن ملك اليمن الذى حاربه كيكاوس هو ذو الأذعار بن ذى المنار بن الرائش الحميرى (الثعالبي ص ١٥٨).

(٥) گودرز كشواد كان وگودرز وگيو وبيژن كانوا من الملوك الإشكانيين.

(٦) سوداوه = سودا به = سوذا به = سوداده (حبيبى). واسمها العربى : سعدى، وقد كتبها الثعالبى كذلك في ص ١٥٨، ولكنه عاد فى ص ١٥٩ وكتبها : سوذانه (المترجم).

(٧) هى في الأصل هاما وران، وهى الكلمة الفارسية لكلمة حمير، وقد اتفق الفردوسى وغيره على هذا القول :

به پيش اندورن شهر هاماوران بهر كشورى درسياهى گران – الترجمة : لقد تقدم فى داخل مدينة هاماوران وكان السواد الحالك يلف الأرض والديار.

يقول حمدالله مستوفى القزوينى ما ترجمته : "ذهب كاوس إلى هاماوران لحرب ذى الأذعار بن أبرهة .. وأسر فقاد رستم جيشًا وذهب إلى اليمن وخلص كاوس بالقهر منهم" والعبارة بالفارسية كما نقلها الأستاذ حبيبى فى الحاشية : "كاوس به هاماوران رفت به جنگك ذى الأذعار بن أبرهة .. وگرفتارشد رستم لشكر كشيد وبه يمن رفت وكاوس رابه قهرازايشان بازكرد".

(٨) رخود = رخوت = رخذ = رخج، وهى أرض بين غزنة وسيستان، وتضم وادي أرغنداب وهلمند فى أفغانستان.

(٩) پيران ويسه كان قائد جيوش توران فى عهد أفراسياب.

(١٠) سنحاريب ملك بابل (الطبرى جـ١ ص ٥٢٢).

(١١) ورد هذا الكتاب في الأدب الفارسي باسم : وستا – ابستا – است – استا، وغير ذلك.

(١٢) يذكر الأستاذ حبيبى أنه لا يوجد معبد فى بلخ بهذا الاسم، وكان مقام زردشت فى بلخ فى معبد نوش آذر والنوبهار. ومن الجائز أن تكون كلمة آذرخش أتت من كلمة آذر گشسب التى هى اسم لمعبد من المعابد، وبعض المؤلفين مثل نظامى الگنجوى يذكرون أن مكانه كان بلخ .

(١٣) في كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم ص ٢٨٠ : قلعة كمنذان (المترجم)، وكمنذان هي الاسم القديم لمدينة قم.

(١٤) يقول الطبري : تفسيرها بالعربية الصفرية (جـ١ ص ٥٦٣).

(١٥) يقول الطبري : إن البنتين كانت إحداهما تسمى خماني والأخرى باذافره (جـ١ ص ٥٦٢) (المترجم).

(١٦) هلمند = هيلمند = هرمند = هيرمند = هندمند = هيمند. وفي اللغات القديمة هيتي ماندر، وهو من الأنهار المشهورة في أفغانستان، ينبع من إحدى سلاسل جبال (هندوكش) في غرب كابل، ويبلغ طوله من المنبع إلى المصب حوالى ٦٢٥ ميلاً أو ١٤٠٠ كيلو متراً كما تقول الإحصائيات الأفغانية الأخيرة التي أصدرتها وزارة التخطيط الأفغانية في سنة ١٣٥٠هـ ش الموافق ١٩٧١م. ويذكر المقدسي أنه كان هناك بالقرب من قلعة (بست) جسر من الزوارق لعبور الناس عليه من شاطئ إلى شاطئ، لذلك كان الملوك الغزنويون والغوريون وغيرهم يستخدمون الزوارق من جهة إلى أخرى في هذا النهر، ويشير فرخي سيستاني في ديوانه في مدح السلطان مسعود إلى الفلك التي كانت تجرى في نهر هلمند (المترجم).

(١٧) هكذا النص في الجرديزي. إلا أن الثعالبي في كتاب (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم) يعطينا تفصيلاً أوضح فنراه يقول : "ورماه به رمية نفذت في عينيه إلى قفاه فاتكأ إسفنديار على قربوسه، ونزع السهم من عينه وأخذه بيده، وسال من دماه ما أضعفه وأسقط قوته ولم يتماسك معه فترجل وتوسد ذراعه، وترجل رستم أيضًا وبكى بأعلى صوته ومزق ثيابه ودرعه على نفسه ثم أحدقوا به - أي إسفنديار - وفرشوا له وأضجعوه فدعا بماء فشربه وقال : عليَّ برستم، فتقدم إليه وقعد عند رأسه وقال : يا رستم اعلم أن أبي بشتاسف قتلني لا أنت، وقد أهلكني على يدك والله حسيبه، وإذ قد عمل القدر عمله فإني أستودعك ابني بهمن وأسلمه إليك لتؤدبه بآدابك وتعلمه مما علمك الله (ص ٢٧٢ - ٢٧٣) (المترجم).

(١٨) يقول الطبري : إنما لقب بذلك - فيما قيل - لتناوله كل ما مد إليه يده من الممالك التي حوله حتى ملك الأقاليم كلها (جـ١ ص ٥٦٨) (المترجم).

(١٩) يذكر الثعالبي أنها خماى بنت بهمن (ص٣٩٠)، أما الطبري فيذكر أنها خماني بنت بهمن (ج١ ص ٥٦٩) (المترجم).

(٢٠) أي صاحبة المحيا الجميل، ويقول الطبري : إنها لقبت بذلك لكمال عقلها وبهائها، وفروسيتها ونجدتها (الطبري جـ١ ص ٥٦٩) (المترجم).

(٢١) يذكر الأستاذ حبيبي أن بناء مدينة همدان لا ينسب إلى هماى.

(٢٢) يذكر الثعالبي أن والدها بهمن حينما اعتل علة الموت كانت خماى مشتملة منه على حبل فجدد عهده إليها وإلى الذي في بطنها (الغرر ص ٣٩٠) (المترجم).

(٢٣) سمي داراب لأنه وُجد بين الشجر والماء، ودار هو الشجر وآب هو الماء، ثم خفف هذا الاسم بطرح الـ فقيل دارا (الثعالبي ص ٣٩٤) (المترجم).



الباب الثالث

ملوك الطوائف

الإسكندر بن فيلقوس

استولى على الملك، وقتل الكثير من الإيرانيين، وخرب ديارهم وهدم قلاعهم وحصونهم، وقتل جميع علمائهم(١) الذين كانوا يدعونهم بالهرابدة(٢)، وأحرق جميع الكتب التى كانت فى دين المغان وزردشت، أما ما كان فى الطب والنجوم والحساب وغير ذلك من العلوم فقد أمر فترجموها جميعها وأرسلها إلى بلاد الروم، واستولى على أموال ملوك إيران وكل كنوزهم، وحمل إلى بلاد الروم ما استطاع حمله منها، وما لم يستطع حمله دفنه فى إيرانشهر فى الأرض والصحارى والجبال والأماكن الدفينة، وهيأ كنوزاً وطلاسم لا تستطيع أن تمتد إليها يد إنسان، وذهب إلى إصطخر، وكانت مزدحمة بالناس فى عهد هماى بنت بهمن، وكان هناك مكان يدعى ژن نوشت ومعناه دار الكتب، وكانت بها كتب كثيرة فى علوم الديانة الزردشتية والفلسفة والحساب والهندسة وكل فروع العلم، فأمر الإسكندر فترجمت كل هذه الكتب، وأرسلها إلى بلاد الروم، وأمر فوضعوها فى مقدونيا، ثم أحرق دار الكتب بكل ما كانت تحويه من كتب، ولم يبق لدى العجم إلا النذر اليسير الذى كان فى حوزة المجهولين فى أطراف الولايات. ثم جمع كل ما بقى من جيوش إيران، وأعد جيشًا سار به إلى الهند عن طريق التركستان، وهزم الجميع، واستولى على التركستان والصين وما وراء الصين والهند وكشمير، وقهر جميع الملوك، وتوفى حينما وصل إلى بابل. .

وبموته خلت الدنيا من ملك يحكمها، فاستولى كل شخص حسب هواه ومراده على ولاية أو مدينة، وتغلب السفلة على العظماء والشرفاء، ولم يبق فى الدنيا أمن أو طمأنينة، وأمسى الملك ضعيفًا حتى ظهر أشك الذى حاربه أنطيخس بانى أنطاكية، وفى النهاية هزمه أشك، واستولى على ذلك الملك.

أشك بن بلاش بن شابور

ابن بلاش بن أشكان بن أش مهين بن سياوش بن كيكاوس

وكان أول من ملك من الطوائف، وأسموهم جميعًا به يعنى الأشكانيين، وقد استردوا ملكهم، ولم يأخذوه من أحد، وفى البداية كان يقيم فى الجبال(٣) ثم استقر فى السواد.

شابور بن أشك

ملك الملك، وبعد مضي أربعين عامًا من ملكه ظهر عيسى ابن مريم عليه السلام، وكلف بالرسالة، وأحيا الموتي، ودعا الخلق إلى الله عز وجل.

كودرز بن شاپور

غزا بنى إسرائيل ليثأر ليحيي بن زكريا الذى كانوا قد قتلوه، فكانت دماؤه تتماوج وترتفع إلى السماء، حتى تولى كودرز، فقتل منهم سبعين ألف رجل، فتوقفت الدماء. وفى عهده أرسل الله سبحانه وتعالى سيل العرم على أهل اليمن حتى غرقوا جميعًا.

ويزن بن بلاش بن شاپور

اضطربت إيران فى عهده، وخرج الأعداء، وفعلوا ما فعلوا، ولكن ويزن صدهم جميعًا عن إيران واكتفى بذلك.

نرسى بن ويزن

كان رجلاً شجاعًا عظيمًا، تمت على يديه الأمور؛ فقد ذهب إلى بلاد الروم، وحاربهم، ورجع مظفرًا غانمًا.

گـوذر بـن كـهـن بـن ويـزن

كان رجلاً ضعيفًا، واختلت في عهده كثير من أمور المملكة الإيرانية، فقد كان محبًا للخمر مشغولاً دائمًا بالطرب، ولم يفكر فى شئون الملك أبدًا حتى آخر عمره.

هـرمـز بـن بلاش بـن شـاپـور بـن أشـك

كان رجلاً عالى الهمة، أصلح كل ما أفسده گودرز، ونظم كل شىء ، وأجرى أمور إيران وحسنها، ولم يجد الخلل طريقًا إليها طوال عهده.

پـرويـز بـن هـرمـز

ويسمونه أيضًا : أردوان الكبير، كان شديد الأبهة والعظمة، ذا همة عالية، عطوفًا على الرعية، استن سننًا طيبة، وسلك مع الرعية مسلكًا حميدًا.

خـسـرو پـرويـز

كان جميل الطباع، قرب أقاربه وقومه، وأعطاهم المملكة حتى لا يتخلفوا أو يتأخروا، ولم يعط الملك لأحد من الغرباء.

بلاش بـن پـرويـز بـن هـرمـز

كـان فـارسًـا، أولع بالصـيـد ولعًـا شـديدًا، حـتى لم يـخل منه يوم من أيامه، وكـان شديد العطف على الرعية، ولم يماثله فى الزهد أحد فى المملكة.

أردوان بـن بـلاش

وهو آخر ملوك الطوائف، خرج أردشير بابكان فى عهده، وناضل كثيرًا، ولكنه قتل أخيرًا بيد أردشير، وانتهى ملك ملوك الطوائف، ووقع فى أيدى الساسانيين.

الهوامش

(١) وردت هذه الكلمة بالفارسية (علمهاى)، وقد ضبطها الأستاذ حبيبى (علّمهاى) وقال : يعنى سادة القوم، ولكني أميل إلى ضبطها (عُلَمَهَاى) يعني العلماء، وكان الهرابدة يمثلون طبقة العلماء، وسياق الكلام بعد ذلك في حديث الجرديزى يدل على ذلك. (المترجم)

(٢) مفردها هيربد، والمقصود بها رئيس معبد النار والمعلم، لأن كلمة هير فى اللغة الباشتو هى أور = إير ومعناها النار، وهذه الكلمة فى الأوستا AETHRA - PAITI ، وفى اللغة البهلوية إيهريت = هيربت وفى اللغة الدرية القديمة لأهل تخار فى كتبية سرخ كوتل من العهد الكوشانى فى بغلان ١٦٠م وردت كلمة إير بمعني النار.

(٣) يقول الطبرى : إنهم كانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس (الطبرى جـ١، ص٥٨). (المترجم)

الباب الرابع
ملوك الساسانيين
أردشير الجامع بن بابك بن شاه ساسان
ابن بهافريد بن زراره بن ساسان بن بهمن بن أسفنديار

حينما استولى على الملك من الطوائف، وأضحت إيران له، وحد أبناء العجم بعد أن كانوا قد تفرق شملهم، وحينما وصل إلى أردوان، خرج أردوان عليه، فرده أردشير، وقبض عليه وقتله، وقد مضى على ملك أردشير اثنا عشر عاماً. وخرج ملك النبط على أردشير، وحاربه، فقبض عليه أردشير فى قصر ابن هبيرة[1] وقتله، وحينما استراح فؤاده من هذا الأمر، أطلق على نفسه "باشاهان شاه" أى ملك الملوك. وأسموه الجامع؛ لأنه جمع كل علماء فارس وأمرهم أن يجمعوا كتب المغان التى كانت قد فقدت. وبنى مدينة الرى وأردشير خُرّه[2] التى يسمونها واسط، واستاد أردشير[3] التى يسمونها الأنبار، ورام أردشير[4] التى يسمونها البصرة، وقبله كان للدنيا حاكم واحد فجعل الحكام أربعة : الأول حاكم خراسان، والثانى حاكم خربران[5] وأعطاه ناحية المغرب، والثالث حاكم نيم روزان[6] وأعطاه ناحية الجنوب، والرابع حاكم آذربيجان وأعطاه ناحية الشمال. وبنى المدن مثل : مدينة إستر[7]، وهرمز أردشير، وأردشير خر، ورام أردشير، وأسد آباد، وپوشنگ[8]، وبادغيس.

وجعل خراسان أربعة أقسام، وعين على كل منها مرزبان : أولها مرو شاهجان، والثانى بلخ وطخارستان، والثالث هراة وپوشنگ وبادغيس، والرابع ما وراء النهر. وهو الذى أتى بلعبة النرد على حسب دوران الأرض ووضع لها اثنى عشر قسماً، وكل قسم مثل بروج الفلك. وأربع وعشرون خرزة مثل الساعات، وثلاثون خرزة مثل النهار وبروج الفلك مثل الليل والنهار يسبح فيه النيران[9].

وألف كتاباً فى النصيحة والسياسة أسـماه (كارنامه) وأعطى الملك فى حياته لابنه شاپور.

شـابور بن أردشـير

حـينمـا اعـتلى شـابور بن أردشـيـر سـرير الملك كـان رؤوفـًا على الرعـيـة، منحـهم فـأعطـاهـم كل مـا ادخـره أردشـير من المـال والجـواهـر، ثـم قـصـد نصـيبين وحـاصـرهـا، وطـال الوقت هناك، لأن حـصـونهـا كـانت شـديدة المنعـة والإحكام، فـأعمل حيلتـه وأمـر فـأمسكوا العـقـارب الجـرارة[١٠] ووضـعـوهـا فـي قـوارير، ثـم وضـعـوا هـذه القـوارير في المنجنيق وقذفوا بها في الحصون فكسـرت هذه القوارير، وخرجت العقارب، وكانت تلدغ الناس حـتى هلك الكثـير منهم في الحصن، وطلبوا الأمـان، وسلموا الحـصن. وقـصـد القسطنطينية، وحينما سـمع أهل تلك الناحية وسطوا أشـخاصًا بينه وبينهم، وتصـالحوا معه، وفرض الجزية عليهم، وجمع قسطنطين الكتب التي كان الإسكندر نقلها إلى بلاد الروم وترجمها، وحملها على ظهور الدواب، وأرسلها هدية إلى نيشابور، وظهر في عهده مـاني بن فتق الزنديق ودعـا النـاس إلى دينه، وكـان مـاني هـذا تلمـيـذ الفـادرون. وقـصـده شـاپور، فهرب من إيران، وذهب إلى الصين وما وراء الصـين، فوجد هناك أتباعًا، وجهر بدعوته، ودخل كثـير من الناس في دينه، وبنى شـاپور على أبواب القسطنطينية معبد نار، كما بنى مدينة جندى شاپور في ميسان[١١] وفيروز في ناحية نصيبين.

هـرمـز بـن شـاپـور

حينما جلس على سرير الملك أحسن تدبير أمور المملكة، وكـان رجلاً شـجاعًا[١٢]، حارب هـبـاطلة السـغد[١٣] وقـهـرهـم، ثـم تصـالحوا وقبلوا الجـزية، وأظهروا حدودهـم حتى لا يتجاوزوها، وبنى رام هرمز ودسكره.

بـهـرام بـن هـرمـز

كان رجلاً جادًا. وقد دعـاه مـاني إلى دينه فلم يجبه، وقبض على مـاني وقتله وسلخ جلده، وحـشـاه تبنًا، وصلبه في جندى شـاپور، وقبض على أكثر شيعته وأتباعه الذين كانوا في إيران في ذلك الوقت، وقتل اثنى عشر ألف راهب مانوى.

بهرام بن بهرام

حينما اقتعد سرير الملك غلب عليه السوء، فقد كان فظًا غليظ القلب، مغروراً متكبراً شديد التيه والعجب، فعل القبائح مع أهل مملكته، حتى كف وزراؤه ومدبروه وعماله المصلحون أياديهم عن العمل معه، وحينما جلس على العرش جرت على لسانه أشياء سيئة فنفرت منه الرعية كلها حتى آخر عهده.

بهرام بن بهرام بن بهرمان

حينما جلس بهرام على عرش الملك أطلق يده فى الظلم وفى القتل، وقتل كثيراً من الناس، وكان سفاكًا للدماء، مستحلاً للحرام، كل من كان يأتى إليه مختصمًا كان فى الحال يحضر خصمه ويأمر بقتل كليهما، وكان يقول : إننى أعلم أن أحدهما مجرم. و(بذلك) لم يستطع أحد فى عهده أن يرتكب إثمًا أو ذنبًا.

نرسى بن بهرام

حينما اقتعد نرسى سرير الملك استن سننًا طيبة، فقد كان ملكًا حسن السيرة، أزال التقاليد القديمة الموروثة عن الآباء والأجداد، وألف بين الرعية، وعدل فيهم.

وحينما رأى الناس منه هذا العطف وهذه الرحمة أحبوه وأطاعوه وانقادوا له.

هرمز بن نرسى

حينما تسلم العرش تزوج ابنة ملك كابل، وحينما أراد الظفر بها لم يعجبها فامتنعت، فسأل ابن الموبد : "ما الحكم إذا عصى شخص الملك ولم يأتمر بأمره ؟ فقال ابن الموبد : يجب أن يقتل، فقتل هرمز المرأة. وحينما حضر الموبد سأله المسألة نفسها،

فقال : القتل واجب إلا على المرأة والمجنون والطفل، فقال له : وماذا تقول إذا أفتى شخص بقتل إنسان لا يجب قتله ؟ قال : يجب أن يقتل المفتى. فأمر فقتلوا ابن الموبد.

شاپور بن هرمز

حينما حملت به أمه توفى أبوه، فاجتمعت الرعية ووضعوا التاج على بطن أمه، فلما ولد تولته المراضع حتى أتم عامين وتكلم.

وذات ليلة وقت السحر سمع من الناس جلبة وضوضاء فسأل : "ما هذه الضجة والضوضاء ؟" فأخبروه أن الناس الذين يعبرون على جسر (دجلة) من كلا الجانبين، حينما يلحق أحدهما بالآخر يزدحمون على الجسر فيفعلون هذه الضجة والضوضاء[١٤]، فأمر أن يشيدوا جسرين أحدهما للذهاب والآخر للإياب؛ حتى لا تصدر من الناس ضجة أو ضوضاء، فتعجب الجميع من رأى ذلك الطفل الصغير، وكيف فكر مثل هذا التفكير الصائب الذى لم يكن لملك قط.

وكان ملك العرب فى زمانه الحرث بن الأغر الإيادى، وحينما وصل خبر موت هرمز إلى العرب قدموا من بلاد عبد قيس والكاظمة والبحرين، ومكثوا فى أطراف إيرانشهر، وأطلقوا أيديهم للسرقة وقطع الطرق، فكانوا يؤذون ويقتلون ويقطعون الطرق، وكانوا يبيعون الناس ويأخذون ملابسهم ويجردونهم من عدتهم وعتادهم.

وحينما بلغ شاپور ذو الأكتاف السادسة عشرة من عمره جمع جيشًا، وتوجه إلى ديار العرب، وقتل الكثير منهم حتى كف أيديهم عن الناس، ثم استن سنة : فأمر أن أى عربى يؤتى به من أى مكان فليثقبوا كتفيه وليعلقوا فيها حلقة، ولهذا السبب كانوا يلقبونه بذى الأكتاف، وباللغة الفارسية هوبه سنبان[١٥].

وذهب شابور إلى بلاد الروم فى زى الجواسيس، فعرفه القيصر، فألبسه جلد بقرة حتى جف على بدنه، ثم جاء القيصر، واستولى على إيران شهر، وكان شاپور متألمًا فى هذا الجلد الجاف ألمًا شديدًا، فالتمس من زوجة القيصر أن تخلصه على شريطة ألا يؤذى القيصر حينما يعود إلى إيران ويرسل له الخراج.

وحينما وصل إلى إيران جمع حشمه وجيشه وقبض على القيصر بغتة، ولم يلحق به أذى؛ لأنه كان قد شرط ذلك، ثم قطع كلتا شفتيه حتى تعرت أسنانه، ثم أعاده إلى بلاد الروم على هذا النحو، واعتلى هو سرير الملك في إيران.

أردشير بن هرمز

حينما جلس على العرش استن سننًا سيئة، فقد قبض على جميع أعيان فارس، وقتل الكثير منهم، ولما عم ظلمه وازداد وتجاوز الحد؛ ومل الرعية لكثرة ما تحملوه من الألم اجتمعوا واتفقوا فخلعوه وأزالوا الملك عنه.

شاپور بن شاپور

حينما اقتعد شاپور سرير الملك كانت الأمور في إيران منحطة مختلة، فقاد الجيوش في كل مكان، وحارب، وفتك بالكثير من أعداء إيران، فاستراح الناس من إغارة الجيوش وإيذاء الأعداء، ولم يستطع شخص قط أن يقصد إيران في حياته، وعظَّمته وأجلته كل الأطراف، ونعم الإيرانيون في عهده بالأمن والطمأنينة، سواء من ناحية الأعداء الذين قصر شاپور أيديهم، أو من ناحية عدله، فإنه لم يظلم أحداً قط، ولم يأت فعلاً خسيساً أو دنيئًا.

بهرام بن شاپور

حينما جلس على سرير الملك سلك مسلكًا حسنًا، وكان مرزبان كرمان قبل أن يتولى الملك، وحينما بلغ الملك اتخذ كرمان مستقراً له، وكان شغوفًا بالطرب، منصرفًا إلى السماع والشراب، مولعًا بالنساء يحب التحدث إليهن، وأخيراً كان هلاكه على أيديهن.

يزدجرد الأثيم

حينما تولى يزدجرد الملك قذف بعادات آبائه وأسلافه وابتدع خلالاً سيئة، وظلم أهل مملكته.

وهو أول من ابتدع القبض على الناس والمطالبة والتعذيب والعقوبات المتنوعة، ولم يعدل في الرعية، واستولى على أموالهم، وأحالهم جميعاً إلى فقراء. ورزق بابن فأسماه بهرام، وكان شديد الرشد والنجابة، وكان هو الابن الوحيد ليزدجرد فكان يخشى عليه مغبة أن يفسده يوماً من سوء طبعه، فأعطاه إلى أمير العرب النعمان بن المنذر بن عمر ابن ربيعة بن مضر، فأخذه إلى أرض الحيرة، ورباه ورعاه، وشيد له قصري الخورنق والسدير.

وأطلق يزدجرد يده فكان يظلم الرعية، وحينما جاوز ظلمه الحد ونفذ صبر الناس وتضجروا منه تضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى فاستجاب الله عز وجل دعاءهم وأهلكه، وسبب ذلك أن جواداً مسرجاً ملجماً قدم إلى قصر يزدجرد، ولم يمكن أحداً منه قط، حتى أتى يزدجرد نفسه إلى الجواد، وأمسك عنانه، وركبه وساقه، وحينما خرج إلى الصحراء قفز الحصان قفزتين، وطرح يزدجرد من فوق ظهره، وركله في رأسه، فهلك في الحال، ونجا الناس منه.

بهرام بن يزدجرد

حينما هلك يزدجرد قال الناس : إن هذا الجواد ملاك أرسله الله سبحانه وتعالى حتى قتل يزدجرد وخلص الخلق منه. وقالوا : لا نريد ملكاً من نسله، وبحثوا عن رجل من نسل أردشير بابكان اسمه "خسرو" فولوه الملك. وحينما سمع بهرام گور هذا الخبر أخبر به النعمان بن المنذر[١٦] فاختار أربعة آلاف من العرب، وقدم وعسكر في طرف من أطراف المدائن، وقال : إذا كانوا قد فعلوا هذا الأمر بالتدبير فأنا واحد من ملوك إيران، ويجب أن يملكوا هذا الملك بموافقتي ورضاي، وأن ابن يزدجرد معي وهو أجدر بالملك من الغريب.

فأجاب الإيرانيون : إنه ابن يزدجرد الأثيم، ونحن لا نحبه مثل أبيه، فناقشهم بهرام في هذا الأمر مناقشة طويلة، وألزم الجميع في تلك المناظرة بأنه أحق بالملك. وجرى كثير من الكلام حتى اتفقوا على أن يحضروا تاج الملكة ويضعوه على العرش، ويأتوا بأسدين ضاريين جائعين على جانبي العرش، وكل من يظفر بهذا التاج سوف يقتعد سرير الملك، ويكون جديراً به، فأتى بهرام، وهم به الأسدان، وفي البداية أمسك بهرام بأذن أسد، وركب على ظهره، وأمسك بأذن الآخر، وظل يضرب رأس أحد الأسدين برأس الآخر حتى تساقطت أسنانهما وقهرهما، ووقع كلاهما على أرجله، وعقد التاج على رأسه، واقتعد سرير الملك، وكان أول من سلم عليه بالملك.

وحينما جلس على العرش عامل الناس معاملة حسنة، وألف بين الرعية، وأطاح بالعادات السيئة التي رسخها والده.

وأول عمل فعله أن منح الرعية وأهل الحرف خراج سبعة أعوام وأمر (قائلاً) : اعملوا نصف النهار وتمتعوا في النصف الآخر، فإن لم يكن لديكم (مال) فتمتعوا من كنوزي، اطلبوا ولا تخجلوا.

وذهب بهرام إلى الهند متنكراً، وكانت الحيوانات الضارية مثل الأسد والببابر والأفاعي والفيلة قد استولت على البلاد - ففتك بتلك الحيوانات، وحينما علم شيرمه[17] ملك الهند أنه من نسل عظماء إيران صمم على قتله، فتنكر بهرام.

وخرج جيش من الهند لحرب شيرمه فتقدم بهرام گور إلى شيرمه، وطلب أن يواجه هذا الجيش بديلاً عنه، وخرج إلى الجيش وهزمه وكفاه أمره، وحينما هدأ قلب شيرمه زوج ابنته لبهرام، وأعطاه ولاية السند ومكران، وكتب كتاباً على هذا، وأشهد الشهود.

وقصد خاقان الترك إيران، وكان بهرام مشغولاً بالطرب والشراب فدخلها الخاقان، وكان بهرام قد ذهب إلى أذربيجان للصيد، ويئس الإيرانيون فقبلوا الضريبة والخراج، فاغتر الخاقان، ومكث في مرو آمناً، وشغل بالصيد والطرب، فباغته بهرام،

وقبض عليه وعلي كل حاشيته في مكان الصيد، وأسرهم، وأعمل السيف في الجيش فقتل الكثير منهم، وهرب الباقون فتعقبهم إلى بلاد ما وراء النهر، وقهر تلك الديار واستولى على التركستان.

وفي عهده عثروا على كنز كيكاوس وهو : جاموستان ذهبيتان مرصعتان بالجواهر مربوطتان على معلف فضي، وبدلاً من التبن والعلف تناثرت أمامهما الجواهر واللآلئ، وحينما أخبروه به قال : نحن لا نحمل الكنز الذى ادخره كيكاوس لأنه من العار علينا حمل مدخرات الآخرين، يجب أن يؤخذ المال من الأعداء لخزائننا بالسيوف والسهام والسواعد القوية، ثم نعمر الملك ولكن ليس بأموال الموتى، ثم أمر فوهبوا هذا المال وهذه الجواهر للفقراء.

وكان بهرام گور يتحدث بكل اللغات : وقت الضرب بالصولجان كان يتحدث بالپهلوية، وفى الحرب كان يتحدث بالتركية، وفى المجلس مع العامة كان يتحدث بالدرية، ومع الموابدة وأهل العلم كان يتحدث بالفارسية، ومع النساء كان يتحدث بالهروية[١٨]، وحينما كان يركب السفن كان يتحدث بالنبطية، وحينما كان يغضب كان يتحدث بالعربية. وحينما مر على ملكه ثلاثة وستون عامًا كان يسرع ذات يوم من أجل فريسة صيد فسقط فى جب وهلك. وهو أول من أجلس الضيف في صدر المجلس.

يزدجرد بن بهرام

حينما جلس يزدجرد بن بهرام على العرش سلك مع الرعية مسلكًا كريمًا، وهدأ العالم فى زمانه، وتوقفت الحروب، وكان حسن الخلال. وكان حريصًا على صناعة السلاح وتجميله، وترتيب الجيش، وكان دائمًا يهب الصلات والعطايا للجند والرعية، وبنى حائطًا بين أرمينية والخزر حتى باب الأبواب، ولكنه مات دون أن يتمه، وكانت مدة حكمه ثمانية عشر عاماً.

هرمز بن يزدجرد

حينما جلس هرمز على العرش دبر الأمور، فقد كان رجلاً مدبراً أقام أمور الدنيا بالتدبير حتى يتجنب الآلام فيها.

وفي عهده خرج عليه أقرباؤه وحاربوه فكفاهم جميعًا بحكمة وتدبير، ودفع شرور الأعداء جميعًا بكفاية، ونعمت البلاد بالهدوء مدة حكمه كما انتظمت أمور الملك.

فيروز بن يزدجرد

حينما جلس فيروز على سرير الملك أحسن إلى الناس، وفي عهده حل القحط بإيران شهر، وجفت الأمطار، وظل الحال على هذا سبعة أعوام، (ومع هذا) لم يمت من الجوع كائن حي في مملكته جوعًا، فقد دبر الأمور في المملكة تدبيراً حسنًا، وكان يبعث بوزرائه إلى البلاد الأخرى، ويدفع لهم الأموال من الخزائن، ليشتروا بها الأطعمة، ويحضروها إلى ولايته؛ فيهبها الرعية حتى لا تهلك، وحينما أوشكت أموال الخزائن على الانتهاء دعا الله سبحانه وتعالى حتى يرفع الله القحط عن البلاد، وشق قنوات مرو، وقسم مياهها، وبنى مدينة فارياب، وقصبة كركان، ومدينة أذربيجان، وعين التمر، وكرمان، ولهذا السبب كانوا يسمونه كرمان شاه، كما بنى فربر(١٩) ونسا.

بلاش بن فيروز

حينما اقتعد بلاش سرير الملك سار على نهج والده؛ وكان ملكًا محمود السيرة؛ استن سننًا طيبة؛ واجتهد في إصلاح حال الرعية؛ فجعلهم يعيشون في أمن وعدل. ونعمت إيران شهر في عهده بالراحة والاطمئنان.

قباد بن فيروز

حينما جلس قباد على العرش أحسن تنظيم أعمال المملكة، وألف بين الرعية وعامل الناس معاملة طيبة.

وقد ظهر مزدك بن بامداد فى زمانه، وأتى بالديانة المزدكية؛ والتف حوله قوم من السفلة والغوغاء؛ وقال مزدك : إن الله عز وجل جعل رزق الخلق فى هذه الأرض فيجب أن يؤخذ من المكثرين للمقلين حتى يتساوى الجميع، والمرأة كذلك، فكل من لديه امرأة هي مباحة للجميع، وقال كثيراً من الأشياء المنكرة، فمال إليه قباد، فتحير الناس وثاروا عليه، وحينما رأى نوشروان الطفل هذه الحالة تناظر مع مزدك، وقال : لو أبيحت المرأة لكل شخص، فلن تصح الأنساب، وسينقطع النسل، ولن يعرف إنسان ابنه مطلقًا، وظل يناظره حتى وجب القتل عليه.

ودارت هذه المناظرة فى محفل فتحول كثير من الناس عن الديانة المزدكية وطفقوا عائدين إلى الديانة الزردشتية، وحينما مضت مدة فكر قباد فى أمر الرعية وقال : إن في عطاء العشر مشقة عليهم، والسبب فى ذلك أنه ذهب ذات يوم إلى الصيد، فرأى امرأة تحمل على كتفها طفلاً يبكي وكانت تقف في بستان رمان، وكان الطفل يرغب رغبة شديدة في رمانة فلم تلب المرأة رغبته، فسأل قباد المرأة : لماذا لم تعط الطفل الرمانة ؟ فقالت المرأة : حتى الآن لم ندفع عشور الشاهنشاه، فحرام علينا قطع الرمان من البستان، فتعجب قباد وصمم أن يرفع مشقة هذه العشور عن الرعية. وفي ذلك الوقت أرسل الحرازين إلى الولايات، فمسحوا، وحرزوا العنب والأشجار، ووضعوا الخراج على كل منها، ووضع الخراج والضريبة على السواد فجاءت ألف حمل وألفًا وخمسين درهمًا، وبنى قباد باب الأبواب، وحلوان، وأركان، وقبادخره، وبردعة[٢٠]، وشيراز.

الهوامش

(١) قصر ابن هبيرة : بين بغداد والكوفة بالقرب من الفرات، وابن هبيرة كان من أمراء الشام، وقد توفى حوالى ١١٠هـ.

(٢) أردشير خُرَّه (الطبرى جـ٢ ص٤٠). (المترجم)

(٣) يقول الطبرى أنها استاباذ أردشير، وهى كرخ ميسان (الطبرى جـ٢ ص ٤١). (المترجم)

(٤) ذكرت كذلك فى الطبرى جـ٢ ص ٤٠ . (المترجم)

(٥) احتمال أن تكون شكلاً من أشكال خاوران.

(٦) تنسب إلى كلمة نيم روز (سيستان).

(٧) احتمال أن تكون شكلاً من أشكال خاوران.

(٨) پوشنگ = فوشنگ = فوشنج = بوشنج، وهى مدينة تقع غرب هرات بأفغانستان وينسب إليها طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في حربه ضد أخيه الأمين، ويطلق عليه طاهر الفوشنجي، ويعرف بطاهر ذى اليمينين لأنه كان يحارب بكلتا يديه. (المترجم)

(٩) النَّيِّران : الشمس والقمر (المترجم).

(١٠) هو نوع من العقارب الكبيرة القاتلة.

(١١) ميسان من توابع البصرة.

(١٢) يقول الثعالبى : كان يقال له هرمز البطل لشدة بأسه وشدة مراسه (ص ٤٩٨). (المترجم)

ويقول الطبرى : وكان يلقب بالجرىء (جـ١ ص٥١). (المترجم)

(١٣) السغد = الصغد، تكتب فى المصادر بالسين والصاد. (المترجم)

(١٤) ويعطينا نص الثعالبى توضيحًا أكثر حيث يقول : " فأعلموه أنها أصوات المارة على جسر دجلة، وأنهم يخافون سوء الازدحام من مقبليهم ومستقبليهم، ويحذرون الغرق فيتصايحون ليفرج بعضهم عن ممر بعض" (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٥١٥-٥١٦). (المترجم)

(١٥) هويه بمعني كتف، سنبان من الفعل سنبيدن : أن يثقب، ومادتها الأصلية سنب، وزيدت عليها ألف ونون فأصبحت صفة حالية ومعناها تحت اللفظ : الثاقب للأكتاف.

(١٦) النعمان بن المنذر كان ملكًا على الحيرة من قبل الفرس.

(١٧) ورد اسمه فى الغرر للثعالبي : شنكلت (ص ٥٦١)، وورد فى مروج الذهب : شبرمه (جـ١ ص ٢٧٧).

وكان لقب ملوك باميان هو شير باميان (الآثار الباقية ص ١٠٢) كلمة مه صفة ومعناها : العظيم أو الكبير.

(١٨) هروية نسبة إلى مدينة هرات بأفغانستان، ولهجتهم في الفارسية رقيقة جميلة، وتكتب هرات بالتاء المفتوحة والتاء المضمومة هراة، وتنطق بفتح الهاء وبكسرها، وهي مسقط رأس الرسام المعروف بهزاد والشاعر المعروف عبد الرحمن الجامي، وشيخ الإسلام خواجه عبد الله الأنصاري وهم مدفونون فيها، وقد زرت مزاراتهم عام ١٩٧٠م، وقرأت لهم الفاتحة (المترجم).

(١٩) فربر : مدينة فيما وراء النهر بالقرب من جيحون.

(٢٠) لم يذكر هذا الاسم في الطبري والمجمل وكزيدة، ولكن بردع كانت مدينة عظيمة ناحية أرمينية وأران.

الباب الخامس

الأكـــــاســـرة

نوشـيروان[1] العـادل

حينما جلس نوشيروان بن قباد على العرش استن سننًا طيبة؛ فأطلقوا عليه "نوشيروان العادل" لأنه كان رجلاً عادلاً، لم يسعد لظلم إنسان، وأتى بتقاليد حميدة فى إحقاق الحق لم يأت بها إنسان قبله قط، وأول عمل قام به أعطى ملك العرب للمنذر بن امرئ القيس؛ لأنه كان السيد وابن سيد العرب جميعًا، وكان له ولأسلافه مآثر كثيرة لدى ملوك العجم.

ثانيًا : إنه تدارك أمر مزدك وتناظر معه، وأثبت بالحجة والبرهان أن مزدك على غير حق، ثم أمر فقتلوه، وسلخوا جلده، وملأوه تبنًا، وصلبوه على باب الإيوان مكان عبور الرعية، ثم أمر فطلبوا أتباع مزدك وصلبوهم، وقتل منهم فى نصف يوم ثمانية آلاف رجل مزدكي، ثم أمر أهل المملكة (قائلاً) : تعلموا الدين، وأدوا شعائره فتصبحوا ماهرين فى معرفته وفهمه، فإذا خرج مزدك لا تنطلى عليكم أكاذيبه. وأرسل جيشًا إلى بلاد الروم، واستولى على بعض البلاد؛ فبعث القيصر رسولاً وطلب الصلح وأرسل الهدايا الكثيرة، فأجابه ووضع الخراج والضرائب على الروم، واستدعى الجند، وأخذ من القيصر الرهائن. ثم ذهب إلى گرگان، وشيد الأبنية هناك فبنى قصراً من الرخام لم ير إنسان مثله فى الدنيا؛ حوائطه وأسطحه من الرخام.

وقدم ترك خوارزم طائعين له، وأتم نوشيروان السور الذى كان يزدجرد بن بهرام قد وضع أساسه ولم يتمه، وكان طوله خمسة عشر فرسخًا ثم عاد من گرگان، وحينما وصل إلى دسكره قدمت الرسل وأحضروا كثيراً من الهدايا والرسائل من الخاقان العظيم ملك التركستان، والهياطلة، وفغفور الصين، وطلبوا منه الصلح.

فاستقبل الرسل استقبالاً حسنًا، وأعلى شأنهم، وتقبل الهدايا وأجابهم جميعًا إلى الصلح الذى طلبوه، وحينما مضت مدة نقض قيصر الروم عهده، فقاد أنوشروان جيشًا،

وذهب إلى بلاد الروم، واستولى على دارا[٢]، ورها[٣]، ومنبج[٤]، وقنسرين، وحلب وفامية[٥]، وحمص، وسلوقية[٦]، وحاصر أنطاكية، وتراكية[٧]، وكان هناك ابن أخت القيصر مع عدة من أبناء عظماء الروم، ففتح الحصن، واتخذهم أسرى، وحمل من هناك أموالاً عظيمة من ذهب وفضة ولآلئ ويواقيت وجواهر وأمتعة وفرش وأسلحة، وأرسل القيصر رسولاً، وطلب الصلح، وقبل الضرائب، وكتب الوثائق اللازمة، ثم رجع كسرى من هناك واستراح.

وقدم خمسة من الملوك في يوم واحد لتقديم فروض الولاء والطاعة، وأتت الرسل بالهدايا من مارست[٨] ملك الهندوستان، والخاقان العظيم ملك التركستان، وملك سرنديب، وقبلوا الضرائب، وسخرت له ملوك الأرض جميعًا، وزوجه الخاقان العظيم ابنته[٩] وهي والدة هرمز. وقبل ملك الهندوستان أن يرسل إلى الشاهنشاه السبع من داخل مملكته، وأن يعطي كل عام عشرة أفيال ومائتي ألف قطعة من الساج والعاج وصارت له كابل وقندهار، ولم يبق له في الدنيا مخالف فينازعه. وولد الرسول محمد ﷺ في عهده، وافتخر بهذا وقال ﷺ : "ولدت في زمن الملك العادل" وهو أنوشروان، صدق رسول الله ﷺ .

وكان بزرجمهر حكيم العجم وزيره، وهو الذي أتى "بكليلة ودمنة" من الهندوستان إلى إيران، كما أتوا بالشطرنج في عهده، وكان أبوه قباد قد بدأ بوضع الخراج ورفع رسم العشور فلم يستطع فأتمهما هو. ووضع على كل ذراع قمح درهمًا، وعلى الأرز أربعة دوانق، وعلى الذهب ثمانية دراهم، وعلى الأشياء الأخرى سبعة دراهم، وعلى كل أصول أربع نخلات درهمًا، وعلى كل ست أصول زيتون درهمًا[١٠]. وبنى مدينة نوبندگان[١١]، وهمدان، وبغداد القديمة وأردبيل، والمدائن، وسور باب الأبواب.

هرمز بن نوشيروان

حينما اعتلى هرمز سرير الملك كان متحاملاً[١٢] على (خواص) الرعية، وكان رؤوفًا شديد الرحمة بالعجزة والضعفاء، غليظ القلب على الأغنياء وأهل النعمة، فقتل ثلاثة

عشر ألفًا من عظماء إيران شهر وقادتها، وأزال سلطة رجال الدين وقال : لا يجب أن يأمرني شخص أو ينهاني فأنا أولى بصيانة نفسي، فعاداه عظماء إيران ووجهاؤها.
وحينما مضى أحد عشر عامًا على ملكه اتجهت الجيوش إلى إيران من كل صوب وحدب، وتحير هرمز حينما رأى ذلك، وطلب جنوداً للجيش من كل مكان، وكان شابه ابن الست[١٣] ملك التركستان أكثر (المغيرين) هولاً. وقد حضر ثلاثة من القادة العظام من جانب الخزر وثنبوس[١٤]، وقدم قائد القيصر من الروم، وأتى عباس الأحول[١٥] من اليمن، واستدعى هرمز بهرام چوبين من أطراف المملكة[١٦]، وكان مرزبانًا وهو حفيد گرگين ميلاد، ومن أبناء آرش العظيم[١٧] وقد أرسله هرمز لمجابهة شابه ملك "التركستان" فى الحرب، وأمده بما يطلبه من الجند. وحينما وصل بهرام بالقرب من جيش التركستان دارت رحى الحرب، وفى النهاية قتل شابه، وهزم جيش الترك، وسبى بهرام كثيراً منهم، وحمل جميع كنوز شابه وخزائنه، وبعث كل ما وجده إلى هرمز، واسترد ما أخذه أفراسياب من سياوش من الجواهر والطرائف وغير ذلك، وما حمله أرجاسپ من خزائن لهراسپ إلى التركستان. وكانت بين (بهرام) وآذين جشنس چورى[١٨] وزير هرمز عداوة وبغضاء، فحسد بهرام على هذا العمل الذى تم على يديه، فذمه لدى هرمز. وقد وجدوا بين تلك الغنائم خفًا مرصعًا بالجواهر فقال آذين جشنس : هذا الخف حينما وجدوه كان خفين، وبهرام قسم كل الأموال التى حصل عليها إلى قسمين فأخذ نصفها وأرسل نصفها الآخر إليك؛ ودليل ذلك هو الخف، فصعب هذا على هرمز، وغضب، وأمر فأرسلوا مغزلاً وقطنًا إلى بهرام، وكتب إليه رسالة (قال فيها) : "إنك خنت، واستوليت على المال، وكل من يخون فهو عاص، وكل من يعصى لدينا هو أسوأ من المرأة". وحينما وصلت هذه الرسالة إلى بهرام أخبر قادة الجيش، فتملكهم الغضب جميعًا، وقالوا : "هذه ليست مكافأة ما فعلناه وما فعله هرمز" ورفعوا جميعًا راية العصيان، وانصرفوا عن هرمز. واجتمع الجيش الذى كان قريبًا من هرمز وقالوا : "لا صبر لنا ولا طاقة على بهرام چوبين" وخلعوه، وسملوا عينيه، ونصبوا مكانه ابنه خسرو پرويز، وحينما علم بهرام چوبين قاد جيشًا، واتجه صوب المدائن لحرب خسرو پرويز.

خسرو بن هرمز

حينما جلس على العرش وعد الناس وعوداً طيبة، وعندما انفرد بنفسه ذهب إلى هرمز، واعتذر له؛ لأنه قبل الملك ˇ وقال : لو لم أجب لزال الملك من أسرتنا وتغلب عدو مثل بهرام چوبين علينا، فقبل هرمز عذره، وسر قلبه، وحينما قصد بهرام (چوبين) پرويز خرج پرويز إليه، ودارت رحى الحرب، وانفض جيش پرويز عنه إلى بهرام، وهرمز پرويز مع عشرة من فرسانه، وقدم من المدائن إلى والده، واستطلع منه إلى من يذهب من الملوك ليسانده ويناصره ؟

فقال هرمز : أما العرب فهم فقراء، وهم منصرفون إلى المال مشغولون به، ولن يحاربوا من أجل ملكك، وخصومك قد قطعوا عليك طريق التركستان والهندوستان، أما الروم ففيها المال والرجال والسلاح. فذهب پرويز بمشورة والده إلى بلاد الروم وحينما رحل رجع خالاه : بسطام وبندويه، ودخلا إلى هرمز منتحلين عذراً وخنقاه، ثم لحقا في إثر پرويز، ولم يعلم پرويز بذلك.

وعندما ذهب إلى بلاد الروم لاطفه القيصر موريق[١٩] وهش له وأعطاه الجيش، وأمده بكثير من المال، وزوجه ابنته[٢٠].

وحينما رجع إلى إيران أتى إليه بهرام چوبين، وتحاربا، وتقاتلا، وهزم بهرام مع أربعة آلاف رجل، وفر إلى التركستان، فتقدم خسروا پرويز واقتعد عرش والده وجده، ولما استتبت أمور المملكة انصرف للتدبير والحيلة؛ ليفسد قلب الخاقان على بهرام، بعد أن فعل بهرام فى التركستان فعالاً حميدة، وفى النهاية أهلكوا بهرام (نتيجة) مكر پرويز. وبنى خسرو مدينة بغداد، وأتمها المنصور.

وظهر نبينا محمد ﷺ فى زمانه، وجهر بالدعوة، وهاجر من مكة إلى المدينة، ودعا الخلق إلى الله عز وجل، وكتب رسالة إلى پرويز، ودعاه إلى الله عز وجل، فأرسل پرويز الرسل وأمرهم (قائلاً) : احضروا الرسول ﷺ وأنكروا دعوته. وحينما وصل الرسل إلى المدينة قتل شيرويه پرويز والده، وكان لبرويز مال وجواهر وأعلاق نفيسة،

واجتمعت لديه من النفائس ما لم يجتمع لملك من قبله قط، ونذكر بعضاً من هذه الأشياء :
كان له شطرنج أحد صفوفه من الياقوت الأحمر وصفه الآخر من الياقوت الأصفر، ونرد من الياقوت والزمرد، واثنتان وثلاثون ألف قطعة من الياقوت النفيس، وكنز العروس، وكنز الخضرا، وكنز بادآورد[٢١]، وكنز الديباج الخسروي، وكنز سوختة[٢٢]، والذهب المشتفشار[٢٣] وتخت طاق ديس[٢٤]، وتخت ميش سار[٢٥]، وإيوان المدائن، وقصر شيرين، والشادروان العظيم ذو الجوانب اللؤلؤية، والحرمسراى الذهبى، واثنا عشر ألف جارية، وألف ومائتا فيل، وثلاثة عشر ألف بعير حمال، وبستان نخچيران، وبستان سياوشان، وبستان المرود، وجواد شبديز[٢٦]، وعشرة آلاف مَنّ مِنْ العود، وخمسة آلاف مَنّ مِنْ الكافور، وثلاثة آلاف مَنّ مِنْ المسك، وأربعة آلاف مَنّ مِنْ العنبر، واثنا عشر ألف فهد، وألف أسد، وسبعمائة ألف فارس، وثلاثمائة ألف من المشاة المترجلين، واثنا عشر ألف فتيل شمع، والكبريت الأحمر، وألف حمل بخور، وعشرة آلاف غلام، ومائة ألف جواد للركوب، ومائة ألف لجام ذهبى، وسركس[٢٧] عازف العود، وشيرين وباربد[٢٨] وبهروز الذين وضعوا العديد من الأنغام، والدستان الخسروانية، وكان له ثلاثة آلاف امرأة، وكان دخل خزائنه كل عام سبعمائة وخمسة وتسعون حملاً يعنى : ألف ألف درهم، كانوا يأتون بها من خزائن الولايات إلى خزينته، وحينما مات وجدوا فى خزائنه جعبة للأختام كان بها تسعة أختام خاصة به :

الأول : خاتم فصه من الياقوت الأحمر، ونقشه صورة الملك، وحوله مكتوب صفة الملك، وكان يختم به المنشورات والسجلات. والخاتم الثانى : كان فصه عقيق، ونقشه خراسان خره، وحلقته من الذهب، وكان يختم به التذكرات. والخاتم الثالث : فصه جزع[٢٩] ونقشه فارس يركض، وحلقته ذهبية، وكان يختم به أجوبة البريد. والخاتم الرابع : فصه من الياقوت الأحمر، ونقشه كبش جبلى، وحلقته ذهبية، وكان يختم به رسائل الأمان للعصاة والمذنبين. والخامس : فصه ياقوت أحمر، وحلقته مرصعة باللؤلؤ، ونقشه خره وخرمى أى بهجة وسعادة[٣٠]، وكان يختم به خزائن الجواهر وديوان الألبسة والحلى وبيت المال. والسادس : فصه حديد حبشى، ونقشه عقاب، وكان يختم به رسائل الملوك. والسابع : كان فصه (فادزهر)[٣١] ونقشه ذبابة، وكان يختم به

الأدوية والأطعمة والطيب. والثامن : فصه خماهن[٣٢] نقشه رأس خنزير، كان يختم به كتب الدماء أو رسالة من يأمر بقتله. والخاتم التاسع : فصه حديد، وكان يلبسه حينما يدخل الحمام أو الآبزن[٣٣].

قباد شيرويه

ابن پرويز بن هرمز بن نوشروان

ويسمونه : شيرويه. خلع والده، ثم بحث عن رجل كان پرويز قد قتل أباه، وقال له : إن والدي قد قتل والدك بلا وجه حق، فاقتل والدي عوضًا عنه، حتى يتحقق القصاص، فطعن الرجل خسرو پرويز بخنجر في بطنه فقتله.

وقد قتل شيرويه إخوته السبعة عشر، ولم ينتظم ملكه على أي وجه، وكان يزداد اضطرابًا يومًا بعد يوم.

ولم يهنأ بالملك، ولم يعمر، ومرض بالطاعون ومات به.

شهريار بن پرويز

ابن هرمز بن نوشروان

حينما اعتلى شهريار سرير الملك لم يعش طويلاً حتى يكون له أثر؛ فقد انتهى أمره بسرعة ومات، ولم يبق له شيء يذكر به.

كسرى بن پرويز بن هرمز بن نوشيروان

حينما جلس كسرى على العرش قصده مرزبان خراسان وقتله، ولم يكن أمور الملك قد استقامت له، وعاش فترة قصيرة، يقول الگرديزي : ولم أجد شيئًا عنه حتى أثبته.

بوران دخت بنت كسرى

حينما اقتعدت بوران دخت سرير الملك ضبطت أمور المملكة ضبطًا محكمًا، وكانت امرأة عالمة ألفت بين الرعية، وكانت الرعية منها في بهجة وسرور؛ فقد وهبت الحشم وعظماء المملكة أموالاً كثيرة، وأعادت إلى بلاد الروم الصليب الذى كان بخت نصر قد أتى به منها وأودعه خزائن ملوك العجم؛ ولهذا السبب أصبح لها أياد على القيصر؛ فأحبها أهل الروم جميعًا، وكانوا معها على وفاق. وكان أعداء إيران قد خرجوا من كل صوب وحدب، فأرسلت الجيوش في كل مكان، فعادت كلها مظفرة منتصرة واستراحت إيران في عهدها واطمأنت.

جشنسب بنده

وهو جشنسب بنده بن بهرام جسنس بن مردانشه بن منوچهر بن أذر جسنس ابن نرسى بن بهرام بن أردشير بن شابور بن يزدجرد الأثيم. قد تربى في ميسان(٣٤) وحينما جلس على العرش وعقد التاج على رأسه قال : هذا التاج ضيق؛ فتطيروا. ولم يمكث أكثر من شهرين ومات.

آزرمى دخت بنت كسرى

كانت أزرمى دخت صاحبة عدل وتدبير، تحمى المظلومين دائمًا فتستمع إلى مظالمهم وتنتصف لهم من ظالميهم، وكانت ذات تؤدة وروية.

فرخزاد بن خسرو

كان صغيرًا حينما اقتعد سرير الملك، ولم يعش طويلاً أيضًا، فقد حكم شهرين ولم يعمل عملاً يخلد ذكره؛ ولهذا السبب لم تكتب أخباره.

يزدجرد بن شهريار

وكان آخر ملوك العجم، تسلم العرش وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وقد اقتعد سرير الملك ولم تمض على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ سوى اثنين وعشرين يومًا. وحينما تولى عمر ﷺ الخلافة، أرسل جيوش المسلمين إلى العراق، وكان خالد بن الوليد أميرًا لتلك الجيوش. فلما أتت أخبار قدوم جيوش العرب إلى يزدجرد بن شهريار بعث بجيوشه للقائهم وولى رستم بن فرخ زاد قيادة هذه الجيوش، وحينما التقى الجمعان فى صحراء القادسية استمرت الحرب طويلاً، وكان الظفر دائمًا للمسلمين وقدم يزدجرد بنفسه إلى المعركة، والتحم مع جيش المسلمين ولكن الظفر كان للمسلمين أيضًا وهزمت جيوش العجم واندحرت، وفَرَّ يزدجرد ودخل مرو. وحينما علم ماهوى مرزبان مرو أرسل جماعة لطلبه، وكان ماهوى حانقًا عليه غاضبًا منه، ولكن رجاله لم يجدوه؛ فقد اختفى يزدجرد فى طاحونة، ولما أتى حارسها ورآه قال له : اخرج من طاحونتي؛ فإن دخلى كل يوم خمسة دراهم وسينقطع دخلي حينما تبقى هنا، ولما لم يكن مع يزدجرد ذهب أو فضة حتى يعطيه إياه، وكان أيضًا جائعًا، فقد أعطاه جوهرة نفيسة (وقال له) : بع هذه وارفع غلالك، ثم أحضر لى شيئًا حتى أقتات به، ولا تدل إنسانًا على مكانى. وحينما ذهب الحارس بالجوهرة إلى السوق، أمسكوه، واقتادوه إلى ماهوى، فسأله عن مكان يزدجرد فدله عليه، فأرسل ماهوى أشخاصًا قطعوا رأسه وأتوا بها إليه، ورموا جسده فى الماء. واختتمت به مملكة العجم، واستولى المسلمون بعد ذلك على إيران وهى تحت أيديهم حتى الآن، وستظل فى ملكهم إلى يوم القيامة بمنة الله تعالى.

الهوامش

(١) نوشيروان = أنوشروان = أنوشيروان (المترجم).

(٢) دارا : مدينة صغيرة في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات كان بها المياه والزراعة.

(٣) رها : تقع في أرض الجزيرة في ديار مضر، يكثر بها الأديرة والنصارى.

(٤) منبج : وكانت تقع في غربي الفرات أقاموا بها جسراً كانوا يسمونه جسر منبج (المسعودي جـ١ ص ٢٩١).

(٥) فامية : كانت تقع بعد حمص في بلاد الشام.

(٦) سلوقية : مدينة عظيمة عامرة على ساحل أنطاكية ولا تزال آثارها باقية حتى الآن.

(٧) تراكية = تراقيا، وكانت قديماً في شمال اليونان وهي الآن تسمى TERR في جنوب شرقي أوربا بين اليونان وبلغاريا وتركيا.

(٨) اسم الملك الهندي المعاصر لنوشيروان هو دابشليم، وقد ورد ذلك في كل المصادر، ولم يذكر الگرديزي بعد ذلك أسماء ملوك التركستان وسرنديب، ومن الجائز أن يكون هذا الاسم قد حرف عن اسم لسلطنة في الهندوستان.

(٩) يقول المسعودي في المروج جـ١ ص ٢٩٢ : وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه (المترجم).

(١٠) يقول المسعودي جـ١ ص ٢٩٤ : "الأرز نصفاً وثلثاً ولكل أربع نخلات فارسية درهماً، ولكل ست نخلات دقل درهماً، وكل ست أصول زيتون درهماً، والكرم ثمانية دراهم، والرطب سبعة دراهم (المترجم).

(١١) معربها نوبندجان أو نو بنجان، وكانت مدينة في خمايجان استخر فارس، وخربت في عصر الدولة السلجوقية.

(١٢) يقول حبيبي : إن النسختين اللتين حقق عليهما النص وردت فيهما العبارة كالآتي "بارعيت محاملت كرد" وترجمتها : وكان متحاملاً على الرعية، وهذه تتناقض مع العبارات التالية لها، لهذا أضفنا كلمة (خواص) على النص حتى يستقيم المعنى، وتمشيا مع قول المسعودي : " وكان متحاملاً على خواص الناس مائلاً إلى عوامهم" (المترجم).

(١٣) شابه شاه ملك الترك. الغرر للثعالبي ص ٦٤٢، وفي المروج للمسعودي : شابه بن شب جـ١ ص٢٩٩ (المترجم).

(١٤) لم يعرف أصلها.

(١٥) ويقول الطبري : "إن رجلين من العرب يقال لأحدهما عباس الأحول والآخر عمرو الأزرق نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الفرات وشنوا الغارة على أهل السواد" (تاريخ الطبري جـ٢ ص ١٧٤) (المترجم).

(١٦) يقول الطبرى : إنه كان من أهل الرى جـ٢ ص١٧٤ (المترجم).

(١٧) وهو اسم أحد الأبطال الإيرانيين، وكان في جيش الملك منوچهر لتعيين حدود إيران وتوران، وقد رمى بسهم من آمل أوسارى فاستقر على شاطئ جيحون (المترجم).

(١٨) يقول حبيبى نقلاً عن سعيد نفيسى : " إن چورى من الجائز أن تكون منسوبة إلى مدينة چور أردشير خره في فارس".

(١٩) موريقس (مروج الذهب جـ١ ص ٣٠٣) (المترجم).

(٢٠) وكانت تدعى مريم (الثعالبى : الغرر ص ٦٦٨، والطبرى جـ٢ ص ١٨٠) (المترجم).

(٢١) كنز الريح (المترجم).

(٢٢) الكنز المضىء (المترجم).

(٢٣) أصلها بالفارسية : مشت أفشار، ومعناها المضغوط بقبضة اليد أى الطرى اللين، ويذكر الثعالبى أنه استخرج للملك إپرويز من معدن بالتبت وهو مائتا مثقال من ذهب كالشمع اللين، وكان يخرج من فروج الأصابع إذا قبض عليه (الثعالبى ص ٧٠٠) (المترجم).

(٢٤) ومعناه التخت الذى يشبه الطاق، وقد أورد الثعالبى وصف هذا التخت ص ٦٩٨ (المترجم).

(٢٥) التخت الذى يشبه الثور (المترجم).

(٢٦) يعنى : جواد أسود كأنه الليل (المترجم).

(٢٧) وردت في الثعالبى : سرجس ص ٦٩٤ . (المترجم).

(٢٨) وردت في الثعالبى : الفهليذ ص ٦٩٤ (المترجم).

(٢٩) وهو نوع من الفصوص مثل الألماس.

(٣٠) المسعودى : مروج الذهب ص ٣٠٧ ، ويقول الأستاذ حبيبى فى الحاشية : كلمة خره أو خوره بمعنى نور وشعاع، ومن يفوز بهذا النور تكون له الرياسة على الخلق (المترجم).

(٣١) بالفارسية : پازهر أو پادزهر، ويسمونه بالعربية حجر التيس (البرهان).

(٣٢) خماهن على وزن كشادن وخماهان، وهو حجر قاتم اللون مائل إلى الحمرة (البرهان). وكتبها المسعودى : جمان ص ٣٠٨ (المترجم).

(٣٣) وهو حوض من النحاس على قدر قامة الإنسان أو أقل منها، له غطاء به فتحة ينيم به الأطباء المرضى أو يجلسونهم، ويخرجون رؤوسهم من هذه الفتحة، ويضعون عليهم المياه الدافئة والأدوية المغلية (برهان قاطع). على أن المسعودى يقول : "والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الآبزن" (جـ١ ص ٣٠٨) ومن الواضح كما شرحنا أن الآبزن ليس حجراً كريمًا - كما ذكر المسعودى - وإنما هو حوض كما ذكر صاحب برهان قاطع (المترجم).

(٣٤) من توابع البصرة.

الباب السادس[١]

جدول في تواريخ خلفاء وملوك الإسلام[٢]

بعد أن انتهيت من أخبار وملوك العجم، أتحدث الآن عن تواريخ خلفاء وملوك المسلمين وأنسابهم وأحوالهم على النحو الذى وجدته في الكتب، وسوف نبدأ ذلك بنسب رسولنا محمد ﷺ ، فهو : أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد أتينا بنسبه الكريم حتى آدم عليه السلام من شجرة الأنساب.

أما أمه فهى : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى.

وجدته - أم عبد الله - هى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وجدته - أم آمنة - هى : برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار.

ولم يكن له ﷺ أخ أو أخت.

وقد أوضحنا في الجدول أعمامه وعماته ونساءه وأبناءه وغزواته ودوابه، وهذا هو الجدول كما سطرته.

أعمامه	عماته	نساؤه(*)	أباء نسائه	قبائل نسائه	أبناؤه	دوابه	أجناس دوابه	مواليه	غزواته
العباس	أميمة	خديجة	خويلد	قريش	القاسم	سكب	جواد	زيد بن حارثة	بدر الأولى
حمزة	أم حكيم	عائشة	أبو بكر الصديق	قريش	عبد الله(19)	ملاوح	جواد	أم أيمن(22)	أحد
أبو طالب	برة	حفصة	عمر الفاروق	قريش	الطيب(19)	مرتجز	جواد	أسامة	بدر الثانية
أبو لهب	عاتكة	أم حبيبة	أبو سفيان	قريش	الطاهر(19)	لزاز(20)	جواد	أبو رافع(23)	الخندق
الغيداق(1)	أروى	سودة	زمعة	قريش	فاطمة	ظرب	جواد	سفينة(24)	بني قريظة
المقوم(2)	صفة(4)	أم سلمة	(أبي) أمية	مخزوم(15)	زينب	يعسوب	جواد	ثوبان	خيبر
ضرار	صفية(5)	زينب	جحش	بني أسد مضر	رقية	اللخيف	جواد	سلمان	فتح مكة
الزبير		ميمونة	الحارث	بني هلال مضر	أم كلثوم	ورد	جواد	مهران	حنين
قثم(3)		صفية	حيي	بني النضير(16)	إبراهيم	فضة(21)	بغل	شقران(25)	الطائف
الحارث		مارية	عبد الله(9)	قبطية		عفير(21)	حمار	يسار	تبوك
		أم شريك	لا(10)	بني سالم(17)		سبحة(21)	جواد	فضالة(26)	نجران
		خولة	هذيل(11)	بني سليم		يعفور	حمار	مدعم	بني النضير
		زينب	خزيمة(12)	مضر		دلدل	بغل	أبو مويهبة	ذات الرقاع
		جويرية	الحارث(13)	خزاعية		قصواء	جمل	أبو كبشة	بني لحيان
		شراف(6)	خليفة(14)	كلبية(18)		عضباء	جمل	أبو بكرة	بني قينقاع
		أميمة(7)	حكيم	كندية		جدعاء	جمل	أبو ضميرة	بني المصطلق
		نشاة(8)	رفاعة	قريظة					
		شنباء(8)	عمرو	غفارية					
		غزية(8)	جابر	بني كلاب					
		عمرة(8)	يزيد	بني كلاب					

(*) توفي الرسول ﷺ عن تسع من النساء . ارجع إلى تاريخ الطبري جـ٣ ص١٦٠-١٦٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ٨ ص ٢٠١-٢٢٧ (المترجم) .

هوامش الجدول

(١) في الأصل المخطوط : (الغيلان ؟)، وعند نفيسي : (الفيداق ؟)، وعند أبى الفداء واليعقوبى : (جحل، ولقبه الغيداق).

(٢) فى الأصل : (المعود ؟)، وسائر المؤرخين على أنه (المقوم "عبد الكعبة").

(٣) فى الأصل : (فسم ؟)، وأبى الفداء (فثم)، واليعشوبى (قثم).

(٤) هكذا في الأصل المخطوط.

(٥) وهى أم الزبير بن العوام. كما فى تاريخ گزيدة.

(٦) غير موجود فى الأصل، وقد اقتبسها الأستاذ حبيبى الذى قام بتحقيق هذا الكتاب من الطبرى وگزيدة.

(٧) يقول حبيبى : لم يرد هذا الاسم فى المصادر التاريخية، ومن الجائز أن يكون قد التبس باسم عمته ﷺ.

(٨) هذه الأسماء غير موجودة فى الأصل، وقد اقتبسها الأستاذ حبيبى من الطبرى وگزيدة.

(٩) يقول الطبرى وصاحب تاريخ گزيدة : إن والد مارية كان يسمى شمعون.

(١٠) كتبت هنا (لا) ومعروف أن اسم والد أم شريك لم يعرف، ويقول الطبرى : إن أم شريك هى غزية بنت جابر.

(١١) لم يوجد فى الأصل، وقد اقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى.

(١٢) فى الأصل : (النعمان)، وفى الطبرى : (خزيمة).

(١٣) فى الأصل : (حسين)، وفى الطبرى : (الحارث).

(١٤) لم يوجد فى الأصل، وقد اقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى.

(١٥) لم يوجد فى الأصل، وقد اقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى وگزيدة.

(١٦) لم يوجد فى الأصل، وقد اقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى.

(١٧) فى الأصل : (سام ؟)، وعند نفيسى : (بنى سالم)، وفى الطبرى : (كلبية).

(١٨) فى الأصل لم يوجد، واقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى وگزيدة.

(١٩) يقول المسعودى : إن هذه أسماء ثلاثة لمسمى واحد وهو عبد الله.

(٢٠) فى الأصل (أرار)، وفى الطبرى وگزيدة (الزاز).

(٢١) غير موجود فى الأصل، واقتبسه الأستاذ حبيبى من الطبرى وگزيدة، وفى المجمل أن فضة تسمى أيضاً الشهباء.

(٢٢) اسمها بركة.

(٢٣) يقول الطبرى : رويفع وهو ابن رافع، قبطى، هدية المقوقس.

(٢٤) اسمه مهران، وقيل : رباح، وقيل : أبو مسراح.

(٢٥) غير موجــود في الأصل، واقتبسه الأستــاذ حبيبى من الطبرى وكزيدة، وهو من الحبشة واسمه صالح بن عدى.

(٢٦) من (فضالة) حتي آخر الأسماء غير موجودة فى الأصل، واستمدها الأستاذ حبيبي من الطبرى واليعقوبى وكزيدة.

تنويه : وضع الأستاذ عبد الحى حبيبى علامة استفهام لأسماء داخل بعض الأقواس لأنه إما لم يستطع قراءتها من الأصل الذى نقل عنه، وإما لاختلافها عن بقية المصادر الأخرى. (المترجم)

وكان نقش خاتمه (محمد رسول الله ﷺ) في ثلاثة أسطر، وكان من الحديد، ملفوفًا عليه فضة. واسم سيفه : ذو الفقار. واسم درعه : ذات الفضول.

وحاجبه : أنس، وكان مولى. ووزيراه : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما. وكان مولده ﷺ في فجر يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر رمضان[٣]، عام الفيل، لتسعة أعوام خلت من حكم نوشيروان العادل، وعامين انصرما من حكم عمر بن هند ملك الحيرة. توفي أبوه وعمره شهران[٤]. وتوفيت أمه وعمره أربعة أعوام[٥]. فكفله جده عبد المطلب، وحينما مات كان عمر الرسول ﷺ ثمانية أعوام وتركه الجد لابنه أبي طالب. وقد أقامت قريش والمكيون الكعبة وعمر الرسول ﷺ خمسة وثلاثون عامًا. وقد نشب خلاف بين أهل مكة حول بناء الكعبة فاتفقوا على أن يمسك واحد من كل أسرة بطرف ثوب، ثم يضعوا الحجر الذي سيوضع في الأساس على هذا الرداء[٦]، وبعد ذلك يضع محمد ﷺ هذا الحجر لأساس البيت، وهكذا فعلوا. وحينما أتم الأربعين أتاه الوحي من السماء ونزل عليه القرآن الكريم يوم الإثنين من شهر ربيع الأول[٧]، وبعد نزول الوحي قضى في مكة ثلاثة عشر عامًا، ثم هاجر إلى المدينة في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة، وظل هناك عشرة أعوام، ثم توفي ﷺ . وتولى الخلافة أبو بكر الصديق، وبعده عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن رضى الله عنهم أجمعين. وقد أوردت هنا الكنى والأسماء والألقاب وأسماء الأمهات والحُجَّاب والكُتَّاب، وتوقيع أختامهم، وعمر كل واحد منهم، وبداية خلافته، ودونت ذلك في جدول حتى يسهل الكشف عنه، وهذا هو الجدول :

الأعداد	أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز
الكنى	أبو بكر	أبو حفص	أبو عمرو	أبو الحسن	أبو محمد	أبو عبد الرحمن	أبو خالد
الأسماء والأنساب	عبد الله بن عثمان	عمر بن الخطاب	عثمان بن عفان	على بن أبى طالب	الحسن بن على	معاوية بن أبى سفيان	يزيد بن معاوية
الألقاب	الصديق	الفاروق	ذو النورين	المرتضى	سبط المجتبى	(٢)	(٥)
أسماء الأمهات	أم الخير سلمى بنت صخر	حنتمة بنت هشام	أروى بنت كريز	فاطمة بنت أسد	فاطمة الزهراء	هند بنت عتبة	ميسون
الحُجَّاب	سديف مولاه(١)	رافع مولاه	حمران مولاه	قنبر مولاه	قنبر مولى والده	أبو أيوب زياد	صفوان
الكُتَّاب	عبد الله الأرقم	زيد بن ثابت	مروان	عبد الله بن رافع	عبد الله بن رافع	سرجون الرومى	سرجون الرومى
توقيعات الأختام	نعم القادر الله(*)	كفى بالموت واعظاً يا عمر	آمنت بالذى خلق فسوى	الملك الحق	الله أكبر	لكل عمل ثواب	يزيد بن معاوية
العمر	٦٣	٧٥	٨٢	٥٨	٤٨	٨١	٣٨(٦)
ابتداء الخلافة	سنة إحدى عشر	ثلاث عشر	أربع وعشرون	خمس وثلاثون	أربعون	أربعون	ستون
مدة الخلافة	ب	يا	يا	هـ	وشهر(٣)	يط(٤)	(د)(٧)

(١) فى الأصل (سبد؟)، وذكرها سعيد نفيسى (سعد؟)، وذكر تاريخ گزيدة (سيف مولى أبى بكر حاجبه)، وذكر اليعقوبى (سديد).

(٢) لقب معاوية لم يرد فى الأصل الذى نقل عنه وكتب مكانه المطلب التالى له.

(٣) جمهور المؤرخين يذكر أن مدة خلافة الحسن ﷺ كانت ستة أشهر (و = ٦ بحساب الجمل).

(٤) مدة إمارة معاوية عند المسعودى تسعة عشر عاماً وثمانية أشهر، وفى تاريخ گزيدة تسعة عشر عاماً وثلاثة أشهر، وفى المجمل تسعة عشر عاماً وثلاثة أشهر وخمسة أيام.

(٥) بياض بالأصل.

(٦) فى المجمل وگزيدة تسعة وثلاثون.

(٧) فى الأصل وردت (ب . ط)، وفى گزيدة ثلاثة أعوام وشهران، وفى أبى الفداء جـ١ ص ٢٠٣ ثلاثة أعوام وستة أشهر.

(*) ذكر الإمام ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) جـ١ ص ٤٢٠ أن هذا كان نقش خاتم على بن أبى طالب ﷺ (المترجم).

الأعداد	ح	ط	ى	يا	يب	يج	يد
الكنى	أبو ليلى	أبو عبد الله	أبو الوليد	أبو العباس	أبو أيوب	أبو حفص	أبو خالد
الأسماء والأنساب	معاوية بن يزيد	مروان بن الحكم	عبد الملك بن مروان	الوليد بن عبد الملك	سليمان بن عبد الملك	عمر بن عبد العزيز	يزيد بن عبد الملك
الألقاب	_[1]	خيط باطل[3]	أبو الذباب[6]	–	–	–	–
أسماء الأمهات	أم هاشم بنت هاشم	أمنة بنت علقمة[4]	عائشة بنت معاوية	ولادة بنت العباس	أم الوليد بنت العباس	ليلى بنت عاصم	عاتكة بنت يزيد
الحجاب	صفوان	أبو سهل الأسود[5]	أبو عياش	سعد (سعيد)	أبو عبيدة	مزاحم مولاه	خالد مولاه
الكتاب	سرجون	سرجون	سرجون	قعقاع العبسي	سليمان بن نعيم	الليثي بن رقية	أسامة بن زيد
توقيعات الأختام	الله أعلى	العزة لله	لكل أمل كتاب[7]	يا وليد أنت ميت	أمنت بالله مخلصاً	عز من قنع	قنى الحساب[12]
العمر	واحد وعشرون	ثلاثة وستون	واحد وسبعون	أربعون[8]	ثمان وثلاثون	تسع وثلاثون	واحد وعشرون
ابتداء الخلافة	محرم أربع وستون	ذو القعدة أربع وستون	خمس وستون	ست وثمانون	ست وتسعون	ثمان وتسعون	واحد بعد المائة
مدة الخلافة	(٣٤) ء[2]	أربعة أشهر	يج	(ى)[9]	ج[10]	ب (٤٩)[11]	د[13]

الأعداد	يه	يو	يز	يح	يط
الكنى	أبو الوليد	أبو العباس	أبو خالد	أبو إسحاق	أبو عبد الملك
الأسماء والأنساب	هشام بن عبد الملك	الوليد بن يزيد	يزيد بن الوليد	إبراهيم بن الوليد	مروان بن محمد
الألقاب	-	العاشق	الناقص	المخلوع	الحمار
أسماء الأمهات	عائشة بنت هشام	أم محمد بن محمد[١٧]	سرية[٢٠]	سرية[٢٥]	لبابة[٢٩]
الحجاب	خالد بن عبد الله التستري[١٤]	قطب مولاه	قطب مولى والده	قطب مولى والده	سعلاب[٣٠]
الكتاب	سالم[١٥]	بكر بن سماح	بكر بن سماح[٢١]	عبد الحميد بن يحيى	عبد الحميد بن يحيى
توقيعات الأختام	الحكم للحكيم	الوليد بن يزيد	نعم القادر الله[٢٢]	القدرة لله[٢٦]	توكلي على خالقي[٣١]
العمر	اثنان وخمسون	أربعة وأربعون[١٨]	ثمانية وعشرون[٢٣]	ثنتان وثلاثون[٢٧]	واحد وأربعون[٣٢]
ابتداء الخلافة	خمس بعد المائة	مائة وخمسة وعشرون	مائة وخمسة وعشرون	مائة وستة وعشرون	مائة وسبعة وعشرون
مدة الخلافة	يط[١٦]	ب[١٩]	ستة أشهر[٢٤]	أربعة أشهر[٢٨]	هـ[٣٣]

هوامش الجدول

(١) بياض في الأصل، وذكر كزيدة (الراجع إلى الله).

(٢) في الأصل (لا - لا)، وفي المجمل ثلاثة أشهر وعشرون يومًا، وفي كزيدة وأربعون يومًا، وفي أبي الفداء ثلاثة أشهر أو أربعون يومًا، وعند سعيد نفيسي تسعة أشهر.

(٣) في الأصل (حط ماطل) بدون تنقيط، وعند سعيد نفيسي (خط باطل).

وفي كزيدة (المؤتمن بالله)، وفي المسعودي (خيط باطل)، وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لحى الله قومًا أمروا خيط باطل   على الناس يعطي ما يشاء ويمنع

(٤) غير موجودة في الأصل الذي نقل عنه.

(٥) هكذا يقول اليعقوبي كما ذكر حبيبي، وهي في الأصل (بوسهل) فقط.

(٦) في الأصل (أبو الرنان) ؟، وعند سعيد نفيسي (أبو الزيان) ؟ وفي طبقات ناصري (أبو الذباب) بسبب أن فمه كانت تنبعث منه رائحة يجتمع حولها الكثير من الذباب، وفي المستطرف (أبو الريان)، وفي الكامل (أبو نبان)، وفي تاريخ سيستان (أبو ذنان)، وفي حبيب السير (أبو الذباب).

(٧) هكذا في الأصل، ويبدو أنها (لكل أجل كتاب) .

(٨) في المجمل خمس وأربعون أو ست وأربعون، وفي تاريخ سيستان ثمانية وأربعون، وفي المسعودي ثلاثة وأربعون، وفي الطبري ستة وأربعون أو خمسة وأربعون أو اثنان وأربعون.

(٩) بياض في الأصل كما ذكر حبيبي، وفي الطبري عشرة أو تسعة أعوام وسبعة أشهر، وفي المسعودي تسعة أعوام وثمانية أشهر.

(١٠) في الأصل (ر - د) ؟ كما ذكر حبيبي، وفي الطبري عامان وثمانية أشهر أو ثلاثة أعوام.

(١١) أنها في الأصل (ر - هـ) ؟، وفي الطبري عامان وخمسة أشهر.

(١٢) في الأصل (٦٦١ محيل يوم القيامة) ؟ بدون نقاط. وفي المسعودي (قني للحساب)، وفي المجمل (قي الحساب).

(١٣) في الأصل (و - ط - ط) ؟، وفي الطبري وفي المجمل أربعة أعوام.

(١٤) في التنبيه والإشراف (غالب مولاه)، وفي اليعقوبي (حريش مولاه).

(١٥) سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك (المجمل).

(١٦) في الأصل (يط - ط)، وفي الطبري ستة عشر عامًا وسبعة أشهر، وفي المجمل تسعة عشر عامًا وثمانية أشهر وعشرون يومًا .

(١٧) في المجمل (أم الحجاج بن محمد).

(١٨) في المجمل أربعون أو اثنان وأربعون، وفي المسعودي أربعون عامًا.

(١٩) في المسعودي والمجمل عام وشهران.

(٢٠) وفي المجمل (شاه أفريد بنت أفيروز بن يزدجرد بن شهريار)، وفي المسعودي (سارية بنت فيروز)، وفي طبقات ناصري (شاه برى بنت فيروز بن كسرى بن يزدجرد)، وفي الكامل (شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد)، وفي اليعقوبي (ساه فريد بنت فيروز بن كسرى).

(٢١) في المجمل (ثابت بن سليمان على الرسائل، ونصر بن عمرو الحميري على الخراج والخاتم، وحميد بن مخارق على أمور الجيش)، وفي اليعقوبي (حاجبه جبير مولاه).

(٢٢) ذكر نفيسي (نعم نعيم)، وفي المجمل (يا زيد قم بالحق)، وفي الكامل (العظمة لله).

(٢٣) في المجمل أربعون أو اثنان وأربعون. وفي المسعودي سبعة وثلاثون أو ستة وأربعون.

(٢٤) ذكر المسعودي خمسة أشهر وليلتين، وفي المجمل شهران وتسعة أيام، وفي الطبري ستة أشهر.

(٢٥) في المجمل (أمه أم ولد الخراسانية)، وفي اليعقوبي (سعار أم ولد).

(٢٦) وفي المجمل (توكلت على الحي).

(٢٧) في المجمل أربعون.

(٢٨) في الأصل (٥ - بى) ؟، وفي المسعودي أربعة أشهر أو شهران.

(٢٩) في المجمل (أمه أم ولد كردية، اسمها لبابة)، وعند بهار (ولبابة بلباية)، بضم الأول، وفي المسعودي واليعقوبي (أم ولد يقال لها : ريا، ويقال : طروفة).

(٣٠) في الأصل غير منقوطة، ومن الممكن أن تقرأ (سقلاب)، وعند نفيسي (صقلاب)، وعند المسعودي (سكلاب مولاه).

(٣١) في المجمل (أذكرت الموت يا غافل).

(٣٢) في المجمل ثمان وستون أو تسع وستون، وفي المسعودي (سبعون أو تسع وستون).

(٣٣) في الأصل (هى)، وفي المجمل والمسعودي (خمسة أعوام وشهران).

والسبب[٨] في سقوط بني أمية هو : أن جعد[٩] بن درهم مولاهم كان مروان قد رباه، وعلمه مذهبه، وحينما وصل نبأ مذهب جعد إلى هشام أرسله إلى خالد بن عبد الله حتى يقتله بالعراق. وفي زمانه ظهر في خراسان أبو مسلم صاحب الدعوة، وقد جهر بالدعوة لآل الرسول، وحارب نصر بن سيار، وأخرج نصراً من خراسان، ثم قدم نصر بن سيار إلى العراق ومات في الطريق، وأرسل (أبو مسلم) قحطبة بن شبيب إلى العراق ليفتحها. وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة، الذى كان أميراً للعراقيين من قبل مروان، لحرب قحطبة ودارت رحى الحرب بينهما ليلاً على شاطئ الفرات وقد غرق قحطبة ليلاً، ولكن انتصر جيشه، وهزموا يزيد بن عمر بن هبيرة.

وحينما علم الجند في الصباح بغرق قحطبة أمروا عليهم حسن بن قحطبة، ثم اتجهوا إلي الكوفة، وأسندوا الخلافة إلى عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس الملقب بالسفاح، وأرسل السفاح عمه عبد الله بن علي لحرب مروان، وحارب عبد الله مروان حرباً ضروساً انتصر فيها عبد الله، وهرب مروان، وتعقبه جيش عبد الله حتى عبروا نهر النيل، وأخيراً أدركوه في مصر في قصبة عين شمس، حيث قتلوه هناك.

واختتمت به دولة بني أمية، وانتهى أمرهم، ووصلت الخلافة إلى العباسيين، وجاء في ديوان[١٠] الأدب في كتاب ذوات الثلاثة في آخر باب : إن الفيوم – من أرض مصر – قتل بها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

الهوامش

(١) ورد في الأصل كلمة "طبقة" حتى الطبقة الخامسة، وفي الطبقة السادسة استعيض عنها بكلمة "الباب".
وقد ورد في الأصل أيضاً "الباب الثامن" ولكن لما كان الحديث متصلاً - ولا يشعر القارئ فيه بنقص أو حذف وكذلك لم يشر المؤلف إلى ما يفيد وجود طبقتين زائدتين على ما في الأصل - فإن الأستاذ حبيبي قد صحح العبارة إلى "الباب السادس" واستمر على هذا الإطلاق والترتيب حتى نهاية الكتاب (المترجم).

(٢) استخدم الجرديزي في جداوله حساب الجمل، وقد تحدثنا عنه في أول الكتاب .

(٣) تقول مصادر السيرة النبوية : إن رسول الله ﷺ ولد بمكة صبيحة يوم الإثنين التاسع من ربيع الأول، الموافق للعشرين من أبريل سنة ٥٧١م بعد حادث الفيل بأقل من شهرين. (المترجم).

(٤) تقول مصادر السيرة : إنه ﷺ قد توفي أبوه وهو ﷺ في بطن أمه. (المترجم).

(٥) تقول بعض مصادر السيرة : إن أمه ﷺ قد توفيت وكان عمره خمسة أعوام. (المترجم).

(٦) تقول كتب السيرة : إن القبائل التي اشتركت في بناء الكعبة قد اختلفت حول من يحظى بشرف وضع الحجر الأسود، فأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة أن يحكموا أول داخل من باب الصفا. فكان أول داخل هو الرسول ﷺ فارتضوه حكماً فأمر ﷺ فأحضروا ثوباً ووضع ﷺ الحجر في وسط الثوب ثم أمر القبائل جميعاً فأمسكوا بأطراف الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى الكعبة فحمله ﷺ ووضعه في مكانه. (المترجم).

(٧) كانت بداية نزول القرآن الكريم في شهر رمضان المعظم كما يذكر الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (سورة البقرة - ١٨٥) - (المترجم) .

(٨) يقرر حبيبي : أن هذا الجزء من الكتاب في الأصل المخطوط قد جاء في غير موضعه، ومن الجائز أن يكون كذلك في الأصل الذي نسخ عنه الناسخ نقله كما هو، وقد أصلح الأستاذ حبيبي هذا الجزء فوضعه في الموضع المناسب من الكتاب، ثم يصرح الأستاذ حبيبي قائلاً : إنه من الواضح أنه قد فقد جزء من أصل هذا المبحث، وأنه قد أضاف كلمات وضعها بين القوسين حتى يربط بها الكلام.

(٩) في الأصل (جعد) وقد عدل اللفظ حبيبي إلى (جعدة)، ونبه في الهامش على الأصل ووضع بجانبه علامة الاستفهام، مع أن الأصل هو الصحيح دون تصويب حبيبي.

(١٠) ديوان الأدب كتابٌ في اللغة وقواعد النحو العربي، تأليف إسحاق بن إبراهيم الفارابي خال الجوهري اللغوي المعروف توفي عام ٣٥٠هـ، وهذا الكتاب في خمسة أقسام. ويقول القفطي: إنه ألف في مدينة زبيد، وقد أكمل الإمام أبو سعيد محمد بن جعفر هذا الكتاب في عشر مجلدات، وقد لخصه حسن بن مظفر النيشابوري المتوفى عام ٤٤٢هـ، وكتب الأستاذ سعيد نفيسي في حاشيته أن حاجي خليفة كتب خطأ أن ديوان الأدب ألف باسم أتسز بن خوارزم شاه؛ مع أن أتسز حكم من ٥٢١ إلى ٥٥١هـ، ويبدو أن هذا الكتاب ألف باسم أبي سعيد أحمد بن محمد خوارزم شاه مؤسس الأسرة المأمونية في خوارزم التي حكمت من ٣٤٠هـ إلى ما بعد ذلك.

الباب السابع

فى أخبار خلفاء وملوك الإسلام

أبو بكر الصديق

هو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن كعب بن لؤى بن غالب.

وقد تولى الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة يوم وفاة الرسول ﷺ ، وصلى معه عمر بن الخطاب، وكان اسمه فى الجاهلية "عبد الكعبة"، وحينما أسلم أسماه الرسول ﷺ : "عبد الله".

وفى عهده ارتدت بعض قبائل اليمامة، وامتنعوا عن إخراج الزكاة، فحاربهم، وقتل الكثير منهم حتى أطاعوه وتابوا، وفى سنة إحدى عشرة أرسل عمر بن الخطاب فحج، وفتح اليمامة، وقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى، وفى عام اثنى عشر حج، وحينما وصل إلى المدينة أرسل جيشاً إلى الشام عام ثلاثة عشر، وحينما مات قفلوا عائدين من الطريق، وأولاده ﷺ هم : عبد الله، ومحمد، وأسماء ، وعائشة.

عمر بن الخطاب

وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وهو الذى جهر بإسلامه على

باب الكعبة، وفرق بين الحق والباطل ولهذا السبب لقبوه بالفاروق. وتمت فى خلافته كثير من الفتوحات للمسلمين، فقد فتحت مدن كثيرة مثل بيت المقدس ودمشق صلحًا على يد خالد بن الوليد، وفتحت ميسان واليرموك والأهواز على يد أبى موسى الأشعرى، وفتحت نهاوند على يد النعمان بن مقرن.

وفى خلافته كانت موقعة القادسية، فقد واجه جيش خالد بن الوليد جيش العجم، والتحم الجيشان فى صحراء القادسية، وهزمت جيوش العجم، وفر ملكهم يزدجرد ابن شهريار، فتقدم خالد بن الوليد وفتح العراق، وحمل خزائن ملوك العجم وكنوزهم التى كانوا قد اكتنزوها منذ أربعة آلاف سنة، وأرسل إلى المدينة نصيب عمر.

وكان فتح العراق عام ثمانية عشر (هجرية). وأبناؤه ﷺ هم : عبد الله، وحفصة، وعبيد الله، وعاصم، وفاطمة، وأبو شحمة عبد الرحمن. وقد قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة.

عثمان بن عفان

وهو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة، وكنى أيضًا بأبى عبد الله، وتزوج ببنتى رسول الله ﷺ ، وكان معطاءً عظيم الجود والإنعام، وحينما تولى الخلافة أرسل بأول جيش إلى الرى بقيادة أبى موسى الأشعرى وفتحها، ثم فتح الإسكندرية، فشابور، ثم إفريقية، ثم قبرص من سواحل بحر الروم، ثم مرو على يد عبد الله بن عامر بن كريز.

وأبناؤه ﷺ هم : عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعمر، وأبان، وخالد، وعمرو، وسعيد، والوليد، وأم سعيد، والمغيرة، وعبد الملك، وأم أبان، وأم عمر، وعائشة.

وكان يمكث فى بيته حينما قصده الغوغاء، وحاصروا المنزل عليه ثم اقتحموه وقتلوه ﷺ وهو يضع أمامه المصحف يتلوه، تخضب ذلك المصحف بدمائه (الزكية)، وهو باقٍ هكذا حتى الآن. وهو الذى جمع القرآن ورتبه، كما أودع الغنائم بيت المال، ورتب العشرينية[١] للجيش، وأودع دخل بيت المال فى الخزائن.

علـى بن أبـى طـالـب كـرم اللـه وجـهـه

وهو أبو الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ ، لقبه : حيدر الكرار، وهو أول من آمن بالرسول ﷺ ودخل فى الإسلام.

وكان المدافع عن الإسلام، الضارب بسيف الدين، ويقولون : إنه لم يضرب كائنًا حيًا أكثر من ضربة واحدة إلا وقتله فى الضربة الأولى.

أبناؤه هم : الحسن، والحسين، ومحسن، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، وهؤلاء جميعًا من فاطمة بنت رسول الله ﷺ . ومن نسائه الأخريات : محمد، وعبيد الله، وأبو بكر، وعمر، ورقية، ويحيى، وجعفر، وعباس، وعبد الله، ورملة، وأم الحسن، وأم كلثوم الصغرى، وجمانة[٢]، وميمونة، وخديجة، وفاطمة، وأم الكرام، ونفيسة، وأم سلمة، وأمامة، وأم أبيها.

حارب فى موقعة الجمل عام ست وثلاثين (هجرية)، وحارب معاوية فى موقعة صفين سنة سبع وثلاثين (هجرية).

وصرف معاوية وأهل الشام كل جهدهم فى الحيلة والخداع، كما كان عمرو بن العاص يدبر لمعاوية. وقد فعل معاوية بمشورته الخدع حتى استولى على الملك، وقد امتدحه رسولنا محمد ﷺ ، وقال : " إن ابنى هذين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما" يعنى : الحسن والحسين وأبوهما على خير منهما، وقد رويت كثير من الأخبار عن فضائله، ونزلت آية فى شأنه ﷺ . وأخيرًا قتل واستشهد على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى.

الحسـن بن علـى بن أبـى طـالـب

كنيته : أبو محمد، وهو حفيد الرسول ﷺ ، وكان مختارًا من الله عز وجل، ممدوحًا من الرسول ﷺ ، ويقولون : لم يكن هناك قط من يشبه الرسول أكثر منه،

وبايعوه فى الكوفة فى المكان الذى يطلق عليه : المسكن، وكان معاوية أمير الشام، فقدم إلى المسكن، وتدخل السفراء والوسطاء بينهما، وظلوا يتحدثون حتى جعلوا الحسن يندم، وحينما أدرك أنه لا يستطيع مقاومة معاوية بسبب حيله وخدعه استجاب رغمًا عنه، وسلم له مقاليد الأمور.

وعندما تم هذا الأمر، ذهب معاوية إلي الشام ورجع الحسن إلى المدينة، ونصب المغيرة بن شعبة أميرًا على الكوفة، وعبد الله بن عامر على البصرة، ويقولون : إن معاوية أعطى لامرأة الحسن – واسمها : جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندية – خمسمائة ألف درهم حتى دست السم للحسن ﵁ ، فأثر فيه ومات بسببه.

عصر ولاية بنى أمية

حينما تولي الخلافة أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس قال له عمرو بن العاص : لست مستحقًا لهذا الأمر، ولقد وصلت إلى ما بلغته صدفة، فإذا ألفت بين الرعية، فسيبقى الملك لك ولأبنائك، وإذا ظلمت فسوف يضيع منك، وتذهب روحك في سبيله، وحينما وصلت خلافة بني أمية إلى مروان، الذى يلقبونه بالحمار، خرج أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم فى خراسان، وحارب نصر بن سيار، وهزمه فهرب من خراسان، وقدم إلى العراق، ومات هناك.

وقد هزم أبو مسلم مروان الحمار فى العراق فهرب مروان إلي مصر، فأرسل أبو مسلم جيشًا فى أثره، وأدركوه في مصر في مدينة عين شمس، وقتلوه وأتوا برأسه إلى أبي مسلم. وظهرت دولة بنى العباس، وتولي الخلافة المهدى أبو العباس عبد الله بن محمد ابن علي السفاح رحمة الله عليه. وقد أوردت هنا تاريخ العباسيين على النحو الذى أوردته عن بني أمية، وأضفت فى هذا الجدول أسماء الوزراء وأسماء القضاة. وهذا هو الجدول الذى وضعته[٢] :

الألقاب	السفاح	المنصور	المهدى	الهادى	الرشيد	الأمين	المأمون	المعتصم بالله	الواثق	المتوكل على الله
الكنى	أبو العباس	أبو جعفر	أبو عبد الله	أبو محمد[١٨]	أبو جعفر	أبو عبد الله	أبو العباس	أبو إسحاق	أبو جعفر	أبو الفضل
الأسماء	عبد الله بن محمد بن على	عبد الله بن محمد بن علي	محمد بن عبد الله المنصور	موسى بن محمد المهدى	هارون بن المهدى	محمد بن هارون الرشيد	عبد الله بن هارون الرشيد	محمد بن هارون الرشيد	المعتصم هارون ابن محمد	المعتصم جعفر ابن محمد
الأمهات	ريطة بنت عبيد الله	سلامة بنت زيد	أم موسى بنت منصور[١٢]	الخيزران	الخيزران	زبيدة بنت جعفر	مراجل الباذغيسي	مارده[٢٤]	قراطيس الرومية	شجاع الطخارية
الوزراء	أبو سلمة الخلال	خالد بن برمك رحمه الله	أبو عبد الله[١٣]	الربيع بن يونس	الفضل بن الربيع ويحيى بن خالد	الفضل بن الربيع	الفضل بن سهل	عمر[٢٥] ابن سعد	محمد بن عبد الملك	عبد الله[٢٩] ابن يحيى
القضاة	يحيى بن سعيد	عثمان بن[١٠] عمر التميمي	ابن علاثة العقيلي[١٤]	يعقوب بن داود	أبو يوسف	إسماعيل بن حماد	يحيى بن أكثم والواقدي	أحمد بن أبى عبد الله	أحمد بن أبى عبد الله	جعفر بن عبد الواحد
الكتّاب	أبو الجهم ابن عطية	عبد الحميد ابن يحيى	عبد الله بن معاوية[١٥]	-	عون بن عبد الله	إسماعيل بن الصبيح	أبو عبادة ثابت ابن يحيى	أحمد بن عبادة	أحمد بن أبى داود	أحمد بن أبى داود والفضل[٣٠]
الحُجّاب	خالد بن هيثم	شريك بن عبد الله	الحسن بن عثمان[١٦]	الفضل بن الربيع[١٩]	العباس بن الفضل	العباس بن الفضل	الحسن بن سهل	وصيف التركى	وصيف	بوغا الكبير
نقش الأختام	الله ثقة عبد الله	الله ثقة عبد الله وبه يؤمن[١١]	العزة لله[١٧]	الله العظيم	بالله يثق هارون	حسبى القادر[٢١]	الله ثقة عبد الله وبه يؤمن[٢٢]	اعتصمت بالله[٢٦]	الواثق بالله[٢٨]	توكلت على الله[٣١]
العمر	ثلاثة وثلاثون	خمسة وستون	خمسة وأربعون	ستة وعشرون	خمسة وأربعون	ثمانية وعشرون	ثمانية وأربعون[٢٣]	تسعة وأربعون[٢٧]	ستة وثلاثون	أربعون
ابتداء الخلافة	مائة واثنان وثلاثون	مائة وست وثلاثون	مائة وثمانية وخمسون	مائة وتسع وستون	مائة وسبعون	مائة وثلاثة وتسعون	مائة وثمانية وتسعون	مائتان وثمانية عشر	مائتان وسبعة وعشرون	مائتان واثنان وثلاثون
عهد الخلافة	د[١]	كب[٢]	ى[٣]	أ[٢٠]	كج[٤]	بو[٥]	كا[٦]	ح ح[٧]	هـ[٨]	يه[٩]

هوامش الجدول

(١) في الأصل (ر - ر ؟)، وفي المسعودي أربعة أعوام وتسعة أشهر، وفي المجمل أربعة أعوام وستة أشهر.

(٢) في الأصل (ر - ر ؟)، وفي الطبري اثنان وعشرون عامًا، وفي المجمل واحد وعشرون عامًا وأحد عشر شهرًا.

(٣) في الأصل (سا ؟) وفي المسعودي عشرة أعوام وشهر ونصف، وفي المجمل عشرة أعوام وشهر واثنا عشر يومًا.

(٤) في الأصل (د - ك ؟)، وفي المسعودي ثلاثة وعشرون عامًا وستة أشهر، وفي المجمل ثلاثة وعشرون عامًا وسبعة أيام، وفي الطبري ثلاثة وعشرون عامًا وشهران وثمانية عشر يومًا.

(٥) في المجمل أربعة أعوام وخمسة أشهر.

(٦) في الأصل (رما ؟)، وفي المجمل خمسة وعشرون عامًا وخمسة أشهر، وفي المسعودي واحد وعشرون عامًا، وفي الطبري عشرون عامًا وخمسة أشهر، وفي اليعقوبي اثنان وعشرون عامًا.

(٧) لم تكن واضحة بالأصل، وفي المجمل والمسعودي ثمانية أعوام وثمانية أشهر، وفي اليعقوبي ثمانية أعوام.

(٨) في الأصل (ط)، وفي المجمل خمسة أعوام وستة أشهر، وفي المسعودي واليعقوبي خمسة أعوام وتسعة أشهر.

(٩) في الأصل (و ؟)، وفي المجمل واليعقوبي أربعة عشر عامًا وتسعة أشهر.

(١٠) بياض في الأصل، والنص مقتبس من اليعقوبي.

(١١) في المجمل (الحمد لله كله)، وفي التنبيه والإشراف (ثقة محمد).

(١٢) بياض في الأصل، والنص مقتبس من الطبري واليعقوبي والمجمل.

(١٣) هو يعقوب بن داود كما في اليعقوبي والمجمل.

(١٤) بياض في الأصل، والنص مقتبس من اليعقوبي.

(١٥) في المجمل أبو عبد الله معاوية بن عبد الله بن يسار.

(١٦) في اليعقوبي حاجبه الربيع مولاه.

(١٧) بياض في الأصل، وفي المجمل (العزة لله عز وجل، أو فوضت أمري إلى الله) ويبدو أن حبيبي قد اختصر نص المجمل.

(١٨) في الأصل المخطوط كرر الناسخ الاسم في خانتي الأسماء والكنى، وقد اقتبس المحقق الكنية الصحيحة من الطبري، على أن المسعودي يذكر (أبو جعفر) بدلاً من (أبو محمد).

(١٩) كتب الناسخ في هذا المكان : مطلب نقش الأختام، وقد اقتبس المحقق الاسم الصحيح من اليعقوبي.

(٢٠) في الأصل (ك ؟)، وفي المسعودي عام وثلاثة أشهر، وفي المجمل واليعقوبي عام وشهران.

(٢١) في التنبيه والإشراف (نعم القادر الله، سائل الله لا يخيب).

(٢٢) كلمة (ثقة) غير موجودة في الأصل، واقتبسها المحقق من المجمل .

(٢٣) في المجمل خمسة وأربعة أشهر، وفي المسعودي تسعة وأربعون سنة، وفي اليعقوبي ثمانية وأربعون عاماً وأربعة أشهر.

(٢٤) هكذا في المعارف واليعقوبي والكامل، أما في المسعودي فهي (مارية بنت شبيب).

(٢٥) في المسعودي (محمد بن عبد الملك).

(٢٦) في المجمل (سل الله يعطيك)، وفي التنبيه (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء).

(٢٧) في المجمل خمسة وأربعون عاماً وسبعة أشهر، وفي المسعودي ستة وأربعون عاماً وعشرة أشهر، وفي الطبري ستة وأربعون عاماً وسبعة أشهر أو سبعة وأربعون عاماً وشهران، وفي اليعقوبي تسعة وأربعون عاماً.

(٢٨) في المجمل (الواثق بالله يؤمن).

(٢٩) هكذا في المسعودي والمجمل واليعقوبي، أما في الأصل فهي (عبد الله).

(٣٠) في الأصل (محمد ؟).

(٣١) في المجمل (المتوكل على الله).

الألقاب	المنتصر بالله	المستعين بالله	المعتز بالله	المهتدي بالله	المعتمد على الله	المعتضد
الكنى	أبو جعفر	أبو إسحاق	أبو عبد الله	أبو عبد الله	أبو العباس	أبو العباس
الأسماء	محمد بن جعفر المتوكل	أحمد بن المعتصم	محمد بن جعفر المتوكل[٣١]	محمد بن هارون الواثق	أحمد بن جعفر المتوكل	الموفق أحمد بن أبي أحمد
الأمهات	حبيشة الرومية	مخارق	فتحية الرومية	قرب الرومية	فتيان	ضرار
الوزراء	أحمد بن الخصيب	أبو صالح[٢٩]	أحمد بن إسرائيل	جعفر بن محمود	عبد الله بن يحيى[٣٤]	أبو القسم عبيد الله بن سليمان
القضاة	جعفر بن عبد الواحد	سليمان بن علي	جعفر بن محمد	الحسين بن محمود	ابن أبي السوداء	إسماعيل بن إسحاق
الكتّاب	سليمان بن وهب	[٢]	جعفر بن محمد	– [٩]	صالح بن أحمد[٣٥]	القاسم بن عبيد الله[٣٧]
الحُجّاب	وصيف	أوتامش	[٦]	صالح بن يوسف	[١٣]	فتح وخفيف
نقش الأختام	انتصرت بالله[٢٧]	[٣]	المعتز بالله	[١٠]	المعتمد على الله	[١٦]
العمر	خمسة وثلاثون[٢٨]	ثمان وعشرون[٣٠]	[٧]	خمسة وثلاثون[٣٣]	[١٤]	واحد وثلاثون[٣٨]
ابتداء الخلافة	مائتان وستة وأربعون	[٤]	مائتان وإحدى وخمسون[٣٢]	[١١]	مائتان وست وخمسون	– [٣٩]
مهد الخلافة	و [١]	د [٥]	د [٨]	ز [١٢]	كج[٣٦]	ى [٤٠]

الألقاب	المكتفي بالله	المقتدر بالله	القاهر	الراضي بالله	المتقي بالله	المستكفي بالله
الكنى	أبو محمد	أبو الفضل	أبو منصور	أبو العباس	أبو إسحاق	أبو القاسم
الأسماء	على بن أحمد المعتضد	جعفر بن أحمد المعتضد(٤٣)	محمد بن أحمد المعتضد(٤٧)	محمد بن جعفر المقتدر	إبراهيم بن جعفر المقتدر	عبد الله بن على المكتفى
الأمهات	جيجك التركية(٤١)	شعب	قبـول	ظلوم	خلوب الرومية	غصن
الوزراء	قاسم بن عبيد الله	على بن موسى	محمد مقلة	أبو القاسم بن سليمان	الحسن بن ميمون(٥٢)	أبو الفرج السامرى
القضاة	يوسف بن يعقوب	الحسن بن القاسم	أبو جعفر محمد بن القاسم	أبو الحسن عمر بن محمد	أبو الحسن بن محمد(٥٣)	محمد بن قريعة
الكُتّاب	العباس بن الحسين	سليمان بن حسن	أبو العباس	الزكـى	سـلامة	أحمد خاقان
الحُجّاب	(١٩)	سوسن(٤٤)	(٢٤)	أبو الحسن بن سعيد بن عمر	أبو العباس الأصفهانى	أبو محمد الخلادى
نقش الأختام	(٢٠)	النصب بالله(٤٥)	(٤٩)	رضيت بالله(٥١)	المتقى بالله(٥٤)	الله كاف(٥٦)
العمر	(٢١)	سبعة وثلاثون	–	–	أربعة وثلاثون	سبعة وثلاثون
ابتداء الخلافة	– (٤٢)	مائتان وخمسة وتسعون	ثلاثمائة وعشرون	اثنان وعشرون وثلاثمائة	تسع وعشرون وثلاثمائة	ثلاث وثلاثون وثلاثمائة
عهد الخلافة	و	كـه (٤٦)	أو (٥٠)	ز	ر (٥٥)	أ (٥٧)

الألقاب	المطيع لله	الطايع لله	القادر بالله	القائم بأمر الله
الكنى	أبو القاسم	أبو بكر	أبو العباس	أبو جعفر
الأسماء	الفضل بن جعفر المقتدر	عبد الكريم بن الفضل المطيع(٦١)	أحمد بن إسحاق بن جعفر	أحمد بن أحمد القادر
الأمهات	مشعلة	عتب الأرمنية	(٦٤)	بدر الدجى
الوزراء	أبو الفتح(٥٨)	أبو الفتح	(٦٥)	(١٠)
القضاة	محمد بن قريعة	محمد بن قريعة	أبو الفضل	(١١)
الكتاب	بدر الشرابي	عبد الملك بن بدر	أبو الفضل محمد بن عبد الرحيم	(١٢)
الحجاب	عبد الله بن سخي	أبو محمد المهلبي	(٨)	(١٣)
نقش الأختام	المطيع لله(٥٩)	الطايع لله(٦٢)	القادر بالله	القائم بأمر الله(٦٨)
العمر	خمسة وخمسون	اثنان وأربعون	خمسة وستون(٦٦)	–
ابتداء الخلافة	أربع وثلاثون وثلاثمائة	أربع وستون وثلاثمائة	إحدى وثمانون وثلاثمائة	ثلاث وعشرون وأربعمائة
مدة الخلافة	ل (٦٠)	يز (٦٣)	ما (٦٧)	– (٦٩)

هوامش الجداول

(١) فى الأصل (سر - أو ؟)، وفى الطبرى واليعقوبى ستة أشهر.

(٢) خالية.

(٣) بياض فى الأصل، وفى المجمل (أحمد بن محمد، أو : رأفة الله يا أحمد).

(٤) بياض فى الأصل، وفى المسعودى والمجمل مائتان وثمانية وأربعون.

(٥) فى الأصل (دو)، وفى المسعودى ثلاثة أعوام وثمانية أشهر، وفى المجمل ثلاثة أعوام وتسعة أشهر.

(٦) خالية .

(٧) بياض فى الأصل، وفى المجمل واليعقوبى اثنان وعشرون عامًا، وفى المسعودى والطبرى أربعة وعشرون عامًا.

(٨) فى الأصل (رما ؟).

(٩) خالية.

(١٠) خالية.

(١١) بياض فى الأصل.

(١٢) فى الأصل (جـ ؟).

(١٣) خالية.

(١٤) بياض فى الأصل، وفى المجمل تسعة وأربعون سنة وستة أشهر، وفى المسعودى ثمان وأربعون سنة.

(١٥) خالية.

(١٦) بياض فى الأصل، وفى المجمل (ابن طلحة).

(١٧) خالية.

(١٨) خالية.

(١٩) خالية.

(٢٠) فى المجمل (على بن أحمد).

(٢١) فى المجمل ستة وثلاثون عامًا، وفى المسعودى أحد وثلاثون عامًا، وفى الطبرى اثنان وثلاثون عامًا .

(٢٢) خالية.

(٢٣) خالية.

(٢٤) خالية.

(٢٥) خالية.

(٢٦) خالية.

(٢٧) في التنبيه (محمد بالله ينتصر).

(٢٨) في طبقات ناصري عشرون عامًا، وفي الكامل أربعة وعشرون عامًا، وفي المسعودي والطبري خمسة وعشرون عامًا، وفي اليعقوبي خمسة وعشرون عامًا وستة أشهر.

(٢٩) هو عبد الله بن محمد بن يزداد. كما في المجمل والكامل.

(٣٠) في المجمل سبعة وخمسون عامًا، وفي المسعودي خمسة وثلاثون.

(٣١) في المسعودي (الزبير بن جعفر المتوكل).

(٣٢) في المجمل واليعقوبي مائتان واثنان وخمسون.

(٣٣) في المجمل ثمان وثلاثون سنة، وفي الطبري ثمان وعشرون سنة، وفي المسعودي تسع وثلاثون سنة.

(٣٤) في الأصل (ابن يحيى بن ؟)، وفي الطبري : عبد الله بن يحيى بن خاقان، وفي المسعودي واليعقوبي عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

(٣٥) في الأصل (صالح أحمد بن ؟)، وفي المجمل (أحمد بن صالح بن شيرزاد).

(٣٦) في الأصل (ط)، وفي المجمل والمسعودي والطبري ثلاث وعشرون سنة.

(٣٧) هكذا في المجمل والمسعودي والطبري، أما في الأصل فهو (القاسم بن عبد الله).

(٣٨) في المجمل أربع وأربعون سنة وخمسة أشهر، وفي المسعودي أربعون عامًا وعدة أشهر.

(٣٩) بياض في الأصل، وعند أكثر المؤرخين مائتان وتسع وسبعون.

(٤٠) في الأصل (و ؟)، وفي المجمل عشرة أعوام وثمانية أشهر، وفي المسعودي تسع سنوات وتسعة أشهر.

(٤١) في الأصل (محال الركية)، وفي الطبري والكامل (أم ولد تركية تسمى جيجك)، وفي المسعودي (ظلوم) وفي المجمل (سرمشك البربرية).

(٤٢) كتب سهواً في الأصل عام جلوس المقتدر، أما عام جلوس المكتفي فهو مائتان وتسعة وثمانون كما في الطبري والمسعودي.

(٤٣) يقرر حبيبي أن الوارد في النص هو رأي جمهور المؤرخين، أما الأصل المخطوط فهو (جعفر بن محمد ابن أحمد؟).

(٤٤) الأصل المخطوط (منوس ؟)، ولم يشر إلى مصدره في تغيير النص إلى (سوسن).

(٤٥) في المجمل (يا جعفر ثق بالله)، وفي نفيسي (المقتدر بالله).

(٤٦) في الأصل (بهر ؟)، وفي المسعودي أربعة وعشرون عامًا وأحد عشر شهراً، وفي المجمل واحد وعشرون عامًا وشهران، وفي طبقات ناصري خمس وعشرون سنة.

(٤٧) في الأصل (المعتضد بالله)، وما في المتن يوافق رأي جمهور المؤرخين.

(٤٨) فى المجمل (أحمد الخصيب)، وفى صلة الطبرى (أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب) وفى نفيسى (النجمى) دون إشارة إلى مصدره.

(٤٩) بياض فى الأصل، وفى المجمل (محمد بن أحمد).

(٥٠) يعني عامًا واحداً وستة أشهر، وإلى هذا ذهب كل من المجمل والمسعودى وطبقات ناصرى.

(٥١) فى المجمل (يا عدتى عند شدتى).

(٥٢) فى المسعودى (أبو الحسن أحمد بن ميمون).

(٥٣) هو أبو الحسن محمد بن حسين بن أبى الشوارب، قاضى بغداد، ولد فى سنة ٢٩٢هـ، وتوفى فى ٣٤٧هـ (راجع : أبو الفدا).

(٥٤) فى المجمل (إبراهيم بن المقتدر بالله يثق).

(٥٥) فى المسعودى والمجمل ثلاثة أعوام وأحد عشر شهراً وثلاثة وعشرون يومًا .

(٥٦) فى التنبيه والإشراف (المستكفى بالله).

(٥٧) فى الأصل (لو ؟)، وفى المجمل والمسعودى وطبقات ناصرى عام واحد وأربعة أشهر.

(٥٨) هو الوزير المعروف بابن العميد، والمشهور بذى الكفايتين.

(٥٩) فى الأصل (الله) فقط، وفى المجمل (بالله المطيع يثق).

(٦٠) فى الأصل (د ؟)، وفى المجمل وأبى الفدا وطبقات ناصرى تسعة عشر عامًا وستة أشهر ونصف.

(٦١) فى الأصل (ابن عبد الله بن المطيع ؟)، وما فى المتن إنما هو اتباع لرأى الجمهور.

(٦٢) فى المجمل (بالله يثق الطائع).

(٦٣) فى الأصل (لو ؟)، وفى المجمل سبعة عشر عامًا وأربعة أشهر، وفى طبقات ناصرى سبعة عشر عامًا وتسعة أشهر.

(٦٤) فى المجمل (أمه أم ولد اسمها إيمنى)، وفى الكامل (دمنة أو تمنى).

(٦٥) بياض فى الأصل، وفى المجمل (سعيد بن ضر).

(٦٦) فى طبقات ناصرى ثلاثة وتسعون عامًا، وفى الكامل ستة وثمانون عامًا.

(٦٧) الأصل غير واضح، وفى المجمل والطبقات وأبى الفدا واحد وأربعون عامًا وعدة أشهر.

(٦٨) فى المجمل (ما الثقة إلا بالله).

(٦٩) بياض فى الأصل، ويقرر المحقق أن هذا الكتاب - أعنى : زين الأخبار - قد ألف فى عهد السلطان عبد الرشيد بن محمود الغزنوى، وعهده يبدأ من سنة ٤٤١هـ إلى سنة ٤٤٤هـ، ومعنى هذا أن الكتاب قد ألف وكان القائم بالله حيا، وقد مات القائم بالله سنة ٤٦٧هـ (المترجم).

الهوامش

(١) اتفق المؤرخون المسلمون على أن الذى رتب ديوان الخراج وأمور الجند هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، وليس الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقول الجرديزى هذا يبعث على التأمل. والعشرينية بالفارسية "بيستگانى" وهى المرتب الذى كان يتقاضاه كل جندى، ومقداره عشرون درهمًا، وكان يدفع أربع مرات فى العام، وقد تغير بعد ذلك المقدار والموعد ولكن ظلت الكلمة مستعملة.

(٢) هكذا فى الأصل، وعند الطبرى والمعارف والكامل. أما كزيدة وفصيحى فهى (حمامة؟).

(٣) سبق أن ذكر الجرديزى جدول خلفاء بنى أمية مع جدول الخلفاء الراشدين.



خلافة ودولة بنى العباس بن عبد المطلب

أبو العباس السفاح

حينما قتل مروان، وعلا شأن أبي مسلم الذى كان يأتمر بأمر إبراهيم الإمام ﷺ؛ وحينما ضعف أمر الخصوم أرسل أبو مسلم رسولاً إلى مدينة الرسول ﷺ. وأخبر إبراهيم الإمام ﷺ أن خراسان والعراق قد خلتا من الخصم. ولما وصل رسول أبى مسلم إلى إبراهيم الإمام ﷺ كان مروان الحمار[1] لا يزال حيا فى ذلك الوقت، وقد تصادف أن مروان قد أرسل شخصًا مع خمسمائة فارس؛ ليحملوا إبراهيم الإمام مع أهله إلى دمشق. وعندما رأى إبراهيم ذلك، جعل أخاه أبا العباس وليا للعهد؛ وقال للرسول : إن هذا الشاب أخى، وهو ولى عهدى، فقل لأبى مسلم أن يجلوا شأنه. أما هو فقد ذهب إلى رسول مروان، وقد أودع هذا الرسول جميع الأطفال والحاشية في منزل وأمر بإغلاق بابه عليهم، فحفر رسول أبى مسلم طريقًا تحت الأرض من حديقة فى أطراف المدينة، ولما أتم حفر الطريق أخرجوا كل الأولاد منه، ثم ذهب هذا الرسول إلى البادية حيث توفى فيها. ووصل أبو العباس وشقيقه أبو جعفر مع الأطفال والنساء إلى الكوفة، وكان أبو سلمة الخلال أميرًا للكوفة بأمر أبى مسلم، وحينما توفى إبراهيم الإمام، كان ميل أبى سلمة إلى العلويين؛ فلم يستجب لأبى العباس، وظل يدافع عن ذلك، حتى دخل أبو العباس رغمًا عنه إلى الكوفة، فلم ير أبو سلمة بدًا فقدم إليه وبايعه يوم الجمعة فى الرابع عشر من ربيع الثانى سنة مائة واثنين وثلاثين.

وحينما تولى الخلافة أرسل الجيوش بقيادة عمه عبد الله بن على إلى كل أنحاء الشام، وذهب أبو عون وقحطبة في أثر مروان إلى مصر، وقتل عامر بن إسماعيل مروان وقطع رأسه وأرسلها إلى أبى العباس، وسألوا مروان بعد هزيمته : لماذا وصلت

إلى تلك الحال ؟ قال : السبب هو إهمال رسائل نصر بن سيار[٢]. وأرسل أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى خراسان ليأخذ بيعة أبي مسلم وكل عظماء خراسان، وأطلع أبو العباس أبا مسلم على أحوال أبي سلمة الخلال، فأرسل إليه أبو مسلم مرار بن أنس فحاربه وقتله، وحينما استقام أمر الخلافة لأبي العباس السفاح واستراح فؤاده بايع من بعده أخاه أبا جعفر المنصور، ومن بعده علي بن عيسى، ومات أبو العباس في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة.

أبو جعفر

حينما تولى الخلافة أبو جعفر عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بايعه كل الناس، إلا عمه عبد الله بن علي الذي كان في الشام ثم قصد العراق، وأرسل المنصور إلى أبي مسلم فحارب عبد الله بن علي وهزمه في نصيبين وغنم كل أمواله وأسره وأرسله إلى المنصور.

ولما قام أبو مسلم بكل هذه الأعمال وتمت على يديه كل هذه الأمور لم يسر هذا كله المنصور وخاف على نفسه منه، وعاد ذات يوم إليه وعنفه كثيراً وغضب عليه، وأمر فقتلوه أمامه. وكان أبو العباس قد جعل علي بن عيسى وليًا للعهد بعد المنصور فلم يرض المنصور بهذا، وأراد أن تسترد البيعة من علي بن عيسى وأن يجعلها لابنه أبي عبد الله محمد المهدي، فاحتال كثيراً، ووسط الناس وأغرى علي بن عيسى بالمال والولاية فلم يستجب ولم يخلع نفسه، فشغل أبو جعفر بتدبير الحيل حتى يقضي على علي بن عيسى، فسلم عبد الله بن علي لعلي بن عيسى وقال له : اقتل هذا؛ لنأمن أنا وأنت. فأخفاه علي بن عيسى وقال : قتلته، وبايع المنصورَ بنو هاشم حتى يطلبوا منه عبد الله، وتشفعوا فيه فأجابهم وقال : اطلبوه من علي بن عيسى، فقال علي : لقد قتلت عبد الله بأمر أمير المؤمنين. فأنكر المنصور، وقال : أنا لم آمره، ففعلوا الكثير من الشغب، وأمسكوا بتلابيب علي بن عيسى. وقال المنصور : افعلوا ما تريدون. فاستلوا السيوف، وأرادوا القصاص من علي بن عيسى، فأتى علي أمام المنصور وقال : لقد مكرت جيداً

يا أمير المؤمنين، ولكن اذهبوا وأتوا بعبد الله حيًا، ثم سلمه للمنصور؛ فقال المنصور لعبد الله : يا عم لو أراقوا دماءك، لأرقت دماء عشرة آلاف. ثم قال له : ادخل هذا المنزل لأحدثك، فدخل المنزل ولم يره إنسان بعد ذلك. وفعل أبو جعفر كل أنواع الحيل حتى قبل على بن عيسى وخلع نفسه، وأخذ المنصور البيعة للمهدى، وأرسل لعلى بن عيسى عشرة آلاف صرة ألف ألف درهم، ووهبه الضياع والخلع النفيسة، وأعطاه إمارة الكوفة. وحينما فرغ قلبه من أمر علىّ أتم بناء بغداد، وأقام جسرًا، وأحاط البصرة والكوفة بأسوار جبى أموالها من أهل تلك المدينتين، وبنى للمهدى قصرًا فى الرصافة، ونصحه نصائح طيبة، وفى ذلك الوقت غضب على خالد بن برمك وصادر له ثلاث صرر ألف ألف درهم.

وفى عهده ثار الخوارج فى أذربيجان، فبعث بخالد بن برمك ليخمد هذه الفتنة، وفى خراسان خرج إستادسيس[٣] على رأس ثلاثمائة ألف رجل فأرسل المنصور المهدى ليقضى على هذه الفتنة، وخرج عبد الله بن الأشتر من بست ورخود[٤] وجهر بالدعوة ولكنه هرب أخيرًا، ودخل بلاد السند وأقام هناك، وأعقب كثيرًا، وذهب المنصور إلى الحج، ومرض بالإسهال، ومات بهذا المرض.

المهدى

ولى أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الخلافة فى نفس اليوم الذى توفى فيه المنصور، وبايعوه[٥] بين الركن والمقام[٦]، ولم يتهيأ هذا لخليفة غيره مطلقًا.

وحينما وصل خاتم وبردة وقضيب رسولنا ﷺ إلى المهدى مع مبارك مولى المنصور دعا الحشم وأهل بغداد إلى البيعة فاستجابوا جميعًا ، وقبلوا البيعة. واستن المهدى فى عهده سننًا حسنة فتفقد أولاً سجن بغداد، وأطلق سراح المذنبين إلا من تآمر ضد الخلافة، أو كان له خصوم يطلبون دمه، كما بنى جيشًا عظيمًا، وأرسله لفتح بلاد الروم.

وكان ابن مروان الحمار فى الشام، وظل فترة متنكرًا، وحينما أخبروا المهدى أعطاه الأمان حتى يحضر، ولما أتى إليه أعطاه الحرية فى أن يذهب إلى أى مكان يريده. كما حج وعمر مسجد رسول الله ﷺ، وأمر فأخذوا الديباج الذى كان فى الكعبة وقسموه على الفقراء، وطرح فى الكعبة ديباجًا نفيسًا نسج بالذهب كانت قيمته تعادل الأدبجة السابقة كلها.

وحينما ذهب إلى الحج حملوا القثاء والفجل على ظهور الدواب، وعلى طول الطريق تعهد لحجاج خراسان أن يؤمنهم ويقضى حوائجهم، وأمر فخلع على بن عيسى نفسه مرة أخرى، وأخرجه من العهد للرشيد، ووهبه عشرين صرة ألف ألف درهم، وأخذ البيعة لابنه موسى الهادى وجعله وليًا لعهده.

وخرج المقنع سپيد جامه[٧] فى عهده ودعا الناس إلى القول بالتناسخ ثم أظهر الأقوال الفاسدة، وافتتن به كثير من الناس، ولم يكشف وجهه لإنسان، وسبب ذلك أن وجهه كان به جرح. وحينما وصل هذا الخبر إلى المهدى أرسل المسيب بن زهير لحربه فذهب إليه وأطال الحرب معه، ومكث وقتًا طويلاً حتى قهر فى النهاية جيش المقنع واسترد القلاع التى كان أتباع المقنع قد أخذوها، وحينما وصل إلى القلعة التى بها المقنع تعب تعبًا شديدًا حتى استولى عليها، وحينما رأى المقنع ذلك تجرع السم، ووجدوه ميتًا فى القلعة فجزوا رأسه وأرسلوها إلى المهدى، وحينما هدأ قلب المهدى من أمر المقنع وفتنته سمع فى أرض الموصل وفى المكان المسمى بالموصل بيتين من الشعر، دون أن يرى قائلهما فمات فى الحال دون علة أو مرض[٨].

الهادى

وهو أبو القاسم موسى بن محمد المهدى، حينما مات المهدى كان فى طبرستان يحارب شروين[٩] وحمل نصر الحاجب الخاتم والقضيب وبردة الرسول ﷺ وسلمها إلى الهادى. وطلب منه جيش بغداد حق البيعة ولم يكن الربيع حاجبًا[١٠]، فثار الجند، واختفى الربيع، فأغاروا على منزله، ولام يحيى بن خالد الربيع، وخاف مغبة أن تقوم

الفتنة فتدخل بينهما، وتم الصلح على إعطاء رزق ثمانية عشر شهراً، وأخذوا الفضة من الخيزران أم الرشيد وأعطوها للجند حتى سكنت هذه الفتنة.

وبايع الناس جميعًا الهادي، وحينما وصلت هذه الأخبار إليه سر سروراً بالغًا من يحيى وشكره وعينه قائداً للجيش، وقدم الهادي إلى بغداد وضبط الأمور ضبطًا حسنًا.

وفي عهده خرج الحسين بن علي الحسني[١١] من المدينة، وكان عمر بن عبد العزيز أمير المدينة، وهو حفيد عمر بن الخطاب ﷺ، والسبب في ظهور الحسين العلوى هو أن عمر قبض على أبي البعث ابن عم الحسين وهو سكران، وأقام عليه الحد وحبسه، ولم يستجب لشفاعة الحسين فغضب وخرج في تلك الليلة من شهر ذي القعدة، واختفى عمر، وحارب أبو خالد البربرى الحسين، فقتل الحسين أبا خالد وهزم رجاله المائتين، وفي موسم الحج ويوم التروية حارب محمد بن سليمان الحسين بن علي الحسني وقتل الحسين وهزم جيشه، وكان هذا عام مائة وتسعة وستون.

وقد اختلفوا في موت الهادي : فبعضهم يقول : إنه مات في الموصل في مدينة يسمونها الحديثة[١٢] بعد مرض دام ثلاثة أيام، وبعضهم يقول : إن والدة الهادى كانت تكرهه؛ لأنه لم يكن يحبها وكان يظلمها، وذات يوم أكل الهادى أرزًا فأكل نصف الطبق وأرسل إلى الخيزران أمه النصف الباقي وقال : لقد أكلت نصفه فكلي أنت هذا النصف، فارتابت الخيزران وأمرت أن يضعوه أمام كلب فمات الكلب في الحال، فأجزلت الخيزران العطاء للجواري، وقالت : حينما تجدون الهادى سكران ضعوا الوسادة في فمه وقيدوا يديه ورجليه حتى يموت، ففعلوا ما أشارت به.

وحينما قص هارون الأمر على يحيى بن خالد، نصحه يحيى فتحصن لنفسه، وذهب إلى قصر المقابل[١٣]. وأقام هناك عشرة أيام، ثم رجع معه، وكان الهادى قد مات، وبعضهم يقول : إن سبب موت الهادى أنه كان يجلس مع سعيد بن سلم على أريكة، وكان نجار يعلق ستارة فقال الهادى هل يصل سهمي إلى هناك؟ فقال سعيد : أظنه يصل، فرمى بالسهم فأصاب بطن النجار ونفذ منها ومات في الحال،

فأغرق الهادي في الضحك ولم يتأثر مطلقًا، وفي الحال أخذ يحك ظهره ورجله فظهرت بهما بثور، واستمر في الحك حتى تقيحتا وصارتا جيفة نتنة، وعاش يومين ومات وكان هذا قصاصًا لدماء النجار.

الرشيد

وهو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي، استهل أول أعماله حينما ولي الخلافة بإطلاق سراح يحيى بن خالد، وكان الهادي قد سجنه، واعتزم قتله. واستوزر الرشيد يحيى بن خالد، وأمر فخلع جعفر بن الهادي نفسه فتبرم من البيعة.

وكان هارون قد أتى إلى جسر النهر، ورمى غاضبًا بالخاتم الذي كان المهدي قد منحه إياه، ثم طلبه الهادي منه، وكانت قيمة ذلك الخاتم مائة ألف دينار، وعندما ولي هارون الخلافة أمر الغواصين فغاصوا وبحثوا عنه فوجدوه وأخرجوه، فأخذه هارون ومنح الغواصين أموالاً كثيرة، وكان هذا فألاً حسنًا.

وكان عبد الله بن مالك الخزاعي هو صاحب شرطة المهدي والهادي، وكان هارون قد أقسم أن يحج ماشيًا، وحينما ولي الخلافة أراد أن يبر بقسمه فأمر عبد الله هذا ففرشوا منزلاً من بغداد إلى مكة بالفرش والأبسطة، وكان هارون يمشي عليها حتى ذهب إلى الحج وبر بقسمه، وسر هارون من عبد الله لما فعله، وجعل هارون ولاية العهد لابنه محمد ومن بعده المأمون ثم المؤتمن، وفي عهده خرج يحيى بن عبد الله الحسني، واستولى على طبرستان، فأرسل الرشيد الفضل بن يحيى (البرمكي) على رأس عشرة آلاف رجل لحربه، وأقام الفضل عامًا بمدينة الري، واحتال حتى استولى السرور والرضا على قلب يحيى، وحملوه على طلب الأمان، فقال : إنني أريد وثيقة أمان الرشيد بخط يده، فأرسل الفضل رجلاً إلى بغداد ليحضر تلك الوثيقة بضمان الهاشميين جميعًا، وأروها له وجعلوه يرحل إلى بغداد، وحينما وصل الخبر إلى هارون أمر فذهب جميع حشمه والهاشميون لاستقباله، وأدخلوه بغداد معززًا مكرمًا، ورافقه الحشم جميعًا حتى باب القصر ثم رجعوا من هناك، وكان هارون قد أمر فشيدوا له قصراً جميلاً، وأكرم وفادته سبعة أشهر.

ثم اتهمه بجرم (قائلاً له) : إن الديالمة يأتون إليك ويأخذون البيعة، وسجنه بهذا الجرم، وأمر فدسوا له السم فى الطعام وأعطوه له فى السجن حتى مات.

وقرب هارون الرشيد البرامكة إليه، خاصة يحيى بن خالد البرمكي مع أبنائه الأربعة : جعفر والفضل ومحمد وموسى، فقد اجتنبهم إليه، وعظم شأنهم، وأبلغهم إلى درجة يتعذر الوصول إلى أعظم منها، وقد دعا يحيى بالوالد، كما دعا جعفر بالأخ، واستوزره فنظم الأمور.

وأطلق أيديهم وأقلامهم وألسنتهم فى كل أمور المسلمين، فلم يقصروا فى إسداء النصح له أو البذل والعطاء للناس، أو غوث العجزة والمحتاجين، وأخبارهم معروفة، وفى النهاية جفاهم وتغير عليهم بمقولة الأعداء، وعاقبهم دون ذنب أو جرم، واستولى على كل أموالهم وأملاكهم وأنزل بهم أشد العقوبات، وقتلهم؛ والسبب فى تغير هارون : أن هارون كان يحب جعفر بن يحيى حبًا شديدًا، وكان لهارون أخت تسمى العباسة، وكان أيضًا يحبها ويكلف بها كلفًا شديدًا، وحينما كانت تجلس فى المجلس كان يأمر فيسدلوا الستائر، وكان جعفر يجلس على جانب وعلى الجانب الآخر كانت تجلس العباسة حتى يراهما هارون، وانصرم الوقت ومضى الزمان على هذا الحال. ومل هارون وتضايق، فقال لجعفر : أزوجك أختى بشرط ألا تتحدث معها أو تقترب منها، فوافق جعفر على هذا الشرط، وكانت العباسة سيدة جميلة وكان جعفر أيضًا غاية فى الجمال، ولما كانا يجلسان فى مجلس واحد وكلاهما حلال للآخر فقد نفد صبرهما، فاحتالا سرًا واجتمعا، وأولدها جعفر ولدًا أخفته، فعلمت زبيدة فأخبرت هارون أن للعباسة ابنًا من جعفر أرسلته إلى مكة، فأرسل هارون شخصًا أتاه بالخبر، وحينما انتشر الأمر وذاع تغير هارون على جعفر، ووجد الأعداء منفذًا للإثارة والتحريض وقالة السوء، فأخذوا أمام هارون يسيئون القول عن جعفر والبرامكة واستمروا على هذا حتى غيروا قلب هارون كله، فقتلهم جميعًا وأبادهم ولم يبق لهم على أثر فى الدنيا، وحينما صاروا جميعًا فى حكم العدم اختلت أمور المملكة، ولم يكن هناك من يستطيع إصلاحها أو تدبير أمورها، ونقص دخل بيت المال، وندم هارون على فعلته، ولكن لم تكن هناك فائدة فقد خرج الأمر من اليد، وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار أميرًا على

سمرقند، ولم يدفع ما طلبوه من أموال العشور والخراج، وشق عصا الطاعة فأمر هارون هرثمة بن أعين - الذى كان أميراً على خراسان - بحرب رافع فأبعد رافع هرثمة عن باب سمرقند. ولم يمتثل، وحينما وصل الخبر إلى هارون أخذه الغضب وأعد جيشًا، وكان قد وصل إلى نواحى خراسان. وحينما وصل إلى كرمانشاه أرسل المأمون على رأس عشرة آلاف فارس إلى مرو ولحقه بعد شهر واحد، ومات حينما وصل إلى طوس. وكان قد ذهب إلى الحج قبل وفاته وأخذ البيعة لأبنائه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤتمن من الحجاج الذين أتوا من كل أطراف الدنيا، فقد جعل ولاية العهد فى أبنائه الثلاثة، وقسم الولايات : فالعراق واليمن والحجاز وبعض أجزاء الشام لمحمد الأمين، وخراسان وما وراء النهر والهند والسند والنيمروز وكابل وزابلستان لعبد الله المأمون، وجزءًا من الشام والمغرب وأذربيجان وبحر الروم والزنج والحبش للمؤتمن، وكتب المنشورات على هذا النحو، وأشهد الحجاب، ووضع منشوراً فى الكعبة، وأعطى نسخة منه لكل ابن.

الأمين(١٤)

وهو أبو عبد الله محمد بن هارون الرشيد. وحينما توفى الرشيد فى طوس قال للفضل بن الربيع وصالح : هذا المال الذى أتيت به إلى خراسان سلموه كاملاً إلى المأمون فقد وضعت من أجله أموالاً كثيرة، ولكنهما خانا ولم ينفذا وصيته، وقادا جيشاً، وحملا الخزائن ودخلا بغداد، وقدما ذلك الجيش وتلك الخزائن إلى محمد الأمين، وأخذوا البيعة من الجند، فأكرمهم الأمين وأثاب الجيش وأعطى الجند حق البيعة، وحرم المأمون من أموال وخزائن والده. وأرسل المأمون شخصًا إلى هرثمة ليصالح رافعًا ورجع من سمرقند. ونشر المأمون العدل فى خراسان واستن سننًا حسنة، وأقام فى مرو فى قصر جميل يليق بالملك، وكان يحضر كل يوم فى المسجد الجامع ليفض المظالم وعين العلماء والفقهاء، وكان يستمع إلى المتظلمين وينصفهم، ومنح الناس خراج عام.

وكان محمد الأمين مشغولاً بالطرب في بغداد، وقد ترك كل أعمال الملك للفضل ابن الربيع، وكانت الأيام تمضى وتمر ولا يراه أحد (لانشغاله) بالسكر واللهو. وحينما مضت مدة من الزمن منع أخاه المؤتمن من ولاية جزيرة المغرب التى كان أبوه قد أعطاها له، وأتى بالمؤتمن إلى بغداد، وحينما سمع المأمون هذا الخبر أخذ حذره، وأفسد الفضل بن الربيع قلب محمد الأمين على المأمون فأبعده عن ولاية العهد، وعزم الأمين على أن يجعل ابنه وليًا للعهد وأن يخلع المأمون، واتخذ الفضل بن الربيع عيسى ابن ماهان إلى جانبه، وظل الاثنان يوغران صدر الأمين حتى تغير قلبه فبعث الرسل وكتب رسالة إلى المأمون : (أن اخلع نفسك، فقد بايعت ولدى) فلم يجب المأمون. ولما وصل الخبر إلى الأمين أرسل على بن عيسى على رأس خمسين ألف فارس للحرب، وأرسل رسولاً إلى مكة ليحضر المنشور الذى كان قد كتبه الرشيد، ومزقه. وحينما سمع المأمون بخبر قدوم على بن عيسى فكر مع الفضل بن سهل فيمن يرسله من القادة لحرب على بن عيسى.

قال دويان المنجم العجمي[١٥] : إن الذى يجب أن يرسل يكون أعور العين، واسمه من أربعة أحرف، وعلى هذا النحو كان طاهر بن الحسين، فاستدعاه وقال : خذ كل ما تطلبه من الجند. فقال طاهر : أريد أربعة آلاف ولا أريد أكثر من هذا، ثم اختار الرجال. وخرج من مرو، وحينما وصل إلى الرى - وكان على بن عيسى قد وصل أيضًا - اقتتلا بين قسطانة ومشكوى[١٦]، وطالت الحرب، وقتلوا على بن عيسى، وحملوا رأسه وأرسلوها إلى المأمون. ثم أرسل الأمين عبد الرحمن بن جلبة على رأس عشرين ألف رجل، وحينما وصلوا إلى حلوان[١٧] كان طاهر قد وصل إليها، ودارت رحى المعركة، وهزم عبد الرحمن ودخل فى قلعة همدان، وظل شهرين محاصرًا. وأخيرًا طلب الأمان وخرج، ثم قدم عبد الله بن محمد الحرشى لمدد عبد الرحمن مع ألفى فارس، واحتال عبد الرحمن على طاهر وعرض عليه رسالة وقال : "ضمهم إلى عسكرك ليكونوا جندك وعونك".

وحينما جاءوا باغتوا جيش طاهر ليلاً وقتلوا كثيراً منه، ولما علم طاهر نظم الجيش، وحارب حرباً ضارية، وأخيراً قتل عبد الرحمن وأرسل رأسه إلى المأمون، ثم أرسل (الأمين) محمد بن يزيد[18] وعبد الله بن حميد بن قحطبة على رأس أربعين ألف رجل، فنزلوا في خانقين[19] على بعد منزل واحد من مدينة حلوان، فاحتال طاهر وأوقع الخلاف بينهم (فقال) : "إن الأمين في بغداد يمنح حشمه المال، أما أنتم فقد أبعدكم ليخاطر بأرواحكم" فرجعوا، واستولى طاهر على حلوان. وأرسل الخبر إلى المأمون فثارت الرعية في بغداد، وحرض حسين بن على بن عيسى[20] الجند، وقال : لا فائدة من الأمين فهو مشغول بالطرب واللهو واللعب، فدخلوا قصر محمد الأمين، وأخرجوه منه وأجلسوه في قصر زبيدة، ووضعوا القيود في أرجله، وأخذوا البيعة للمأمون، وحينما طلب الجيش حق البيعة قال حسين : اسأل الخليفة المأمون، فقالوا : لا نريد، وثاروا وأخرجوا محمداً الأمين وأعطوه الخلافة مرة أخرى؛ وفكوا قيده، وأوثقوا حسيناً. ثم مضت مدة وقدم طاهر على أبواب بغداد، وقدم هرثمة (من ناحية أخرى) أمام طاهر، وحاصروا بغداد على الأمين، وظلوا يديرون الحرب كل يوم، وكثر القتلى، حتى ضاقت المدينة على الناس ونصبوا المنجنيق، ودخلوا بالتدريج حتى وصلوا إلى قصر الأمين، ووصل الأمر إلى حد أنه لم يبق طعام في قصر الأمين، وظل الأمين مع نفر من خاصته متحيراً، لا يساعده أهل المدينة ولا الموالي، فكتب رسالة إلى هرثمة (يقول له) : إني قادم إليك. فأجابه هرثمة، فخرج الأمين بجانب دجلة، وركب زورقاً فعلم طاهر، فحاصر سواحل دجلة، وأمر فضربوا الزوارق بالحجارة حتى كسر زورق الأمين وهرثمة، وقبض ربان الزورق على هرثمة، وغاص الأمين في الماء. وكان يجيد السباحة، فخرج إلى الشاطئ سابحاً فقبض عليه غلام من غلمان طاهر، وأخبر طاهراً (بالأمر)، فأمر طاهر الغلام أن يحمله إلى خيمته، وأرسل من قطع رأسه، وأحضرها إلى طاهر، الذى أرسلها (بدوره) إلى المأمون. وفى اليوم التالى شاع ذلك الخبر بين الجند، وفى مدينة بغداد. وأمر طاهر فنادوا فى بغداد : "أنتم آمنون مطمئنون". فأمنوا جميعاً، وخرجوا، وفتحوا الأبواب، واستراح الخلق، وسلموا من أذى الجند.

المــأمـون

وهو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد. لما وصلت إليه رأس (الخليفة) المخلوع محمد الأمين بكى على موت أخيه، وقرر أن يمكث في مرو، وترك بغداد لطاهر ابن الحسين، واستقر هو في مرو، وأخذ طاهر البيعة للمأمون من أهل العراق واليمن والحجاز والشام، وقال الفضل بن سهل للمأمون : يجب أن نذهب إلى بغداد، فإن أمور الملك يجب أن تضبط كما ينبغي، وهنا المشرق ولو مكثنا فيه سيختل أمر المغرب، فإذا ذهبنا إلى بغداد فإننا نستطيع أن نرعى الجانبين؛ فهي متوسطة بينهما، فلم يوافق المأمون لأن خراسان قد أعجبته، ووكل أمر العراق إلى طاهر، وخرج أحد الخوارج ببلاد الأهواز، واسمه نصر بن شبث بن الربعي[٢١] : من عظماء الخوارج، واستولى على الرقة[٢٢] من ولايات الجزيرة، وكتب طاهر إلى المأمون، وحينما تدبر المأمون الأمر مع الفضل بن سهل قال الفضل : كان يجب الذهاب قبل هذا، وإلا فاذهب الآن، فقال المأمون : إن طاهرًا يكفي، فقال الفضل : ستضيع العراق، فقال له المأمون : أرسل من يرعى العراق، فقال الفضل : طريق واحد هو هذا، أرسل الحسن بن سهل أخي، وكان الحسن أديبًا، فأرسله إلى العراق.

وأمر أن يذهب طاهر إلى الرقة، ليحارب نصر بن شبث، وذهب طاهر وحاصر الرقة على نصر وحاربه. وفي هذا الوقت خرج رجل بالكوفة اسمه محمد بن إبراهيم ابن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكانوا يلقبونه بابن طباطبا، دعا الناس إلى الرضا من آل محمد ﷺ. وكان أبو السرايا غلام هرثمة قد أسقط الحسن بن سهل اسمه من دفاتر الجند ولم يوفر له الرزق، كما أسقط اسم الكثير من حشم بغداد، فذهبوا جميعًا مع أبي السرايا إلى الكوفة، وجهروا بدعوة ابن طباطبا وناصر العلويين، وكان أبو السرايا من عظماء الخوارج، فهو من أبناء هاني بن قبيصة الشيباني، فأرسل الحسن بن سهل زهير بن المسيب على رأس ألفي فارس لحرب أبي السرايا، فهزمهم أبو السرايا وقتل الكثير منهم واستولى على أموالهم ودوابهم وأسلحتهم، وغضب أبو السرايا حينما طلب ابن طباطبا هذه الأموال منه فلم

يعطها له، ودس له السم فمات فى ليلته. وأجلس أبو السرايا طفلاً علوياً اسمه محمد بن علي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فأرسل الحسن بن سهل لمدد زهير عبيد الله المروروذى على رأس أربعة آلاف رجل، فقدم أبو السرايا، وحارب، فقتل عبيداً، وهزم جيشه، واستدعى العلويين من الأطراف، ووقف بنفسه بجانب هذا العلوى، وأسماه أمير المؤمنين، وأسقط اسم المأمون من الخطبة، وجعل البياض لون الثياب والعلم، وكتب على الدرهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ، واستولى على البلاد من الكوفة حتى واسط، وهرب منه عبد الله بن سعيد الحرشي أمير واسط، وحينما جاء موسم الحج أرسل شخصاً إلى مكة أخرج أمير المأمون، ثم فعل بالمدينة كما فعل بمكة، وأفسد الحج عى الناس.

وأرسلوا هرثمة لحرب أبى السرايا، وقالوا : هذا غلامك، لعلك تستطيع أن تقبض عليه. فأخذ هرثمة من أبي السرايا الكوفة وواسط والمدائن ودخل البصرة، وأرسل الحسن بن سهل سعيداً[٢٣] على رأس جيش خراساني، وعين الحسين بن علي البادغيسي قائداً عليهم، وحارب الحسين أبا السرايا وهزمه، واعتصم أبو السرايا في منزله بالجزيرة، وكان حماد الكندى أمير الجزيرة من قبل الحسن بن سهل، وحينما اعتصم أبو السرايا فى منزله بالجزيرة قبض عليه حماد وسجنه مع كل من كان معه، وأرسلهم إلى الحسن بن سهل، فأمر الحسن فضربوا رقابهم وأرسلوا رأس أبي السرايا إلى المأمون، وأرسل أيضاً زيد النار العلوى[٢٤]، وكان زيد هذا فظاً غليظ القلب، فقد كان يأمر بأن يرمى فى النار كل من يأتونه به من الأسرى، وأعطى الحسن ابن سهل إمارة اليمن إلى المعتصم أخي المأمون، وحاربه جرير العقيلي، ومات جرير بعد هزيمته فى طريق اليمن، وحينما استراح قلب المأمون من أمر أبى السرايا أعطى الحسن بن سهل إمارة الشام إلى هرثمة بن أعين، ولكن هرثمة رفض، وطلب أن يمثل أمام المأمون، فلم يأذن الحسن له، فذهب هرثمة من الكوفة إلى همدان دونما إذن من الحسن، وعرج من هناك إلى خراسان، وقال : سأقول مقولتى بين يدى أمير المؤمنين.

وعلى الرغم من إرسال الحسن بن سهل له فإنه لم يستجب، ولم يرجع، فكتب الحسن إلى أخيه الفضل : "لو مثل هرثمة بين يدى المأمون فسوف يؤلبه علينا" وحينما قرأ الفضل تلك الرسالة استعد وشرح مساوئ هرثمة أمام المأمون، كما بين عصيانه وعدم امتثاله للأمر، فكتب المأمون رسالة إلى هرثمة : "ارجع" فلم يرجع هرثمة، ولم يمتثل للأمر، وبذلك أوقع الفضل الفتنة. ....

المعتصم بالله[٢٥]

وكان أهل سباهان[٢٦] وهمذان وماسبذان[٢٧] قد دخلوا في دين الخرمي واعتنقوا مذهبه، واجتمع جيش كثيف حول بابك، فأرسل المعتصم إسحاق بن إبراهيم[٢٨] الذى كان أميرًا على بغداد لحربهم، فذهب وحارب بابك الخرمي، وقتل من الخرمية ستين ألف رجل، وفر الباقون، واستولى على أرمينية وآذربيجان. وخرج رجل في الطالقان اسمه محمد بن القاسم بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ودعا الناس إلى الرضا من آل محمد[٢٩] واستجاب له قوم كثيرون، فأرسل عبد الله بن طاهر جيشًا فهزمهم جميعًا، وفر محمد بن القاسم؛ ودفع عبد الله ألفي درهم حتى قبضوا عليه، وأتوا به إليه، فأرسله المعتصم، وأمر المعتصم فسجنوه في قصر مسرور الكبير، فثقب شيعته سطح القصر وذهبوا به.

وفي هذا الوقت خرج سماق الزط (الجت)[٣٠] مع قومه، واستولوا على البصرة، فأرسل المعتصم عجيف بن عنبسة، فحاربهم سبعة أشهر وهزمهم وقتل الكثير منهم، وأحضر إلى بغداد عشرين ألف رجل منهم، فباعوهم جميعًا عبيدًا. وانقبض قلب المعتصم من وجوده ببغداد ففكر مع مسرور الخادم، فهداه إلى سامرا، وأمر فبنوها، وأتم نصف هذا البناء الوزير فضل بن مروان. والنصف الآخر (أتمه) محمد بن عبد الملك الزيات، وحينما كمل كان مكانًا جميلاً مباركًا، ويقولون : إنه صرف في بنائه ألف ألف دينار.

ولما كثرت (إغارة) جيوش المسلمين على أتباع بابك الخرمي ضعف بابك، وطلب العون من ملك الروم، وخرج ملك الروم لنصرة بابك، وضرب مدينة بطره[٢١] ورجع، وحينما علم المعتصم غضب ولم يقل شيئًا، لأن الجيش كله كان مشغولاً في قتال بابك.

وحينما رجع الأفشين من حرب بابك، سأله المعتصم : أي بلاد الروم أغنى ؟ فقال : عمورية ، فهي عاصمة ملك الروم. فأمر المعتصم فأعدوا لغزو الروم الأسلحة المتنوعة، والمنجنيق، وحياض الأديم[٢٢]، وآلات الحرب والسفر، على نحو لم يفعله خليفة قط، ورحل عن بغداد، ودخل طرسوس وعبأ الجيش، وقصد عمورية، ودخل بلاد الروم، وحينما وصل إلى النهر الكبير قسم الجيش إلى ثلاث فرق، ذهب هو مع الأولى، والثانية أعطاها لأشناس، والثالثة أعطاها للأفشين وقال : "نذهب في طرق مختلفة ونغزو ونجتمع في عمورية، وحينما تفرق هذا الفوج، أخبروا المعتصم أن ملك الروم قد غادر المكان فكتب المعتصم إلى الجيش رسالة (قال فيها) : "اثبتوا في أماكنكم حتى أصل إليكم، والتحم ملك الروم مع الأفشين وتحاربا فهزم الأفشين ملك الروم، ورجع إلى المعتصم، وسر المعتصم برجوع الأفشين ووصول الخبر (بالنصر)، واتجه الجيش جميعه صوب عمورية وحاصروها، وكانت قلعتها منيعة، شديدة الإحكام بنيت كلها بالحجر، وكان هناك كسر في مكان سبب تصدعًا فيها، فاستولوا على القلعة، وأسروا أميرها باطس، وهدموها، وحملوا منها أموالاً عظيمة.

ومن هناك اتجهوا صوب العراق، وفي الطريق عصا عجيف وعمرو المعتصم، وبايعوا العباس بن المأمون، وحولوا القوم عن المعتصم وصمموا أن يقبضوا عليه، فبحثوا عن فرصة ولم يتفقوا، حتى وصل الخبر إلى المعتصم، فقبض عليهم جميعًا، وقتلهم، وأمر فأطعموا العباس طعامًا كثيرًا، ثم أمر أن يمنعوا الماء عنه حتى مات عطشًا، أما الآخرون فقد عاقبهم بعقوبات مختلفة، وقتلهم.

ولقد أفسد بابك الخرمي في الولايات فسادًا كثيرًا، وانحرف بالناس عن جادة الصواب، وكان مقامه في الجبال الضيقة المظلمة والأماكن الباردة، وحينما ذهب الجند

إلى هناك لم يستطيعوا مقاومة أتباع بابك، لوعورة المسالك وبرودة الهواء وفساد كل شيء، فتحملوا فساد بابك ومساوئه اثنين وعشرين عامًا، وأرسل المعتصم محمد بن حميد الطوسي فهزم وذهب عبد الله بن طاهر أيضًا، وحينما أتى أمر خراسان إليه اختار خراسان على حرب بابك وأرسل إبراهيم بن الليث أيضًا فهزم، ثم أرسل الأفشين، وكان قائدًا عظيمًا من أسروشنه في ولاية ما وراء النهر، وهناك يسمون ملكهم "أفشين" وكان اسمه خيذر بن كاوس، وذهب الأفشين مع أخيه فضل وقريبه ديوداد بن زردشت ورفاقهم، وأرسل بابك عصمت بن أبي سعيد مع ثلاثة آلاف رجل لملاقاة الأفشين، وأقام محمد بن المغيرة وليمة في حصنه لعصمت مع عشرة من القادة، وقتلهم جميعًا، وأمر عصمت أن يصعد فوق الحصن وقال : ناد القواد الآخرين، وإلا سوف أقتلك. فنادى على مائة من ضباط الجيش وقواده، فجاءوا إلى الحصن، ودخلوا واحدًا واحدًا منفردين، فكانوا يقتلونهم، حتى قضوا عليهم جميعًا، وأرسل عصمت بالمائة رأس إلى الأفشين، فأرسلها الأفشين إلى المعتصم، ومكث الأفشين سبعة أشهر في سردره[٣٣].

ولم يستطع أن يدخل في تلك المضايق وكان الهواء قارسًا. وتضجر الأفشين، فتحايل، وكتب رسالة، وطلب الأموال من المعتصم فأرسل المعتصم مع بوغا مائة خروار[٣٤] من الدراهم.

وأرسل الأفشين شخصًا إلى بابك، وأمره أن ينزل على بعد ثلاثة منازل، أما هو فذهب عن طريق سردره، وأمر أن يأتوا بذلك المال فحولوه ليلاً ونهارًا بعد منزل، وعاد هو بدوابه إلى سردره، وكان بابك قد علم بمجيئ المال، ورحيل الأفشين، فقدم بابك إلى سردره بخمسة آلاف رجل، واشتبك في القتال مع بوغا، وقدم الأفشين من الخلف وبذل الجهد، ففر بابك وقتل ألف رجل، ودخل الأفشين من سردره إلى تلك المضايق والوديان بخمسة عشر ألف رجل، وكان يذهب بحزم وقوة وأرسل في المقدمة بوغا ومحمد بن المغيرة بخمسة آلاف رجل، أما هو فكان يسير بخمسة آلاف وعبأ خمسة أخرى، وسيرهم أفواجًا أفواجًا على قمم الجبال، وعلم بابك بذلك، فخرج بألفين من الرجال وباغتهم ليلاً، وضرب فوجًا وهزمه، وذهب الأفشين إلى أردبيل.

وحارب بوغا وشقيق الأفشين فترة قصيرة أيضًا ثم رحلوا إلى أردبيل، وظلوا هناك فى الشتاء، وحينما حل الربيع بعث المعتصم بالذهب والأموال الكثيرة، فاتجهوا صوب بابك، ودخلوا الوادى، وأنزلوا الجيش أمام معسكر بابك (وكان قوامه) ثلاثون ألف رجل مدججين بالأسلحة والعتاد، وأخذوا فى القتال حتى قهر قوم بابك، وقتل الكثير منهم، وفر الباقون جميعًا، وبقى بابك فى نفر قليل من أقربائه.

وحينما أخلى الحصن تمامًا خرج بابك مع أخيه وأقربائه من الحصن، وهرب، وظل مختفيا فى تلك الجبال، وهدم المسلمون الحصن طالبين بابك، وعينوا حراسًا على الطريق فظل بابك بين الجبال والأشجار حتى يئس وعجز، فتحين فرصة حتى نام الحراس فى الظهيرة، فخرج من الجبل ومر عليهم وقدم ناحية الحصن و ...[٣٥].

المعتضد

...... [٣٦] أمر (الخليفة المعتضد) أحمد بن عبد العزيز[٣٧] أن يحارب رافعًا[٣٨]، ويستولى منه على مدينة الرى، وقبض على شميلة[٣٩] الذى كان يدعو للعلويين وسأله : لمن تدعو ؟ اصدق القول حتى أطلق سراحك، وإلا قتلتك. فقال شميلة : لن أقول ولو أحرقتنى بالنار، فأمر فأوثقوه على عمود خيمة، وقلبوه على النار حتى مات، ثم صلبوه بعد ذلك.

وشق بنو شيبان عصا الطاعة فى البادية، وقطعوا الطرق، وأكثروا الفساد، فذهب المعتضد بنفسه إلى هناك، وتدارك الأمر، ودحر هؤلاء المفسدين، وأغار على قبائلهم، وغنم هو وجيشه أموالاً طائلة لا يعرف عددها، وحصلوا على كثير من الغنائم، فباعوا الخروف بدرهم، والجمل بخمسة دراهم، أما الذهب والفضة فلم يكن لهما حساب. وهو الذى وضع النوروز المعتضدى إذ حوله من أول فروردين[٤٠] إلى الحادى عشر من حزيران، والسبب فى ذلك : أن المعتضد كان قد ذهب إلى الصيد، وكانوا قد صرفوا مرتبات الحشم من أموال الخراج فكان هذا عبئًا على الرعية، لأن الغلال لم تكن قد نضجت بعد، وحينما أخبروا المعتضد بذلك لم يغتبط، وقال : ردوا هذه الأموال إلى بيت

المال، وخذوا المال من الخزينة، ثم أمر الوزير والعاملين بالديوان أن يجمعوا الخراج فى الوقت الذى تنضج فيه الغلال وتبسط يد الرعية، وبأمره حولوا النوروز إلى الحادى عشر من حزيران، وجعلوه يوم افتتاح الخراج وظلت هذه العادة باقية حتى الآن.

وكانت له عادة أخرى هى : أنه لم يقتل علويًا مطلقًا وقال : ذات ليلة رأيت في المنام عليٍّ بن أبى طالب، وقال لى : راع حرمة أبنائى، وأعطانى فأسًا[٤١] فضربت به الأرض ثلاث مرات فقال : سيكون من أبنائك خلفاء بعدد هذه الضربات، وقد نذرت ألا أقوم بإيذاء علوى.

وكان الحسن بن زيد الداعى الطبرستانى يرسل كل عام ثلاثين ألف دينار إلى بغداد عند رجل زاهد ليهبها للعلويين، وحينما علم المعتضد قال للرجل : لا تخف هذا وأعلنه، ولم يمنع إنسانًا من ذلك.

وهو الذى ألغى ديوان المواريث، فمن لم يعقب فأمواله إلى ذوى الأرحام. وشق أبناء أحمد بن عبد العزيز عصا الطاعة في أصفهان، فأرسل المعتضد بدرًا[٤٢] ليحاربهم وليسترد أصفهان. وحارب رافع بن هرثمة عمرو بن الليث، وهزمه عمرو، فذهب رافع إلى نيشابور، واستولى عليها، وقدم عمرو بن الليث فى إثره وأبعده عنها، فذهب رافع إلى خوارزم، فقتله خوارزم شاه، وأرسل رأسه إلى عمرو بن الليث وأرسلها عمرو (بدوره) إلى المعتضد، ففرح المعتضد بذلك وشكر عَمْرًا.

وكان لعمرو بن الليث كل عام (بما قيمته) خمسة آلاف دراهم أمتعة هندية وتركية مثل (جلد) السمور والسنجاب والغزال والعود والمسك والصندل والدارخاشاك[٤٣] وأربعة أحمال ألف ألف درهم نقدًا.

وفى عهد عمرو بن الليث كانت بلاد ما وراء النهر لدى إسماعيل بن أحمد[٤٤]، وطلب عمرو ولاية ما وراء النهر من المعتضد، فأرسل المعتضد عهدها إليه، فقصد عمرو أحمد، وقدم إلى بلخ، فعبر أحمد بن إسماعيل النهر وباغت عَمْرًا ليلاً وقبض عليه، وأوثقه، ثم أرسله إلى المعتضد، فسر المعتضد سرورًا بالغًا، وكان ذلك فتحًا عظيمًا بالنسبة له. وأراد المعتضد أن يلعن معاوية ويزيد وأبا سفيان على المنابر فأمر بكتابة

الرسائل بذلك إلى جميع المسلمين، ولكن منعه في آخر الأمر عبيد الله بن سليمان ابن وهب[٤٥].

وفي عهده شق رجل يدعى محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ عصا الطاعة في آمد وميافارقين فذهب المعتضد بنفسه إلى هناك وحاصر المدينة على محمد، ومكث المعتضد ثلاثة أشهر على أبواب المدينة حتى يئس محمد في الحصن، ونفدت المؤن، ولم يبق علف، واستغاث الناس لنفاد العلف، فطلب محمد الأمان من المعتضد، فأمنه، ورجع إلى بغداد.

وقدم القرامطة إلى البحرين، ومن هناك ذهبوا إلى البادية، وقطعوا طريق الحجاج، وعاثوا فساداً، ومنعوا الحجاج عن مكة، فأرسل المعتضد مؤنس الخادم[٤٦] فصلبهم.

وفي عهده لم يستطع قرمطي أن يرفع رأسه، وحينما استقامت له أمور الملك ورجع من بلاد الروم، مكث هادئ القلب، وخلد عامين إلى الراحة، ثم مات سنة تسع وثمانين ومائتين.

المكتفي بالله

وهو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد، كان في الرقة في الوقت الذي مات فيه المعتضد، فأرسل القاسم[٤٧] رسولاً من بغداد فاستدعاه، وحينما سأل عن سلامة عمرو ابن الليث قالوا له : إنه حي، فسر المكتفي، والسبب في ذلك : أنه في العام الذي كان فيه في الري أرسل له عمرو كثيراً من الهدايا وأراد أن يؤدي حق الخدمة.

ولما سمع القاسم ذلك خاف وأرسل شخصاً ليمنعوا عنه الطعام حتى يموت من الجوع، ثم أخبروا المكتفي بأنه مات.

وكان بدر الكبير في فارس، وأراد القاسم أن يأخذ الخلافة من أبناء المعتضد، وقال هذا السر لبدر، فأنكر عليه ذلك وقال : "إن لأمير المؤمنين حقوقاً، وإنني أنصب

ابن مولاى" فغضب القاسم منه، وحينما تولى المكتفى كان القاسم حينما تسنح الفرصة يثيره على بدر، ويوغر صدره، فيذكر مساوئه ويقول : إن بدراً لم يكن يريد أن تكون خليفة.

وكانت هناك دائماً جفوة بين بدر والمكتفى فى عهد المعتضد فتملك المكتفى الحقد، وقال : ماذا يجب أن أفعل ؟ فقال القاسم : دعه لى حتى آتيك برأسه، فقال المكتفى : أنت تعرف، فافعل ما يجب أن يفعل، ووكل المكتفى الأمور جميعها إلى القاسم، فأرسل القاسم حق البيعة إلى بدر وكتب له رسالة قال فيها : اثبت فى مكانك فإذا كنت ترغب فى ولاية أخرى أرسل لك عهدها ولواءها، فعرف بدر أن القاسم فعل دسيسة وأتم أمره، واحتال القاسم حتى فصل الجيش جميعه عن بدر، ثم استدعاه مع عدة من الفرسان الذين بقوا، وحينما وصل إلى دجلة أرسل إليه رسولاً حتى يسمع رسالة أمير المؤمنين فى السر، فذهب ذلك الرسول المصطنع واقترب منه، وأخذه إلى مكانه، وقال لقومه : لا تنتظرونا فنحن لن نأتى من هذا الطريق، ثم قطع هذا الرسول رأسه، وأرسلها إلى القاسم فحملها القاسم إلى المكتفى.

وفى عهده خرج زكرويه بن مهرويه القرمطى، وأكثر الفساد، فأرسل إليه المكتفى عدة مرات جيوشاً فهزمها جميعاً.

وكان زكرويه هذا يدعو لآل الرسول ﷺ وأدخل فى مذهب القرامطة القرويين وسكان الجبال، وجهر بذلك المذهب، وخرج إلى القادسية، ومكث هناك، وقطع الطريق على الحجاج، فتحرك المكتفى بنفسه إليه، وتقدمه محمد بن سليمان بجيش كثيف فهزم زكرويه وقتله مع أمرائه، وكفى شرهم، وتوفى المكتفى سنة خمس وتسعين ومائتين.

المقتدر بالله

وهو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد، كان صغيراً[٤٨] حينما توفى المكتفى وبايعوه، وأعطى حق البيعة، وتولى الخلافة، وحملوه إلى عبد الله بن المعتز، فهنأه بالخلافة، وذهب من هناك إلى مكة، ووضع الحجر الأسود فى إطار من ذهب.

وحينما مضت ثلاثة أعوام من خلافة المقتدر اجتمع حوله نفر من الحشم، وخلعوه، وعندما لم يجدوا شخصاً آخر يصلح للخلافة بايعوه وولوه مرة ثانية، ثم قتلوه بعد ذلك بعام واحد.

وفي زمانه خرج الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين بن على ابن أبي طالب عليهم السلام، المعروف بالأطروش في طبرستان، واستولى عليها؛ لأن حسان بن نوح أمير طبرستان كان قد توفي.

وقد جلس أبو العباس الصعلوك مكانه، وخرج الحسن بن على الأطروش إلى ساحل آبسكون[٤٩] واقتتلوا فهزم الحسن بن على أبا العباس الصعلوك مع أربعة آلاف رجل، وذهبوا من هناك إلى سالوس[٥٠] ثغر الديلم، وكان فيها ألف رجل من قوم أبي العباس فحاصروهم، ومن هناك ذهبوا إلى آمل، ولحق بهم الحسن بن القاسم الداعي العلوي[٥١].

وهكذا استولى الأطروش على طبرستان كلها، وعين نواباً، وظلت طبرستان معه طيلة حياته، ولم يستطع أحد أن يأخذها منه. وحينما مات دب الخلاف بين أبنائه فضاعت طبرستان منهم لخلافهم، كما استولى ليلى بن نعمان على جيش الحسن، وكان قائداً لهذا الجيش وذهب إلى جرجان، ولقب نفسه : المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله.

وكان يملك أموالاً وفيرة، وكان واسع السخاء، عظيم العطاء، منح المال كله للجند، فضاقت يده، ولم يحالفه التوفيق، واضطر أن يذهب إلى نيشاپور فى سنة ثمان وثلاثمائة، فأرسل نصر بن أحمد أمير خراسان حمويه بن على إليه، فالتقيا فى طوس، ودارت رحى الحرب بينهما، وهزم حمويه وفر إلى مرو، فتعقبه ليلى، ودخل مدينة مرو فى أثره، فسيطر على المدينة حمويه ومحمد بن عبد الله البلعمي[٥٢] وأبو جعفر الصعلوك وخوارزمشاه وبكر بن محمد وسيمجور الدوادار وقراتكين وبغرا، فتحير ليلى، واختفى فى بستان كان فى آخر المدينة، فقبض عليه رجال بغرا وأرسلوا رسولاً إلى حمويه، فأمر أن يجزوا رأسه، ويضعوها على حربة، وأروها لعسكره فخافوا وطلبوا الأمان،

فأمنهم جميعًا، وكان مقتل ليلى فى السادس من صفر سنة تسع وثلاثمائة، ولما رجع ماكان بن كاكي[٥٣] من هذه الهزيمة تولى الأمور[٥٤] واستقر فى طبرستان، وجعل الخطبة لأبناء حسن بن على الأطروش في جرجان وطبرستان والرى، وحينما وصل الخبر إلى الأمير سعيد نصر بن أحمد أمر أن يستدعى محمد بن المظفر أمير نيشاپور ماكان بن كاكى، وأن يدخل السرور على قلبه، وأن يعقد معه العهود، فقصد (ماكان) نيشاپور، بعد وصوله إلى طبرستان، ونقض العهد. وكان الصعلوك أمير الرى على وفاق مع أمير نيشاپور بكر بن محمد بن اليسع، ولما سمع ماكان بأخبار هذا الوفاق لم يستطع القدوم، فخرج أسفار بن شيرويه ومرداويز[٥٥][٥٦] ووشمكير بن زيار الذين كانوا في جيش ماكان، واستولى على جرجان وطبرستان.

القاهر بالله

وهو أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد، حينما تولى الخلافة قبض على حمى أخيه، وطالبه بالمال، وصلبه حتى مات. وسمل عين ابن المكتفى، وأرسل عهد خراسان إلى الأمير سعيد بن نصر بن أحمد بصحبة عباس بن شفيق.

ثم اجتمع الحشم وخلعوا القاهر فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وفى عهده أعطى الأمير سعيد قيادة جيوش خراسان إلى محمد بن المظفر.

ورجع ماكان بن كاكى من بلاد الديلم وقدم إلى محمد بن المظفر بسبعة أشخاص فأرسل إليه الدواب والسلاح والدراهم، ثم قصد مرداويز محمداً، فترك محمد جرجان، ورجع إلى نيشاپور، وكان لمرداويز كاتب يدعى : مطرف بن محمد. فاتفق محمد ابن عبد الله البلعمى مع مطرف بن محمد هذا وضمن مطرف أن يغير قائد الجيوش، وعلم مرداويز، فقبض على مطرف، واستولى على كل أمواله، وأخيرًا قتله، ولم يصلوا إلى مقصودهم.

الراضي بالله

وهو أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر، كان أديبًا فاضلاً على معرفة بكل علم فكان يعي الجيد من الآداب، ويحفظ الكثير من الأشعار، عظيم الفصاحة، كامل البلاغة، كانت له دار لضرب الدراهم والدنانير، وقد أمر أن يضربوا الدراهم من الفضة الخالصة والدنانير من الذهب النقي. وفي عهده اتهموا محمد بن علي بن مقلة[٥٧] بالتزوير، فأمر فقطعوا يده حتى المرفق. وأرسل عهد خراسان إلى نصر بن أحمد بصحبة عباس ابن شقيق، وفي هذا الزمان كانت نيشابور لدي محمد بن المظفر، وكانت الري لدى مرداويز، وذهب مرداويز من الري إلى طبرستان، وكان معه غلمانه، فقتلوه في الحمام أمام بجكم ماكاني، فاجتمع جيشه مع جيش أخيه وشمكير. فأتى الأمر لمحمد بن المظفر أن يقصد قومش[٥٨] (كومس) وأخبروا ماكان بن كاكى أن يأتى إليه من كرمان، وحينما وصل إلى دامغان عن طريق الصحراء، لحق بهم بانجين الديلمى[٥٩]، فقد كان صديقًا لوشمكير، ولما وصل بانجين إلى جرجان كان يلعب ذات يوم بالصولجان فتعثر فرسه وقذف به فحملوا جثته من هناك.

وتولى الراضي الخلافة سبعة أعوام. ومات عام تسع وعشرين وثلاثمائة.

المتقي بالله

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر المقتدر، يقولون : إنهم حينما أرادوا أن يبايعوا المتقي بالله امتنع، وقال : لن أرضى دون إذن عمي القاهر، وقدم إلى القاهر وقال : " يا عم، إنك ترى أنهم يلقون هذا الأمر على عاتقي قهرًا، فإذا لم تخلع نفسك. وتسلمني بطواعية ورضًا فلن أتولي مقاليد الأمور، وإذا كنت سأقوم بهذا العمل فدون أمرك لن أقوم به" وحينما سمع القاهر هذا سر من المتقي، واحتضنه، وقال : "لقد ظلمني الراضي، والآن قد سررت بمقولتك هذه، وسأذكر في كل مجلس : أنني خلعت نفسي،

وخلعتك، ثم أسلمك" وحينما خرج من عنده بايعوا المتقى، وأرسل القاهر إلى المتقى مائة ألف درهم، وعرفه بالدفائن التى لا يعلمها إنسان. ويقولون : إن راتب المطبخ فى أيام المقتدر والقاهر كان كل يوم أربعمائة دينار، وفى أيام الراضي كان ثلاثمائة دينار، أما فى أيام المتقي فقد جعلها بجكم ماكانى مائتي دينار. وفى عهد المتقى تفشى الوباء فى بغداد، ومات كثير من الناس، ووصل الحد إلي أن عجز الناس عن تكفين الموتى، فأمر المتقي فدفعوا كل يوم مائتى دينار ثمنًا لكفن الموتى، وفي الوقت الذى مات فيه الراضى كان بجكم ماكاني في واسط فولوا المتقي الخلافة بأمره، وذات يوم خرج بجكم للصيد، فتقدم بعض الأكراد إليه وقتلوه خطأ، ولم يخطر علي ذهنه أن إنسانًا لا يعرفه، وكان هذا فى عهد المتقى، وقد وجدوا أموالاً عظيمة فى خزينة بجكم فى بغداد، ويقولون : كان بها صرتان ألف ألف دينار، وست صرر ألف ألف درهم، غير الجواهر والملابس والطرائف، فأمر المتقى أن يحملوها كلها إلى بيت المال. وحينما انصرمت ثلاثة أعوام من خلافة المتقي مات الأمير سعيد نصر بن أحمد، فأرسل المتقي عهد ولاية خراسان إلي أبى محمد نوح بن نصر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وحينما مضت خمس سنوات من خلافته سملوا عينيه، وأسقطوه عن الخلافة.

المستكفى بالله

هو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفي، وقد ظل فى الخلافة ستة عشر عامًا ثم سملوا عينيه وخلعوه؛ فقد أرسل توزون[٦٠] - وكانوا يلقبونه بأمير الأمراء - نفراً من عنده سملوا عينى المكتفى حتى كف بصره وخلعوه، وقد مات وهو على هذا النحو، وحينما سمع أبو الحسين أحمد بن بويه هذا الخبر قدم من الأهواز إلي بغداد وأبعد الترك عنها فاستعانوا بأبى محمد الحسن بن أبى الهيجاء[٦١] فقدم الحسن معهم إلى بغداد، وحاربوا أبا الحسين أحمد بن بويه ودامت الحرب أربعة أشهر، وهزم ابن الحمداني والترك ورجعوا إلى الموصل، واستولى أبو الحسين بن بويه علي بغداد وقام بأعمال المستكفى وأرسل العاملين إلي كل مكان.

وفي عهد المستكفى زادت الأسعار في بغداد وتفشي الوباء ومات كثير من الناس، وحينما رحل أحمد بن بويه من بغداد قل الوباء وانخفضت الأسعار ورخصت الغلات وكثرت.

وقد أرسل المستكفي عهد خراسان إلى الأمير حميد نوح بن نصر وقبلها (الأمير حميد) وكان الرعية في خراسان يميلون إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن إسماعيل(٦٢) وكان بالموصل وأرادوا أن يرسل المستكفى عهد خراسان إليه، والسبب في ذلك أن أبا على(٦٣) حينما ترك مرو إلى نيشاپور طلب عرض الجند من محمد بن جعفر العارض(٦٤) وأسقط من الديوان أسماء كثير من الشخصيات المعروفة في الجيش فتغير الجيش على أبي على لهذا السبب، وقدموا إلى الرى يرغبون في الاستزادة من أبي على(٦٥) فأرسل معهم قسورة بن محمد ليضبط أعمال ديوان الرى فجعل الحل والعقد فيه كما كان على عهد الأمير سعيد، وتولى قسورة عشرينية الجيش(٦٦) ورعاية الحساب فيه، واستدعى الحشم إبراهيم بن أحمد وذهبوا إلى المستكفى وأخذوا عهد خراسان لإبراهيم فتوجه إلى خراسان، وحينما وصلوا إلى مدينة الرى في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وصل خبر مجيء إبراهيم إلى نوح، وقد أمر إبراهيم أن يقبضوا على قسورة وأن يكلوا أمره إليه، ولما رأى أبو على ذلك بايع إبراهيم وذهب ناحية الجبل وقدم نوح بجيش من بخارى قاصداً حرب إبراهيم، وعندما رأى إبراهيم أنهم جعلوا الخطبة له على عدة منابر وأن الأمر قد اشتد والفساد قد استشرى خلع إبراهيم نفسه حتى تسكن هذه الفتنة وتهدأ تلك الثورة، وحينما جاء نوح إلى سمرقند قدم إبراهيم إليه فسر منه وابتهج بعمله.

المطيع لله

هو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر. حينما تولى الخلافة ضبط أبو الحسين أحمد بن بويه كل أعماله، وأمر فأقاموا جسراً على دجلة، وأصلح الضياع التي تخربت من قبل، وأظهر الخير في أمور الرعية، ورفع نظام السجون والتعذيب، وقضى على

العادات السيئة التى استنها الأتراك، ووضع على الحسن بن أبى الهيجاء - الذى كان رئيساً للترك وكان مقيمًا بالموصل وأتى أيضًا هذه الأعمال - وضع عليه جباية وافرة كان يرسلها كل شهر إلى الخزينة، وقد لقبوا على بن بويه بعماد الدولة وأبا الحسين بمعز الدولة وحسنًا بركن الدولة.

وقد أرسل (المطيع) عهد ولاية خراسان إلى نوح بن نصر، وفى عهده ظهر متنبئ فى قرية بصاغنيان يقال لها : درآهنين[٦٧] اسمه المهدى ادعى النبوة وجهر بها فالتف حوله كثير من الناس، وكان له سيف به حمائل، وكان يحارب مخالفيه، وقتل كثيراً من الناس الذين أعرضوا عنه ولم يعتنقوا مذهبه، وكان المهدى هذا رب حيل وخدع، من ذلك أنه كان يضع قبضة يده في حوض به ماء ويخرجها مملوءة بالدنانير، وكان يضع على خوانه الطعام القليل فيأكله قوم كثيرون ويشبعون، وكان يملأ قلة بالماء فيشرب منها الناس وتظل مملوءة.

وحينما ذاع خبره قصده الناس والتف حوله كثير من عامتهم، وعندما وصل خبره إلى الأمير حميد أرسل رسالة إلى أبى على أحمد بن محمد المظفر فقبض عليه فى واشگرد[٦٨]، وقطع رأسه وأرسلها إلى بخارى، ووضعوا تلك الرأس على حربة وأروها للناس الذين كانوا قد التفوا حوله.

وفى عهد المطيع وصلت رسالة من أبى سعيد بن ملك[٦٩] إلى بغداد، وفيها أنه كان يعطى كل عام من ولاية الرى مائتى ألف دينار والهدايا الأخرى كالرسم الذى كان متبعًا، فيجب ألا يزاحموا وشمگير فى أمر طبرستان، فأمر المطيع أن يكتبوا جواب رسالة أبى سعيد بن ملك كما يحب ويرغب، وحقق لهم ما التمسوه، واستمر وصول الهدايا والتحف إلى الخليفة، وتوقف سيل الدماء وسكنت العداوات، واستقامت أمور العراق وخراسان وكتب المطيع رسالة : إنا جعلنا المائتى ألف دينار منحة وعطاء لحشم خراسان، كل عام من الرى وكور الجبال، وكان هذا آخر عام أربع وأربعين وثلاثمائة، وبعد أن انتظمت أمور الملك خلع المطيع نفسه من الخلافة وأجلس ابنه الطائع مكانه.

الطـــائع لله

هو أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع، ومنذ وقت أبى بكر الصديق حتى عصر المطيع، لم يُكَنَّ خليفة بأبى بكر قط إلا هو، ولم يتول أحد الخلافة فى زمن والده سواه له أشعار كثيرة، وقد خلع المطيع نفسه من الخلافة فى مجلس كان قد حضر فيه بنو هاشم والعلويون والمشايخ والعدول، وأعطاها لابنه فقبلها - كما كان يقتضيه الواجب - في ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

وكان بختيار حاجب الطائع وصهره قد ذهب إلى الأهواز لاستدراك ما قصر فيه أهلها من مال، وقد جعل سبكتكين چاشني گير خليفة له في بغداد، وأظهر سبكتگين العصيان فكان يأخذ الخزائن والسلاح والمال ويفسد، وكان يدعو الأتراك إليه، وكذلك كان يجمع حوله عامة الناس وأوباش المدن، وكانوا يغيرون على بيوت أهل الصلاح، ويسفكون الدماء، ويسلبون أموال الناس، ويعتدون على أعراضهم ومحارمهم، وقد أطلع بختيار (على هذه الفعال) عمه الحسن بن بويه، وطلب العون من ابن عمه فناخسرو من فارس، وأرسل حسن إلى أبى الفتح العميد مع گيل وديلم، وقدم سبكتگين لحربهم فى دير العاقول[٧٠]، ولكنه مرض هناك ومات بعد أربعة أيام.

ووقعت أحداث بين بختيار والترك في واسط، وفي النهاية فر الترك وقدموا إلى بغداد، وقد سار أبو شجاع مع بختيار فى أثرهم قاصدين بغداد، وحينما وصلوا إلى المدائن جاء الخبر : إن الترك قد أغلقوا الجسر وجعلوا السواد خلفهم والطائع حليفهم، وقصد الترك بختيار، فتهيأ (لملاقاتهم) ودخلوا فدارت معركة حامية الوطيس، وانتصر أبو شجاع عليهم، وانهزموا، ورجع الديالمة بعد أن اجتهدوا أن ينزلوا بالترك هزيمة منكرة، وأشعل أبو شجاع النار فى معسكرهم، ودخل الترك بغداد من ناحية وخرجوا من الناحية الأخرى، وفروا مسرعين إلى الموصل.

وقدم أبو شجاع إلى بغداد وأقام فيها، وأسمعوا أبا شجاع أخباراً عن بختيار، وأنه كان حقير النفس، وضيع الهمة، خسيس الطبع، فنصحه أبو شجاع عدة مرات

ولكن دون فائدة، وكان أبو شجاع رجلاً جاداً مستنير الرأى ذكى الطبع، فحبس بختيار واستولى على أمواله وأعماله.

وحينما وصلت أخبار بختيار وأبى شجاع إلى عمهما الحسن بن بويه اغتم وتكدر، وبكى وأغلق الباب على نفسه[٧١]، ولم يعط إذنًا بالمثول بين يديه فى البلاط، وكتب رسالة، وأرسل رسولاً إلى أبى شجاع هو أبو الفتح بن العميد، واهتم أبو الفتح اهتمامًا بالغًا، فكف يد أبى شجاع عن بختيار، ورد إليه أمواله وولايته وكتب بختيار رسالة إلى العم يشكر فيها أبا شجاع، ورجع أبو شجاع إلى فارس.

ولقَّب الطائع أبا الفتح الكاتب بذى الكفايتين ويقولون : إن أبا شجاع كان رجلاً متكبرًا مغرورًا، كتبوا له فى قصاصة : إن العسكر نزل فى قصر ولم يكن له حق فى النزول، فكتب أبو شجاع على ظهر القصاصة الجواب : ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٧٢] وكانت مكاتبات أبى الفتح بن العميد وأبى جعفر أحمد بن الحسين العتبى ذات منزلة؛ فقد توسط كلا الكاتبين بين آل بويه والسامانيين، وألقوا بينهم المودة والألفة وأزالوا الوحشة.

وكانوا يأتون إلى خراسان كل عام بمائتى ألف دينار من جرجان وطبرستان وقومش، وفى هذه الأثناء مرض الحسن بن بويه وضعف، فدعا أبا شجاع إليه، وظل هناك فترة، ومنح (الحسن) البلاد إلى بنيه، وأظهر نصيب كل واحد، وأعطى كل ما كان دفينًا إلى أبى شجاع، ومات حينما قدم إلى مدينة الرى فى الخامس من محرم سنة ست وستين وثلاثمائة.

وفى عهد المطيع شق أبو على إلياس عصا الطاعة على الأمير الرشيد[٧٣] واستولى على كرمان، وأرسل فناخسرو جيشًا، ولم يستطع أبو على أن يفعل شيئًا؛ والسبب فى خروج وعصيان أبى على : أنه حينما مات أبو المظفر عبد الله بن أحمد فى صغانيان جلس أبو على مكانه، ولما لم يتحقق له مراده خرج وأظهر العصيان، فوقع ما وقع.

القادر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر . كان أبو نصر بهاء الدولة ابن عضد الدولة عـدواً للطائع، وكـان دائمًا يتحدث عن مساونه ويبحث عن عيوبه، وكان دائم التدبير ضده، ولكن لم يكن قد آن وقت القضاء.

وقد مكنت بنت بختيار - التى كانت زوجة للطائع - لأبى نصر، حتى دخل قصره، وحمل ما أراد من متاعه وخرج، وتواطأ مع الرعية، وخلعوا الطائع فى شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

وظلت الخلافة شاغرة ثلاثة وعشرين يومًا فلم يكن أحد يصلح لها، وأرسل أبو نصر بهاء الدولة رسولاً، فأحضروا أحمد بن إسحاق بن المقتدر من بطائح اليمن، وكان ينزل لدى أمير اليمن متنكراً، وقد أفاض فى إكرامه وعقد معه العهود، وفى اليوم الذى وصل فيه قاصداً بهاء الدولة كان قد شرب فى قصر أمير اليمن وناما ثملين، وحينما وصل هذا الخبر أعد له الأمير الركائب من الدواب والفرش والأوانى والخدم، وسيره من اليمن إلى بغداد معززًا مكرمًا. وحينما وصل إلى بغداد أسماه (أبو نصر بهاء الدولة) : القادر بالله، وولاه الخلافة. وكان القادر شديد الذكاء والمكر، مستنير الرأى، ولشدة مكره ودهائه سموه : ابن دمنة، وكان غاية فى الذكاء.

وحينما استقرت له أمور الخلافة أحضـر الطائع لمنادمته، وأجرى أموراً كان أولها : أنه جعل ابنه أبا الفضل وليًا لعهده، ولقبه : الغالب بالله، وأشهد حجاج خراسان وعظماء العراق على هذا.

ومات أبو الفوارس بن عضد الدولة فى بغداد فى جمادى الآخر سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وجلس مكانه بهاء الدين وضياء الملة وغياث الأمة أبو نصر شقيق عضد الدولة، وأخرج الجيش الذى كان فى فارس مع صمصام الدولة وباكاليجار من قلعة كبول، واستولى على فارس وعاداه الترك.

ثم ذهب إليه أبو على بن أبى الفوارس عضد الدولة الملقب بقمر الدولة، وحاربهم صمصام الدولة وهزمهم، فرجعوا إلى بغداد، وشنت عدة حروب بين باكاليجار وأبى نصر حتى تخريت أكثر مدن الأهواز والبصرة.

وفكر جماعة من أهل فارس أن يصعدوا القلعة، فقد حبسوا أبناء بختيار فيها، وأن يفكوا قيود أبناء بختيار وأن يخرجوهم منها، وهكذا فعلوا، وخرج أبناء بختيار، واضطربت مدينة فارس بسبب خروجهم، وخالف الجيش بعضه بعضاً. وأراد باكاليجار أن يحاربهم فلم يستطع، وتغلبوا عليه، وقبضوا عليه وقطعوا رأسه.

وحينما وصل هذا الخبر إلى بهاء الدولة أراد أن يثأر له فأخرج أبناء بختيار من هذه النواحى، وهرب سالار بن بختيار، وذهب إلى كرمان وكان زعيمهم، وقد لقبوه بنور الدولة، فتبعه بهاء الدولة، وقتل سالار غلمانه فى واشهر، وحملوا رأسه وأحضروها إلى بهاء الدولة.

وحينما رأى ذلك اشمأزت نفسه وأمر فسلخوا جلود هؤلاء الغلمان الذين قطعوا رأس سالار وصلبوهم، وأمر فنادوا فى الجيش : إن هذا جزاء من يمد يده إلى سيده، ولا يخاف الله عز وجل، وينسى حقوق سيده ويكفر بنعمته.

وفى عهد القادر بالله مات نوح بن منصور أمير خراسان، وأرسل عهد خراسان إلى أبى الحارث منصور بن نوح، ولم يكن قد بلغ (الحلم) حينما تولى الإمارة.

ومن كثرة ما كانوا يحملون إلى القادر من أخبار الأمير أبى القاسم محمود بن محمد ابن سبكتكين رحمهما الله تعالى، ويتحدثون عن جلده وكفايته فإنه فى أواخر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة أرسل إليه القادر بالله عهد ولواء خراسان؛ ولقبه بلقب يمين الدولة وأمين الملة، وحتى آخر عهد السلطان محمود كان الخليفة هو القادر بالله.

وحينما تولى السلطان محمود أرسل عهد ولواء خراسان إلى الأمير أبى سعيد مسعود يمين الدولة؛ ولقبه بناصر دين الله، وحافظ عبد الله، وظهر خليفة الله. وحينما مضى عامان على خلافة الأمير ناصر دين الله مات القادر بالله.

القائم بأمر الله

هو أبو جعفر محمد بن أحمد القادر بالله. تولى الخلافة سنة ثلاث وأربعمائة، وكان شديد الزهد والعفاف، ويخاف الله ويخشاه، وكان مشغولاً دائمًا بالتعبد، ولم يكن من عاداته الفسق والفجور والغيبة.

حينما استقامت له أمور الخلافة كان أول ما فعله أن أرسل عهد خراسان إلى الأمير أبى سعيد مسعود بن يمين الدولة رحمهما الله، وفى عهده اضطربت الأمور فى خراسان، وخرج التركمان وخربوا أكثر مدن خراسان، وحينما سمع القائم بهذا الأمر كتب رسالة إلى ناصر دين الله أن يتدارك هذا الأمر[٧٤].

فـي أخـبـار أمـراء خـراسـان

أما أمراء خراسان فقد كانت لهم فى القديم رسوم أخرى، فمنذ عهد أردشير بابكان كان للدنيا سپه سالار واحد، وحينما قدم أردشير جعلهم أربعة : أحدهم فى خراسان، والآخر فى المغرب، والثالث فى النيمروز، والرابع فى آذربيجان. وجعل لخراسان أربعة مرازبة؛ أولهم مرزبان مروشايگان، والثانى مرزبان بلخ وصخارستان، والثالث مرزبان ما وراء النهر، والرابع مرزبان هراة وپوشنگ وبادغيس.

وحينما استولى المسلمون على ملك العجم، وصارت خراسان للمسلمين أزالوا كل رسوم المغان. وفي عهد رسول الله ﷺ لم تصل أيدى المسلمين إلى خراسان، وكذلك فى خلافة أبى بكر الصديق ﷺ . وحينما تولى عمر ؓ الخلافة بعث بخالد بن الوليد إلى بلاد العجم ليفتحها، وحينما وصل إلى القادسية تقدم إليه جيش العجم بأمر يزدجرد بن شهريار وكان رستم بن فرح زاد قائداً لهذا الجيش، ودارت رحى الحرب هناك، وكان الظفر والنصر للمسلمين. وهزموا المغان، وقبضوا على كثير منهم وباعوهم رقيقاً، وهزم يزدجرد وقتل فى مروشاهجان، ودخلت جيوش المسلمين إلى العراق على هذا النحو فاتحين البلاد حتى وصلوا إلى خراسان.

وفي خلافة عمر ؓ لم يصل أحد إلى خراسان، وحينما تولى عثمان ؓ الخلافة أرسل عبد الله بن عامر بن كريز إلى خراسان، فأرسل عبد الله بن عامر فى مقدمته عبد الله بن خازم، وخرجوا عن طريق فارس وجرجان إلى طبسين(٧٥) وفتحوهما، وكان أهلهما أول من أسلم فى خراسان، وقدم بعد عبد الله بن عامر بن كريز كذلك أمراء أخرون مازالوا يفتحون حتى يومنا هذا.

وقد أوردت هنا فى جدول : الأسماء، والبلاد، ومملكة كل أمير، وأسماء الخلفاء الذين كانوا فى زمانه، وفترة ملك كل واحد، وتاريخ بداية إمارته حتى يسهل إيجاده والحصول عليه. وهذا هو الجدول :

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجري
أ	عبد الله بن عامر ابن كريز	كويان(1)	عثمان بن عفان	د ع ع(2) (د ح ح)	ذو الحجة سنة ثلاث وعشرين
ب	أمير بن أحمر(3) اليشكري	مرو	عثمان بن عفان	أ ع ع (أ ح ج)	ذو الحجة سنة سبع وعشرين
ج	عبد الله بن عامر ابن كريز	زرنج(4)	علي بن أبي طالب وابنه الحسن	و ع ع (و ح ح)	ذو الحجة سنة سبع وعشرين
د	جعدة بن هبيرة المخزومي	مرو	معاوية	دشهر	(5)
هـ	عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي	بلخ	(5)	ك ع كب (ك ح كب)	سنة إحدى وثلاثين
و	عبد الله بن عامر ابن كريز	هراة	معاوية	ك ع ع (ك ج ح)	سنة أربع وثلاثين
ز	زياد ابن أبيه	بلخ	(5)	و ع ع (و ح ج)	سنة ثمان وثلاثين
ح	عبيد الله بن زياد	مرو	معاوية	ب باع (ب ب ح)	سنة أربع وأربعين
ط	سعيد بن عثمان ابن عفان	مرو	(5)	و ع ع (و ح ج)	سنة اثنين وخمسين
ى	عبد الرحمن ابن زياد	بخارى	(5)	أ و ع (أ و ج)	سنة خمس وخمسين

(1) كويان = كوين معربها جوين، وهي غير جوين خراسان التي تقع بالقرب من فراة ناحية سيستان.

(2) في الأصل (د ع ، ع أ) قال حبيبي : إن هذا خطأ من الناسخ، والصحيح الذي يرجحه هو ما أضافه بين القوسين أي (د ح ح). كذلك يقرر حبيبي أن الناسخ كتب (ع) في كل مكان يكون الصواب فيه (ج ح).

(3) في الأصل - عمير، والجمهور أمير.

(4) زرنج : هي عاصمة إقليم سيستان القديم وتكتب زرنك، وزرنج معربها، وقد فتح عبد الرحمن بن سمرة إقليم سيستان واستولى على زرنج في عهد الخليفة عثمان بن عفان (المترجم).

(5) بياض في الأصل.

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجري
يا	سلم بن زياد	مرو	عبد الله بن الزبير	د و ع (د و ح)	سنة ثمان وخمسين
يب	عبد الله بن خازم	مرو	(١)	ط ر ع هـ (ط ى هـ)	سنة اثنتين وستين
يج	بحير بن ورقاء	طوس	عبد الملك بن مروان	أ ع ع (أ ح ع)	سنة إحدى وسبعين
يد	أمير بن عبد الله	مرو	عبد الملك بن مروان	ر ح ح (ز ح ع)	سنة اثنتين وسبعين
يه	الحجاج بن يوسف	كِس(٢)	عبد الملك بن مروان	ط ح د	سنة تسع وسبعين
يو	قتيبة بن مسلم	مرو	الوليد عبد الملك	ب ح ح	سنة سبع وثمانين
يز	يزيد بن المهلب	لم تذكر	سليمان بن عبد الملك	ط ط	سنة سبع وثمانين
يح	وكيع بن أبي سود	فرغانة	سليمان بن عبد الملك	أ و هـ	لم يصل إلى خراسان
يط	يزيد بن المهلب	گرگان	سليمان بن عبد الملك	أ ح ح	سنة سبع وتسعين
ك	الجراح بن عبد الله الحكمي	مرو	عمر بن عبد العزيز	أ د هـ	سنة مائة

(١) بياض في الأصل.

(٢) كِسْ : إحدى المدن ببلاد ما وراء النهر بين سمرقند وصغانيان.

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجري
كا	عبد الرحمن بن نعيم القرشي	مرو	يزيد بن عبد الملك	ر ع ع (ز ج ج)	سنة إحدى ومائة
كب	سعيد بن عبد العزيز	مرو	هشام بن عبد الملك	د ح	سنة أربع ومائة
كج	عمر بن هبيرة	مرو	(١)	د ر ع (د ز ح)	سنة سبع ومائة
كد	خالد بن عبد الله	مرو	(١)	د لا ر (د لا ز)	(٢)
كه	أشرس بن عبد الله السليمي	مرو	هشام بن عبد الملك	ب وفا	سنة عشرة ومائة
كو	(٣)	مرو	هشام بن عبد الملك	ط ع ع (ط ج ح)	سنة اثنتي عشرة ومائة
كز	خالد بن عبد الله	نيشاپور	هشام بن عبد الملك	ع ما ع (ح هـ ج)	سنة عشرين ومائة
كح	عاصم بن حميد الهلالي[٤]	نيشاپور	هشام ووليد ويزيد وإبراهيم ومروان[٥]	ك ع ع (ك ح ح)	سنة عشرين ومائة
كط	نصر بن سيار	نيشاپور[٦]	أبو العباس السفاح	مط مى (هـ ط ى)	سنة عشرين ومائة

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، ويقرر حبيبي أن خالد بن عبد الله القسري قد حكم من ١٠٥ هـ إلى ١٢٠ هـ.

(٣) بياض في الأصل، ويقرر حبيبي أن نائب والي خراسان - وهو خالد بن عبد الله القسري - كان الجنيد ابن عبد الرحمن وهو من أحفاد أبي حارثة المصري توفي عام ١١٦ هجرية.

(٤) عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ١١٦ هجرية، وهو من نواب خالد بن عبد الله القسري.

(٥) يذكر الأستاذ حبيبي أن حاشية الأصل كتب فيها ابن محمد الحمار.

(٦) نيشاپور = نيساپور = نيشابور = نيسابور. (المترجم).

العدد	أسمـاء الأمـراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجرى
ل	أبو مسلم عبد الرحمن	نيشاپور	أبو جعفر المنصور	ك ح ر	سنة ست وعشرين ومائة
لا	أبو داود[1] الذهلى	نيشاپور	المنصور	د ب يه	سنة سبع وثلاثين ومائة
لب	عبد الجبار[2] ابن عبد الرحمن	سيستان	المنصور	ب ح ح	سنة أربعين ومائة
لج	خازم بن خزيمة	نيشاپور	المنصور	ما ب ع (أ ب ح)	سنة اثنتين وأربعين ومائة
لد	أبو عون عبد الملك ابن يزيد[3]	نيشاپور	المنصور	ز و د	سنة ثلاث وأربعين ومائة
له	أسيد بن عبد الله[4]	بلخ	(٥)	أ ب لا	سنة خمسين ومائة
لو	عبده بن قديد	سيستان	المنصور	لا ك لا (ز شهر)	سنة إحدى وخمسين ومائة
لز	حميد بن قحطبة	طوس	المنصور	أ د ح	سنة تسع وخمسين ومائة
لح	أبو عون عبد الملك	مرو	المهدى	أ أ ع	سنة ستين ومائة
لط	معاذ بن مسلم	نيشاپور	المهدى	هـ د ج	سنة إحدى وستين ومائة

(١) هو أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى ١٣٧ هـ.

(٢) تولى عام ١٤٠ هـ ، وقتل عام ١٤١هـ.

(٣) يقول حبيبى نقلاً عن زمباور : إن عبد الملك الخرسانى كان واليًا عام ١٥٩هـ وضرب السكة.

(٤) هو أسيد بن عبد الله الخزاعى عين من قبل المهدى عام ١٥٠هجرية، ولكن فى زمباور وكتاب سنى ملوك الأرض ١٤١ هـ .

(٥) بياض في الأصل.

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجري
م	المسيب بن زهير	مرو	المهدى	هـ ج د	سنة سبع وستين ومائة
ما	أبو العباس الفضل ابن سليمان	طوس	المهدى والهادى	د ج ج	سنة ست وستين ومائة
مب	جعفر بن محمد	طوس	الرشيد	د ع ط	سنة خمس وسبعين ومائة
مج	العباس بن جعفر	مرو	الرشيد	د ع ط	سنة خمس وسبعين ومائة
مد	الغطريف بن عطا	بخارى	الرشيد	أ د ها	سنة سبع وسبعين ومائة
مه	الفضل بن يحيى البرمكي	(١)	الرشيد	ب د ها	(٢)
مو	منصور بن يزيد	نيشابور	الرشيد	ب و ع	سنة ثمانين ومائة
مز	على بن عيسى ابن ماهان	بلخ	الرشيد	ب ح ع	سنة تسع وسبعين ومائة
مح	هرثمة بن أعين	بلخ	الرشيد	ر لا ع (ز ط ح)	سنة إحدى وتسعين ومائة
مط	(الحسن بن سهل)(٣)	مرو	(المأمون)	د ز ى	سنة ثمان وتسعين ومائة
ن	غسان بن عباد(٤)	مرو	(المأمون)	أ د ها	سنة خمس ومائتين
نا	طاهر بن الحسين	نيشابور	(المأمون)	أ ظ ها	سنة أربع ومائتين

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، ونقل الأستاذ حبيبي عن زمباور أن الفضل بن يحيى أرسل عام ١٧٧هـ.

(٣) الأصل المأمون عبد الله ؟ ولكن فيما يبدو أنه اختلط الأمر على الناسخ فنقل في هذه الخانة موضوع الخانة التي تليها، لأن الحسن بن سهل عين واليًا على بلاد المشرق عام ١٩٨ هـ من قبل المأمون.

(٤) الأصل عثمان بن عباد ؟ غسان بن عباد، عُين من قبل المأمون ٢٠٤-٢٠٥هـ.

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجرى
نب	طلحة بن طاهر	نيشابور	(المأمون)	هـ هـ ح	سنة سبع ومائتين[1]
نج	عبد الله بن طاهر	نيشابور	المأمون	يواب	سنة ثلاث عشر ومائتين
ند	طاهر بن عبد الله	نيشابور	الواثق والمتوكل والمنتصر	يط زيط (يززيط)	سنة ثلاثين ومائتين[2]
نه	محمد بن طاهر ابن عبد الله[3]	نيشابور	المستعين والمعتز	يا هـ ح	سنة ثمان وأربعين ومائتين
نو	يعقوب بن الليث[4]	سيستان	المعتمد على الله[5]	هـ ع ع (يا ح ع)	سنة أربع وخمسين ومائتين
نز	عمرو بن الليث[6]	سيستان	المعتمد على الله	و ع ع (كد ح ح)	سنة خمس وستين مائتين[7]
نح	طاهر بن محمد[8] (طاهر الثالث)	نيشابور	المعتمد على الله[8]	خمسة أشهر	سنة تسع وخمسين ومائتين[8]
نط	نصر بن أحمد[9]	بلخ[10]	المعتمد على الله	و هـ (يط و هـ)	سنة إحدى[11] وسبعين ومائتين
س	طاهر بن عمرو الليث[12]	سيستان	المكتفي بالله[13]	ب ز ح	سنة تسع وثمانين ومائتين
سا	الماضي إسماعيل	بخارى	المعتضد والمكتفي	يزاه	سنة سبع وثمانين ومائتين

(١) الأصل سنة إحدى وخمسين ولي طلحة بن طاهر ٢٠٧هـ ورحل عن الدنيا يوم الأحد ٢٧ ربيع الأول عام ٢١٣ هجرية.
(٢) الأصل خمس وستون كان جلوس طاهر بن عبد الله في ربيع الأخر عام ٢٣٠هـ .
(٣) لم يكتب الناسخ هذا الاسم وسهواً كتب أسماء الخلفاء في هذا المكان، ويذكر الأستاذ حبيبي أنه أتى بهذا الاسم من سني الملوك.
(٤) بياض في الأصل، وقد سجل هنا اسم يعقوب بن الليث لأنه فتح نيشابور عام ٢٦١هـ وكانت دار ملكه سيستان
(٥) بياض في الأصل، وقد أتينا هنا باسم الخليفة العباسي المعاصر ليعقوب بن الليث.
(٦) بياض في الأصل، ولكن أوردنا هنا اسم الشخص الثاني في الأسرة الصفارية وهو عمرو بن الليث.
(٧) الأصل ستين ومائتين، ولكن جلوس عمرو بن الليث هو ٢٦٥هـ .
(٨) بياض في الأصل، وذكر الأستاذ حبيبي أنه أكملها من زمباور وسني الملوك.
(٨) بياض في الأصل، وذكر الأستاذ حبيبي أنه أكملها من زمباور وسني الملوك.
(٨) بياض في الأصل، وذكر الأستاذ حبيبي أنه أكملها من زمباور وسني الملوك.
(٩) بياض في الأصل، وكتب اسمه هنا لأن نصر بن أحمد الساماني كان يحكم في شمال خراسان.
(١٠) هكذا في الأصل، ولكن عاصمة ملك نصر بن أحمد كانت سمرقند.
(١١) هكذا في الأصل، ولكن نصر بن أحمد حكم من ٢٦١ إلى ٢٧٩ هجرية.
(١٢) بياض في الأصل، ولكن كتبت دار الملك وهي سيستان وبناءً عليه كتب اسم الأمير.
(١٣) بياض في الأصل، وكتب (اسم) المكتفي بالله لأنه هو الذي كان معاصراً لطاهر الصفاري الذي حكم من ٢٨٩ إلى ٢٩٥ هجرية.

العدد	أسماء الأمراء	دار الملك	أسماء الخلفاء في عهد كل أمير	مدة الإمارة	ابتداء الإمارة بالتاريخ الهجرى
سب	الشهيد أحمد بن إسماعيل	بخارى	المكتفى والمقتدر	د هـ يز	سنة خمس وتسعين ومائتين
سج	السعيد نصر بن أحمد	بخارى	القاهر والراضى	ل ح كز	سنة إحدى وثلاثمائة
سد	الحميد نوح بن نصر	بخارى	المتقى والمستكفى	نب د ر (يج د ز)	سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة
سه	الرشيد عبد الملك بن نوح	بخارى	المطيع لله	ز و ا	سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة
سو	السديد منصور بن نوح	بخارى	المطيع لله	ر ا ط هـ	سنة خمسين وثلاثمائة
سز	الرضى نوح بن منصور	بخارى	الطائع لله	ر ا ط هـ	سنة خمس وستين وثلاثمائة
سح	منصور بن نوح	بخارى	الطائع لله	ر ا ط هـ ع (ب ط هـ)	سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة
سط	عبد الملك بن نوح	بخارى	الطائع لله	أ ر هـ ع (أ ز هـ)	سنة تسع وثمانين وثلاثمائة
ع	يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود	غزنين	القادر بالله	لا ب ط	سنة تسع وثمانين وثلاثمائة
عا	جلال الدولة وجمال الملة أبو أحمد بن محمود	غزنين	القادر بالله	أ هـ كب	سنة إحدى وعشرين وأربعمائة
عب	ناصر دين الله وحافظ عباد الله أبو سعيد مسعود	غزنين	القائم بأمر الله	هـ هـ يد (يا هـ يد)	سنة إحدى وعشرين وأربعمائة
عج	شهاب الدولة وقطب الملة أبو الفتح مودود	غزنين	القائم بأمر الله	ح ح أ	سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة
عد	أبو جعفر مسعود ابن مودود	غزنين	القائم بأمر الله	لا لا هـ (أ أ هـ)	سنة أربعين وأربعمائة
عه	الأمين المؤيد بنصر الله أبو الحسن على بن مسعود	غزنين	القائم بأمر الله	لا لا هـ أ أ هـ	سنة إحدى وأربعين وأربعمائة
عو	عز الدولة وزين الملة الأمين عبد الرشيد	غزنين	القائم بأمر الله	د د د	سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

الهوامش

(١) لقب مروان بن محمد آخر الأمويين بمروان الحمار لأن حكم الأمويين تم به مائة عام، واصطلح المؤرخون أن يلقبوا الشخص الذى تم به الحكم مائة عام بالحمار، وربما جاءت هذه التسمية لأنه يحمل أسفار مائة عام على كتفه "كالحمار يحمل أسفاراً" (المترجم).

(٢) كان نصر بن سيار حاكمًا على خراسان وأرسل إلى مروان عن نشاط أبى مسلم رسالة يقول فيها :

أرى بين الرماد وميض نار	ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تزكو	وإن الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعرى	أأيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهمُ نياماً	فقل هبوا فقد حان القيام (المترجم)

(٣) أستادسيس خرج متمرداً على ملك العرب عام ١٥٠هـ فى خراسان، وقبض عليه عام ١٥١هـ، وأرسل إلى بغداد وقتل هناك ويقال : إن مراجل زوجة المأمون ابنته.

(٤) رخود = رخذ = رخج يعنى أراكوزيا القديمة ووادى أرغنداب وقندهار الحالية فى أفغانستان.

(٥) يقول المسعودى : أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة "المسعودى جـ٣ ص ٢١٩" (المترجم).

(٦) يقصد الركن العراقى بالكعبة، والمقام مقام إبراهيم بالقرب من زمزم.

(٧) كان اسمه عطا هاشم، ومعنى كلمة سپيد جامه "الثوب الأبيض" أى المقنع صاحب الثوب الأبيض، ولقب أتباعه سپيد جامكان، أى ذوى الثياب البيض "المبيضة" قام بفتنة ضد العرب عام ١٦١ هـ، ولكنه هزم وشرب السم مع أهله فى قلعة سيام فى بلاد ما وراء النهر عام ١٦٣هـ.

(٨) مات المهدى وعمره ثلاثة وأربعون عامًا فى المحرم عام ١٦٩هـ.

(٩) من أمراء آل باوند فى مازندران، وهو شروين الأول بن سرخاب بن مهران، وهو الحاكم السادس فى هذه الأسرة، تولى الملك عام ١٥٥هـ.

(١٠) يقول الطبرى : إن الربيع مولى المهدى كان يحكم فى بغداد من طرفه.

(١١) وهو الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، وقد قتل عام ١٦٩هـ (المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٣٢٦، ٣٢٧ (المترجم).

(١٢) وهى مدينة صغيرة على شاطئ دجلة كانت تعد حدود العراق من جانب الموصل.

(١٣) لم يرد ذكر لهذا الاسم، وإنما هناك قصر المقاتل وكان بين عين التمر والشام، وينسب إلى مقاتل بن حسان.

(١٤) لم يل الخلافة من هو هاشمي الأبوين غير أربعة من بني هاشم هم : علي ﷺ وأمه هاشمية وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وابنه الحسن وأمه فاطمة الزهراء بنت محمد . ومحمد الأمين وأمه زبيدة بنت جعفر ابن الخليفة أبي جعفر المنصور، ثم يعقوب بن عبد العزيز وهو المستمسك بالله وأمه أمنة بنت الخليفة المستكفي بالله، والمستمسك من خلفاء العباسيين بمصر (زكي غيث . دولة الخلافة العباسية القسم الأول ص ١٢٧، حاشية ١ طبعة ١٩٦١م) (المترجم).

(١٥) دوبان المنجم كان ملك كابل قد أرسله إلى المأمون.

(١٦) قسطانة وتقع على المنزل الأول من الرى ناحية العراق وهى في الأصل كستانة على بعد منزل من الرى عن طريق ساوة ومشكويه أو مشكوى مدينة تقع على بعد منزلين من الرى على طريق ساوة.

(١٧) إحدى مدن العراق.

(١٨) محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي، وكان أمير الأهواز من قبل الأمين.

(١٩) اسم مدينة فى العراق على طريق همدان.

(٢٠) هو حسين بن على بن عيسى بن ماهان كان مثل أبيه من قواد الجيوش فى الدولة العباسية، وقد قتل فى فتنة بغداد عام ١٩٦هـ.

(٢١) هو نصر بن شبث العقيلي من قبيلة بني عقيل بن كعب بن ربيعة.

(٢٢) مدينة على الشاطئ الشرقى لنهر الفرات تفصلها عن حران ثلاثة منازل.

(٢٣) هكذا فى الأصل ؟ وفى الطبرى "على بن سعيد".

(٢٤) هو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، المشهور بزيد النار لأنه كان يعذب مخالفيه بالنار.

(٢٥) سقط فى الأصل باقى أخبار المأمون، كذلك لم يرد فى الأصل عنوان "المعتصم بالله" ولكن لما كانت حوادث الخرميين قد وقعت فى عهد المعتصم بالله فإن المحقق آثر أن يضع "المعتصم بالله" كعنوان على هذا الجزء.

(٢٦) سباهان = أصفهان.

(٢٧) أصلها ماه سبذان، وكانت هذه المدينة تقع فى جبال غربى إيران بالقرب من نهاوند ودينور.

(٢٨) هو إسحاق بن إبراهيم بن حسين بن مصعب الخزاعى كان حاكمًا لبغداد فى عصر المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

(٢٩) كان مشهورًا بالصوفى لتقواه وزهده، وبعد قيامه فى خراسان أسره عبد الله بن طاهر وسجن فى الرى عام ٢٧٩هـ وظل حيًا حتى أيام المتوكل، والزيدية يتخذونه إمامهم ويظنون أنه حى لم يمت ويدعونه المهدى، وأنه سيخرج ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جورًا. (راجع : زكى غيث، دولة الخلافة العباسية ص ٢١٦– ٢١٧) المترجم.

(٣٠) الزط : وهم المعروفون بالنور أصلهم من هنود آسيا كانوا يسكنون شواطئ الخليج العربى، استولوا على طريق البصرة أيام الفتنة بين الأمين والمأمون، وعاثوا فى تلك الأنحاء فسادًا، وتعرضوا لقوافل المسافرين، وبعث لهم المأمون عدة حملات حربية، ولكنها لم تقدر عليهم، وظلوا منبع قلاقل للدولة، ولم يخضعوا إلا فى عهد المعتصم عام ٢٢٠هـ. (زكى غيث ص ١٧٧ – ١٧٨) (المترجم).

(٣١) بكسر الأول وفتح الثاني وسكون الثالث، وهي قرية كانت تقع بين ملطية وسمياط في بلاد الروم.

(٣٢) ربما يقصد بها أحد معنيين – كما يقول الأستاذ حبيبي – أحدهما : الجلد المدبوغ من جلود البقر يملأ بالتبن ويوضع أمام المحاربين ليقيهم ضرب السهام، ويسمى في الباشتو واللغات الهندية كاروه، والمعنى الثاني الذي ربما يقصده : قرب الماء التي كانت تستعمل في الحروب.

(٣٣) سردره معناها : رأس الوادي. (المترجم)

(٣٤) خروار معناها : حمل حمار. (المترجم)

(٣٥) يقول الأستاذ حبيبي : "بعد ذلك لا يوجد في النسخة الأصلية الوقائع الأخرى لخلافة المعتصم وخلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد وبداية خلافة المعتضد، ومن الجائز أنها ليست في النسخة المنقول عنها، أو أن تكون قد سقطت من الأصل، أما الأحداث الآتية فلأنها ترتبط بعصر المعتضد فقد وضعتها تحت عنوانه".

(٣٦) ذكر الأستاذ حبيبي، كما سبق في الحاشية السابقة : أن أول خلافة المعتضد ليست موجودة في كلا النسختين التي نقل عنهما هذا الكتاب.

(٣٧) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي المتوفى عام ٢٨٠هـ (الكامل).

(٣٨) رافع بن هرثمة.

(٣٩) اسمه محمد بن الحسن بن سهل بن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل ويلقب بشميلة (مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٤٣).

(٤٠) بداية فروردين واحد وعشرون من مارس.

(٤١) التعبير في الأصل : كنندي مراداد، ومعني كنندي : الفأس المقوسة الرأس (برهان قاطع).

(٤٢) وهو أبو النجم بدر بن عبد الله الحمامي المشهور ببدر الكبير، من موالي المعتضد الأتراك، والحاكم من قبله على فارس، توفي في ربيع الأول عام ٣١١هـ بشيراز.

(٤٣) نوع من الأخشاب كتب الأستاذ سعيد نفيسي أنه خشب البقم، ولكن الأستاذ حبيبي يقول : ليس في كلمات دارخال هذا المعنى.

(٤٤) إسماعيل بن أحمد الساماني المولود عام ٢٣٤هـ، وحكم من ٢٧٩ إلى ٢٩٥هـ.

(٤٥) هو أبو القاسم عبيد الله الحارثي من الوزراء المعروفين في فترة حكم المعتمد والمعتضد.

(٤٦) مؤنس الخادم وصل من الخدمة إلى الإمارة في عهد المعتضد والمقتدر والقاهر، حتى قتل في عهد القاهر عاش من ٢٣١ إلى ٣٢١هـ.

(٤٧) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وهب الحارثي، صار وزير المعتضد بعد وفاة والده عبيد الله.

(٤٨) كان عمره أربعة عشر عامًا تقريبًا لأنه حكم أربعًا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وستة عشر يومًا، وبلغ من السن ثمانية وثلاثين سنة وخمسة عشر يومًا، وهذا على خلاف ما ينكره الگرديزي عنه (مروج الذهب جـ٤ ص ٢٩٢) (المترجم).

(٤٩) بفتح الثاني وسكون السين كانت مدينة على ساحل طبرستان تبعد عن جرجان مسيرة ثلاثة أيام.

(٥٠) سالوس = جالوس = شالوس، في جبال طبرستان على بعد ثمانية فراسخ من الري.

(٥١) وهو ابن عم الأطروش.

(٥٢) أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمي، وينسب إلى أجداده الذين كانوا من قرية بلعمان في مرو، وكان وزيراً لإسماعيل بن أحمد الساماني والأسرة السامانية من عام ٢٧٩هـ. وعزل من الوزارة عام ٣٢٦هـ، ومات سنة ٣٣٠هـ، : ويكتب اسم أبيه في بعض المصادر عبد الله. (تاريخ أدبيات إيران : ذبيح الله صفا جـ١ ص ٦١٩).

(٥٣) يكتب في المصادر : كاكي، وهو ابن الفيروزان، كان حاكماً لأستراباد عام ٣١٠هـ، وتوفي عام ٣٢٩هـ (معجم الأنساب ص ٢٩٤).

(٥٤) التعبير بالفارسية : "كلاه برسر نهاد" وهو كناية عن تولي الشخص العمل بعد أن كان بلا عمل (المترجم).

(٥٥) مردآدير أو مرد أوآويج بن زيار ملك جرجان وطبرستان، حكم من ٣١٥ إلى ٣٢٣هـ. (المترجم).

(٥٦) مردآدير = مرداويز = مرد آويج (المترجم).

(٥٧) هو محمد بن علي بن حسين بن مقلة كان أديباً استوزره المقتدر والقاهر والراضي.

(٥٨) قومش : بضم الأول وكسر الثاني معرب كومس، وكانت ناحية واسعة في أطراف جبال طبرستان ومركزها دامغان في أفغانستان.

(٥٩) بانجين الديلمي اسم حاكم دامغان من طرف مرداويز.

(٦٠) وكان غلاماً تركيا من غلمان الخليفة المستكفي بالله يقف بين يديه (المسعودي : مروج الذهب جـ٤ ص ٣٥٧).

(٦١) أبو الهيجاء عبد الله الحمداني حاكم الموصل عزل عام ٣٠١هـ، ومات ٣١٧هـ.

(٦٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني.

(٦٣) أبو علي أحمد بن محمد بن مظفر الچاغاني.

(٦٤) العارض منصب عسكري في الدولة السامانية والغزنوية، وهو يعادل وظيفة رئيس الأركان اليوم.

(٦٥) المقصود أنهم طلبوا من أبي علي أن يعلي من شأنهم فيرفع مناصبهم، وأن يجزل لهم في العطاء فيعطيهم الأموال والقصور.

(٦٦) عشرينية الجيش : المقصود منها رواتب الجيش حيث كان في عهد المأمون يصرف لكل جندي راتباً شهرياً مقداره عشرون درهماً، وكانت تجمع وتصرف أربع مرات كل عام، وظل هذا الأمر جارياً في الجيش في خراسان.

(٦٧) القرية التي خرج منها هذا المتنبئ تدعى : ده وردى.

(٦٨) في وادي صغانيان في أقاصي شمال شرقي خراسان.

(٦٩) أبو سعيد بكر بن ملك سپه سالار عبد الملك بن نوح عين عام ٣٤٣ هـ، وسپه سالار تعني قائد الجيوش (المترجم).

(٧٠) دير العاقول على شاطئ دجلة، ويقع بين المدائن والنعمانية في العراق.

(٧١) التعبير بالفارسية : گليم أندرسركشيد (المترجم).

(٧٢) سورة الأنبياء (٣٧).

(٧٣) عبد الملك بن نوح الساماني.

(٧٤) إلى هنا وقف الجرديزي بتاريخ بني العباس، ويبدو أن تاريخ بقية الأحداث الخاصة ببني العباس قد فقدت.

(٧٥) طبسين هما مدينتان في غرب سيستان، وكان العرب يسمون أحدهما طبس العناب والأخرى طبس التمر.

أخبـــار أمـــراء خـراســـان

والآن أتحدث عن أمراء خراسان (جاريًا) على الترتيب نفسه فى الجدول . وبالله التوفيق :

عبد الله بن عامر بن كريز

وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

وكان عثمان بن عفان ﷺ قد أعطى البصرة لأبي موسى الأشعرى ، وأخذها منه وأعطاها لعبد الله بن عامر وأعطاه خراسان أيضًا، وأرسل عبد الله بن عامر على مقدمته عبد الله بن خازم السلمي، وخرج إلى طبسين عن طريق فارس وكرمان، وفتحها وأسلم أهلها.

ويقول البعض : إنه قدم إلى قومس، ثم إلى كويان وأقام هناك، ومنها قدم إلى آزادوار[١] وقبل الصلح، وأخذ ابنة ملحان الكوياني وزوجها لعبد الله بن خازم، وأولدها عبد الله ثلاثة أبناء : محمد وموسى وصالح.

وقدم عبد الله بن عامر إلى نيشاپور، وكان معه الأحنف بن قيس والمهلب بن أبي صفرة وقوم من عظماء البصرة. وقد فتح من مدن خراسان : قهستان وأبرشهر[٢] وطوس وسرخس، عام تسعة وعشرين.

وأرسل حاتم بن النعمان الباهلي أربعة آلاف رجل من العرب وألف رجل من العجم لحرب الهياطلة، وأسقط الهياطلة أحنف على أثر جرح فى رأسه امتلأ بالصديد.

وهو الذي بنى قلعة أحنف[٣] في مروروود، وقد أخذ مدينة مروروود صلحًا، وتم الصلح بين عبد الله بن عامر ودهقان هراة على خمسين بدرة دراهم، وحينما دخل عام ٣١ هجرية ذهب عبد الله بن عامر إلى الحج، وجعل خليفة على خراسان قيس بن الهيثم السلمى، ولما وصل إلى عثمان استبقاه عنده.

أمير بن أحمر اليشكري

ثم أرسل عثمان ﷺ أمير بن أحمر إلى خراسان، وأرسل أمير بن أحمر سفيان اليشكرى نائبًا عنه، فصلى في قندز مرو، وظل أميرًا فترة في خراسان. وهو الذى ابتدع الاستيلاء على منازل الناس للجيش، والسبب في ذلك أن أمير بن أحمر كان قد نزل على باب مرو، واشتد البرد في الخركاهات والخربشتات، وخاف دهاقين مرو على أن يهلك الأمير وجيشه من البرودة، فأعطوهم أماكن فى منازلهم، ولما انقضت عدة أيام ندموا على ما فعلوا وصمموا على أن يستولوا على الجيش وأميره، وكان ذلك تفكير الغوغاء والعيارين، فعلم براز بن ماهويه[٤] قائد ودهقان المدينة بهذا التفكير، فأخبر به فى الحال أمير بن أحمر، فأمر أمير أن يرتدى الجند أسلحتهم وأن يستلوا سيوفهم، وقتلوا كثيراً من أهل مرو، وأغاروا على كثير من المنازل، حتى اجتمع كل أهل المدينة، ووسطوا الناس بينهم، وقبلوا أن يدفعوا المال، واعتذروا للأمير فهدأ الجيش وسكنت الفتنة. وبعد ذلك صار الاستيلاء على منازل الجيش عادة ورسمًا، وكافأ أمير بن أحمر براز على صنيعه بما يستحق وأعزه إعزازًا شديداً ورعى حرمته.

عبد الله بن عامر بن كريز

وبعد ذلك أعطى عثمان ﷺ خراسان مرة ثانية إلى عبد الله بن عامر، وأرسل نائبًا عنه الربيع بن زياد[٥] ليفتح سيستان، وسبى أربعين ألفًا من الذرارى، وكان من هؤلاء الرقيق مهران مولى عبيد الله بن زياد، وصالح بن عبد الرحمن، وبيروز مولى

حصين بن مالك العنبرى[٦] وبستام[٧] مولى بنى الليث، وله فى مرو أولاد وأعقاب كثيرون، ومعاذ بن مسلم جد المعاذيين الذين كانوا ولاة خراسان، وعكرمة مولى عبد الله ابن عباس، وكان پيروز مولى حصين هذا مع عبد الرحمن بن الأشعث حينما أسره يزيد ابن المهلب وأرسله إلى الحجاج بن يوسف. وكانت مدينة ميسان والفرات وأعمالها لحصين ابن مالك العنبرى وپيروز، وكان لهما مال عظيم طلبه الحجاج من پيروز فلم يعطه له فقتله الحجاج لهذا السبب. ولما تم فتح سيستان عاد الربيع بن زياد إلى البصرة، وقال له العارفون بشئون الماء : لو شققنا لك قناة فهل تطلق سراحنا وسراح أبنائنا فاشترط أن يطلق سراحهم، فاجتهدوا، وأخرجوا الماء فى بناج وحجفة، وبستان بنى عامر ونخيله على بعد منزل واحد من مكة وعرفات، وهم الذين جعلوا السقاية لبنى عامر، وأثر ذلك باق حتى الآن.

جعدة بن هبيرة المخزومى

حينما تولى الخلافة على بن أبى طالب ﷺ أعطى خراسان لجعدة بن هبيرة، وهو ابن خال على، وكانت زوجته أم الحسن بنت على.

وكتب على رسالة إلى براز بن ماهويه دهقان مرو أن يدفع الخراج لجعدة، وكتب براز رسالة إلى جميع دهاقنة مرو بطاعة جعدة فى دفع الخراج. وقد فتح جعدة فتوحات كثيرة فى خراسان، واشترك ابنه عبد الرحمن كذلك فى حرب الجمل التى كانت فى البصرة سنة ست وثلاثين، وفى حرب صفين التى حارب فيها على عليه السلام معاوية سنة سبع وثلاثين.

عبد الرحمن بن أبزى الخزاعى

ثم أعطى على بن أبى طالب خراسان إلى عبد الرحمن بن أبزى، وكان عبد الرحمن عاقلاً متديناً مجاملاً[٨] للناس، استن سنناً طيبة. وقد مات على ﷺ وهو لا يزال

في خراسان، وتولى الحسن بن علي - رضى الله تعالى عنهما - مكان والده، فاحتال معاوية ووسط عمرو بن العاص الذى جعل الحسن يغير رأيه ويخلع نفسه من الخلافة، وقال عمـــرو بن العاص لمعـــاوية : الحيـــلة هى أن يخلع الحسن نفســـه على المـــلأ، ولم يستطع الحسن أن يقاوم معاوية أو يصمد أمام كيده؛ فقام وخطب فى الناس خطبة قال فيها :

"أيها الناس لقد حقن الله تعالى دماءكم، وقد أخذت لكم العهد والميثاق على معاوية أن يعدل بينكم وأن يوصل لكم أموال فيئكم، وألا يشغل بالمنصب، ولا يأخذكم بظلم أو حقد"[٩] .

ثم أدار وجهه إلى معاوية وقال : أيكون الأمـر كذلك؟ فرد معاوية : نعم يكون، وقرأ الحسن هذه الآية : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وحينما سكت، عاتب معاوية عمرو بن العاص (وقال) : لماذا أشرت على بهذا ؟ !

عبد الله بن عامر بن كريز

ولما بلغ معاوية مقصوده أعطى خراسان لعبد الله بن عامر، فجعل نائبًا عنه فيها عبد الله بن خازم، وظل هناك حتى قدم عبد الله بن سمرة الأموى وفتح ثغر كابل وبلخ ثم رجع إلى العراق.

وفى عام ثلاثة وأربعين أرسل عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود إلى سيستان فاستولى على بست وأرض الداور، ثم اتجه صوب العراق، وحينما وصل إلى كرمان إلى المكان الذى كان يسمى كركان[١٠] ويسمونه الآن قصـر مجاشع[١١] اشتدت البرودة واستمـــر هطول الأمطـــار والثـلوج إلى الحد الذى أعجز الحيوان والإنسان عن الحركة، وحبس الجميع هناك، فغاصوا تحت الثلوج، ولم ينج أحد بل هلكوا جميعًا تحتها.

زياد ابن أبيه

ثم أعطى معاوية خراسان لزياد ابن أبيه، وأرسل إليها نائبًا عنه الحكم بن عمرو الغفاري، وقدم الحكم إلى هرات وخرج من هناك إلى جبال خراسان، وكان المهلب بن أبي صفرة على ساقة الجيش فأتى بأفعال حميدة واشتهر اسمه بالبطولة والمبارزة والذكاء، وحينما وصل خبر المهلب إلى سعد بن أبي وقاص دعا له دعوات طيبة وقال : "يا رب انصر المهلب واحفظه ولا تذله" وكانوا يسمون سعداً : المستجاب الدعوة، وأرسل إلى المهلب سيفًا كان أبناء المهلب يحتفظون به بعده تبركًا به، ويقولون : إن سليمان بن محمد الهاشمي طلب هذا السيف من دريد بن الصمة بن حبيب بن المهلب بمائة ألف درهم فلم يعطه له، ويقولون : إن كل ما حصل عليه المهلب حصل عليه ببركة دعاء سعد.

ومات الحكم بن عمرو في مدينة مرو ودفن هناك، وهو أول أمير من المسلمين مات في خراسان، وأول أمير شرب من نهر بلخ[١٢].

ومن بعده أرسل زياد ابن أبيه عبد الله الليثي إلى خراسان، وكان من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن بعده أعطاها إلى الربيع بن الحارثي سنة خمسين هجرية، وقدم الربيع إلي مرو في خراسان، وهزم الهياطلة ومات هناك أيضًا. وفي عام واحد وخمسين ارتد أهل بادغيس وكنج روستا[١٣] فهجم عليهم شداد بن خالد الأسدى وقتل وسبى كثيراً منهم، وأمر معاوية أن يرد هؤلاء الأسرى وفقًا للعهد، وكانوا أول أسرى يردون إلى خراسان.

عبيد الله بن زياد

ثم أعطى معاوية خراسان لابنه[١٤] عبيد الله بن زياد، وقدم عبيد الله إلى خراسان وعبر النهر[١٥][١٦] بستة عشر ألفًا من الفرسان، وكان أول مسلم يعبر النهر وأرسل المهلب بن أبى صفرة ومعه أربعة آلاف رجل إلى بخارى فأغاروا عليها،

وكانت بخارى مع خاتون جدة بخارى خداه (ملك بخارى)[١٧] وكان ابنها لا يزال طفلاً، واجتمع العجم جميعًا حول الخاتون، وهزمهم جميعًا عبيد الله، وغنم أموالهم، وسبى منهم أربعة آلاف، ورجع إلى البصرة، وحكم العراق سبعة أعوام حتى قتله إبراهيم بن الأشتر.

سعيد بن عثمان بن عفان

ثم أعطى معاوية خراسان إلى سعيد بن عثمان سنة خمسة وخمسين، وأعطى خراج خراسان لأسلم بن زرعة الكلالي وقد ذهب مع سعيد في وقت واحد، وقد أضاف أسلم على خراج مرو مائة ألف درهم ولا يزال حتى هذا الوقت، وفتح سعيد بن عثمان بخارى والسغد في سمرقند، وعلى أبواب سمرقند أصيبت عين سعيد بسهم فذهبت إحدى العينين وكانت عنده خيمة تسع الجيش كله. وفي عهده مَلَكَ العربُ الضِياعَ، وأقاموا المنازل واستقروا هناك بأمر معاوية، حتى لا يعبر الترك النهر[١٨].

عبد الرحمن بن زياد

ثم أعطى معاوية خراسان إلى عبد الله بن زياد، وقد جمع عبد الرحمن من خراسان ثمانين صرة ألف ألف درهم، وأخذها كلها منه الحجاج بن يوسف وأفقره، وقال مالك بن دينار : جعل عبد الرحمن لكل يوم من أيام حياته ذات المائة عام ألف درهم غير الضياع والمتاع. وقد أدى به الحجاج إلى حد أنه كان ذات يوم يمتطي ظهر حمار فسأله مالك : أين أموالك ؟ فقال : ضاعت، وحتى هذا الحمار عارية، ومات معاوية في هذا الوقت.

سلم بن زياد

وحينما تولى الخلافة يزيد - لعنه[١٩] الله - أرسل سلم بن زياد إلى خراسان. وكان العجم قد اتفقوا مع الخاتون في بلاد ما وراء النهر، ولما وصل سلم إلى خراسان

قاد جيشًا وذهب إلى بلاد ما وراء النهر، وتقدم العجم لحربه، وحاربوا حربًا ضروسًا، ولكنهم هزموا أخيراً، ولم يكن لأحد في هذه الحرب أثر مثلما كان للمهلب؛ فإنه أتى أفعالاً طيبة وبدت منه في الحرب كثير من الآثار الحميدة، وحينما فرغ قلب سلم من أمر ما وراء النهر أعطى ولاية سيستان لطلحة الطلحات المسمى طلحة بن عبد الله الخزاعي، وأخيراً غضب سلم على طلحة، وعندما علم طلحة هرب مع الأصبهبد السكزي، وذهبا إلى يزيد بن معاوية، وظلا هناك حتى مات يزيد، ولما مات يزيد رجعا إلى سيستان واستقام أمرهما، وبقي طلحة في سيستان حتى وقت فتنة عبد الله بن الزبير، وترك سلم بن زياد خراسان إلى عرفجة بن عامر السعدي وذهب إلى مكة.

عبد الله بن خازم

وحينما قصد سلم مكة ذهب معه عبد الله بن خازم وخدمه في الطريق، ولما اعتاد عليه وتجرأ طلب منه عهد خراسان فأعطاها له. وقدم عبد الله إلى مرو وحارب عرفجة وقتله واستولى على خراسان، وكتب إلى عبد الله بن الزبير رسائل بيعته ودعا الناس إلى طاعته.

ونشبت الحرب بين عبد الله بن خازم وبين المضريين في مرو واشتدت، وقامت الفتن في مدن مرو ومروروذ وطالقان وهرات. وقتلت جماعة من تميم محمد بن عبد الله ابن خازم الذي كان أميراً لهرات فقتل عبد الله جماعة منهم انتقامًا لابنه. وعلا أمر عبد الله بن الزبير، وبقي عبد الله بن خازم في خراسان ثمانية أعوام وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يومًا حتى وقعت فتنة مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان وقتل مصعب، ودعا عبد الملك عبد الله بن خازم إلى طاعته فلم يجبه، وأرسلوا رأس مصعب إلى ابن خازم وشق الخراسانيون أيضًا عصا الطاعة عليه، والتقوا للحرب في طوس، وخرج وكيع بن الدورقية وبكير بن وساج مع جماعة من الناس، ولما كان ابن خازم قد قتل أخا وكيع فقد التقى وكيع معه واشتبكا، وطرح وكيع عبد الله أرضًا، وجثم على صدره، وجز رأسه وأتى بها إلى بحير فامتدحه، وأرسل رأس عبد الله إلى خالد بن عبد الله القسري، وأرسلها خالد إلى عبد الملك بن مروان.

بحير بن ورقاء

ثم أعطي عبد الملك بن مروان ولاية خراسان إلى بحير بن ورقاء سنة إحدى وسبعين. ولما استقام أمره طلب منه عبد الملك أن يسقط عن خراسان الأعباء والأخرجة والزيادات والإقطاعات التي كانت قد فرضت في عهد عبد الله بن الزبير، وأن ينظر إلى أهل خراسان بعين الرعاية.

وكان بحير رجلاً طيبًا وضعف في أيدي الجيش؛ ولهذا السبب اختلت أمور خراسان، وكتب أهلها رسالة إلى عبد الملك : " لا يستطيع أحد أن يحكم خراسان غير رجل من قريش" فعزل عبد الملك بحيرًا وأرسل أمية مكانه.

أمية بن عبد الله

وهو أمية بن عبد الله بن أبي العاص بن عبد شمس، أعطاه عبد الملك خراسان عام اثنين وسبعين. وقدم أمية إلى خراسان فعصى بحير وتحصن في قندز مرو وظل فترة في هذا الحصن، وفي النهاية أنزله أمية وقتله كما قتل معه اثنين من إخوته أحدهما كان يسمى بديل، والآخر كان يسمى شمردل.

وظل أمية بن عبد الله سبعة أعوام واليًا علي خراسان، وكان الحجاج بن يوسف مغتمًا من وجود أمية، فاحتال حتي عزله عبد الملك، وولاه هو ولاية خراسان وسيستان.

الحجاج بن يوسف

وأعطى عبد الملك خراسان إلى الحجاج بن يوسف، وأرسل الحجاج المهلب بن أبي صفرة إلى خراسان عام تسع وسبعين، ودخل مدينة كش وتم الصلح بينه وبين أهل السغد، وكان طرخون[٢٠] ملك السغد في هذا الوقت وقد أخذ منه الرهائن.

ومات المهلب ناحية مروورود في قرية تسمى زاغول[٢١]، فخلفه ابنه يزيد، وقد ظل أربعة أعوام حاكمًا على خراسان من قبل الحجاج، ومن بعده أعطى الحجاج خراسان إلى أخيه المفضل بن المهلب، وكان المفضل هذا رجلاً عالمًا متروياً خبيراً بالناس، وأعطى الحجاج سيستان لعبد الرحمن بن محمد الأشعث، وحينما وصل إلى سيستان شق عصا الطاعة على الحجاج وخرج عليه، ونشبت بينه وبين الحجاج ثمانين معركة، وهزم عبد الله في دير الجماجم[٢٢].

ومن هناك ذهب إلى كابل عند رتبيل أميرها، فأرسل الحجاج رسولاً يطلبه من رتبيل، فسلم رتبيل عبد الرحمن إلى الرسول، فشد الرسول وثاقه، ووضع في أحد رجليه حلقة وفي رِجْل رجل آخر وضع حلقة أخرى، وفي الطريق نزلوا منزلاً وصعدوا إلى سطحه، فألقى عبد الرحمن بنفسه مع ذلك الرجل من فوق السطح، ومات الاثنان.

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة عزل الحجاج المفضل بن المهلب عن خراسان، وحاكم أبناء المهلب، كما طلق هند بنت المهلب زوجته، وأرسل لها مائة ألف درهم مؤخر صداقها، فردت إليه هذا المال ولم تقبله، ثم حبس أبناء المهلب ثلاثة أعوام في البصرة حتى تشفع لهم يزيد بن أبي مسلم، وضمنهم بستة آلاف صرة ألف ألف درهم وأطلقوهم مع موكل.

ودبر الإخوة الأربعة أمرهم، وأعدوا النجائب وهربوا، ودخلوا بلاد الشام، وقصدوا رجاء بن حيوة الكندي[٢٣] وطلبوا منه أن يرفع أمرهم إلى سليمان فأجاب سليمان مطلبهم.

وتشفع كثيرًا سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد لدى الوليد بن عبد الملك حتى وافق، وأمر سليمان أن يرسلهم إليه، فأرسل سليمان ابنه مع يزيد بن المهلب[٢٤].

وقال لأيوب : لا تغب لحظة واحدة عن يزيد بن المهلب، فلو أرادوا به أذى فسيقتلونك أولاً. ثم قدم يزيد بن المهلب إلى الوليد، وقبل الوليد شفاعة سليمان، ورد يزيد مرة أخرى إلى سليمان، ووضع عنه من أمواله المصادرة ثلاث صرر كل صرة ألف ألف درهم وأمر

الحجـاج : كل من بقى عندك من أبناء المهلب أمنه، وأرسله إلى الشام، فرحل الجميع إلى دمشق عند سليمان، وظلوا هناك ستة أعوام حتى آخر عهد الوليد بن عبد الملك، وأمر قتيبة بن مسلم الذى كان واليًا على الرى أن يذهب إلى خراسان.

قتيبة بن مسلم

قدم قتيبة بن مسلم سنة سبع وثمانين إلى خراسان عن طريق قومش، وقبل ذلك كانوا يأتون (خراسان) عن طريق فارس وكرمان.

وحينما وصل قتيبة إلى قومش طلب عهده فلم يجده؛ فقد نسيه في الرى، فبعث برسول أتى به منها، وكان ليزيد بن المهلب بستان نضير في خراسان فخربه قتيبة وجعله حظيرة للإبل، فسأله المرزبان : لماذا فعلت ذلك ؟ فقال قتيبة : لقد كان والدى جمالاً، وكان والده بستانياً.

وفى عام سبعة وثمانين قاد جيشًا، وفى عهده فتحت أكثر مدن بخارى وكش ونخشب، ويقولون : إن خوارزم وكابل ونسا فتحت في عهده أيضًا، وبعد ذلك وفى عام خمسة وتسعين فتحت فرغانة.

وفى هذا العام مات الحجاج ووجدوا فى خزائنه مائتين وتسع عشرة صرة ألف ألف درهم، وكانت ولاية الحجاج عشرين عامًا. وحينما سمع قتيبة بموت الحجاج اغتم غمًا شديدًا ورجع إلى مرو. وكتب الوليد بن عبد الملك إلى قتيبة رسائل حسنة، ووعده وعودًا طيبة، فعاد قتيبة إلى فرغانة، وبذل جهدًا طيبًا، وأسر كثيرًا، ثم تصالح، وتسلم الرهائن، ورجع إلى مرو، وحينما وصل إلى كشمهين(٢٥) سمع بخبر موت الوليد، وتولى سليمان بن عبد الملك، وكان قتيبة يخافه.

وكتب له سليمان رسالة بالوعيد والتهديد، وكان سليمان قد رشح يزيد بن المهلب لخراسان، ولما وصل رد قتيبة توقف سليمان وكتب منشور قتيبة من جديد، وأعاد إليه الرسول مرة ثانية بالمنشور، ولكن لم يهدأ قلب قتيبة، فقد كان يخشى أن يعزله سليمان،

وكانت بينهما جفوة، لأن قتيبة كان فى بيعة عبد العزيز بن الوليد، ولهذا السبب كان خائفًا من سليمان، فشق عصا الطاعة عليه مع أكثر قواده وأصدقائه، وقبل أن يشق عصا الطاعة كان قد عزل وكيع بن أبى أسود الغدانى من رئاسة التميميين ولم يسند إليه عملاً آخر عوضاً عن ذلك، وأعطى هذه الرئاسة لضرار بن حصين الضبى، ولهذا السبب استبد بوكيع الحقد على قتيبة، وظل يحرض الجند وتمارض، ولزم داره فترة، وحينما خرج اتحد مع هؤلاء القوم وسنحت لهم الفرصة بفرغانة فقتلوا قتيبة وقتلوا أحد عشر من أبناء مسلم، منهم سبعة أولاد لمسلم هم : قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح ويسار ومحمد، وأربعة من أحفاده، ولم ينج أحد من أبناء مسلم قط إلا عمرو فقد كان فى جوزجانان، وأمر وكيع فقطعوا رؤوسهم جميعًا وأرسلها إلى سليمان بن عبد الملك.

وكيع بن أبى سود الغدانى

ثم أرسل سليمان عهد خراسان إلى وكيع بن أبى سود الغدانى، ووضع وكيع سياسة قاسية، فقد كان يقتل كل من يتجاوز حدوده، أو يخون خيانة بسيطة، ووصل الحال إلى أن أحضروا إليه رجلاً سكران فأمر أن يقطعوا رقبته فقالوا له : القتل لا يجب على السكران وإنما يجب أن يقام عليه الحد جلداً، فقال وكيع : عقوبتى ليست بالسوط والعصا ولكنها بالسيف، وحينما سمع الناس ذلك خافوا منه، ولم يرتكب أحد جرمًا يستوجب التأديب أو العقوبة أو القتل، وظل (الأمر) كذلك حتى آخر عهده، وكانت بداية ولايته عام سبعة وتسعين.

يزيد بن المهلب

ثم أعطى سليمان بن عبد الملك خراسان مرة أخرى إلى يزيد بن المهلب، وأرسل يزيد ابنه مخلداً خليفة له، وقدم هو على أثره عام سبع وتسعين، وقبض على وكيع بن أبى سود، وعذب عمال قتيبة بن مسلم، واستولى على أموالهم، وجمع أموالاً كثيرة من هذا الطريق.

وذهب من مرو إلى جرجان عام ثمانية وتسعين عن طريق نسا من جانب درأهنين (البوابة الحديدية)، وحينما رجع ارتد الجرجانيون مرة أخرى، فأعد يزيد بن المهلب جيشًا آخر، وذهب إلي جرجان، فهرب أهلها في الجبال، فتعقبهم يزيد وقتل منهم اثنى عشر ألف رجل، وأقسم ألا يبرح المكان ما لم يدر الطاحون بدماء الجرجانيين ويطحن الدقيق ويخبز منه الخبز ويعد به طعام الغذاء.

وحينما كانوا يقتلون الناس كانت تتجمد دماؤهم ولا تتحرك من مكانها، فأخبروا يزيداً، فأمر فصبوا عليها الماء، ودارت الطاحونة، فطحنوا الدقيق، وهيأوا منه الخبز حتى أكل منه يزيد وبر بقسمه، وأسر ستة آلاف من أهل جرجان، وباعهم رقيقًا، وكتب رسالة الفتح إلى سليمان بن عبد الملك بفتح جرجان وقال : "لم يفتح هذه الولاية أحد منذ عهد سابور ذى الأكتاف، فقد كانت موصدة أمام من قصدها مثل كسرى ابن هرمز وعمر بن الخطاب ولم تصل إليها يد إنسان، أما الآن فقد فتحت لأمير المؤمنين".

وقبض يزيد على الصول أمير جرجان، الذى يوجد له حتى الآن فى جرجان ذرية كثيرة، وقال الصول ليزيد بن المهلب : "هل يوجد من هو أجل منك فى الإسلام حتى أسلم على يديه ؟ فقال يزيد : أمير المؤمنين أجل منى وأكبر؛ فقال الصول : أرسلنى إليه، فأرسله يزيد إلى سليمان.

ثم قال الصول لسليمان : هل يوجد بين المسلمين من هو أعظم منك ؟ فقال سليمان : ليس بين المسلمين الآن شخص أجل وأعظم منى إلا قبر الرسول ﷺ : فقال الصول : أرسلنى إلى هناك حتى أسلم، فأرسله سليمان إلى المدينة، فأسلم أمام قبر الرسول ﷺ ورجع؛ ثم قدم إلى يزيد وظل يعمل معه حتى قتل فى عهد مسلمة بن عبد الملك، وكان محمد بن الصول من الدعاة العظام لبنى العباس، وقد قتله عبد الله بن على فى الشام.

وجعل يزيد بن المهلب ابنه مخلداً خليفة على خراسان، ورجع هو إلى سليمان، وحينما وصل إلى فارس سمع خبر موت سليمان. وقصد البصرة فى ولاية عمر بن عبد العزيز،

وحينما دخلها، قدم إليه أمير البصرة عدى بن أرطاة الفزارى برسالة عمر بن عبد العزيز (وفيها) عزله عن العمل بعد هذا، ثم أرسلوه إلى عمر، وحينما وصل إليه سجنه، وكان جواب عمر لكل من تشفع فى يزيد أن يزيد قاتل، وليس له مكان أفضل من السجن، ثم أمر فطالبوا يزيداً بالأموال التى كان قد كتبها في رسالة إلى سليمان، وحصلوا منه كل هذه الأموال.

الجراح بن عبد الله الحكمي

وأعطى عمر بن عبد العزيز خراسان إلى الجراح بن عبد الله الحكمى، وذهب إلى خراسان، وقد أمره عمر أن يبعث إليه بمخلد بن يزيد. وحينما قدم الجراح إلى خراسان عام تسعة وتسعين قبض على مخلد في الحال، وحبسه، ثم أوثق قيده بالسلاسل، وأرسله إلى عمر، وتصدق مخلد فى الطريق بثمانمائة درهم حتى وصل إلى الكوفة، فأخلص الناس له النية، وأحسنوا له القول.

وفى الوقت الذى كان فيه الجراح أميراً على خراسان أرسل محمد بن على[٢٦] الإمام ميسرة[٢٧] إلى العراق وخراسان، وأرسل دعاة آخرين أدخلوا كثيراً من الناس في البيعة، ثم رجعوا.

عبد الرحمن بن نعيم الغامدى

ثم أعطى عمر بن عبد العزيز خراسان إلى عبد الرحمن بن نعيم عام مائة، وقدم عبد الرحمن إلى خراسان فى هذا العام.

ولما وصل مخلد بن يزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز سر عمر منه، وقال عنه قولاً كريماً، وقال: "إن هذا أفضل من الوالد"، وأمر ألا يتعرضوا له.

سعيد بن عبد العزيز

وأعطى يزيد بن عبد الملك خراسان إلى سعيد بن عبد العزيز، وكان سعيد ابن عبد العزيز حميد الفعال، لم يكن له مجال فى الفضول أو الظلم، ولما وصل إلى خراسان كان صبوراً مع الناس حليماً، لم يطالب أحداً بزيادة. وبقى على أمر خراسان عاماً واحداً ثم استدعوه وأرسلوا عمر بن هبيرة.

عمر بن هبيرة

ثم أعطى يزيد بن عبد الملك خراسان إلى عمر بن هبيرة، وأعاد عمر سعيد ابن عبد العزيز من خراسان وأرسل مكانه سعيد بن عمرو الحرشي. وقدم سعيد ابن عمرو إلى خراسان عام أربعة ومائة، ولم يبق طويلاً فى الإمارة، فقد عزله عمر ابن هبيرة وأرسل مكانه مسلم بن سعيد بن أسلم، وظل مسلم بخراسان طوال عامى أربعة وخمسة وعدة أشهر من السنة السادسة بعد المائة.

خالد بن عبد الله القسرى

حينما استقام أمر الملك لهشام بن عبد الملك أعطى خراسان لخالد بن عبد الله، وأرسله إليها، وأعطاه العراق أيضاً، وتوقف خالد فى العراق، وأرسل أخاه أسد بن عبد الله إلى خراسان، وبقى هناك ثلاثة أعوام، واشتد على الناس، وقبض على نصر بن سيار، وعبد الرحمن بن نعيم الذى كان قائماً على الخراج، وبحر بن درهم الذى كان على الجيش، وسورة بن الحر الدارمى؛ فقد اتهمهم. (وقال لهم) : لقد رميتم بالأراجيف، ولهذا السبب جلدهم بالسوط، وحلق رؤوسهم وذقونهم، وصفد أيديهم، وأرسلهم جميعاً إلى أخيه. أخبر هؤلاء الناس هشاماً بما لحق بهم، فكتب هشام إلى خالد رسالة (يأمره فيها) أن يكف يديه عنهم، ومكثوا جميعاً فى العراق والشام، ولم يذهب أحد منهم إلى خراسان طوال حياة خالد.

الأشرس بن عبد الله

ثم أعطى هشام خراسان إلى الأشرس بن عبد الله، وأطلقوا عليه الكامل لكمال فضله. قدم إلى خراسان سنة عشرة ومائة، (ولكنه) غير سيرته، ففعل الكثير من المحرمات، وأنزل بالرعية كثيرًا من الظلم والجور، فثار أهل خراسان، وذهبوا متظلمين منه إلى هشام، فعزله.

الجنيد بن عبد الرحمن

ثم أعطى هشام خراسان إلى الجنيد بن عبد الرحمن فقدم إلى خراسان عام اثنى عشر ومائة، ولما وصل إلى خراسان خرج خاقان الترك فحاربه الجنيد وهزمه وقتل كثيرًا من جيشه، وفي العام التالي قدم الخاقان فتصدى له الجنيد، وكتب رسالة إلى سورة بن الحر الدارمي الذي كان أميرًا على سمرقند، وطلب منه العون، فخرج سورة والتحم بالترك فهزموا، ولكن سورة قتل في هذه الحرب، ووصل الجنيد فهزم الترك في جولة واحدة، وهرب الخاقان، وحينما رجع الجنيد من هناك قبض على الحارث بن سريج الخارجي الذي خرج في خراسان مع قوم كثيرين، وقتلهم جميعًا، ومات عام ستة عشر ومائة.

عاصم بن عبد الله الهلالي

ثم أعطى هشام خراسان إلى عاصم عام ستة عشر ومائة، وحينما قدم عاصم إلى خراسان لم يكن قد نظم أعمال الإمارة كما يجب، وخرج الحارث بن سريج واستولى على جوزجانان وطالقان وقارياب ومروالرود. ودعا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأظهر مخالفة المروانيين لذلك، وأوضح أن أهل الذمة يجب أن يوفى بذمتهم، وأن لا يجبى خراج من المسلمين؛ وأن لا يظلم أحد. فالتف حوله كثير من الناس، واتجه صوب مرو وقصد عاصمًا، وتحاربا في مرو حتى تدخل الوسطاء، وتم الصلح

بينهما على أن يبعثوا برسول إلى هشام، ويخبروه بالأمر، فإذا حقق للحارث مراده فبها ونعمت، وإذا لم يحقق تحاربا، وعلى هذا النحو اتفق الفريقان.

خالد بن عبد الله القسرى

ثم وصل خبر الحارث إلى هشام فأعطى خراسان لخالد بن عبد الله القسرى، فأرسل إليها أخاه أسد بن عبد الله عام ستة عشر ومائة. وقدم رسل الحارث وعاصم إلى أسد فأعادهم، وقدم أسد إلى مرو على رأس عشرين ألف رجل، وقصد الحارث فالتحما على باب ترمذ، واستمرت الحرب بينهما، وفى النهاية هزم الحارث ناحية تركستان، وقبض أسد على جماعة من دعاة بني العباس وقتلهم، وحينما استطلع الأمر من أخيه خالد كتب له خالد رسالة (يقول فيها) : لا ترق الدماء.

وظل أسد أربعة أعوام في خراسان، وتوفى عام عشرين ومائة فخلفه جعفر بن حنظلة، وبقى جعفر فيها خمسة أشهر.

وقد بنى أسد بن عبد الله قرية أسد آباد من قرى نيشابور، وظلت لأبنائه حتى عهد عبد الله بن طاهر، ثم اشترى عبد الله بن طاهر هذه القرية وأوقفها على أبناء السبيل.

نصر بن سيار

وأعطى هشام خراسان إلى نصر بن سيار في شهر رجب عام عشرين ومائة، وأرسل إليه عهدها، ووصل إليه فى بلخ، وأخبر نصر عبد السلام[٢٨] بن مزاحم وذهب كلاهما إلى جعفر[٢٩]، وأعطياه رسالة تسليم العمل، فأجلس جعفر نصراً مكانه وهنأه، وقدم الناس للتهنئة.

وآخى نصر بين أهل خراسان، وخفف مئونتهم، وقبض على يحيي بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضوان الله عليهم - وحبسه، وكان متوارياً

في بلخ بعد أن قتل هشام والده، وفي هذا الوقت مات هشام؛ ومات محمد بن على الإمام أيضاً.

وبأمر محمد بن على الإمام قسم عظماء الشيعة النقباء إلى اثنى عشر : الأول سليمان بن كثير؛ والثاني قحطبة بن شبيب، والثالث موسى بن كعب، والرابع مالك ابن الهيثم، والخامس أبو داود، والسادس خالد بن إبراهيم، والسابع بكر بن العباس؛ والثامن لاهز بن قريظ، والتاسع شبل بن طهمان؛ والعاشر أبو النجم بن عمران ابن إسماعيل، والحادى عشر علاء بن حريث، والثانى عشر عمر وعيسى ابنا أعين.

وقد دعى علاء إلى خوارزم فذهب إليها وجلس مكان طلحة بن زريق.

وحينما توفي هشام تولى الخلافة الوليد بن يزيد، فأرسل عهد خراسان إلى نصر ابن سيار، وأمره أن يكف أيدى يحيى بن زيد، وحينما وصل يحيى إلى قرية من ولاية نيشاپور خلع الوليد ودعا لنفسه، ورجع مع مائة وعشرين رجلاً، ونزل بقرية على مشارف نيشاپور، وأرسل عمرو بن زرارة القسرى أمير نيشاپور رسولاً إلى يحيى (يقول له) : اخرج من هذه الناحية. فقال يحيى : حتى أستريح وتستريح الدواب. وحينما وصل يحيى بالقرب من عمرو ركب في الحال وتحاربا، وهزموا عَمْراً وقتلوه. ثم ذهب يحيى ابن زيد إلى بلخ، ولما علم نصر بن سيار أرسل صاحب شرطته سلم بن أحوز ليدركه، وذهب يحيى إلى بادغيس، ومن هناك إلى مروالرود وطالقان وفارياب، وكان سلم يتعقبه حتى أدركه في جوزجانان، وتقاتلا في قصبة أنيسو، وقتلوا يحيى بن زيد[٢٠]، وقطعوا رأسه، ووضعوها على الرماح وحملوها إلى مرو.

وقتل الوليد في الشام في جمادى الآخرة عام ستة وعشرين ومائة، وتولى يزيد بن الوليد عام ستة وعشرين ومائة، وحينما استقام أمر يزيد أرسل عهد خراسان إلى نصر بن سيار وكتب إليه رسالة (يقول فيها) : أعط الأمان للحارث بن سريج. ورجع الحارث.

ومات يزيد، وتولى إبراهيم بن الوليد أول ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، ولم يكد يستقيم أمره حتى قدم مروان بن محمد وخلعه، وتولى الخلافة (مكانه) سنة سبع وعشرين ومائة.

وكانوا يسمون مـروان : مروان الحمار (لأن) كل مائة عام تمضى مـن (عُمْر) دولة يسمون السنة (التى تبلغ فيها المائة) حماراً، وقد قاربت دولة بنى أمية أعوامها المائة (فى عهد مروان).

وأرسل مروان الحمار عهد خراسان إلى نصر بن سيار، وأعرض اليمانيون وربيعة عن نصر، وذهبوا إلى جديع بن على الكرمانى، وكان جديع من الشيعة، واتفق معهم الحارث بن سريج، وحاربوا نصر بن سيار، وقتل جهم بن صفوان زعيم الجهميين والحارث، وتولى مكانه ابنه على، وطلب النصرة من شيبان الحرورى، وبأمانه ذهب إلى مرو، واتحد اليمانيون والمضريون والحروريون وحاربوا نصراً، واستمرت الحرب تسعة أشهر، وفى تلك المدة وقعت بينهم سبعين معركة، وكان النصر والظفر طوال الوقت من نصيب نصر إلا فى الحرب التى كان مشغولاً فيها مع أبى مسلم، وكان أبو مسلم قد خرج فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة، ودعا إلى آل محمد ﷺ وحفر خندقاً.

وكان أبو مسلم من أصفهان واسمه عبد الرحمن بن مسلم، وقد أرسل إبراهيم الإمام أبا مسلم إلى خراسان، ولما سمع إبراهيم خبر هذا الخلاف كتب رسالة إلى سليمان بن كثير (يقول فيها) : "جرد سيفك على نصر بن سيار" وحينما عم الفساد فى خراسان طلب نصر بن سيار العون من مروان فلم يأت جواب ألبتة، وكل رسالة كان نصر بن سيار يبعث بها من نيشاپور كان يزيد بن عمر بن هبيرة يخفيها عن مروان، كما كان يمنع رسل نصر من اللقاء بمروان، وذلك لعداوته مع نصر، وكان مروان أيضاً مشغولاً (بحرب) الضحاك الحرورى فلم يدرك نصراً.

وضم أبو مسلم إليه اليمانيون وربيعة الذين كانوا مع ابن الكرمانى وشيبان الحرورى، وأحضر شيبان إلى خندقه، واتجهوا صوب نصر فهرب منهم، وقدم من مرو إلى نيشاپور، وحينما ذهب نصر أرسل أبو مسلم أعوانه إلى مدن ونواحى خراسان وبعث بقحطبة بن شبيب الطائى فى أثر نصر بن سيار فأدركه عند تميم بن نصر فى طوس واقتتلوا، فقتل تميم، وقصد نصر العراق، ولما وصل إلى ساوه مات هناك.

أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم

وخرج أبو مسلم صاحب الدعوة من مرو، وكان منزله في قرية ماخان[٣١]، وحينما فرغ قلبه من أمر نصر كتب رسالة إلى قحطبة، فذهب إلى كركان، وحارب نباتة ابن حنظلة الذى كان واليًا على كركان، وكان معه أربعون ألف رجل من الشام، وقتل نباتة وعدة من أبنائه كما قتل كثيراً من الناس.

وأرسل مروان جيشًا لملاقاة قحطبة في طريق شهرزور[٣٢]، وذهب إليه عمر بن هبيرة بن يزيد من الكوفة، وقدم أبو مسلم إلى نيشاپور فى صفر سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكان عثمان بن الكرمانى بطخارستان مع أبى داود، فكتب أبو مسلم رسالة إلى أبى داود (يقول فيها) : "اقتل عثمان" فقتله أبو داود، وقبل ذلك قتل أبو مسلم على بن جديع الكرمانى فى شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقبل أبى مسلم سلموا على على الكرمانى بالإمارة، وأرسل جيشًا إلى قحطبة، واجتمع سبعون ألف رجل مصداقًا للخبر الذى يروونه عن على بن عبد الله بن عباس إذ قال : " يأتى من المشرق سبعون ألف سيف لنصرة أهل البيت" وذهب قحطبة إلى أصفهان وحارب عامر بن ضباره وقتله وقتل الكثير من رجال جيشه فى رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، ثم فتح نهاوند وذهب منها إلى حلوان[٣٣].

وبنى أبو مسلم المسجد الجامع في مرو، وكذلك المسجد الجامع فى نيشاپور فقد منح حاكمها أبا مسلم العطايا والهبات، وكان من دهاقين نيشاپور، وقد رعا فى إقليمه أبا مسلم خير رعاية، فى الوقت الذى كان فيه أبو مسلم يدعوا سراً، وحينما طابت الأمور لأبى مسلم رد للحاكم جميله.

وظهر بهافريد مغ[٣٤] في رستاق خواف من رساتيق بست نيشاپور[٣٥] وبهافريد هذا من رستاق زوزن، وقد ادعى النبوة بين المغان، وخالف الكثير منهم ففرض سبع صلوات تجاه الشمس حيثما كانت، ومن هذه الصلوات واحدة فى توحيد الله عز وجل، والأخرى فى خلق السماء والأرض، والثالثة فى خلق الحيوان وأرزاقه، والرابعة في الموت، والخامسة في البعث والحساب، والسادسة في الجنة والنار،

والسابعة فى حمد وشكر أهل الجنة. وحرم عليهم أكل الميتة، ونكاح الأم والأخت وبنات الأخت وبنات الأخ، وألا تتجاوز المهور أربعمائة درهم، وطلب السبع من أموالهم، وكان هذا بسبب ظلمهم.

وقد أفسد هذا دين المغان، فقدم الموابدة إلى أبى مسلم، واشتكوا من بهافريد، وقالوا : لقد أفسد الدين علينا وعليكم. فقبض أبو مسلم على بهافريد وصلبه، وقتل أيضاً من التفوا حوله[٣٦].

وأرسل أبو مسلم أبا عون لحرب مروان، وحينما وصل قحطبة إلى شاطئ الفرات قدم يزيد بن هبيرة لحربه، وفى الليل نشبت الحرب بينهما وانتصر جيش قحطبة، ولكن قحطبة سقط في الماء وغرق، ولما مضت عدة أيام اتخذ الجيش من الحسن بن قحطبة أميراً، ودخلوا الكوفة، وأخرجوا عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح، وكان مختفياً مع إخوته فى منزل أبى سلمة الخلال، وبايعوه بالخلافة، ثم أرسل السفاح أعمامه عبد الله وعبد الصمد وأبا عون لحرب مروان، ولما سمع مروان بخبرهم قدم لحربهم فهزم بسرعة (خاطفة)، واتجه صوب مصر، فتعقبه أبو عون حتى أدركه فى "أبو صير" فى مصر فى عين شمس، والتقى عامر بن إسماعيل بمروان وقتله، وقطع رأسه وأحضرها إلى أبى عون، وأرسلها أبو عون إلى أبى العباس السفاح، وكان قتل مروان فى ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وحينما تولى أبو العباس الخلافة أرسل شقيقه المنصور إلى خراسان حتى يأخذ بيعة أبى مسلم وأهل خراسان. وعندما قتل إبراهيم الإمام أظهر أبو سلمة الخلال، الذى كان أميراً للكوفة ميلاً إلى العلويين، فعلم بهذا أبو العباس فأخبر أبا مسلم بهذا الأمر، فأرسل أبو مسلم مرار بن أنس، فقتل أبو سلمة، وخالف شريك أبا مسلم فى فرغانة فدعا لآل أبى طالب، وجمع كثير من الناس، فأرسل أبو مسلم زياد بن صالح لحربه، وحينما وصل زياد بن صالح إلى جيحون قدم ملك بخارى فى حمايته، وذهب معه لحرب شريك، وحاربوا وقتلوا كثيراً من الناس، وقبضوا على شريك وقطعوا رأسه، وأرسلوها إلى أبى مسلم، وأرسلها أبو مسلم أبى العباس فى شهر ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وحينما استقام أمر خراسان ولم يبق قلب أبى مسلم مشغولاً بأى شىء ذهب أبو مسلم للحج مع ثمانية آلاف رجل، وحينما وصل إلى نيسابور تفرق الجميع فى الرى، واصطحب ألف رجل، وقال له وزراؤه : لا تذهب فلن تعود، فلم يعبأ بهذا، وقتل أبو مسلم سليمان بن كثير الذى قام بالدعوة فى البداية لآل الرسول ﷺ . ولما ذهب إلى الحج وصل إلى أبى العباس السفاح فعرف أبو العباس له فضله فأمر بإكرامه، ولما وفد عليه أحسن سؤاله. ومات أبو العباس السفاح أثناء حج أبى مسلم، فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وتولى الخلافة أخوه المنصور.

ولما رجع أبو مسلم من الحج أرسله المنصور لحرب عمه عبد الله بن على فهزمه أبو مسلم، وغنم أمواله، وأسر جمهور بن مرار عبد الله بن على فى هذه الحرب، وأتى به إلى أبى مسلم، فأرسله أبو مسلم إلى المنصور فحبسه حتى آخر عهده.

ووصل إلى سمع المنصور كل ما جرى على لسان أبى مسلم فأخذ يتحين الفرصة لقتله، وعندما عاد أبو مسلم من الحج قالوا له : إن فى الحرة[٣٧] رجل نصرانى عمره مائتا عام، وعنده العلم بكل شىء فدعاه أبو مسلم إليه، وحينما رأى العجوز أبا مسلم قال: " لقد فعلت الكفاية، وأوصلتك العناية إلى الكمال كما أبلغتك إلى النهاية فأحرقت نفسك وبددت جهدك وعملك، وسترى حتفك بعينيك" فاغتم أبو مسلم.

فقال له العجوز : "لم يختل الأمر من شدة حزمك ولا من صائب رأيك، ولا من سديد تدبيرك، ولا من سيفك البتار، ولكن لا يكاد الإنسان يصل إلى كل رغباته إلا ويدركه الزمان وقد حقق بعضًا من المراد" فقال له أبو مسلم : ماذا تظن ؟ وإلى أين وصل الأمر ؟ فقال العجوز : "حينما يتفق خليفتان على أمر سيتم هذا الأمر، وسيكون التقدير بيد من يكون تدبيره باطلاً، وستسلم إذا ذهبت إلى خراسان، وأراد أبو مسلم أن يرجع فأرسل المنصور إليه رجالاً (قائلين له) : عجل بالمجىء. فحم القضاء، ولم يتدبر أبو مسلم ولم يتبصر، وسأل أحدهم : ما تظن أنه فاعل بى ؟ فقال : خيراً، ولن تكون مكافأة ما فعلته لهم سوى الخير. فقال أبو مسلم : إنى أعتقد غير هذا.

وقبل مقتل أبى مسلم حدث أن أبا جعفر أرسل إليه يقطين[٣٨]، وقال له : لقد أرسلنى أبو جعفر حتى أرى هل هذه الأموال تكفى الرعية أم لا ؟ وفهم أبو مسلم أن

ليس الأمر كما يقول، فسلك طريق خراسان ليخالف المنصور، حتى وصل إلى حلوان فنزل فيها. فأرسل المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، وكان جرير هذا داهية الدهاة مكاراً ولم يكن له في هذا مثيل، فتلا عليه السحر والخدع حتى أعاده إلى المنصور.

ويقولون : إنه حينما قدم أبو مسلم من حلوان مع جرير البجلي إلى أبي جعفر طلب أبو مسلم جواداً لم يكن هناك أحسن منه في حظيرته، وامتطى صهوته، ورغب أن يذهب إلى المنصور فكبا فرسه من تحته ثلاث مرات، فقال له أحد أصدقائه : ارجع، فقال أبو مسلم : سيكون ما يريده الله تعالى.

ولما قدم إلى المنصور أجلسه وأحسن سؤاله، ثم قال له : بأي حسام حاربت وفتحت الفتوحات ؟ فقال أبو مسلم : بهذا، وأشار إلى السيف الذي كان في خاصرته، فقال المنصور : أعطني إياه، فأعطاه إياه، ثم قال المنصور : أتعلم ماذا فعلت معي ؟ فعلت كذا وكذا، وعدها واحدة واحدة، وكان أبو مسلم يجيب على كل واحدة حتى غضب المنصور وتكدر وصاح فيه.

فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين، ليس هذا جزاء ما فعلت من الإحسان. فقال له المنصور : يا أبا مجرم، أتذكر أنك قدمت إلى أبي العباس وخدمته، وكنت جالساً هناك فلم تلتفت إلي ؟ ! وهل تذكر أنك قلت لابن أخي عيسى بن موسى : هل تحب أن أخلع أبا جعفر وأوليك ؟ ! وهل تذكر أنك سببتني في الشام أمام يقطين بن موسى؛ وقلت عني : ابن سلامة، وهل سلامة كانت أقل من أمك ؟ ! وكان أبو مسلم يجيب عن كل واحدة. ثم قال المنصور : إنك لم تفعل هذا محبة فينا، ولكنه كان ترتيب السماء وعناية الله التي حالفت دولتنا؛ ثم أشار المنصور إلى الحارس الذي يقف بجوار أبي مسلم، فضرب أبا مسلم بالسيف، فسقط صائحاً "آه ، آه" : فقال المنصور : أتصيح صياح الأطفال يا من فعلت فعال الجبابرة ؟ !

وأول من ضرب أبو مسلم عثمان بن نهيك، وكان قبل ذلك أمين سر أبى مسلم، ثم أغمد أبو الخصيب الحاجب السيف فأجهز على أبى مسلم، فثار جيشه فى الخارج، فخرج أبو الخصيب، وتلا رسالة (وجهها) المنصور إلى حشم خراسان هذا نصها :

يقول أمير المؤمنين : "إن الأمير أبا مسلم كان عبدنا وقد عاقبناه على العصيان، وليس لكم شأن بهذا"، ومنحهم صلة عام تسلموها من الخزينة، فهدأ الجميع، ثم بعث برأس أبى مسلم إلى أبى داود فطافوا بها في جميع أنحاء خراسان.

أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى

ثم أسند المنصور ولاية خراسان إلى أبى داود فى شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومائة، وظل أبو داود فى هذه الولاية حتى قتلته المُبيِضَة فى شهر ربيع الأول سنة أربعين ومائة، وكان هؤلاء القتلة من قوم سعيد الجولاه، وقد قبض عليهم جميعًا قوم أبى داود وقتلوهم، كما قبضوا على رئيسهم سعيد الجولاه وقتلوه معهم.

عبد الجبار بن عبد الرحمن

كان عبد الجبار هذا صاحب شرطة المنصور، وحينما قتل أبو داود الذهلى أسند المنصور إليه عهد ولاية خراسان، وقدم إلى مرو بأربعين بغلاً من بغال البريد، وكان معه كاتبه معاوية، وكان يجرى الأمور.

ثم اغتر عبد الجبار بنفسه، وكتب إلى المنصور ليرسل إليه عياله وأبناءه بخراسان، فأرسلهم المنصور، وعزم عبد الجبار على المخالفة، وزاد فى خراج مرو وبلخ وأكثر مدن خراسان، وأسند أمر نيشابور لابن أخته خطاب بن يزيد، فسلك خطاب مسلكًا سيئًا، وظلم الناس، فاشتكوا منه المنصور، فكتب المنصور رسالة إلى عبد الجبار ليبعث خطابًا إليه، فلم يرسله واعتذر وخالف.

ثم أرشد الناس عبد الجبار إلى رجل اسمه برازبند بن بمرون، وقد ادعى هذا الرجل أنه إبراهيم بن عبد الله الهاشمي، ودعا لنفسه، فأرسل عبد الجبار شخصاً إليه، فذكر له سره، وبايعه؛ وجعل له بيرقًا أبيض، ودعا الناس لطاعته، وقتل قومًا من الخزاعيين مثل عصام الذى كان صاحب شرطة أبى داود، وأبى القاسم التاجى، وأخيه عمر بن أعين، ومرار بن أنس، وأبى القاسم الخزاعى، وشريح بن عبد الله، وقدامة الحرشي رسول المنصور، وأبى وهب، والبارماني، وأبى هلال الطالقاني، والمحتاج وكان هؤلاء القواد جميعاً لم يستجيبوا للدعوة.

ثم أسند المنصور أمور خراسان إلى ابنه المهدى؛ وأرسل المهدى حرب بن زياد لحرب عبد الجبار، ولما وصل هذا الخبر إلى عبد الجبار أرسل سوار مع خمسة آلاف رجل، فهزمه حرب، واتجه إلى مرو، وحينما اقترب منها خرج عبد الجبار للقتال. وفى المعركة قتل من أسمى نفسه إبراهيم الهاشمى بيد حرب، وانهزم عبد الجبار وقتل الكثير من عسكره، وهرب عن طريق زم[٣٩]، ثم ضل الطريق ودخل فى حقول القطن بالقرب من منازل الأزديين، وفي جماعة قدم لطلبه عبد الغفار بن صالح الطالقاني فوجده هناك، وقبضوا عليه مع كاتبه معاوية، وأوثقوا أيديهما وأركبوهما بغلاً كبيراً وساقوهما إلى حرب بن زياد، وقد نزل حرب بقصر الإمارة، فأودعهما السجن، وكتب رسالة إلى المهدى بهذا الفتح؛ فوصلت تلك الرسالة إلى خازم بن خزيمة خليفة المهدى فنسب هذا الفتح لنفسه، وكانت هذه الهزيمة يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول لسنة اثنتين وأربعين ومائة.

وظل خازم بمرو، وأرسل حربًا إلى هرات والطالقان، كما أرسل حسن بن حمدان إلى بلخ وزم وأموى، ثم طلب خازم من المهدى إعفاءه، فأعفاه وتقاعد عن العمل.

أبو عون عبد الملك بن يزيد

وأسند المنصور أمور خراسان إلى أبى عون عبد الملك بن يزيد، وقدم أبو عون إلى مرو سنة ثلاث وأربعين ومائة، وظل سبعة أعوام بخراسان. وفى عهده قتل غوغاء الجند

حسن بن حمران وشقيقه؛ طلبًا للأرزاق، وفي عام ستة وأربعين ومائة أتم المنصور بناء بغداد، وقدم من واسط إلى هناك، وعزل أبا عون عام تسعة وأربعين ومائة، واستدعاه من خراسان.

أسيد بن عبد الله

وأسند المنصور أمور خراسان إلى أسيد بن عبد الله، فقدم أسيد إلى خراسان في شهر رمضان. وكان أسيد هذا صاحب حرس المنصور.

وفي عهد إمارته بخراسان خرج استادسيس البادغيسى، وادعى النبوة وسلك طريق بهافريد؛ والسبب في ذلك : أن أتباع بهافريد البادغيسى كتبوا رسالة إلى المهدى (يقولون فيها) : لقد أسلمنا على يديك فقدرنا" فأرسل المهدى محمدًا سعيد[٤٠] لغزو كابل، وأرسل معه هؤلاء البادغيسيين، وقدر لهم نصيبًا من الفيء ثم رجعوا إلى منازلهم، وارتدوا وخرج استادسيس فأرسل المهدى أبا عون وخازم لحربه، وحينما علم استادسيس قدم جماعة من أعوانه طالبين الأمان من أبي عون، فأمنهم ووفا بذلك، وكف أيدى استادسيس والقاضى ابنه، واستولى على القلعة التي كانوا بها، وأخذ كل ما فيها، ويقول البعض : إن مراجل بنت استادسيس كانت أم المأمون، وغالب ابن استادسيس خاله، وهو الذى قتل الفضل بن سهل في سرخس في الحمام بأمر المأمون. ومات أسيد بن عبد الله عام خمسين ومائة.

عبده بن قديد[٤١]

ثم أسندوا خراسان إلى عبده بن قديد، وقدم إلى مرو في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائة، وظل في ولاية خراسان سبعة أشهر، ثم عزلوه.

حميد بن قحطبة

وأسند المنصور ولاية خراسان لحميد بن قحطبة في غرة شعبان سنة إحدى وخمسين ومائة، وكان حميد من الدعاة العظام وفى عهده مات المنصور، وتولى المهدى الخلافة، فأرسل عهد خراسان إلى حميد.

وفى عهده خرج المقنع وقد جعل البياض (لونًا) لبيرقه، وكان أعور العين (يحترف) تبييض الثياب، كما كان يدعى حكيمًا، ولما خرج ادعى النبوة فى البداية، ثم ادعى الألوهية ودعا الناس إلى عبادته، وصنع لوجهه قناعًا من ذهب، يضعه على وجهه حتى لا يراه إنسان لشدة قبحه ودمامته، وكان يقول : إن الله عز وجل خلق آدم وحل فى صورته، وحينما مات حل في صورة نوح، ثم فى صورة إبراهيم، ثم فى صورة موسى، وفى صورة عيسى، ثم حل فى صورة محمد ﷺ ، وظل كذلك حتى حل فى صورة أبى مسلم، وبعد أبى مسلم حل فى صورة هاشم، يعنى المقنع.

وأسمى المقنع نفسه هاشمًا، والتف حوله كثير من الضالين، وكانوا يسجدون له ويستصرخونه في ساحات الوغي : "المدد يا هاشم" وهم فى ذلك كمن يطلبون المدد من الله عز وجل. وأعد قلعة سنام[٤٢] من أعمال كش وجعلها حصنًا، وظهرت مبيضة بخارى والسغد وعاونوه ودعا الكفار من الترك، وكانت أكثر أعمالهم فى السغد، وقصدهم أبو النعمان، ولم يستطع أن يفعل شيئًا، فقدموا إلى مدينة كش واستولوا على أحيائها[٤٣] كما استولوا على حصن نواكت فى سنام[٤٤] وكذلك سنكردر[٤٥]، وحاربهم أبو النعمان والجنيد والليث بن نصر وحسان بن تميم بن نصر بن سيار ومحمد بن نصر ولم يصمد أمامهم أحد قط، ورجعوا جميعًا مهزومين مدحورين، ثم أرسل المهدى جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فشغلا بالمبيضة فى بخارى، وهم الذى ظهروا فى عهد حسين بن معاذ سنة سبع وخمسين ومائة، وحاربهم جبرائيل في مدينة نوجكت[٤٦] فقتل منهم سبعمائة رجل، وقتل حكيم بخارى زعيمهم وهزم الآخرون، ورجعوا إلى المقنع. ثم ذهب جبرائيل إلى سمرقند، وقصد السغديين وقتل زعميهم. ومات حميد بن قحطبة، وحكم خراسان بعده ابنه عبد الله بن حميد حتى سنة تسع وخمسين ومائة.

أبو عون عبد الملك بن يزيد

ثم أسند المهدى أمور خراسان إلى أبى عون، وخرج ابنه فى المقدمة يوم الإثنين منتصف صفر سنة ستين ومائة، وكان له ملك خراسان سنة وشهراً، وقد حارب المقنع. وفى عهد حميد خرج يوسف الثقفى الحرورى وكان معه الحكم الطالقانى وأبو معاذ الفاريابى، وقد استولوا على پوشنكك[٤٧] من مصعب بن رزيق[٤٨]، وكان ليوسف الغلبة على مرو رود والطالقان وگوزگانان حتى حاربه الهاشميون فى بلخ، وهزموه، وقبضوا على أبى معاذ الفاريابى، وأرسلوه إلى المهدى، وأمر المهدى فصلبوا أبا معاذ فى بغداد، ثم عزل المهدى أباعون من خراسان.

معاذ بن مسلم

وأسند المهدى أمور خراسان إلى معاذ بن مسلم، وأرسل معاذ شقيقه سلمة خليفة له فى خراسان، ثم ذهب إليها بعده فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين ومائة.

وفى عهده جعلوا نيشابور باسم ابنه حسين، وفى عهد حسين حل القحط واجتمع حول بابه خلق كثير متألمين من القحط وغلاء الأسعار، وطلبوا منه (قائلين) : "بع الغلال حتى يقتدى بك الآخرون ويبيعون" فقال حسين : "أريد أن تكون حبة القمح بدينار" فيئس الناس (منه) ودعوا عليه، فلم يمض أسبوع حتى مات.

ولما ذهب معاذ إلى مرو أقام أمور خراسان، ثم قصد المقنع، وجعل سعيد الحرشى على المقدمة، ورافقهم أيضًا عقبة بن مسلم فى الطواويس[٤٩]، وذهبوا إلى سمرقند، وحارب خارجة رجل المقنع مع خمسة عشر ألف رجل من المبيضة جبرائيل بن يحيى، وقتل جبرائيل منهم ثلاثة آلاف رجل، وحينما أدرك المسلمون هذا المدد قوى أمرهم، وضعف أمر المبيضة، وقتل الكثير منهم، ورجع الباقون إلى المقنع. وحفر المقنع خندقًا أمام قلعة سنام وحارب المسلمين، وضاق الأمر على المبيضة، وصبروا إلى أن وصل الحال إلى أن يأكلوا جلود بعضهم، فتحدثوا فى أمر الصلح مع الحرشى دون علم

المقنع ووافق الحرشي، فخرج ثلاثة آلاف رجل من الخندق وذهبوا، وبقى المقنع مع ألفى رجل من تابعيه ومريديه، وكان هناك جفوة بين سعيد الحرشى وبين معاذ بن مسلم، وطلب معاذ من المهدى أن يعفيه من أمر خراسان فأجابه ورجع إلى العراق.

المسيب بن زهير

ثم أسند المهدى أمور خراسان إلى المسيب بن زهير، وأرسله إليها فقدمها فى جمادى الأولى سنة ست وستين ومائة، ولما وصل جبى الخراج، وعزم على الذهاب إلى بخارى قاصداً المقنع، ثم علم بأخبار الفتح الذى قام به سعيد الحرشى، فضيق الحصار على المقنع، وعندما يئس المقنع من بقائه على قيد الحياة جمع كل نسائه، وصنع سما، وطلب منهن أن يستقبلن الجنة، فشربن من هذا السم فمتن جميعًا فى الحال، وشرب المقنع السم أيضًا ومات بعدهن، وكان قد أمر فضرب واحد من رفاقه رقبته، كما أوصى أن يحرقوا جسده في النار حتى لا يعثروا على جثته، وقال بعض الضالين الذين اقتدوا به : إنه رفع إلى السماء، فافتتنت به جماعة لهذا السبب، ويوجد له أتباع حتى الآن. ودخل الجيش القلعة وكانت خالية من الناس، فحملوا كل ما وجدوه، وبقي المسيب بن زهير ثمانية أشهر في خراسان، وقد زاد من الخراج المقرر فعاتبته الرعية حتى عزله المهدى، وينسبون إليه الدرهم المسيبى الذى يروج فى بلاد ما وراء النهر، مثل الغطريفى نسبة إلى غطريف بن عطاء الكندى، والمحمدى نسبة إلى محمد ابن زبيدة، وهذه الدراهم مخلوطة بالزهر والقصدير.

أبو العباس الفضل بن سليمان

ثم أعطى المعطى خراسان إلى أبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى، وأرسل أبو العباس سعيد بن بشير على المقدمة، وقدم سعيد إلى مرو فى المحرم سنة سبع وستين ومائة، وذهب إلى المسيب، ولم يكن لدى المسيب خبر، فسلم عليه وأعطاه رسالة تسليم العمل، وحينما قرأها قام من مكانه وقال : المجلس لك.

ثم قدم أبو العباس فى شهر ربيع الأول من هذه السنة، وبدأ العمل، فرد إلى أهل مرو خمسة آلاف حصة من المياه كان العظماء والقواد قد اغتصبوها بالقوة، ووسع مسجد مرو، واشترى منازل وبساتين، ووسع مقابر مرو، وزاد أرزاق الجند، وعدل فى عطايا الخراج بين الناس. وهكذا صار أهل قهستان وطبسين وآمل ونسا وباورد وهراة وبوشنگك لا يعجبهم إلا عمله. ورفع عن الناس كل ما أضافه المسيب إلى الخــراج، وبني فضل أباد فى صحراء أموى، وأقـام بين السغـد وبخـارى سوراً عظيماً حتى أمنوا من الترك وخفف الخراج عن عظـاء العرب، وتولى الهادى فى عصره الخلافة، وظل أبو العباس أميراً على خراسان طوال عهده، ولما تولي هارون الرشيد الخلافة أعطاها لجعفر بن محمد بن الأشعث.

جعفر بن محمد بن الأشعث

ثم أعطي هارون الرشيد خراسان لجعفر بن محمد بن الأشعث، وأرسله إليها، وفي ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائة أرسل ابنه العباس إلى كابل وفتح شاهبهار[٥٠] وغنم ما فيه من أموال. ثم استدعوا جعفراً، ويروون أن جعفراً مَثُل أمام هارون الرشيد ذات يوم، وقد غضب هارون الرشيد على شخص فقال جعفر :

"يا أمير المؤمنــين، ينبغي أن يكون الغضب لله، وكل غضب يأخذك من أجل الله لا تتجــاوز به حــدوده، لأن الله عز وجــل يحـاسب" فســر من ذلك هــارون، وأنعم على الرجل.

العباس بن جعفر

حينما استدعي هارون جعفراً أعطي خراسان لابنه العباس بن جعفر، فقدم إلى خراسـان، وسـار سيرة والده، وبقي ثلاثة أعوام والياً عليها حتى عزلوه سنة خمس وسبعين ومائة.

الغطريف بن عطاء الكندي

ثم أعطى هارون خراسان للغطريف بن عطاء الكندي، وأرسل الغطريف داود بن يزيد بن حاتم خليفة له، وذهب في أثره في شهور سنة خمس وسبعين ومائة، وأرسل عمر بن جميل حتى أخرج جيبويه(٥١) من فرغانة وبقي هناك فترة، وأمر فضربوا الدرهم الغطريفي، وكانوا يبيعون ويشترون به في بخارى.

وخرج حصين الخارجي في عهد ولاية الغطريف، وهو من أهل أوق(٥٢)، وكان أمير سيستان عثمان بن عمارة بن خزيمة، وقد هزم حصين جيش عثمان، ثم قدم إلى خراسان في پوشنگ وهرات، وأمر هارون أن يطلبوه، فأرسل جرير بن يزيد مع اثنى عشر ألف رجل، وذلك بعد الغطريف وبعد خليفته وأخيه(٥٣).

ويقولون : إن حصينًا كان معه ثلاثمائة رجل، وقتل حصين جملة منهم، ولما ذهب إلى أسفزار قتل مع زوجته في سنة سبع وسبعين ومائة.

الفضل بن يحيى البرمكي

ثم أسند الرشيد أمور خراسان للفضل بن يحيى البرمكي، فأرسل الفضل يحيى ابن معاذ خليفة له، فقدم يحيى في شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائة، ثم جاء الفضل بن يحيى في محرم سنة ثمان وسبعين ومائة، وذهب لغزو ما وراء النهر فخرج إليه خاراخره ملك أشروسنه(٥٤) ولم يخرج قبل ذلك لشخص مطلقًا ولم يخضع لأحد. وخرج في عهده خراشه بن سنان الخارجي واستولى على دينور(٥٥)، فأرسل الفضل بن يحيى إبراهيم بن جبرائيل، فهزم خراشه، وهرب إلى مدينة زور على بعد تسعين فرسخًا (قطعها) في ثلاثة أيام، ثم قدم إلى بئر أسد فقبضوا عليه هناك وقتلوه.

وقد ربى هارون محمد الأمين في أحضان الفضل بن يحيى، كما ربى المأمون في كنف جعفر بن يحيى، وكان يدعو يحيى بن خالد بالوالد، واستوزره.

وكان الفضل والبرامكة جميعًا أسخياء كرماء، قالوا أمام الفضل بن يحيى ذات يوم : "إن عمر بن جميل رجل سخي يقرى الضيف"، فأمر له بمائتى ألف درهم، وأخلفه على خراسان بهذه الحكاية التى حكوها عنه، وحينما عزل الفضل هيأ عمر بن جميل الأمور لنفسه بصاغانيان، وبقى هناك، وقد أعقب كثيرًا فيها، وحتى هذا الوقت يوجد الكثير من نسله، ويقولون : إن عمر شاهد ثعلبًا ذات يوم يدخل جحرًا، فحفر عمر ذلك الجحر فرأى فيه أموالاً طائلة، فحمل هذه الأموال؛ وأقام قصرًا فى هذا المكان، وقد أقام جميع أقاربه بيوتًا حول هذا القصر، ثم عزل الرشيد الفضل بن يحيى.

المنصور بن يزيد

ثم أسند الرشيد أمر خراسان إلى المنصور بن يزيد وكان خالاً للمهدى، وجعل المنصور ابنه سعيدًا خليفة عنه، وقدم سعيد إلى خراسان فى ذى القعدة سنة تسع وسبعين ومائة، وقدم المنصور فى ذى الحجة في نفس هذا العام. وفي ولاية المنصور خرج الحمزة بن أدرك الخارجي وذهب إلى قهستان فأعطاه أهلها كل ما طلب وقفل راجعًا.

على بن عيسى بن ماهان

ثم أعطى هارون خراسان لعلى بن عيسى بن ماهان. فأرسل ابنه يحيى فى المقدمة، وقدم يحيى إلى خراسان أوائل عام ثمانين ومائة، وظل عشرة أعوام فى ولاية خراسان، وكان كاتبه حفص بن منصور المروزى. ومات حفص، وقد أعقب ستين طفلاً : عشرين كبارًا وأربعين صغارًا، كما ألف كتاب "خراج خراسان"(٥٦).

وفى ولاية على بن عيسى خرج حمزة الخارجى، وكانت ولاية هرات حتى پوشنگ مع عمرو بن يزيد الأزدى، وذهب عمرو بستة آلاف رجل لملاقاة حمزة، فهزم حمزة وقتل الكثير من رجاله، ومات جملة آخرون من شدة الحر، كما مات عمرو أيضًا من شدة هذا الحر فأحضروه ودفنوه.

وذهب حمزة إلى إستراباد، وأرسل على بن عيسى بن ماهان ابنه حسيناً بعشرة آلاف رجل، فقدم حسين إلى بادغيس، وكتب رسالة إلى حمزة فأعطاه الزكاة، ولم يحاربه، فعزله أبوه لهذا السبب. ثم أرسل عيسى ابناً آخر فحارب حمزة، وهزم حمزة جيش عيسى، فرجع ابن عيسى إلى بلخ، وأعطاه أبوه جيشاً آخر، وذهب لحرب حمزة، وقتل الكثير من رجال جيش حمزة، وذهب حمزة إلى قهستان مهزوماً يصحبه أربعون ألف رجل.

وأرسل على بن عيسى عدداً من قواده إلى أوق وكوين فقتلوا كل من وجدوه من الخوارج القعديين[٥٧]، وقتلوا أهل القرى التي ناصرت حمزة وأحرقوها، حتى وصلوا إلى زرنج. ويقولون : إنهم قتلوا لهذا السبب ثلاثين ألف رجل، وتركوا عبد الله بن عباس في زرنج مع أربعة آلاف رجل، وجبى عبد الله ثلاث صرر ألف درهم، وقد تقدم أمامه حمزة حتى سبزوار، والتقيا هناك للحرب، وصمد أهل السغد ونخشب حتى أصاب الملل حمزة فهجموا وقتلوا أعوانه وجرحوا وجهه، وحمل عبد الله بن عباس هذه الأموال ورحل، ونزل حمزة إلى القرى فقتل كل من وجده حتى وصل إلى مدرسة فقتل ثلاثين طفلاً مع معلمهم.

وحينما سمع طاهر[٥٨] أن في القرية قعديين لم يحاربوا، أحضرهم عندما فرغ من قتل ثلاثمائة رجل وامرأة، وحمل متاعهم، وربطوا غصنين قويين من شجرة بحبال متينة، وجعلوا كلاهما مقابلاً للآخر، وكانوا يربطون رجلي القعدي على هذين الغصنين، ثم يفتحون الحبل فيشطر الغصنان بقوتهما الرجل شطرين. ووقعت حروب كثيرة بين رجال عيسى ورجال حمزة، واستقام أمر عيسى وبنى قرية ده آس[٥٩] ببلخ .

هرثمة بن أعين

ثم أعطى الرشيد خراسان لهرثمة بن أعين فقدم إليها سنة إحدى وتسعين ومائة. ورفع رافع بن الليث بن نصر بن سيار لواء العصيان في سمرقند، وشغل به هرثمة فترة، ثم كتب الأمان وأرسله إلى رافع فلم يلتفت رافع إلى ذلك.

وحينما سمع الرشيد هذا الخبر قال : "يذل كل من يرد رسالة الأمان". ودعا هرثمة بن أعين طاهر بن الحسين إليه، وخلت خراسان من الحشم، وخرج حمزة وأخذ في القتل والنهب، وقدم إليه الرجال من هرات وسيستان. وخرج عبد الرحمن النيشابوري في زرنج واجتمع معه عشرون ألف رجل من الغزاة مسجلة أسماؤهم[٦٠]. وفي سنة أربع وتسعين ومائة قصدوا حمزة، وكان مع حمزة ستة آلاف رجل، وقتلوا أكثر رجال حمزة كما قتلوا حمزة (نفسه)؛ فقد دخل هرات، ودخل الغزاة في أثره، وقتلوه أخيراً في شهور عام ثلاثة عشر ومائتين، وتولى مكانه أبو إسحاق القاضي[٦١].

وحاصر هرثمة سمرقند على رافع بن الليث، وحارب طويلاً حتى فتح سمرقند وقتل رافعًا.

وأعطوا ما وراء النهر ليحيي بن معاذ سنة خمس وتسعين ومائة، ثم عزلوه بعد ذلك، وأعطوها لباينجور[٦٢] في شعبان سنة تسع وتسعين ومائة.

ولما سمع هارون خبر رافع وهرثمة ضاق قلبه، ورحل عن بغداد وقصد سمرقند، وحينما وصل إلى طوس مات في سنة ثلاث وتسعين ومائة.

المأمون عبد الله بن الرشيد

ولما مات الرشيد كان المأمون في مرو، وأوصى الرشيد أن يوصلوا كل ما معه من مال إلي المأمون، فخان الفضل بن الربيع وحمل كل الأموال إلى محمد بن زبيدة على خلاف ما أوصى الرشيد، وكان المأمون وليًا للعهد بعد الأمين، ولما كان في خراسان وقت وفاة أبيه فقد استقر هناك وأقر الأمور.

واستدعى الأمين المؤتمن من بلاد المغرب، وأمره فخلع نفسه، وأخذ البيعة لابنه ولقبه الناطق بالحق، ثم كتب رسالة إلى المأمون، واستدعاه من خراسان، وكان المأمون شديد الذكاء عاقلاً ففهم نية محمد الأمين فاعتذر ولم يذهب إلى بغداد، فأرسل محمد

الأمين على بن عيسى لحربه، ولما علم المأمون استشار الفضل بن سهل، وبالاتفاق معه (وتنفيذًا) لمشورته هو وبوبان المنجم(٦٣)، أرسل طاهر بن الحسين بن مصعب لملاقاة على بن عيسى، وعلى مقربة من الرى لحق كلاهما بالآخر، واشتبكا، ودارت رحى الحرب، ولم يمض كثيراً حتى ظفر طاهر، وقتل على بن عيسى، وقطع رأسه وأرسلها إلى المأمون.

واتجه من هناك إلى العراق، وأرسل محمد الأمين عبد الرحمن بن جبلة بثلاثين ألف رجل لحرب طاهر، ودارت بينهما معركة طاحنة بالقرب من همدان، وانهزم عبد الرحمن ودخل همدان، فحاصر طاهر المدينة، وقدم عبد الرحمن طالبًا الأمان، ومكث فترة، ثم استخدم الحيلة فدخل معسكر طاهر في منتصف اليوم مع قوم كانوا قد قدموا من بغداد لمدده، فخرج طاهر ونشبت المعركة بينهم، وقتل طاهر القوم جميعًا، وقبض على عبد الرحمن وقطع رأسه وأرسلها إلى المأمون.

ثم قصد بغداد ووصل هرثمة بن أعين لمدد طاهر من خراسان، وتوجهوا إلى بغداد، ونزل الجيش حولها، ودارت المعركة، وحاصروا بغداد، وضاق الخناق على محمد ابن زبيدة، وحينما جاوز الحد مداه، ولم يبق فى الخزينة مال، وأعرض الحشم والجيش والرعية والموالى عن محمد الأمين وبقى وحده، ونفدت الحيلة كتب رقعة إلى هرثمة (قال فيها) : "سوف آتى الليلة إليك". وجلس هرثمة فى زورق، وقدم إلى بغداد عن طريق دجلة، وذهب محمد إليه، وركب كلاهما الزورق، وعلم طاهر بهذا الأمر فقطع الطريق على محمد، وأمر فقذفوا الحجارة حتى كسر زورق محمد، وأمسك النوتى هرثمة وأخرجه، وكان محمد يجيد السباحة فأراد أن يخرج من دجلة فقبض عليه غلام من غلمان طاهر، وحمله إلى خيمته وأخبر طاهراً فأمره طاهر فقطع رأسه.

وأرسل طاهر إلى المأمون رأس محمد بن زبيدة والرداء والقصب(٦٤) ومصلى الرسول ﷺ بيد محمد بن الحسين بن مصعب ابن عم طاهر فوصله المأمون بألف ألف درهم، ولما استقر المأمون فى خراسان عدل بين الجميع، وكان يأتى كل يوم إلى المسجد الجامع فى مرو، ويفض المظالم، ويستمع إلى شكاوى الناس، وينصفهم.

غسان بن عباد

ولما أتوا برأس المخلوع إلى خراسان، واستقامت الخلافة للمأمون أعطى ولاية خراسان لغسان بن عباد فى رجب سنة أربع ومائتين، وعزل غسان الليث بن سعد من سمرقند وأعطاها لنوح بن أسد.

وفى عهده رحل المأمون عن مرو، وذهب إلى بغداد، ومات على بن موسى الرضى ﷺ فى طوس .

وقتلوا الفضل بن سهل فى الحمام فى سرخس، وحينما تفقدوا تركته وجدوا درجًا وضع عليه ختم وقفل، ففتحوا القفل فوجدوا علبة ذهبية مغلقة، ففتحوها فوجدوا فيها قطعة من الحرير كتب عليها : "بسم الله الرحمن الرحيم : هذا حكم الفضل بن سهل قد حكمه على نفسه : سيعيش ثمانية وأربعين عامًا، ثم يقتلونه بين الماء والنار" فعاش أيضًا هذا القدر، وقد قتله خال المأمون غالب بن استادسيس فى مدينة سرخس فى الحمام.

طاهر بن الحسين

ثم أعطى المأمون خراسان لطاهر بن الحسين بن مصعب فى شوال سنة خمس ومائتين، فأرسل طاهر خليفته، وذهب هو لحرب نصر بن شبث، وقد حاربه فى الرقة(٦٥).

وأرسل المأمون عبد الله بن طاهر بدلاً من والده إلى الرقة، وقدم طاهر إلى خراسان فى شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين، وبعد عام ونصف من حكمه لم يذكر اسم المأمون فى إحدى خطب الجمعة، ومات فى ليلة ذلك اليوم فى جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين، فخلفه ابنه طلحة.

طلحة بن طاهر

وحينما مات طاهر تولى طلحة ولاية خراسان، وكانت هناك حروب كثيرة بين طلحة وحمزة الخارجي، ثم قتل حمزة الخارجي عام ثلاثة عشر ومائتين.

وكان المأمون قد لقب طاهر بن الحسين بذي اليمينين، والسبب في ذلك : أنه لما أرسل طاهراً لملاقاة علي بن عيسى اختار الفضل بن سهل ساعة خروجه ورأى الطالع فوجد كوكبي اليماني : سهيل والشعرى في وسط السماء فلهذا لقبه بذي اليمينين؛ ولأن الاختيار كان موفقًا فقد أحب المأمون علم النجوم، وفي تلك الساعة عقد الفضل اللواء لطاهر وقال له : "يا طاهر لقد عقدت لك لواء لن يفكه أحد طيلة خمسة وستين عامًا (وتقدر المدة) بخمسة وستين عامًا منذ أن خرج طاهر من مرو لملاقاة علي بن عيسى حتى وقت انتهاء الدولة الطاهرية، وقبض يعقوب بن الليث على محمد بن طاهر.

ولما ارتاح قلب طلحة بن طاهر من أمر حمزة الخارجي وقتله مات هو أيضًا في نفس العام، وأخلف محمد بن حميد الطاهري على خراسان.

عبد الله بن طاهر

لما سمع المأمون نبأ موت طلحة أعطى خراسان لعبد الله بن طاهر وأرسل عبد الله ابن طاهر علي بن طاهر خليفة له، وكان عبد الله في دينور، فأرسل الجيوش لحرب بابك الخرمي، وهجم الخوارج على قرية من قرى نيشابور، وقتلوا كثيراً من الناس، ولما بلغ هذا الخبر المأمون أمر عبد الله بن طاهر أن يذهب إلى نيشابور وأن يتدارك هذا الأمر وأرسل علي بن هشام بدلاً من عبد الله إلى دينور، وقدم عبد الله إلى نيشابور في رجب عام خمسة عشر ومائتين، وكانت خراسان تملأها فتنة الخوارج فأرسل عبد الله بن عزيز بن نوح على رأس عشرة آلاف رجل حتى طهر خراسان من الخوارج وقتل كثيراً منهم.

وقد ارتكب محمد بن حميد الطاهرى الذى كان خليفة عبد الله فى نيشاپور كثيراً من المظالم، فقبض على البعض من الطرق العامة وأتى بهم إلى قصره، وحينما قدم عبد الله إلى نيشاپور سأل أحمد الحاج وكان منصفًا، فقال : لقد أتى بهم إلى قصره من الطرق العامة فعزله عبد الله، وأمر فأزال الحواجز من طريق المسلمين.

ومات المأمون فى عهده وتولى المعتصم الخلافة، وكان المعتصم غاضباً على عبد الله، والسبب فى ذلك أن عبد الله لما كان حاجبًا للمأمون قدم المعتصم ذات يوم فى جمع من غلمانه إلى باب المأمون، فى وقت غير مناسب، فقال عبد الله : ليس هذا وقت السلام مع هذا العدد الغفير من الغلمان، فقال له المعتصم : أجائز لك أن تركب بصحبة أربعمائة غلام ولا يجوز لى الركوب مع هؤلاء القلة ؟ ! فقال عبد الله : لو أركب بصحبة أربعة آلاف غلام فأنا لا أطمع فيها (أى فى الخلافة) أما أنت فبأربعة من الغلمان تطمع. فرجع المعتصم وقد استبد به الغضب، وحينما علم المأمون دعاهما إليه وأصلح ذات بينهما.

وحينما تولى المعتصم الخلافة أرسل عهد خراسان إلى عبد الله، وأرسل له جارية فائقة الجمال، وأعطى لهذه الجارية منديلاً، وقال : حينما يقربك عبد الله أعطه هذا المنديل لينظف نفسه، فلما ذهبت الجارية إلى منزل عبد الله أحبته وأفضت له بهذا السر فحزم عبد الله أمره واحتاط لنفسه من المعتصم، واستبدت الوحشة منه بقلبه، وذات يوم قال عبد الله لإسماعيل كاتبه : سأذهب إلى الحج، فقال إسماعيل : إنك أكثر حزمًا من أن تعمل عملاً بعيداً عن الحزم، فقال عبد الله : حقًا قلت، ولكنى اختبرتك.

وفى عهد عبد الله شق مازيار بن قارن عصا الطاعة فى طبرستان، واتخذ من دين بابك دينًا له، وأصبح من المحمرة[٦٦]، فذهب عبد الله إلى هناك، وحاربه، وقبض على مازيار فى سنة سبع وعشرين ومائتين، وأرسله إلى المعتصم، فأمر فجلدوه خمسمائة جلدة، فمات فى نفس اليوم من الألم.

وفى عام أربعة وعشرين ومائتين وقع زلزال بفرغانة فهدم كثيراً من المنازل، وكان أهل نيشاپور وخراسان يفدون على عبد الله دائماً، وكانوا يختصمون فى القُنَى[٦٧]،

ولم يرد في كتب الفقه وأخبار الرسول ﷺ في معنى القني وأحكامها شيئًا فجمع عبد الله جميع فقهاء خراسان وبعض فقهاء العراق ووضعوا كتابًا في أحكام القني أسموه " كتاب القني" ، وهم يعملون على حسب الأحكام التي وردت فيه، وهذا الكتاب موجود حتى الآن، وأحكام القني والقنيات التي تدور حول هذا المعنى تسير بموجب هذا الكتاب.

ولعبد الله بن طاهر مآثر طيبة أحدها أنه كتب إلى جميع عماله : "لقد أخذت الحجة عليكم حتى تستيقظوا من سباتكم، وتتخلصوا من الحيرة، وتجدوا في صلاح أنفسكم، وتداروا عظماء ولايتكم، وتساندوا الفلاح الذي صار ضعيفًا، امنحوه القوة وأعيدوه إلى ما كان عليهم؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل الطعام من أيديهم، والسلام من ألسنتهم، وحرم الظلم عليهم، وكان يقول : "يجب أن يعطى العلم لأهله ولغير أهله، لأن العلم أمنع من أن يثبت مع غير أهله".

ولما توفي المعتصم تولى الواثق الخلافة، فأرسل عهد خراسان إلى عبد الله ومات عبد الله في خلافة الواثق سنة ثلاثين ومائتين.

طاهر بن عبد الله

ثم أعطى الواثق خراسان إلى طاهر بن عبد الله، وكان يكنى بأبي الطيب وكان في هذا الوقت في طبرستان، ثم رجع إلى نيشاپور وأناب عنه مصعب بن عبد الله.

ومات الواثق في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وتولى المتوكل الخلافة فأرسل عهد خراسان إلى طاهر. وبعد فترة وجيزة قتلوا المتوكل، وتولى المنتصر الخلافة فأرسل عهد خراسان إلى طاهر.

وقال أبو الحسن الشعراني : إن طاهرًا كان عنده خادم أبيض اللون، بهي الطلعة، فأعطاه لي "وقال" : بع هذا، فتضرع الخادم كثيرًا وبكى، فتوقفت، فقد كان خادمًا بارع الحسن، ورجعت إلى الأمير، "وقلت" : لماذا تبيع هذا الخادم ؟ فقال : ذات

ليلة كان نائمًا في القصر وقد أزاح الهواء عنه ثيابه فرأيته فحسن في عيني، وأخشى أن يوسوس لي الشيطان، ثم أمر فأعدوا الهدايا وأرسلوا الغلام مع هدايا أخرى إلى المتوكل.

وذات يوم كتبوا له خطابًا وسألوه : إذا كان يستصوب اسم الرشيد ؟.

فوقع : لا أريد أن يدعونني الرشيد؛ إنهم يطلقون هذا الاسم على شخص جعله الله عز وجل جديرًا به.

ولما مات المنتصر تولى المستعين الخلافة فجعل ولاية خراسان لطاهر، وتوفى طاهر سنة ثمان وأربعين ومائتين.

محمد بن طاهر

وأسند المستعين خراسان لمحمد بن طاهر، وكان محمد بن طاهر غافلاً لا يتبصر العواقب، انهمك في شرب الخمر، وشغل بالطرب والأنس، حتى هاجت طبرستان بسبب غفلته.

وخرج الحسن بن زيد العلوى سنة إحدى وخمسين ومائتين، وكان سليمان بن عبد الله بن طاهر أميرًا على طبرستان، وحاربه الحسن بن زيد، وهزمه واستولى على طبرستان.

وخلعوا المستعين، وتولى المهتدى الخلافة، ظل بها خمسة عشر شهرًا وستة عشر يومًا، ثم خلعوه وتولى المعتمد الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين. وكانت خراسان لمحمد بن طاهر، وسرت الفتنة في طبرستان وكركان، وحسد محمد بن طاهر أبناء عمه واتفقوا مع يعقوب وشجعوه حتى قصد خراسان وخرج فقبضوا على محمد وتولى يعقوب خراسان.

فتنة يعقوب بن الليث

كان يعقوب بن الليث بن معدل رجلاً مغموراً من قرية من قرى سيستان تدعى قرنين، ولما قدم إلى المدينة اختار الصفارة فكان يتعلمها، وكان أجيراً في الشهر بخمسة عشر درهمًا، وسبب نجابته أنه كان جواداً بكل ما يجد وكل ما يملك، وكان يأكل مع الناس، وكان معهم ذكيا شهمًا، وكان يرعى حرمة جميع أقربائه، وكان هو القدوة فى كل عمل يضطلع به بيْن زملائه، وبعد الصفارة سلك طريق العيارين، ومنها سلك طريق السرقة وقطع الطرق، ثم تولى القيادة فكانت له الخيول، وهكذا وصل بالتدريج إلى الإمارة. وفى البداية حصل على قيادة بست من قبل نصر بن صالح[٦٨]، ثم استولى على إمارة سيستان، وحينما صارت له لم يقر له قرار، وقال : لو أسترح لن يطلقوا يدىّ، ثم قدم من سيستان إلى بست واستولى عليها؛ ومن هناك توجه إلى پنجواى[٦٩] وتكين أباد[٧١]، وحارب رتبيل واحتال عليه وقتله، واستولى على پنجواى ورخود[٧٠]؛ ثم قدم من هناك إلى غزنين واستولى على زابلستان، وخرب مدينة غزنين؛ وقدم إلى جرديز وحارب أميرها أبا منصور أفلح بن محمد بن خاقان، وبذل جهداً كبيراً حتى توسط الناس، وأعطى أبو منصور الرهائن؛ وضمن أن يرسل كل عام إلى سيستان عشرة آلاف درهم خراجاً.

ورجع من هناك، وذهب إلى بلخ، واستولى على باميان سنة ست وخمسين ومائتين، وخرب نوشاد بلخ[٧٢]، كما خرب كل المبانى التى كان قد شيدها داود بن العباس بن هاشم ابن ماهجور[٧٣] ورجع من هناك، وذهب إلى كابل، وقبض على فيروز[٧٤].

وذهب إلى بست، وفرض على أهلها الخراج من كل نوع، وكان غاضبًا عليهم لأنهم كانوا قد انتصروا عليه فيما مضى؛ ومن هناك رجع إلى سيستان؛ وفى سنة سبع وخمسين ومائتين ذهب إلى هرات، وحاصر عبد الرحمن الخارجى فى كروخ[٧٥]، وحينما قهر عبد الرحمن فى ذلك الحصار قدم طالبًا الأمان مع نفر من العظماء مثل مهدى محسن ومحمد بن نوله وأحمد بن موجب وطاهر بن حفص. ومن هناك قدم إلى پوشنگك وقبض على طاهر بن الحسين، ورجع من هناك إلى سيستان وحارب عبد الله

ابن محمد بن صالح السگزی، وأخواه : فضل و ...[٧٦] يعقوب بن الليث، وضرب عبد الله يعقوب بالسيف فجرحه، ورحل الإخوة الثلاثة عن سيستان لهذا السبب، وذهبوا إلى نيساپور تحت حماية محمد بن طاهر، فكتب يعقوب رسالة وطلبهم فلم يسلمهم محمد ابن طاهر، فقدم يعقوب إلى خراسان لطلبهم، وأرسل رسولاً إلى محمد بن طاهر، فلما قدم وطلب المثول فى البلاط قال حاجب محمد : ليس الوقت وقت المثول فى البلاط فإن الأمير نائم، فقال الرسول : لقد جاء من يوقظه من النوم، ورجع الرسول.

وقصد يعقوب نيشاپور، فذهب عبد الله مع إخوته إلى گرگان، وحينما وصل يعقوب إلى فرهادان على بعد ثلاثة منازل من نيشاپور تقدم القواد وأبناء عم محمد جميعًا للخدمة إلا إبراهيم بن أحمد، فاصطحبهم يعقوب معه إلى نيشاپور.

وأرسل محمد بن طاهر إبراهيم بن صالح المروزى برسالة إلى يعقوب قال (فيها) : "إذا كنت قد أتيت بأمر أمير المؤمنين فاعرض العهد والمنشور حتى أسلمك الولاية وإلا فارجع". فلما وصل الرسول إلى يعقوب وأفضى إليه بالرسالة أخرج يعقوب بن الليث الحسام من تحت المصلى وقال : "هذا عهدى ولوائى" وقدم يعقوب إلى نيشاپور ونزل بشادياخ[٧٧] وقبض على محمد وأحضره بين يديه، ووبخه كثيراً واستولى على خزائنه كلها، وكان القبض على محمد فى الثانى من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين. واستدعى يعقوب إبراهيم بن أحمد وقال : لقد وفد الحشم جميعًا عندى فلماذا لم تحضر ؟ فقال إبراهيم : أيد الله الأمير، لم تكن لى بك معرفة حتى أحضر عندك أو أكتب رسالة إليك، ولم أكن للأمير معاتبًا فأعرض عنه، ولا أجيز لنفسى خيانة رب نعمتى فإنه لن يكون جزاء إحسانه وإحسان أبيه الخيانة، فوقع هذا موقع الاستحسان من يعقوب فعظمه وقربه وقال : يجب أن يكون لكل عظيم مثلك، وصادر جميع الأشخاص الذين أتوا لاستقباله، وجردهم من متاعهم، وكتب رسالة إلى الحسن بن يزيد فى جرجان وطلب منه عبد الله السگزى وإخوته، فكتب الحسن بن يزيد الجواب ولم يرسلهم فقصد يعقوب گرگان، وانهزم الحسن بن يزيد أمامه، وذهب إلى آمل وخرج من هناك عن طريق رويان من عقبة كندسان[٧٨]، وحينما وصل يعقوب إلى معسكر الحسن وجده خاليا، فأمر الجيش أن يحمل كل ما يستطيع حمله، وأشعلوا النار فى الباقى واحترق كل شىء، وكان هذا فى سنة ستين ومائتين.

وذهب عبد الله وإخوته إلى الرى عند الصلابى فكتب يعقوب رسالة إليه حتى يبعث بهم وإلا فسيعامله بنفس المعاملة التى عامل بها محمداً والحسن، فخاف أهل الرى من هذه الرسالة، وأرسل الصلابى كلا الأخوين إلى يعقوب، فأتى بهم يعقوب إلى نيشاپور، وصلبهم فى شادياخ على الحوائط بالمسامير الحديدية، ونهب أموال الطاهريين، ورجع إلى سيستان، وأحضر محمد بن طاهر مصفداً مع سبعين رجلاً حتى هزم الموفق يعقوب بدير العاقول[٧٩] ونجا محمد بن طاهر فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين.

ثم قصد يعقوب فارس فاستولى عليها وعلى الأهواز، ثم قصد بغداد وأراد أن يذهب إليها ويخلع المعتمد من الخلافة ويولى الموفق، وقص الموفق هذا الأمر على المعتمد، وكان يعقوب يكتب الرسائل سراً إلى الموفق، وكان الموفق يعرض هذه الرسائل على المعتمد، حتى وصل يعقوب إلى دير العاقول بالقرب من بغداد على منبع نهر الفرات، وأنزل جيشاً هناك، وأمر الموفق ففتحوا عليه نهر دجلة، فهلك أكثر جيشه وهزم ورجع، وبسبب هذا العار أصيب بمرض الأمعاء، وحينما وصل إلى نيشاپور مات بهذه العلة. ولم يهزم قط من الخصوم، ولم ينطل عليه مكر إنسان، وكان موته يوم السبت فى الرابع عشر من شوال سنة خمس وستين ومائتين.

عمرو بن الليث

ثم أعطى المعتمد والموفق خراسان وسيستان وفارس إلى عمرو بن الليث، ورجع عمرو من جنديشاپور إلى فارس، وخرج من هناك إلى هرات.

وأقام الخجستانى[٨٠] فى نيشاپور، وكان ميل حيكان القارى : يحيى بن محمد الذهلى[٨١] والمطوعة وفقهاء نيشاپور إلى عمرو؛ فقد كان مبعوث أمير المؤمنين وكان معه العهد واللواء، وقد تحدث الناس فى شأن الخجستانى وأنه مخالف للسلطان، ولما خبر الخجستانى ولى مكانه فى نيشاپور محمد بن منة.

وقدم هو إلى هرات لحرب عمرو بن الليث، وحاصر هرات على عمرو فى سنة سبع وستين ومائتين، ولم يستطع أن يفعل شيئاً. ومن هناك قصد سيستان، ولما وصل إلى

"رمل سم" أحكم الحصار على شادان بن مسرور والأصرم[٨٢]، ثم شغل قلب الخجستاني فرجع إلى نيشاپور، وقتل قوماً كثيراً.

وأصبح قلب عَمْرٍ فارغاً وضبط شئون ولاية خراسان على أكمل وأتم وجه، ورسم سياسة لم ينتهجها أحد قبله مطلقاً.

ويقولون : إن عمرو بن الليث كان يملك أربع خزائن، واحدة للسلاح، وثلاثة للمال، وكانت الخزائن دائماً تلازمه؛ الأولى : خزينة المال والصدقات والجزية وما شابه ذلك، وكانت تصرف في رواتب الجند؛ والأخرى : خزينة المال الخاص، وكانت تجمع من الغلال والضياع، وتصرف في أوجه النفقات والمطبخ وما يماثل ذلك؛ والثالثة : قد جمع دخلها من أرض الموات ومصادرات الحشم الذين كانوا يتعاونون مع العدو، وكانت تنفق في الصلات والعطايا للحشم وعلى الجواسيس والرسل وما شابه ذلك.

وكان عمرو بن الليث كثير الاجتهاد في أمور الحشم والجيش، وكان يأمر لهم كل ثلاثة أشهر بالصلات والعطايا، وكان شديد الذكاء، فكان يتحين الوقت المناسب للمصادرة ويلتمس الأعذار حتى يأخذ المال من مالكه، ويقولون : إن محمد بن بشر قدم ذات يوم إلى عَمْرٍ ولم تبق أموال في خزينة الصلات، واقترب وقت صلات الحشم، وكان في حاجة إلى المال، فاتجه عمرو ناحية محمد بن بشر وأخذ في عتابه فقال : أتعلم ماذا فعلت ؟ فعلت لي كذا وكذا، وقال كل شيء، فعرف محمد مقصوده فقال : أيد اللهِ الأمير، كل ما لدي من مال سواء من الغلمان والرقيق والذهب والفضة يزيد على خمسين بدرة من الدراهم، فخذ هذه الأموال مني دون اختلاق للأسباب، واعفني من هذا العتاب والتهديد، فقال عمرو : لم أر شخصاً أكثر ذكاءً من هذا مطلقاً، وقال لمحمد : اذهب وأوْدِع هذا المال في الخزينة، ولا حرج عليك مطلقاً، فأودعه محمد بن بشر، وأمن الكثير من إيلام الأصدقاء وضررهم ومنتهم.

وكان لعمرو طبلان : أحدهما اسمه مبارك، والآخر اسمه ميمون، وكانت عادته حينما كان يمضي أول العام، أن يأمر بقرع الطبلين حتى يعرف الحشم أنه يوم الصلة، وبعد ذلك كان يجلس سهل بن همدان العارض ينثر بدرة من الدراهم أمامه ويمسك غلامه دفتراً، وكان اسم عمرو بن الليث أول الأسماء، يخرج عمرو من الوسط، وينتظر

العارض إليه وإلي حليته وجواده وسلاحه فيجد أنه قد احتفظ بجميع أدواته جيداً، فيطريه ويمدحه ويقدم ثلاثمائة درهم يزنها ويضعها في حافظة ويعطيها له. فيأخذها عمرو ويضعها في ساق خفه ويقول : "الحمد لله فقد مَنَّ علينا بطاعة أمير المؤمنين فصرنا مستحقين لأياديه" ويرجع، ثم يصعد إلى مكان مرتفع، ويجلس، وكان ينظر تجاه العارض وهو يتفحص الجند واحداً واحداً بنفس الطريقة ويتفقد جيداً جواد ولجام وعلم وعدة كل فارس ومترجل، ويعطي كل واحد صلة على قدر رتبته.

وكان عمرو دائمًا لديه الجواسيس على القواد والعظماء حتى يقف على أحوالهم جميعًا. وكان شديد الذكاء داهية مكاراً مستنير الرأى، وسبب أفول دولته أنه حينما أرسل رأس رافع (بن هرثمة) إلى المعتضد عام أربع وثمانين[٨٣] (ومائتين) طلب من الخليفة أن يرسل له عهد ما وراء النهر، وذلك على عادة طاهر بن عبد الله، فأرسل المعتضد جعفر بن بغلاغز الحاجب إلى عمرو ومعه خطاب الولاية والهدايا، وحينما قرأ عمرو ابن الليث خطاب الولاية سرته ولاية ما وراء النهر من بين الهدايا جميعًا، ثم كتب جعفر إلى ابن الخليفة المكتفي على بن المعتضد وعبيد الله بن سليمان[٨٤] وبدر الكبير[٨٥] بالولاية.

وكانوا في الري، فكتبوا في الحال عهد ما وراء النهر وأرسلوه إليه بصحبة نصر المختارى الذى كان غلامًا لأبى الساج[٨٦].

وذهب جعفر بالعهد والهدايا إلى عمرو، وكان فيها سبع مجموعات من الخلع : كان بها درع موشى بالدر ومرصع بالجواهر واللآلئ، وتاج مرصع باليواقيت والجواهر، وأحد عشر جواداً : عشرة منها بألجمة وسروج ذهبية، وواحد منها له سرج ولجام ذهبى مرصع بالياقوت واللآلئ، وحزام من الصوف للسرج واليون، كلها مرصعة بالجواهر، وأربعة نعال ذهبية لأرجل الجواد الأربعة، وصناديق كثيرة.

ووضعت كل هذه الهدايا أمام عمرو، كما وضعوا الصناديق في قصره، وألبس جعفر عَمْراً هذه الخلع واحدة واحدة، فكان عمرو يصلى ركعتين لكل خلعة يلبسها، ويؤدى واجب الشكر لذلك.

ثم وضع جعفر عهد ما وراء النهر أمام عمرو فقال : " ما الذى سأفعله بهذا ؟، فإن هذه الولاية ليس من المستطاع إخراجها من يد إسماعيل[٨٧] إلا بمائة ألف سيف مجرد"، فقال جعفر: أنت الذى طلبت هذا والآن أنت أكثر معرفة به.

فأخذ عمرو ذلك العهد وقبله، ووضعـه على رأسـه، ثم وضعه أمامه، وخرج جعفر، ثم أرسل عـمرو بن الليث (جيشًا) على مقدمـتـه محمـد بن بشر وعلى بن شـــروين وأحمـد دراز عن طريق نهر آمو لملاقاة إسماعيل بن أحمد، وعبر إسماعيل بن أحمد النهر عن طريق زم[88].

وقدم إليهم وقاتل، ودخل أحمد دراز فى أمان إسماعيل بن أحمد، وهزم محمد بن بشر، وجدّ الجيش فى طلبه حتي قتل أثناء تلك الهزيمة مع سبعة آلاف رجل، وأسروا شروين، وكـان هذا يوم الإثنين الثـامن عشـر من شـوال سنة ست وثمـانين ومـائتـين، وحينما أسروا على بن شروين تشفع له أحمد دراز فلم يقتلوه وحبسوه فى سجن بخارى حتى مات.

وذهب إسماعيل بن أحمد إلي بخارى، ورجع جيش سيستان إلي عمرو (ملطخًا) بالهزيمة والعار، وقدموا إلى نيشابور، ولما رآهم عمرو تضجر وضاق صدره فقالوا : أيها الأمير لقد أعدوا مائدة عظيمة أشهى من هذه، ونحن حتى الآن لم نتناول غير طبق واحد، فقل لمن لديه الشجاعة والشهامة : اذهب حتى تأكل، فصمت عمرو، وأعد جيشًا جـهزه بالعدة والسـلاح، واتجه الجيش من نيشـاپور إلى بلاد مـا وراء النهر (مزودًا) بالعتاد الكثير (مجللاً) بالأبهة والعظمة.

ولما وصل إلى بلخ التقى بإسماعيل بن أحمد، ودارت رحى الحرب، ولم يمض قليل من الزمان حتى دحروا عمرو بن الليث، وانـهزم عسكره، وقبض عليـه فى هذا الوقت، وأسروه وأتوا به إلى إسماعيل بن أحمد.

وكانت هزيمة عمرو يوم الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائتين[89]، وفي الحـال أرسله إسمـاعيل إلى سمرقند، ولما وصل الخبر إلى المعتضد سر سرورًا بالغًا ، وأرسل عبد الله بن الفتح إلى خراسان ومعه عهد خراسـان والتـاج والخلع الكثيرة إلى إسماعيل بن أحمد فى سمرقند سنة ثمان وثمانين ومائتين. وبعث أشناس[90] ليحضر عَمْرًا، ولما حملوه إلى بغداد ومثل أمام المعتضد قال المعتضد : الحمد لله أن كفى شرك وفرغت القـلوب من أمـــرك. وأمر فسجنوه، وظل مسجونًا حتى مـات، وكانت وفاته سنة تسع وثمانين ومائتين[91].

ولاية السامانيين ونسبهم

والسبب في ولاية السامانيين أن سامان خدا[٩٢] بن حامتان الذي ينسب إليه السامانيون كان موبداً وكان يدين بالزردشتيه، ونسبه : سامان خداه بن خامتا بن فوش بن طمغاسب بن شادل بن بهرام بن بهرام چوبين بن بهرام بن حسيس بن كوزك بن أثفيان بن كردار بن ديركار بن جم بن جير بن بستار بن حداد بن رنجهان بن فير بن فراول بن سيم بن بهرام بن شاسب بن كوزك بن جرداد بن سفرسب بن كزكين بن ميلاد بن مرس بن مرزوان بن مهران بن فاذان بن كشراد بن ساد ساد بن بشداد بن أخشين بن فرذين بن ومام بن أرساطين بن دوسر منوچهر بن كوزك بن إيرج بن أفريدون بن إثفيان سك من سك بن سوركاو بن أخشين كاو بن رسد كاو بن دير كاو ابن ريمنكاو بن بيفروش بن جمشيد بن ويونكهان بن أسكهد بن هوشنگ بن فراوك بن منشى بن كيومرث أول ملك على الأرض.

وفي الوقت الذي كان فيه محمد الأمين خليفة في بغداد، كان المأمون في مرو، وكانت خراسان تحت حكمه قدم سامان خداه إلى المأمون، وأسلم على يديه، وكان له ابن يدعى أسد، وكان المأمون يحب أسداً هذا حباً شديداً وكان له أربعة أبناء : نوح وأحمد ويحيى وإلياس، وكان المأمون يحبهم، وكانوا مقربين إليه، لأنهم كانوا من الكمَّل الأصول، ولما رحل المأمون إلى بغداد وولي الخلافة، وأعطى خراسان إلى غسان ابن عباد، أوصاه بهم خيراً.

ثم أعطى غسان سمرقند لنوح بن أسد، وفرغانة لأحمد بن أسد، وأعطى چاچ[٩٣]، وأسروشنه ليحيى بن أسد، وأعطى هراة لإلياس بن أسد. وحينما رجع طاهر بن الحسين، وقدم غسان إلى خراسان ولاَّهم جميعاً هذه الأعمال.

ومن بين الأبناء جميعاً كان أحمد أكثرهم نشاطاً وقدرة على العمل، ولما مات كان له ابنان : نصر وإسماعيل، وفي عهد الطاهريين كانت لهما سمرقند وبخارى، فكانت سمرقند لنصر، وبخارى لإسماعيل، وكانت الأمور بينهما تسير سيراً حسناً حتى أوقع أهل السوء وألقوا بالوحشة بينهما، وظلوا يغذونها حتى قويت تلك الوحشة واستحكمت،

فوصل الأمر بينهما إلى الحرب فعبأوا الجيوش، وذهب كلاهما لقتال الآخر، ودارت بينهما معركة سنة خمس وسبعين ومائتين، وانتصر إسماعيل على نصر، وقبضوا على نصر وأحضروه إلى إسماعيل، وحينما وقعت عين إسماعيل عليه ترجل، وتقدم نحوه، وقبل يديه، واعتذر له، وأعاده إلى سمرقند ثانية معززًا مكرمًا مع جميع الحشم والحاشية.

وبعد ذلك جعل إسماعيل نصرًا خليفة عنه على بلاد ما وراء النهر، وسارت الأمور سيرًا حسنًا.

ولما طلب عمرو بن الليث ما وراء النهر من المعتضد وأجابه قصد إسماعيل، فعبأ إسماعيل جيشًا، وتقدم لمواجهة عمرو، وانتصر عليه، وبعث به إلى بغداد، وقد ذكرت هذه القصة.

إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان

وحينما آلت ولاية خراسان إلى إسماعيل ووصله عهد ولواء المعتضد أرسل محمد ابن هارون ليستولي على كركان وطبرستان فقبض على محمد بن زيد بن محمد، وأرسله إلى إسماعيل فأعطاه إسماعيل كركان وطبرستان.

وحينما مضت مدة من الزمن شق محمد بن هارون عصا الطاعة، فقصده إسماعيل، وذهب إلى الرى، وقتل أوكرتمش[٩٤]، وقبضوا على محمد بن هارون مع ولديه، وكان هذا الفتح فى السابع عشر من رجب سنة تسع وثمانين ومائتين.

ورجع إسماعيل، وقدم إلى نيشابور، وترك أحمد بن سهل فى هذه الديار، وفى ذلك الوقت مات المعتضد[٩٥] وتولى المكتفي[٩٦] الخلافة، وأرسل عهد خراسان إلى إسماعيل، ومن بعده لابنه أحمد، وقد أرسل عهد ولواء خراسان مع محمد بن عبد الصمد (مضافًا إليها) عهد الرى وقزوين وزنجان التى كان قد ضمها إلى ولاية خراسان، ولما وصل محمد بن عبد الصمد إلى نيشابور أكرمه ووصله بثلاثمائة ألف درهم وأعاده بكثير من الهدايا.

ثم أعطى إسماعيل ولاية الرى لأبى صالح منصور بن إسحاق، وأعطى منصور أحمد بن سهل قيادة الجيوش وجعل له حرسًا كحرسه، وأمر أن يتحمل كل أعباء الحشم حتى يرعى جميع مصالح الرعية وبذلك لا يلحق بمنصور أى تعب أو نصب. وأعطى إسماعيل كركان لابنه أحمد كما أعطى طبرستان لأبى العباس عبد الله بن محمد[97]، وأمر ابنه أن يوافق أبا العباس فى كل شىء ولا يخالفه فى أمر مطلقًا، ثم عزل ابنه من كركان؛ لأنه لم يحارب جستان[98] وقد هزم ابن نوح جستان[99]، وأعطى إسماعيل ابن أحمد كركان لپارس بزرگك حاجبه. ومات إسماعيل بن أحمد فى ليلة الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين، ولقبوه بالماضى.

الشهيد أبو نصر أحمد بن إسماعيل

ولما مات إسماعيل جعل ابنه أحمد وليًا للعهد على خراسان، وأرسل المكتفى عهد خراسان إلى أحمد بصحبة طاهر بن علي، وعقد لواءه بيده، وحينما وصل إلى بخارى أنزله أحمد بن إسماعيل منزلاً كريمًا، وعامله معاملة حسنة طيبة، ومنحه أموالاً كثيرة. ومات المكتفى في ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

وتولى المقتدر الخلافة فحفظ ولاية خراسان على أحمد بن إسماعيل أيضًا.

وحينما استقام أمر بخارى أراد أن يذهب إلى الرى حتى يقيم أمر هذه الولاية أيضًا وينظم أعمالها، فأشار عليه إبراهيم بن زيدون (وقال له) : اذهب أولاً إلى سمرقند، واقبض على عمك إسحاق بن أحمد حتى لا تضطرب عليك أمور خراسان، فهو رجل لديه فضول، فذهب أحمد بن إسماعيل إلى الرى سنة ست وتسعين ومائتين، ووصل إليه هناك عهد المقتدر، فجعل أبا جعفر الصعلوك خليفة له فيها ورجع هو سنة سبع وتسعين ومائتين، وقدم إلى هرات وأرسل من هناك حسين بن على المروزى إلى سيستان، وأرسل معه أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وإبراهيم ويحيى بن زيدويه وأحمد بن عبد الله، وحاصروا هناك معدل بن الليث[100]، وأرسل معدل أبا على بن على ابن الليث ليتجه إلى بست ورخود[101]، حتى يجمع المال ويرسله إلى معدل، فحشد

أبو علي جيشًا وحمل المال واتجه صوب سيستان، وعلم أحمد بن إسماعيل فهاجمه من هرات، وهزم ذلك الجيش وقبض على أبي علي، واستولى على جميع أمواله ، وأرسله إلى بغداد.

وكان حسين بن على[١٠٢] يحارب معدلاً في سيستان ، وحينما علم معدل أنهم قبضوا على أخيه أبي على تصالح وأعطى سيستان لمنصور بن إسحاق[١٠٣].

وذهب هو مع حسين بن على إلى بخارى، وكان هناك رجل من جملة حشم أحمد ابن إسماعيل اسمه محمد بن هرمز المعروف بمولى الصندلي، وكان على مذهب الخوارج، وكان عجوزًا مجربًا قدم إلى العرض ذات يوم بحكم وظيفته، وألح على أبي الحسن على ابن محمد العارض فقال له العارض : من الأفضل لك أن تجلس في حظيرة الخيول، فقد كبرت وليست فيك فائدة .

فغضب محمد بن هرمز؛ واستأذن من الأمير، وذهب إلى سيستان، واستعد وجمع أهل سيستان وغوغائها من الطريق، وخرج على منصور بن إسحاق، وبايعوا عمرو بن يعقوب بن محمد بن الليث سرًا، وكان زعيمهم هو محمد بن العباس المعروف بابن الحفار[١٠٤]. وقبضوا على منصور بن إسحاق وقيدوه، ووضعوه في السجن، وجعلوا الخطبة لعمرو بن يعقوب.

وحينما علم أحمد بن إسماعيل أرسل حسين بن على مرة أخرى إلى سيستان، واشتعلت الحرب وظل يحارب تسعة أشهر، ثم قدم ذلك العجوز المسمى بمولى الصندلي إلى طرف الحصن وقال له: قل لأبي الحسن العارض: لقد أطعتك واتخذتُ لي رباطًا فماذا تأمر ثانية؟ وطلب عمرو بن يعقوب وابن الحفار الأمان فأمنهم، وأطلقوا منصور ابن إسحاق؛ وقرب حسين ابن الحفار وأحسن إليه؛ وبعد يوم قدموا إليه فقبض على عمرو بن يعقوب وابن الحفار وأوثق قيودهما، وكان حسين يعتقد أن أحمد سوف يعطيه سيستان، ولكن أحمد أعطاها إلى سيمجور دويت دار[١٠٥].

وأمر حسين أن يعود مع من أعطاهم الأمان فأحضر حسين عمرو بن يعقوب وابن الحفار إلى بخارى عام ثلاثمائة.

ويقولون : إن أحمد بن عباس كان مولعًا ولعًا شديدًا بالصيد، وكان قد ذهب فترة ناحية فربر(١٠٦) للصيد، وحينما اتجه ناحية بخارى أمر فأحرقوا المعسكر؛ وفى الطريق وصلت رسالة أبى العباس الصعلوك، وكان واليا على طبرستان، ينبئه بخروج الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وكانوا يسمونه : الحسن الأطروش، ولما قرأ الرسالة تحير وضاق صدره ورفع رأسه إلى السماء وقال : يا رب إذا كان قد ذهب فى سابق قضائك وقدرك أن هذا الملك سيذهب عنى فاقبض روحى، وخرج من مكانه إلى المعسكر، وكانوا قد أضرموا النار فيه، فلم يكن هذا فألاً حسنًا.

وكان هناك أسد يبيت كل ليلة على باب أحمد بن إسماعيل، حتى لا يستطيع أحد أن ينقض عليه فيقتله ، فلم يحضروا الأسد في تلك الليلة .

ولم ينم الآخرون من الصحاب على الباب، وفى الليل دخل عليه عدة من غلمانه وقطعوا رقبته، وكان ذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من جمادى الآخر سنة إحدى وثلاثمائة ، فحملوه من هناك إلى بخارى، ودفنوه، وأرسلوا من يتعقب هؤلاء الغلمان ، فقبضوا على بعضهم وقتلوهم، واتهموا أبا الحسن نصر بن إسحاق الكاتب بالتواطؤ مع الغلمان لقتل الأمير الشهيد، فقبضوا عليه، وشنقوه ، ولقبوا أحمد بن إسماعيل بالأمير الشهيد.

السعيد نصر بن أحمد(١٠٧)

تم تولى نصر بن أحمد السعيد ولاية خراسان في الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة؛ وكان سِنُّه ثمانية أعوام، وظل أميرًا لخراسان ثلاثين عامًا وثلاثة أشهر؛ وحينما قتلوا الأمير الشهيد اجتمع شيوخ بخارى وحشمها واتفقوا على تولية ابنه نصر بن أحمد؛ فحمله سعد الخادم فوق رقبته وخرج ؛ فبايعوه ، وكان وزيره أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني(١٠٨) : فأدار دفة الأمور وأجراها على وجه حسن،

وكان أبو عبد الله "هذا" رجلاً عالماً شديد الذكاء والجلد ، فاضلاً بصيراً بكل الأمور، وله مؤلفات كثيرة في كل فن وعلم، ولما ولي الوزارة كتب رسائل إلى كل ممالك الدنيا، وطلب فاستنسخوا له رسوم جميع الدواوين والبلاطات، وأحضروها عنده، مثل ولاية الروم والتركستان والهندوستان والصين والعراق والشام ومصر وزرنج وزابل وكابل والسند والعرب، فوضع هذه النسخ أمامه وتأملها جيداً، ونقل عنها كل ما هو حسن متفق، وترك ما كان مذموماً، وأخذ هذه الرسوم الجيدة، وأمر فاستعملها أهل البلاط والديوان في بخارى، وانتظمت كل أعمال المملكة برأى وتدبير الجيهاني وخرجت فرق من الخوارج، فأرسل لكل منها جيشًا ، فرجعت كلها منصورة مظفرة، ولم يقصد عملاً قط إلا وظفر بمقصوده (منه).

ولما تولى نصر بن أحمد الإمارة كان عم والده إسحاق بن أحمد هو أول من شق عليه عصا الطاعة في سمرقند، ونصب ابنه إلياس بن إسحاق لشئون الجيش ، فجهز جيشاً إلى بخارى وأرسل نصرٌ حمويه بن على للقائه، ولحق كلاهما بالآخر فى خرتنگ[١٠٩]، وتقاتلا فى رمضان سنة إحدى وثلاثمائة، ولم يمض طويل حتى هزموا إسحاق ، وتقهقر إلى سمرقند، وذهب حمويه بن على فى إثره، وضاق الأمر عليه حتى تنغص عيشه، فلما اضطر اضطراراً شديداً كتب رسالة يطلب فيها الأمان، فأمنوه حتى قدم إلى بخارى ، وأحسنوا إليه هناك حتى مات.

ولما استولى الحسين بن على على سيستان طمع في أن يعطوها له ولكن لم يعطوها فاستوحش من ذلك، وكان ينتظر خراب دولة أحمد، ولما مات أحمد شق عصا الطاعة فى هرات، وظل فترة هناك على هذا الحال من العصيان.

وذات يوم عرض الجيش، وقصد نيشابور، فأرسلوا أحمد بن سهل لحربه من بخارى ، فقدم أحمد إلى هرات وفتحها، وطلب المنصور بن على أخو الحسين الأمان، وقدموا إلى أحمد بن سهل. وتوجه أحمد إلى نيشابور فى شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة وحارب الحسين بن على وأسره وأقام فى نيشابور . وكان محمد بن أجهد صاحب شرطة بخارى في مرو قد قدم عند أحمد بن سهل مع محمد بن المهلب بن زرارة[١١٠] المروزى، ورجعوا من هناك، وذهبوا إلى بخارى.

وكان أحمد بن سهل هذا من نجباء العجم، وكان حفيداً ليزدجرد شهريار وكان من دهاقين جيرنج[١١١]، وكانت من القرى الكبيرة في مرو ، وكان اسم جده كامگار، ويوجد ورد في مروروذ ينسبونه إليه يسمى: گل كامگارى، أى ورد كامگارى، ويقولون : إنه في غاية الإحمرار .

وقد خدم الكامگاريون آل طاهر، وكان الإخوة جميعًا كتابًا ومنجمين، وكان فضل وحسين ومحمد أبناء سهل بن هشام يجيدون معرفة علم النجوم، وقد سألوه ذات يوم: لماذا لا ترى طالع أبنائك حتى ترى ماذا ستكون عاقبتهم؟ قال : الذى أراه أن الثلاثة سيقتلون في يوم واحد في عصبية العرب[١١٢]. وكذلك كان .

وحينما كبر أحمد طلب دماء إخوته، واجتمع حوله ألف رجل ، فأرسل عمرو بن الليث رجالاً لطلبه فخاف، وكان يحارب من يتعقبه ولا يساعده، ثم أمنه عمرو بن الليث ودعاه إليه، ولما مثل أمامه قبض عليه وأودعه السجن في سيستان.

وكانت لأحمد أخت اسمها حفصة كانت تتعهده، وأمر عمرو أحمد بن سهل أن يزوج أخته لغلامه، واسمه سبكرى[١١٣]، وأرسل أحمد إلى مرو، فلم يستجب، وخاف أن ينتقم عمرو من أخته فابتدع حيلة فأمر أخته أن تذهب دائمًا لخدمة أخت عمرو، وتشفعت لديها في أن يؤذن لأحمد في الذهاب إلى الحمام ؛ فقد طال شعره. وحينما أذن له دخل الحمام، وأصلح شعر رأسه وذقنه، وخرج وكأنه غلام بجعده وطرته ولبس ملابس الغرباء وذهب ولم يعرفه شخص من الموكلين به ودخل مدينة سيستان متنكراً .

وطلب أبو جعفر الصعلوك من عمرو العفو عن أحمد ، فعفا عنه ؛ ليظهر واشترط عليه أن يكشف رأسه وألا يلبس خفًا[١١٤]، وضمن أحمد على هذا وامتطى أحمد ظهور الجمازة، وخرج من سيستان ودخل مرو، وجمع قومًا ، وقبض على أبي جعفر الغورى الذى كان خليفة عمرو، وقيدوه، وطلب الأمان من إسماعيل بن أحمد، وذهب إلى بخارى فأكرم اسماعيل بن أحمد وفادته.

وتمت على أيدى أحمد أعمال عظيمة وفتوحات كبيرة، وكان أحمد بن سهل رجلاً صاحب رأى، داهية ، ماكراً ، ذكيا ، عالمًا، وحينما قبله إسماعيل بن أحمد بجواره

استقر هناك ، وفعل فعال الأبطال حتى ازداد عزه بمرور الأيام ، وظل هناك في عهد الأمين الشهيد، وكانت له نيشاپور في عهد الأمير السعيد، ثم شق عصا الطاعة في نيشاپور، وأسقط اسم السعيد من الخطبة، وقصد قراتكين أمير گرگان، فرحل أحمد عن نيشاپور، وذهب إلى مرو يبني قلعة متينة اتخذها حصناً، وحينما وصل الخبر إلى بخارى أرسل حمويه بن على لحربه، وحينما دخلوا مرو أمر حمويه قواد جيشه فكاتبوا أحمد بن سهل وأبدوا ميلهم له، ولما وصلت الرسائل إلى أحمد اغتر بها ولم يحزم الأمر. ومن مرو قصد حمويه والتقيا على شاطئ النهر في حوزان(١١٥)، وفي الحال هزموا جيش أحمد، وبقى أحمد وحيداً، وظلوا يحاربونه حتى استنفدت دابته طاقتها، ولما سقط فرسه ترجل وحارب الجيش، وفي النهاية قبضوا عليه وقيدوه وأرسلوه إلى بخارى، وأمر الأمير السعيد أن يودعوه السجن، ومات فيه في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة.

وفي عام سبعة عشر وثلاثمائة غادر الأمير السعيد بخارى إلى نيشاپور، وسجن إخوته : إبراهيم ويحيى ومنصور في قلعة بخارى، وأمر فكانوا يعطونهم زادهم ومؤنتهم هناك، وكان هناك طباخ يدعى أبا بكر ابن عمي الخباز، كان يعطيهم مايلزمهم، وكان كالأبله، فكان دائماً يقول : يجب أن يرى الأمير السعيد مني المتاعب، وكان الناس يضحكون من حماقته، وأبو بكر هذا كان الواسطة بين إخوة السعيد، وبين الفضوليين في بخارى والجيش، واتفقوا ذات يوم وقدموا، وقبضوا على حراس القلعة، وأخرجوا أبناء أحمد والمحبوسين فيها واستولوا على بخارى.

وأعطى يحيى أبا بكر الطباخ هذا قيادة الجيش وقربه منه، وحينما وصل الخبر إلى سعيد رجع من نيشاپور وقصد بخارى، وأرسل يحيى أبا بكر الطباخ مع قومه إلى شاطئ جيحون، حتى يلاحظ الطريق ولا يدع سعيداً يمر، وأرسل معه ابن حسين ابن على المروزى، وحينما وصلوا إلى شاطئ جيحون كتب محمد بن عبيد الله البلعمي إلى ابن حسين خطاباً .

وقبض ابن حسين على أبي بكر الطباخ وأوثقه، وعبر الأمير سعيد النهر(١١٦) وقدم إلى بخارى، وأمر فقتلوا أبا بكر تحت السياط ، ثم وضعوه في تنور مشتعل ،

وتركوه فيه ليلة، وفي اليوم التالي جروه، ولم يحترق جسده فتعجب الناس لذلك. وتفرق إخوة الأمير سعيد، وذهب يحيى إلي سمرقند ومن هناك ذهب إلي بلخ ثم نيشاپور فبغداد، ومات فيها، وأحضروا تابوته إلي إسپيجاب[١١٧]، وفي سنة عشرين وثلاثمائة تولى الخلافة القاهر بالله وقدم الأمير سعيد إلي نيشاپور ونظم أمور گركان.

ولما فرغ من أمورها أعطى قيادة جيوش خراسان إلي أبي بكر محمد بن المظفر[١١٨]، ولما رجع إلي بخارى كان الراضي بالله قد تولى الخلافة وأرسل عهد خراسان إلي نصر بن أحمد بصحبة عباس بن شفيق .

وفي الوقت كان محمد بن المظفر في نيشاپور، وكان مرداويز في الري وأراد مرداويز أن يذهب من الري إلي أصفهان، وفي الطريق ذهب إلي الحمام فقتله غلمانه فيه عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة، وكان بجكم ماكان قائداً لهؤلاء الغلمان، وفي نيشاپور كان محمد بن المظفر مريضاً يئن ويتوجع، وازدادت العلة عليه ، فأرسل الأمير سعيد أبا علي أحمد بن المظفر إلي نيشاپور وأطلق محمداً ، وذهب أحمد إلي گرگان في المحرم سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وحاصر ماكان بالمدينة، وضاق الأمر عليه وطلب قومه الأمان من أبي علي ؛ لأن العلف قد قل وهرب ماكان إلي طبرستان وذهب أبو علي إلي قومس[١١٩] سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وذهب من هناك إلي الري، وكان وشمگير بن زيار[١٢٠] هناك ، فطلب العون من ماكان، وقدم من طبرستان، وحاربوا علي أبواب الري، فهزمهم أبو علي وقتل الكثير من جيوشهم وقتل ماكان ، وأرسل رأسه إلي بخارى، ومن هناك أرسلها بصحبة عباس بن شفيق إلي بغداد، وأطلق أبو علي ابن ماكان، مع تسعمائة من الديالمة المعروفين ، وكان قد أسر في الغزو، وأركبوهم الإبل وأرسلوهم إلي بخارى، وظلوا في سجن بخارى حتى قدم وشمگير إليها طائعًا وطلبهم فمنحوهم له.

ثم تولى المتقي الخلافة عام تسعة وعشرين وثلاثمائة، وأرسل عهد خراسان إلي الأمير سعيد ، وكان أحمد بن محمد المظفر في الري، وكان وشمگير في طبرستان فتحصن في سارية[١٢١]، وحينما قصده أحمد ضاق الأمر عليه.

واستولى أحمد على ولايته كلها، ودخل الشتاء ، واستمر هطول الأمطار فطلبوا الصلح ، واتفقوا على ألا يشق وشمگير عصا الطاعة.

ورجع أبو على أحمد بن محمد إلى كرگان فى جمادي الآخرة سنة إحدى وثلاثين، وتوفى الأمير سعيد[١٢٢] فى هذا الشهر أيضاً.

ولما مات لم يبق أحد من الوزراء والكتاب الذين كانوا فى بلاطه، ووقع الاختلاف بين الجند ، وانتقلت الوزارة من محمد بن عبد الله البلعمى إلى أبى على محمد بن محمد الجيهانى، ولم يرض بذلك محمد بن حاتم المصعبى فلم تنتظم الأمور.

الحميد أبو محمد نوح بن نصر

تولى الأمير الحميد الإمارة فى ولاية خراسان فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وحكم اثنى عشر عاماً وثلاثة أشهر، ومات فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . ولما تولى الإمارة أعطى الوزارة والعمل والتدبير إلى أبى الفضل محمد بن محمد الحاكم، وكانوا يسمونه : الحاكم الجليل ، وهو الذى أجرى عشرينية الحشم (معاش الرعية) ، وأرسى أبو الفضل تقاليد حسنة.

وكان أبو العباس أحمد بن حمويه خائفًا من الأمير لأنه جعل الأمير سعيداً وليًا لعهد إسماعيل بن نصر فى حياته، فقد كان أحمد بن حمويه وزيره، وكان الأعداء قد أوقعوا الفتنة بين إسماعيل ونوح بن نصر، ومات إسماعيل قبل نصر، وبقى هذا الحقد فى قلب حميد، وكان أحمد بن حمويه خائفاً، وقال له الأمير سعيد: لو حدث لى أمر فإن نوحًا لن يفعل معك خيراً .

ولما تولى الأمير حميد الإمارة عبر أحمد بن حمويه من جيحون، وقدم إلى آموى[١٢٣]، وظل مختفياً، ولما مضى عام أحضر (الأموال) وأعطى الحاكم للحشم ستين صرة ألف ألف درهم، ولم يبتهج أحد مطلقًا، وخلت الخزينة، وتظلم الحشم، وظهر أثر عجزه وضعف رأيه، ووقع زلزال فى ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة فى ناحية نسا

وتهدم الكثير من القرى، ودفن أكثر من خمسة آلاف رجل تحت التراب ، وقد أسمعوا للأمير حميد كلاماً منكراً عن محمد بن طغان الحاجب فأمر بأن يقتلوه هو وابنه.

وحينما قدم الأمير نوح إلى مرو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لم يعرف أحمد ابن حمويه بالخبر فخرج فجأة من المنزل ، فقبضوا عليه ، وأتوا به إلى نوح، وحينما رآه نوح لم ينكره ، وقال له قولاً كريماً وتمنى له أمنيات طيبة، وأحسن لقاءه وحياه أحسن تحية، وأمر بأن يجرى له الراتب، فقد كان رجلاً دءوباً على العمل.

ثم رحل الأمير حميد من مرو إلى نيشابور فى رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وأقام هناك خمسين يوماً، وقدم قوم من الرعية واشتكوا من سوء خلق أبى على ومن طول يد خلفائه فعزله الأمير حميد وأجلس مكانه إبراهيم بن سيمجور ، أما هو فرجع إلى بخارى ، وفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تولى المستكفى الخلافة، وخالف حشم الرى الأمير نوح وأرادوا العصيان.

فلما وصل الخبر إلى الأمير نوح قدم من هناك إلى مرو ، وقام الحاكم بالوقيعة والكذب، فقال الأمير نوح: كل هذا يفعله أحمد بن حمويه ليشغل قلبك، وتحدث بكلام كثير حتى تغير نوح على أحمد، وأمر فقتلوه أمام الحاكم بالعصى فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

ودخل الحشم إلى مرو واشتكوا من محمد بن الحاكم وقالوا : إنه لا يرعى العسكر، ولا عهد له، ولا يعطى الجند مرتباتهم، ويؤلب عليه الأمور، وهو الذى أغرى أبا على بالعصيان وهو الذى آذى قلوب الحشم، فاحتال أبو على حتى أدخل السرور على قلب الحشم فقال الحشم : ليقصر الأمير يده عنها، وإلا سوف نتجنبه. فأمر الأمير حميد أن يجروا الحاكم على وجهه من مكانه، وأن يسحبوه حتى باب القصر ، وهناك أمر بأن يقتلوه فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وكان هذا بعد مقتل ابن حمويه بشهرين.

ثم قدم إلى نيشابور أبو على الصاغانى مع إبراهيم عم الأمير حميد، بصحبة الحشم، ورحل إبراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين مع قومه، وذهبوا إلى مرو عند نوح، وخرج أبو على من نيشابور آخر شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة،

وقدم إلى سرخس، ومن هناك قصد إلى مرو ، ولما وصل إلى قرية أيقان[١٢٤] وصلت رسائل كثيرة من قواد نوح والمقربين إليه، وأبدوا ميلهم إلى أبي علي، ونزل أبو علي إلى قرية سنگ[١٢٥]، علي بعد فرسخ من مرو، وذهب نوح إلى بخاري، ودخل أبو علي مرو، وظل فترة هناك ثم ذهب إلى بخاري، وعبر جيحون ، ثم ذهب نوح إلى سمرقند وجعل أبو علي الخطبة لإبراهيم بن أحمد، وظل هناك فترة ، وصمم أهل مرو أن يقبضوا على أبي علي مع كل أقربائه، ولما وصل الخبر إليه خرج في اليوم التالي، أمر فخرج كل أقربائه وحملوا معهم الملابس القطنية والكتانية والأقمشة، وأرادوا أن يشعلو النار في المدينة فخرج عظماؤها وتشفعوا بالله عز وجل وأخافوه حتي توقف، ولما رأى سوء اعتقاد الناس فيه أجلس أبا جعفر[١٢٦]، ونصب شخصًا على كل عمل من أعمال الديوان، أما هو فقد خرج عن طريق رخنة حموى[١٢٧] مظهرًا أنه يتجه إلى سمرقند حتى ذهب إلى نخشب[١٢٨]، وأعاد جميع القواد والحشم أما هو فذهب إلى صغانيان[١٢٩] ولما ذهب أبو علي أرسل إبراهيم وأبو جعفر محمد بن نصر رسولاً إلى الأمير نوح، وطلبوا منه الأمان فأعطاهم الأمان وقبل عذرهم، أما هو فقد رجع إلى بخارى في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

وفي هذا العام تولى المطيع الخلافة، وأعطى الأمير حميد قيادة جيوش خراسان إلى منصور بن قراتگين، وأتي المنصور من بخارى إلى مرو، وكان أحمد بن علي القزويني في مرو، فقدم إلى المنصور وخدمه.

وقدم المنصور من هناك إلى نيشاپور، وكان أبو علي في صغانيان فوصل الخبر إليه أن الأمير نوح جمع جيشًا وسيهجم عليك، فاستعد أبو علي وذهب إلى بلخ، وظل هناك فترة ، ثم ذهب من هناك بجيش إلى بخارى، ورجع الأمير حميد بكامل جيشه إليه، ولحق كلاهما بالآخر في خرتنگ في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، واستمرت الحرب من قبل صلاة العصر حتي طلوع الشمس، ورجع نوح وقواده إلى بخارى، أما أبو الحرث بن أبي القاسم وفتگين الخازن وأبو علي بن إسحاق وأحمد أخو پارس فقد أجلسوهم أمام أبي علي حتى الفجر، وأسروا إسماعيل بن أبي الحسن وعدة أفراد آخرين من قوم أبي علي، وطلب أبو إسحاق الرزگاني[١٣٠] الأمان ، وقدم مع كثير من الديالمة.

وذهب أبو على مهزوماً إلى صغانيان، وقتل بابجور الحاجب فى المعركة، وقبضوا على على بن أحمد بن عبد الله على حدود سمرقند كما قبضوا على أحمد بن الحسن العتبى في نخشب وأركبوهم على الدواب وأتوا بهم نهاراً إلى بخارى، وأحضروهم جميعًا إلى البلاط، وضربوا كل واحد مائة جلدة ، وأوثقوهم بالقيود، وصادروا أموالهم ، ومات أبو العباس محمد بن أحمد أثناء ذلك.

أما أبو الحسن فقد أفرج عنه بعد مدة طويلة، وطلب أبو على المعونة من أمير ختلان، وجمع جيشًا ، وقدم إلى ترمذ ، وعبر من جيحون وقدم إلى بلخ، وذهب من هناك إلى گوزگانان، ووصل على هذا الحال إلى سمنگان حتى بلغ أمير ختلان.

وحينما وصل إلى طخارستان جاء الخبر أن جيش بخارى قدم إلى صغانيان وقد أحرقوا الباب الحديدى وحطموا كل ما يملك أبو على، وفى الحال عبر النهر عن طريق ميله[١٣١]، وتفرق الجيش في كل ناحية، واستولوا على الطريق الخاص بجيش بخارى، وضاق الأمر عليهم، وسدوا طريق العلف. وحينما وصل إلى قرية كمكانان حاربوا هناك فى شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وهذه القرية على بعد فرسخين من صغانيان.

واجتمع حشم بخارى فى صغانيان وأغاروا على المدينة ونهبوا منازل وقصور أبى على، ثم أتى المدد إلى أبى على من الكميجية[١٣٢]، ثم قدم أمير ژاشت[١٣٣] جعفر ابن شماينقوا وجيش إيلاق[١٣٤] فى يوم واحد إلى واشگرد[١٣٥]، وأرسل أيضًا أحمد ابن جعفر أمير ختلان قائده العظيم بجكم على رأس جيش كبير؛ وأغلقوا الطريق على حشم بخارى، وقطعت عنهم أخبارها، فطلبوا الصلح. واتفقوا على أن يرسل أبو على ابنه أبا المظفر عبد الله بن أحمد البخارى رهينة، وهكذا فعلوا ، وكان هذا فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

ولما وصل أبو المظفر إلى بخارى أمر الأمير حميد فزينوا المدينة، وأدخلوه فيها معززًا مكرمًا، وأمر فأنزلوه فى قصر، ودعاه إلى خوان خاص، وأمر له بالخلع الخاصة وألبسه القلنسوة.

وخرج متنبئ من ناحية صغانيان من ولاية باسند[١٢٦] ، واتجه إلى در آهنين (باب الحديد) ، وكان يدعى المهدى، ادعى النبوة وجهر بالدعوة فى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، وقصده كثير من الناس والتفوا حوله ، وكانت له حمائل فى سيفه، وكان يحارب كل من يخالفه، وكان محتالاً يعرف الكثير من أنواع السحر، فمثلاً : كان يضع يده فى حوض ملأه بالماء فتمتلئ يده من الحوض بالدينارات؛ ويأكل فوق مائدته أقوام كثيرة فلا تنقص مطلقًا، ويرتوى الكثير من ماء كوبه ولا يفرغ هذا الكوب ، وكان يعطى كل واحد من خاصته تمرة (واحدة) كانت تكفيه، وحينما انتشر هذا الخبر فى الأرجاء قصده قوم كثير من عامة الجهال، ووصلت الرسائل إلى أبى على الصاغانى من بخارى (تقول) : أدرك أمر المتنبئ .

وأرسل أبو على أبا طلحة جعفر بن مردان شاه، وكان المهدى فى قرية وردى ، وقد تحصن بالجبل، ودارت رحى الحرب، وأخرجوه من الجبل، وقطعوا رأسه، وأرسلها أبو طلحه إلى أبى على فى لفافة، وكان أبو على بشومان، وأمر بأن يرى تلك الرأس كل المحيطين به ، ثم أرسلها إلى بخارى.

وظل أبو المظفر فى بخارى حتى ركب ذات يوم جواداً فجمح به وطرحه أرضًا، فوقعت رأسه على حجر فخرج مخه ومات ، فاغتم الأمير حميد غمًا شديداً، وأمر فكفنوه بكفن عظيم وأرسل تابوته إلى صغانيان، وأرسل نصر شرابدار[١٢٧] لعزاء أبى على.

ولما مضى شهران على موت أبى المظفر مات منصور بن قراتكين فى نيشاپور ، وأعطى الأمير حميد قيادة جيوش خراسان إلى أبى على الصاغانى، وأرسل إليه العهد واللواء وأعطاه جميع ما دون النهر[١٢٨]، وأعطى صغانيان وترمذ إلى ابنه منصور نصر ابن أحمد، وقدم أبو على إلى نيشاپور فى ذى الحجة سنة أربعين وثلاثمائة وفى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة نظم كل أعمال خراسان. وفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ذهب إلى الرى، وحاصر المدينة على حسن بن بويه ، وأرسل وشمگير بن زيار المدد إلى حسن بن بويه فلم يستطع أن يفعل شيئًا مطلقًا، وفى هذا الوقت هلكت دوابه فى الرى

ولم يبق منها إلا القليل ، فتوسط الناس بينهم ، واصطلحوا على أن يعطى الحسن بن بويه مائتى ألف دينار كل عام ويرجع أبو علي، وأرسل حسن بن بويه إلى أبى على رهينة لهذا المال عباس بن داود، ورجع أبو علي إلى نيشاپور ودب الشك في الأمير حميد خوفًا من أن يكون أبو على قد تواطأ مع أبى الحسن بن بويه ، فأرسل أبو على رسلاً وشرح أمره فلم يمح هذا الغضب من قلب الأمير حميد، ثم أرسل أبو على المشايخ والعدول وأعيان نيشاپور إلى بخارى حتى يوضحوا عذره ويشرحوه وأنه برىء مما يظنه الأمير حميد، وعندما وصل ثقات نيشاپور إلى بخارى مرض الأمير حميد وازدادت العلة عليه ومات بسبب هذا المرض في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

الرشيد أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

وكان لنوح بن نصر أربعة أبناء هم : عبد الملك وأحمد ونصر وعبد العزيز، وقد بايعهم بالترتيب ، وكان الأكبر هو عبد الملك ، وتولي الحكم في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، ونصب أبو منصور محمد بن عزيز وزيراً له، وأعطى لأبى سعيد بكر بن مالك قيادة الجيش . وقدم إلى نيشاپور في شعبان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، واستن سننًا طيبة، وعدل ، ثم جاء الخبر بأن الخليفة المطيع أعطى خراسان إلى أبى على الصاغانى، فاغتم بكر بن مالك لهذا الخبر، وخرج مع الحشم ، ونزل فى قرية أزادوار من أعمال كويان .

ومن هناك دبر مع الحشم للحرب، وقال قادة الجيش : العلف قليل، والجيش لا يملك شيئًا، ولا نستطيع الحرب، فكتب بكر بن مالك إلى الرشيد عبد الملك بن نوح رسالة تصور هذا الحال، وطلب منه المال، فأعاد إسماعيل بن طغيان ولم يرسل المال الواجب، وحينما وصل هذا الخبر إلى خراسان اضطربت ، ولهذا السبب أرسل الحسن بن بويه أبا الفتح بن العميد إلى أصفهان، وحارب وقبض على ابن ماكان ، وأرسله إلى قلعة

أركان[١٣٩]، ولم يره أحد مرة أخرى، وكان فتح أصفهان هذا في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقصد الحسن بن بويه كركان، وجاء الخبر إلى بكر بن مالك، وقدم الحسين فيروزان إلى حدود جاجَرْم[١٤٠]، وحينما سمع عبد الملك بن نوح هذه الأخبار، جمع الجيوش وأرسلها إلى بكر بن مالك في آزادوار، ولم يصمد الحسن بن بويه وأبو علي لحرب بكر بن مالك، وذهبوا إلى طبرستان، ودعا أبو سعيد مالك أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور أن يستعد في نيشابور ، وقدمت رسالة الحسن ابن بويه وأبي علي الصاغاني إلى علي بن المرزبان وطلبوا الصلح مع أبي سعيد بكر ابن مالك، وضمن الحسن أن يرسلا من الري وكور الجبال كل عام مائتي ألف دينار، وهدايا أخرى، وأن يمد الأسمطة والموائد ، ولا يزاحم وشمگير في أمر طبرستان، وتوسط علي بن المرزبان، وتم الصلح على هذا النحو، وأرسل الحسن مال الصلح والهدايا ، وحقنت الدماء ورفع العداء، واستقام أمر خراسان، وكتب المطيع رسالة إلى الحسن ابن بويه، ولم يرضه هذا الصلح الذي تم بين الجانبين دون حد السيف وقال : ذلك عطاء جيش خراسان كل عام على قرار[١٤١] سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ومرض أبو علي ومات في آخر رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وحملوا تابوته إلى صغانيان، وأذل بكر بن مالك الحشم وقصر في حاجاتهم حتى حقدوا عليه ، ثم قدموا إلى بخارى وتظلموا إلى عبد الملك.

وقدم بكر بن مالك في رمضان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة إلى حضرة بخارى ليهبوه الخلع، ورجع معه حتى فرغانة سبعة وثلاثون شخصاً من القواد ، ولما قدم وأدى رسم الخدمة في الوقت المناسب وأراد أن يرجع كان فتگين الخازن على يمينه والپتكين على يساره، فطلب أن يركب فطرحه الپتگين الحاجب على الأرض، وأعملوا فيه السيف والحربة حتى قتلوه على باب السلطان، وأخذوا رأسه، وسجنوا أبا منصور بن عزيز وولوا أبا جعفر بن محمد الحسين الوزارة ، وأعطوا لأبي الحسن محمد بن إبراهيم قيادة جيوش خراسان، وأرسلوا إبراهيم بن الپتگين الحاجب إلى أبي الحسن بعهد ولواء القيادة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وكان أبو جعفر العتبي يؤثر الأموال،

فاستقصى البحث عنها بدقة بالغة في الخزائن العامرة حتى حصل عليها فطالت عليه الألسنة فأخذوا الوزارة منه وأعطوها لأبى منصور يوسف بن إسحاق في شهور سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وقد ارتكب الأمير أبو الحسن محمد بن إبراهيم فى نيشاپور مظالم كثيرة، وقد تظلم الناس منه دائمًا في حضرة بخارى فعزلوه في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وأعطوا قيادة الجيوش إلى أبى منصور محمد بن عبد الرزاق، وأرسلوا أبا نصر منصور بن بابقرا بالعهد واللواء والخلعة إليه، ولما وصل هذا العهد إليه أحكم أمور ولاية ما دون النهر إحكامًا جيدًا واستن سننًا حسنة، فكان يجلس لفض المظالم، ويحكم بين المتخاصمين، وأنصف أفراد الرعية بعضهم من بعض، وكان رجلاً طيبًا طاهرًا، عارفًا بالأصول، حلو المعشر، يتحلى بكثير من الخصال الطيبة، وكان الپتگين الحاجب بالحضرة يعرف لياقة أبى منصور .

وقال الپتگين : لقد كتبت رقعة سيئة في أمر يوسف بن إسحاق فأبعدوه عن الوزارة وأسندوها لأبي على محمد بن البلعمى، وحينما رأى الپتگين تغير حال عبد الملك قلل من المجيء إلى الخدمة فى مجالس الطرب، ثم أمره عبد الملك أن يذهب إلى بلخ فقال البتكين : " لن أكون عاملاً بأى حال بعد أن كنت حاجب الحجاب، فأعطوه قيادة جيوش خراسان، وصرفوا أبا منصور فذهب إلى طوس، وقدم الپتگين إلى نيشاپور فى العشرين من ذى الحجة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وكان وزيره أبو عبد الله محمد بن أحمد الشبلي، وكان بين الپتگين وأبى على البلعمي عهدًا على أن يكون كلاهما نائبًا عن الآخر، ولم يفعل البلعمى أي عمل مطلقًا دون علم أو مشورة الپتكين. وأرسل الپتكين الهدايا إلى الملك الرشيد، وكان بينها جياد وأشياء أخرى، وبعد صلاة العصر كان عبد الملك يلعب الصولجان فى الميدان، وشرب قدرًا من الشراب ، وأخذ يمتطى هذه الجياد المهداة واحدة واحدة فقفز به أحدها ورماه فتهشمت رأسه وكسرت رقبته وحملوه ميتًا ولقبوه بالرشيد(١٤٢).

السيد أبو صالح منصور بن نوح

كان الرشيد والسديد ابني الأمير حميد بن نوح، وحينما وقع هذا الأمر للرشيد كتب أبو على البلعمى فى الحال رسالة إلى البتكين (يخبره فيها) بما حدث للرشيد، وسأله : من أصلح لتولى العرش؟ ولما ذهب هذا الخطاب وصل رده : أن السامانيين والحشم مجمعون على وجوب تولى المنصور، ولما قرأ البتكين الرسالة ، عبر راكبوا الجمازات النهر[١٤٢]، وأرسل البتكين إلى المنصور عبد الرزاق رسولاً (يقول له) : أحكم أحوال خراسان ، وضع حق الصحبة التى بين كلينا فى مكانها، كما هو اعتقادى فيك .

وكان رسول البتكين لا يزال عند المنصور حتى وردت رسالة من بخارى بعزل البتكين وتولية أبى منصور كما جاء الأمر فيها لأبى منصور : لا تدع البتكين يعبر النهر، حاربه ولك قيادة جيوش نيشابور، وأمله آمالاً أخرى : وخرج البتكين من نيشابور فى ذى القعدة سنة خمسين وثلاثمائة فأخرج أبو منصور جيشًا على أبواب صابران[١٤٤] ونوقان[١٤٥] إلى جاهة[١٤٦] وكان البتكين قد عبر فوجد من ذخائر أبى منصور الكثير فأغار عليها القواد والعيارون وحملوا كل ما كان هناك.

وقدم أبو منصور فى أثر آلبتكين إلى جاهه، وكان آلبتكين قد وصل إلى شاطئ النهر، وقد وصلت رسائل بخارى إلى قواد البتكين من الأمير والوزير ووكيل البلاط، وفيها: أن البتكين مغتصب، ولما رأى البتكين ذلك أشعل النار فى المعسكر حتى احترق كله. ثم قال لخواص غلمانه : انظروا، فأمامكم طعن السيوف والسجن والمصادرة، ومن خلفكم القتل والأسر والسيف، ومن الصواب أن نذهب إلى بلخ ، وخرج من بلخ عن طريق خلم[١٤٧]، ولما علم سديد خبر فراره أرسل إليه بيداح[١٤٨]، فأدركه فى وادى خلم، وكان غلمان البتكين سبعمائة غلام، فاشتبكوا فى حرب مع اثنى عشر ألف رجل، وقتلوا كثيراً منهم، وفى النهاية رجع بيداح مهزومًا مدحوراً إلى بخارى، وقدم البتكين إلى تخارستان، ومن هناك ذهب إلى غزنين وظل بها فترة ، وكان آخر عهده بها[١٤٩].

وعلم أبو منصور عبد الرزاق أنهم لن يدعوا له هذا العمل، وسيعزلونه، فرجع إلى مرو، فأغلق قواد مرو أبوابهم في وجهه، فرحل عنها، وأطلق أيدى الجيش، فأغاروا وأخذوا أموال الناس، وهكذا سار إلى نسا ونيسابور ومات رئيس نسا فقبض على ورثته وأخذ المال، وكتب رسالة إلى الحسن بن بويه طلب منه فيها الاتفاق معه، ودعاه إلى گرگان، وذهب الحسن بن بويه من هناك، وأعطى وشمگير ألف دينار ذهبى ليوحنا الطبيب حتى يدس لأبى منصورالسم ، فأثر السم فيه وهلك هناك، فأعطوا قيادة الجيوش مرة ثانية لأبى الحسن محمد بن إبراهيم فى ذى الحجة سنة خمسين وثلاثمائة. وقدم أبو الحسن، وفعل أفعالاً طيبة مع الرعية فنشر العدل، ووضع سياسة حسنة، وأتى بنظم عظيمة، وكان دائمًا يجلس مع أهل العلم، فاجتث القبائح التى كانت قبله والتى تألم الناس منها، واستمال الجميع، وترك السيئ من الخصال ومن الأنظمة ، وأمر أن يحارب أبا منصور بن عبد الرزاق، ولما ذهب لحربه أدرك جيش الحسن بن بويه فى مجكن[١٥٠]، وخبوشان[١٥١]، ودارت رحى الحرب.

وكان السم قد أثر فى أبى منصور فأعجزه ولم تبصر عيناه، فانتصر جيش أبى الحسن وهزم عسكر أبى منصور، وقال أبو منصور للجيش أثناء الهزيمة : سوف أنزل. فقالوا : ليس هذا هو الوقت.

فقال : إننى أرى راحتى فى ذلك، فتركوه وحيداً وذهبوا ، فنزل من فوق صهوة جواده وفى الحال وصل قوم أحمد بن منصور بن قراتگين وتقدم غلام صقلابى وحمل رأس أبى منصور عبد الرزاق، واستولى على خاتمه، وسلمه إلى سيده.

وانتظم أمر الأمير أبى الحسن فأقام خمسة أعوام فى نيشابور، ولم يذهب إلى أى مكان (آخر)، ثم وصلت رسالة من بخارى وفيها أن اذهب إلى الرى وحارب، وأرسل وشمگير كاتبه على الدامغانى، وقدم هو فى أثره ، وفى الطريق ذهب للصيد فطرحه خنزير ومزقه ومات هناك، فأتوا به إلى گرگان فى منتصف ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

ولما مات وشمكير ضعف أمر الري، وطلب حشم خراسان المال فكتبت رسالة بطلب المال إلى منصور بن نوح فأجاب : إن مال الحشم يجب أن يؤخذ من بيستون بن وشمگير(١٥٢). ولما سمع بيستون (بهذا) قصد طبرستان واعتذر قائلاً: إن أموالى هناك . ودبر سراً مع الحسن بن بويه، وأرسل العارض حسن على بن القاسم إلى آمل حتى ذهب بيستون إلى هناك وأحكم ذلك الأمر، ووصلت إلى بيستون الخلع من المطيع واللواء بولاية طبرستان وگرگان وسالوس وربويان، ولقبوه بظهير الدولة، ثم عاد الأمير أبو الحسن إلى نيشابور فوصموه بالعجز والضعف . وقدم سالار بن شيردل وشهريار بن زرين كمر إلى الأمير أبى الحسن فأجل قدرهم. ثم مات بيستون فى استرآباد فى رجب سنة سبع وستين وثلاثمائة" وعلى أثر ضعف أبى الحسن فى الحكم ضاعت گرگان وقومس وسالوس ورويان، ثم أرسل منصور بن نوح الأشعث بن محمد اليشكرى إلى نسا حتى يذهب من هناك إلى گرگان ، وأرسل نصر بن مالك إلى گرگانج(١٥٣) ليفتحها ، ودبر التدابير فى أمر أبى الحسن ولما وصل الخبر إلى أبى الحسن احتال وقدم إلى بخارى، ووسط رجالاً من اقارب المنصور حتى استل الغيرة من قلب المنصور ، ودفع المضرة عن نفسه، ووقعت جفوة بين أبى على البلعمى وأبى جعفر العتبى فترة ثم مات البلعمى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكان الأمير أبو الحسن كثير المكر والدهاء فنجحت حيله، ورجع إلى نيشابور، وكان معه قائد مرو.

وشق قائد من ولاية هرات عصا الطاعة، وكان يدعى أبو على محمد بن العباس التولگى، وهو الذى عمر حصن تولگ(١٥٤) وقد اجتمع حوله نفر كثير، فعين الأمير أبو الحسن أبا جعفر الزبادى ليذهب لحرب التولگى فوجده فى حصن تولگ وقد قدم يطلب الأمان، فأحضره إلى نيشاپور، وذهب أبو جعفر الزبادى هذا إلى بلاد الغور وفتح عدة قلاع فيها، ثم ذهب سنة تسع وستين وثلاثمائة إلى سيستان لنصرة الحسين على بن طاهر التميمى الذى كان يحارب خلف بن أحمد ولحق الأمير أبو الحسن فى أثره هناك، وظلوا فترة يحاربون ، ثم رجعوا سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

وتولى الطائع لله أمير المؤمنين سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ثم كاتب أبو جعفر العتبى أبا الفضل بن العميد، ففرح أبو الفضل، ونجح كلا الوزيرين فى إزالة الوحشة

التى كانت بين البويهيين والسامانيين، وسارت الأحوال سيراً عادياً، وتوقفت الحروب وانتظمت الأمور، وأطاع آل بويه منصور بن نوح ولم يزاحموه، فقضى على الفساد فى المملكة، واستراح الناس، وكانوا كل عام يحضرون إلى خراسان مائتى ألف دينار رسوماً من الرى وكور الجبال، وهذا غير الهدايا الأخرى.

ومرض الحسن بن بويه ، ووزع المملكة على أبنائه، وحينما اختلى بأبى شجاع فناخسرو[١٥٥] أفضى إليه بكل أسراره . ومات فى الرى فى الخامس من محرم سنة ست وستين وثلاثمائة، وقد فعل أبو جعفر العتبى فى خراسان أفعالاً طيبة ، فقد أحضروا يوسف الوزير[١٥٦] ثانية وأجلسوه على كرسى الوزارة، ومات فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. ثم أسندوا الوزارة إلى عبد الله أحمد بن محمد الجيهانى[١٥٧] سنة خمس وستين وثلاثمائة، ومرض نوح بن منصور فى هذا الوقت، واشتد به المرض فمات فى الحادى عشر من شوال سنة خمس وستين وثلاثمائة ولقبوه بالسديد.

الرضى أبو القاسم نوح بن منصور

لما تولى نوح بن منصور الإمارة لم يكن قد بلغ الحلم بعد، تولى الإمارة مدة واحد وعشرين عاماً وتسعة أشهر. وكانت بينه وبين الأمير أبى الحسن وأبى الحارث محمد ابن أحمد بن فريغون[١٥٨] قرابة؛ فقوى ظهره بهما ، وأسلم أعماله إلى "فائق الخاصة" "وتاش" الحاجب . وحينما جلس على كرسى الولاية أرسل أبا عبد الله بن حفص قائد غزاة بخارى رسولاً إلى الأمير أبى الحسن، ولقبه بالأمير ناصر الدولة، وأرسل إليه العهد والخلع، وجعل له فى قيادة الجيوش عمل المعونة والأحداث[١٥٩] فى نيشابور وهرات وقهستان.

وأرسل رسالة إلى أبى عبد الله الغازى يخاطبه فيها قائلاً : لقد أحسنا إليك أكثر مما كنت تتوقع؛ لأننا رأينا فيك علامات الوفاء ودلائل الرشد فلا تخيب ظننا، وقد وهبناك ثلاثة أشياء لم تكن لأسلافنا: أحدها أننا صاهرناك وهذا دليل صدق اعتقادنا فيك وسبب ازدياد شرفك وقدرك؛ الثانى زيادة ولايتك وهذا دليل عظمة عملك ؛ والثالث إعطاء لقب لك فى المخاطبات والمكاتبات حتى تكون لك الرفعة بين أقرانك وأمثالك.

وحينما وصل هذا العهد وهذه الخلعة وتلك الرسالة إلى أبى الحسن سر سروراً بالغًا، واستقبل الرسول استقبالاً حافلاً، وأنزله منزلاً كريمًا، وعين لهذا الغرض أنجب الأبناء، ثم أعاد أبا عبد الله الغازى ، وأجلسوا أبا الحسين عبد الله بن أحمد العتبى على كرسي الوزارة في ربيع الآخر سنة سبع وستين وثلاثمائة. ولما أراد الأمير الرضى أن يعطى الوزارة لأبي الحسين العتبى حرر رسالة على الأمير أبى الحسن للمشورة فكتب الأمير أبو الحسن " إن أبا الحسين شاب" فلما سمع أبو الحسين استخفاف الأمير أبى الحسن أضمر له الحقد وجرى على لسانه ذكر مثالب الأمير أبي الحسن، وكان دائمًا يقول : " إن أبا الحسن رجل عاجز، ولن يرجى منه خير، وبسببه ستضيع خراسان، ولقد قصرت همته فقط على مصادرة الأموال واستخراجها ومصاهرته.. "[١٦٠].

وظل يردد الأحاديث من هذا النوع حتى عزله الأمير الرضى وأرسل له رسالة بذلك.

وأمر أبو الحسين العتبى الرسول بأن يسلم الرسالة لأبى الحسن على الملأ وأن يقرأها بصوت عال، وحينما وصل الأمير على نيشاپور كان الأمير أبو الحسن راكبًا فى موكب فأنهى الرسول إليه الرسالة كما أمر الوزير، فتكدر أبو الحسن وغضب وقال : "أنا والى خراسان، وأبو على ابني قائد جيوشها، فوالله لأرينهم النجوم فى رائعة النهار، وقرع الطبول وأخرج الجيوش، وحينما وصل هذا الخبر إلى أبى الحسين العتبى ضاق صدره وندم على مقولته ، وكان يظن أنه بهذا سيدخل السرور على قلب أميره، وجلس يتمتم قائلاً: سوف يضع الأمير هذا الذنب فى رقبتي ويأخذنى به، ولسوف يوثق قيودى ويسجنني، وفى اليوم التالى قدمت رسالة العيون (وفيها) : إن أبا الحسن قد ندم على ما فعل وهو راض بما أمروا من العزل عن الولاية، وأرسل الأمير أبو الحسن ثقات نيشاپور مع أبى نصر أحمد بن على الميكالى[١٦١] حتى يقبلوا عذره ويجيبوه إلى ملتمسه ، فسر الوزير أبو الحسين، ودعا الأمير أبو الحسن الرسول أحمد بن الحسين واعتذر له وأعاده عزيزاً مكرمًا، وأسند الأمير الرضى نوح قيادة الجيوش إلى أبى العباس تاش الحاجب، ولقبه بحسام الدولة ، وقدم تاش إلى نيشاپور فى منتصف

شعبان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، ومكث هناك عامًا، وعنى أبو الحسين العتبى بأمر تاش لأنه كان من غلمان والده، وأرسل أبو الحسين فائق وقابوس[١٦٢] وعددًا آخر من السرهنگية – أى القواد – إلى جرجان لحرب بويه، وذهب هو عن طريق بيه[١٦٣] وطلب على بن الحسن بن بويه من شقيقه أن يدع له تلك الحرب، وفى البداية ضرب على بن كامة وهزمه ودخل استرآباد. وشغل أهل خراسان بالغارات ، واستدعى تاش عليا وأرسل أبو شجاع فناخسرو لشقيقه مؤيد الدولة بن بويه مددًا من سبعة آلاف رجل: أربعة آلاف من جانب، وثلاثة آلاف من جانب آخر، ولما وصل مدد البويهيين هزموا جيش تاش ودحروه وقبضوا على الجند، وقدم تاش إلى معسكره وأمر أن يحرقوه، أما هو فقد رحل.

وحينما صمم جيش بويه بن الحسن أن يدخل خراسان فى أثر المهزومين أتاهم الخبر أن فناخسرو قد مات فتوقف الجيش ولم يتوجهوا إلى خراسان، وإلا فقد كانوا سيغيرون على تاش وعلى خراسان.

ووصلت إلى الأمير أبى الحسن رسالة من بخارى (وفيها) : أن البس الدراعة[١٦٤]، والزم القصر. ففعل كذلك، وأسند أمر قيادة الجيوش لابنه الأمير أبى على، وأرسله إلى سيستان مددًا للحسين بن طاهر، وأعطاه أمير خراسان پوشنگ، وذهب أبو على إليها وحينما وصل الخبر إلى الأمير خلف[١٦٥] فى سيستان أعد حوالى أربعة آلاف فارس من العبيد ومن غلمان بايتوزى ومن الأحرار، كما أعد أربعة من الفيلة حتى ينقضوا على الأمير أبى على، فأعمل أبو على السيوف فى الفرسان وقتل الكثير منهم وكان معه ألف فارس، واستولى على الفيلة. ولما وصل هذا الخبر إلى بخارى أثنوا على أبى على ومنحوه ولاية بادغيس أيضًا، ثم أوصلوه إلى حدود ما يملكه تاش، وكتب الأمير أبو الحسن إلى فائق عن سبب غضبه من أبى الحسين العتبى، وقصة قالة السوء والاستخفاف ، فقال فائق : سأحتال لذلك، فأعطى جماعة من غلمانه مالاً ليخدعوا بعضًا من هؤلاء الغلمان الذين لا يخافون الله وقتلوا أبا الحسين العتبى[١٦٦]، ودفنوه إلى جوار والده.

واضطربت الأمور، واستدعوا تاش إلى حضرة بخارى، وصمم تاش أن ينتقم لأبى الحسين فلم تسنح له الفرصة، وأسندوا الوزارة إلى محمد بن محمد المُزنى[١٦٧]، بعد أبي الحسين . وطلب الأمير أبو على أن تكون له ولاية نيشاپور فأعطاها تاش له.

وقد أخطأ تاش بفعله هذا ، لأن أمره قد ضعف بعد موت أبي الحسين العتبى، وقصده فائق وأبو الحسن وأثاروا الناس حتي يستمروا فى التظلم من تاش، وتآمر فائق وأبو على وأبو الحسن، وقبض أبو على على عمال تاش، واستولى على أموال عظيمة، وسجنوا أبا الحسين المزنى فمرض ومات فى الحال، وأسندوا الوزارة لأبى محمد عبد الرحمن بن أحمد الفارسي وازدادت قوة أبى علي وفائق، وفي النهاية اتخذ قراراً على هذا النحو : أن تكون نيشاپور لتاش، وبلخ لفائق ، وهرات لأبى على ، وبادغيس وكنج رستاق[١٦٨] وقهستان لأبى الحسن، وقدم تاش إلى نيشاپور ووجد طاعنوه فرصة لقالة السوء والتحريض والإثارة وعقد المجالس السيئة ضده حتى عزلوه، وأنزلوا عبد الرحمن عن كرسي الوزارة في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وأسندوا قيادة جيوش خراسان إلي الأمير أبي الحسن، وأعطوا نسا وباورد لتاش. وحينما سمع تاش خبر العزل توقف فى سرخس، ولم يذهب إلى نسا، وكان أبو سعيد الشيبى[١٦٩] وعبد الله بن محمد بن عبد الرزاق في نيشاپور، وحينما قدم الأمير أبو الحسن تركوا المدينة وذهبوا إلى تاش ورأوا[١٧٠].. طريقته ونظامه وذهب الأمير أبو الحسن إلى نيشاپور، وقدم تاش وحاصر عليه المدينة، وأرسل على بن الحسن ابن بويه المدد إلي تاش، وحاربوا ، فترك أبو الحسن المدينة وذهب إلى قهستان وطلب المدد من أبي الفوارس بن أبي شجاع[١٧١]، فأرسل أبو الفوارس ألفى رجل وقدم فائق أيضاً واقتحموا نيشاپور وهزموا تاش، وكانت هذه الهزيمة فى السابع من شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وقبضوا على كثير من الديالمة، كما قبضوا كذلك على منصور ابن محمد بن عبد الرزاق، وأرسلوهم جميعاً إلى خراسان.

وأركبوا منصور بن محمد بقرة وأتوا به نهاراً إلى بخارى، وذهب تاش حتى كركان فاستقبله على بن الحسن بن بويه استقبالاً حسناً، وأعطاه كثيراً من الهدايا، وذهب هو إلي الري، وسلمه كركان بالغلال والأموال، ومات تاش بگركان سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم أسندوا الوزارة لأبي علي محمد بن عيسى الدامغاني في العاشر من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، ورغب حشم أبي نصر بن أحمد بن محمد ابن أبي يزيد[١٧٢] أن يسندوا الوزارة مرة ثانية إلي أبي على الدامغاني؛ فقد كان هو الوزير حتى قدم الخان[١٧٣] إلى بخارى. ولما رجع الخان أخذه معه، ومات في سمرقند غرة رجب سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة. وذات يوم ذهب الأمير أبو الحسن إلى بستان خرمك[١٧٤]، وكان يحب جارية فنام معها، وبينما كان يأتيها أسلم الروح في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وكان الأمير أبو علي في هرات في ذلك الوقت، وكان الأمير أبو القاسم[١٧٥] يرعى نيشابور، وأوقع الأعداء بين الأخوين. وحينما علم أبو القاسم جاء من نيشابور إلي هرات، وأحضر الخزائن وغلمان الأمير أبي الحسن إلى أبي على في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. ثم أسند نوح بن منصور قيادة الجيوش إلى أبي على، وأرسل إليه العهد واللواء والخلعة، ولقبه بعماد الدولة، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ورجع فائق إلي بخارى دون أمر، وحاربه أنج الحاجب وبكتوزن وهزموه[١٧٦]، فذهب إلى بلخ وأعطوا صغانيان إلى أبي الحسن طاهر بن الفضل ، وقدم الأمير طاهر بن الفضل، واستنصر أبو المظفر[١٧٧] بفائق فنصره وحارب طاهر ابن الفضل وقتله في هذه المعركة.

وحينما قدم أبو موسى هارون بن إيلك خان من تركستان إلى أسبيجاب شن الحرب، وأسر قواد فائق في خرتنگ، ودخل فائق في أمان الخان، وذهب معه إلى بخارى. واختفي نوح بن منصور، وطلب فائق بلخ من الخان فأعطاها له، ورجع ، وكان للأمير أبي علي جيش وسلاح وخزائن كثيرة ففتح ولاية أمير خراسان، واستولى على ما دون النهر كله، كما استولى على الخراج والأجلاب والمعادن والأحداث والضياع السلطانية. وبالغ في الاستهانة بشأن الأمير نوح، ولقب نفسه : أمير الأمراء المؤيد من السماء. وكانت الخطبة له على المنابر، وحينما قدم إيلك إلى أسبيجاب كتب إليه أبو على

رسالة يظهر فيها الميل له، وقـــدم إيلك إلي بخاري ونزل على شاطئ نهر موليان[١٧٨]، في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

وكتب نوح رسالة أرسل بها رسولاً إلى أبي علي وفيها : اقدم فقـد أتى الخان. ولم يفكر أبو علي في هذه الرسالة، وطلب نوح منه جيشًا فلم يرسل أيضًا. ومرض الخان فترة بالبواسير ورجع .

وفي هذا الوقت أودع الولاية لعبد العزيز بن نوح بن نصر وأعطاه الخلع الجميلة وقال له : لقد أخذنا هذه الولاية من نوح، وسلمناها لك، ووصل إيلك إلى قچقارباشي[١٧٩]، ومات هناك، ونفى نوح عبد الله بن محمد بن عزيز من الولاية إلى خوارزم، وحينما وصل إلى آموى دعاه وسلمه عمله، وكتب عدة مرات إلى أبي علي، ودعاه، وطلب منه مالاً وجيشًا فلم يجبه مطلقًا، وتكبر ولم يعره التفاتًا، وعصى حتى أصلح الله عمل نوح وتم هذا الأمر دون منة أو شفاعة من أحد ، ورجع إلى بخاري. واستولى الأمير أبو منصور سبكتكين على غزنة وكرديز وپروان وكابل وبُست، وتلك هي الولاية التي كانت مع غلمان قراتكين[١٨٠]، وعظم أمر سبكتكين وذاع صيته . ولما ازداد جفاء واستخفاف أبي علي بشأن الأمير الرضي كتب الأمير نوح رسالة إلى الأمير سبكتكين - رحمه الله - واشتكى من أبي علي، ودعا الأمير سبكتكين، وذهب الأمير إلى كش ونخشب، وعقد ما يجب من العهود.

وذهب أبو علي من مرو إلى نيشابور في رجب سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، ووصلت إليه رسائل سبكتكين بالوعد والوعيد فلم تجد فائدة، وأصر أبو علي على العصيان وعدم الطاعة، وزادت غطرسته وكبره كلما ازدادوا في نصحه، ولما جاوز الحد ولم يبق مجال للاحتمال ذهب نوح من بخاري إلى مرو ومنها ذهب إلى هرات بعسكره وكان الأمير سبكتكين قائدًا، وذهب أبو علي من نيشابور إلى هرات وضرب معسكره في الخارج مع الإخوة، وتدخل فائق والأمراء الآخرون والرسل لإصلاح ذات البين فلم يستجب قواد أبي علي وقالوا : إن نوحًا وسبكتكين متيقنان أن الغلبة ستكون لنا، وفي اليوم التالي استولى رجال نوح وسبكتكين على هرات نفسها، ولما رأى أبو علي وعسكره ذلك ندموا حيث لم يفد الندم.

وكان لأبي علي جاسوس، وكان سبكتكين يعرفه، ولما رأى الصلاح في عدم الحديث معه لم يظهر مطلقًا حقيقته. وذات يوم، قدم أحد الثقات وقال للأمير سبكتكين : سوف يأتي دارا بن قابوس من ميدان الحرب طالبًا الأمان، وسوف أذهب حتى يقدم. وكان سبكتكين يحضر ذلك الجاسوس للقيام بالعمل ثم يتحدث مع أحد ندمائه بحيث يسمع الجاسوس حديثهما، وكان يقول : إن أبا القاسم سيمجور وفانق ودارا سوف يطلبون أماننا، وقد قبل أحدهم أن يقبض على أبي علي ويسلمه إلينا، ثم يتشاغل الأمير العادل بعمل آخر ، فأبلغ الجاسوس أبا علي فضاق صدره، ورغبه في الصلح بعد أن كان غير راغب فيه، وتوقع أن يأتي رسولاً للصلح فلم يحضر أحد، ولما كان الصباح الباكر تبدى الخذلان في جيش أبي علي، ولم يكن هناك شك في هزيمتهم، وظهر الغلمان والرايات من كل صوب وحدب .

وكانت الفيلة الهائجة والفرسان والمشاة من الكثرة بحيث لم يظهر سطح الأرض، وقف أبو علي عاليًا ونظر، وأخذ دارا الأمان فبدا لأبي علي أن كلام الجاسوس صحيح، فازداد ضعفه وخوره ، وتعالت أصوات الطبول والأبواق والنقاريات والدبدبات وأذناب البقر والصنجات ومرايا الفيلة والنقارين والنافخين في الأصداف البيضاء، وتعالت أصوات الرجال، وعلا صهيل الخيول، وأظلمت الدنيا، وهبت الرياح فقذفت بالأتربة والحجارة في الوجوه، فرحل أبو علي مع جماعة من غلمانه وترك كل ماله هناك، وكانت هذه الحرب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ودخل أمير خراسان وجيش سبكتكين في معسكر أبي علي وغنموا كل الأموال، ودخل أبو علي وجيشه نيشابور تحت جنح الظلام، ولقب الأمير الرضي نوح الأمير سبكتكين بلقب : ناصر الدين والدولة، ثم لقب أبا القاسم محمود بن ناصر الدولة : سيف الدولة، وتوقف الأمير محمود مع الأمير نوح في هرات حتى أتموا ما كان هناك من عمل، ومن هناك رجعوا إلى نيشابور.

ولما رأى أبو علي السيمجوري مذلة نفسه وحقارتها أتى معتذراً فلم يقبلوا عذره، ولما يئس رحل إلى كرگان. وفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة مات الصاحب أبو القاسم ابن عباد في الري، ورجع الأمير نوح إلى بخارى، وكان الأمير سبكتكين في هرات وپوشنگ، والأمير محمود في نيشابور لترتيب الاستيلاء على تلك الناحية.

وقدم أبو علي وفائق بجيوش جرارة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، فذهب الأمير محمود إلى هرات عند الوالد، وطلبوا المدد من كل مكان، وأرسلوا أبا نصر أبا زيد رسولاً إلى خلف بن أحمد حاكم سيستان فقدم خلف على رأس جيش مجهز، وقدم الأمير فريغون من كوز كانان، واستدعوا كذلك تره كان الخلجي[١٨١]، وتركوا خلفًا في پوشنگك وأخذوا ابنه طاهراً مع الجيش ، ودارت رحى الحرب في طوس في قرية أَنْدَرِخْ[١٨٢]، وهزموا أبا علي، وخلصوا الأسرى من يديه، وأغاروا على معسكره، وذهب أبو علي عن طريق طبس إلى الرى فأكرم على بن الحسن بن بويه وفادته، وكان يعطيه كل شهر خمسين ألف درهم، وكان يرسل إليه جواداً بكامل عدته وعتاده في كل مرة يدعوه فيها إلى الخوان، وترك له كل هذه الأشياء.

وضاق صدر أبي علي، وذهب متنكراً إلى نيشاپور من أجل امرأة فقبض عليه الأمير وسجنه، فهرب من الحبس واتجه إلى خوارزم، وحينما وصل إلى هزار أسپ[١٨٣] نزل في حديقة، فأتى وكلاء أبي عبد الله خوارزم شاه[١٨٤]، ليعدوا الضيافة له وقالوا له : غداً سوف يأتي خوارزم شاه، وعندما نام الناس دخل الخوارزميون وقبضوا على أبي علي وأوثقوا قيوده وحملوه إلى خوارزم وحبسوه، وكان بين أهل كرگانج وأهل خوارزم عداوة قديمة، وأرسل المأمون أمير كرگانج جيشاً وحارب في خوارزم، وقبضوا على أبي عبد الله خوارزم شاه، وأخرجوا أبا علي السيمجوري من الحبس، ونقلوا الجميع إلى كرگانج، وسلموا خوارزم شاه وأبا علي للمأمون أمير كرگارنج، ورعى المأمون جانب أبي علي رعاية طيبة، ومنحه أموالاً كثيرة، وعظم أمره. وقدم رسول نوح إليه، وقال له قولاً كريماً، ووعده وعوداً طيبة، ودعاه فذهب إلى بخارى، وسبقه عبد الله بن عزيز وبگتوزن، وحينما دخل أبو علي قصر نوح قبضوا عليه مع ثمانية عشر من الإخوة والقواد، وأوثقوا قيودهم جميعاً، وساقوهم إلى قهندز سنة ست وثمانية وثلاثمائة . وحينما علم سبكتيگين بخبر أبي علي طلبه من الأمير الرضي نوح فأرسله إليه مع غلامه ايلنسكو وأميرك الطوسي وأبي الحسين بن أبي علي في شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وبعث الأمير سبكتگين بهؤلاء الأربعة إلى قلعة جرديز الحصينة وسجنهم ثم قتلهم سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

ومرض الأمير الرضى أبو القاسم نوح، ومات يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. وفى شعبان من هذا العام أيضًا مات أبو الحسن على بن بويه، ومرض الأمير سبكتكين فى بلخ وصمم على الذهاب إلى غزنين ولكن مات فى الطريق، وكانت هذه الواقعة فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، ولما مات الأمير نوح لقبوه بالرضى.

أبو الحارث منصور بن نوح

وجعل الأمير الرضى " نوح بن منصور " ابنه منصور وليًا لعهده، ولما مات جلس مكانه، ولم يكن قد بلغ بعد، وكان وزيره أبو المظفر محمد بن إبراهيم البرغشى[١٨٥].

وكان فائق يجرى الأمور الأخرى . وتولى القادر بالله أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر[١٨٦] الخلافة، وأرسل عهد خراسان إلى أبى الحارث، وقال أبو منصور عبد الله ابن محمد بن عزيز لأبى منصور محمد بن الحسين بن مت : معى[١٨٧]، .. حتى يعتمد عليك فى قيادة جيوش ما دون النهر، واستعان بايلك أيضًا فقدم لمساعدتهم ونزل على أبواب سمرقند، وذهب أبو منصور إليه فى قلة من الناس فاستقبله وأنزله حتى نزل فرسانه، ثم أمر فسجنوا أبا منصور بن عزيز، واستدعى فائقًا من سمرقند وجعله على المقدمة، وأمر أن يذهب إلى بخارى، وحينما سمع الأمير أبو الحارث الخبر ذهب إلى آموى، ولما وصل فائق لامه على تركه المملكة. ثم أسند أبو الحارث إلى بكتوزن قيادة جيوش خراسان، ورجع هو إلى بخارى، وتقدم فائق على بعد منزل ودخل ومن معه بخارى.

وفى هذا الوقت كان الأمير محمود فى نيشابور، وسمع بخبر موت والده كما سمع أن أخاه إسماعيل بن ناصر الدين استولى على ولاية غزنين وعلى تركات والده، فاتجه الأمير محمود صوب غزنين واشتبك مع أخيه فى معركة على أبواب غزنين، وتحاربا، وهزم محمود أخاه وأخذه أسيرًا ودحر عسكره واستولى على غزنين وتغلب الترك مع أبى القاسم السيمجورى ثم طمع فى بكتوزن فقدم إلى نيشابور، وتقدم بكتوزن وحارب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وهزم أبا القاسم واستولى على ماله، وعزل أبا المظفر البرعشى من الوزارة فى بخارى.

وأجلس أبا القاسم العباسى بن محمد البرمكى مكانه بالنيابة حتى يظهر شخص أخر، وحينما قتل أبو القاسم ولى أبا الحسين بن محمد على الحمولى[١٨٨] حتى يظهر شخص آخر ولم تتقدم الأمور بالحسين.

ثم أسندوا الوزارة لأبى الفضل محمد بن أحمد الخنامتى، وخنامت قرية من ولاية بخارى، وختمت به الوزارة.

ولما فرغ قلب السلطان محمود من أمر غزنين أعد الأمور ، واتجه صوب نيشاپور، وأدرك بكتوزن أنه لن يستطيع أن يفعل معه شيئًا فذهب إلى نساوباورد، وقصده الأمير أبو الحارث فاتحد بكتوزن مع فائق وخلعوا أبا الحارث، وسملوا عينيه فى سرخس يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

ثم اجتمع بكتوزن وفائق وطبقة الحشم، وولوا عبد الملك بن نوح أخا أبى الحارث، وطلبوا منه أموال البيعة فأعطاها.

وفى هذا الوقت قدم الأمير محمود - رحمه الله - إلى مرو ليحارب طلبًا لثأر أبى الحارث، فتوسط الرسل، وتم الصلح على أن تكون هرات وبلخ للأمير محمود بكل ثرواتها، وتصدق الأمير محمود بألفى دينار، ورجع على هذا الصلح، وشكر الله سبحانه وتعالى على عدم إراقة الدماء.

وفى العودة سرق غلمان الملك خزائن الأمير محمود بتحريض من دارا بن قابوس، فرجع الأمير السپه سالار نصر بن ناصر الدين أخو السلطان محمود وحاربُ بكتوزن وهزمه، فذهب بكتوزن إلى بخارى فى حالة سيئة، ومات فائق فى شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، أما بكتوزن فقد ظل يعتصره الهم والندم.

وقدم أبو الحسن إيلك بن نصر[١٨٩] شقيق الخان على أبواب بخارى، وكان قلبه مملوءًا بغير ما يبديه من المحبة لعبد الملك بن نوح، وكان أبناء نوح يخافون من شره،

وفى الصباح الباكر ذهبوا إليه للسلام، فقبض عليهم وأسرهم وأوثق قيودهم وأرسلهم إلى أوزكند(١٩٠)، واستولى على أموالهم، فولت أيامهم ودالت دولتهم. وذهب إيلك إلى بخارى يوم الإثنين العاشر من ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، ونزل فى قصر الإمارة واختفى أبو الفوارس عبد الملك فأمر، فطلبوه، فأحضروه مرتدياً الحجاب، وأتوا به على هذا النحو من بخارى ليمثل أمام إيلك خان الذى أمر فأوثقوا قيوده وساقوه إلى أوزكند، وهناك مات فى محبس إيلك . الله أعلى وأجل .

يقول مؤلف هذا الكتاب أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الگرديزى: عندما انتهينا من أخبار وتواريخ الأنبياء والملوك والعظماء وملوك العجم وخلفاء الإسلام وأمراء خراسان - بدأنا بذكر أخبار يمين الدولة رحمة الله عليه على سبيل الإيجاز(١٩١) والاختصار؛ لأنه لم يكن لكل الأخبار التى قرأناها هذا الحال الذى لأخباره، فالحوادث التاريخية الأخرى سمعناها وقرأناها من الكتب، ومن الجائز أن يكون المصنفون والرواة أضافوا إلى هذه الحوادث قليلاً أو كثيراً، أو ذكروها للتعجب والعظة والعبرة لتعظيم كتبهم وإجلالها.

ولكن هذه الأخبار عن يمين الدولة رأيت أكثرها رأى العين: ماذا فعل الأمير محمود رحمه الله فى الهندوستان؟ ماذا فعل فى النيمروز وخراسان وخوارزم؟ وكيف فتح القلاع فى العراق؟ وبأى طريقة قطع الصحارى وعبر الفيافى وصعد الجبال وطوى الطرق الوعرة المخيفة ؟ وكيف حارب ؟ وكيف قهر عظماء الملوك؟.

ولم ير إنسان ولم يسمع أن مثل هذه الحروب وهذه الحيل تكون من فعال الآدميين، وخاصة مثل هذه المصادفة التى كانت للملك العالم والسلطان المعظم عز الدولة وزين الملة سيف الله معز دين الله أبو منصور عبد الرشيد بن يمين الدولة، وأمين الملة أبى القاسم محمود بن ناصر الدين والدولة، أطال الله بقاءه وأدام عزه وسلطانه وثبت ملكه وكبت عداه ، فقد أتى إليه الملك دون تجشم صعوبة أو مشقة، فهو حينما صمم تحققت فى الحال آماله دون مهلة أو موانع، وقد أطاعته وانقادت له هذه الآلاف من الخلق دون

إراقـة للدمــاء، ودون طمع أو أذى، ودون كـيـد أو مكر أو دهاء أو تدبيـر، وكل هذا تم بسرعة خاطفة . فلتكن دولته دائمًا ثابتة الأركان، ورايته خفاقة منصورة، وعدوه مقهور وحبيبه مسرور ، وليبعد الله البلايا عن ساحته.

وبعد : فقد التقطت من جمـلة أخبار دولة هـــذه الأسـرة - أدام الله ثباتها - كل ما هو أعجب وأجمل، وأوردته هنا، واختصرت وأوجـــزت على قدر ما استطعت ، ولو شغلت بالشرح لجاء أكثر، ولهذا انتخبت من هذه الأخبار وأوردتها هنا بإذن من الله تعالى.

الهوامش

(١) كانت مدينة صغيرة على الطريق بين قومس وجوين نيشابور.

(٢) بفتح الأول وسكون الثاني هي نفس نيشابور الحالية.

(٣) هو نفس المكان الذى ينسب له الجغرافيون العرب قصر أحنف، ويفصل هذه القلعة عن مرو رود عدة فراسخ.

(٤) براز أو وزاز أو گراز معناها خنزير الغابة، وهي كلمة بهلوية أحيانًا تأتي بشكل اسم وأحيانًا تستعمل كلقب. وكانت لقب حكام هرات قبل الإسلام.

(٥) هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثي من بني ديان، كان من فاتحي العرب، كان واليًا على البحرين، فتح سيستان سنة ٢٩هـ، ومات عام ٥٣ هـ في فترة إمارته على سيستان.

(٦) منسوب إلى عنبر بن عمرو بن تميم.

(٧) يقول الأستاذ حبيبى أنها من الجائز أن تكون بسام أو بستام، ولكنها غالبًا بسطام، وحول الناسخ الطاء تاء لأن الفرس ينطقون الطاء تاء (المترجم).

(٨) العبارة بالفارسية مجاملت كرد : وشرحها الأستاذ حبيبى أنه كان حليمًا مع الناس، ولكن العبارة ليست صحيحة فكلمة مجاملة العربية ليست مأخوذة من الحلم، وتصحيح الأستاذ سعيد نفيسى هو أقرب إلى الصواب، فقد كتبها بمردمان مجاملت كرد، ومعناها : كان يجامل الناس (المترجم).

(٩) والخطبة كما أوردها المسعودى في مروج الذهب :

" أما بعد أيها الناس فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول، قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ● إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ● وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ● ﴾ . ثم قال في كلامه ذلك : يا أهل الكوفة لو لم تذهل نفسى عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت : فقتلكم لأبى، وسلبكم ثقلى، وطعنكم في بطني، وإنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا" مروج الذهب جـ٢ ص ٤٣١ (المترجم).

(١٠) يبدو أنها كردكان كرمان، وهي تبعد فرسخين عن كرمان.

(١١) قصر مجاشع هو قصر منسوب إلى مجاشع بن مسعود السلمى، وهو موجود فى بيمند، وقد فتحها مجاشع عنوة وأمن أهلها، وذلك حينما ولى كرمان من قبل ابن عامر.

وفى بيمند هذه هلك جيش مجاشع حينما وجهه ابن عمار إلى كرمان فى طلب يزدگرد.

(١٢) يقصد نهر أمو (نهر جيحون) لأن الجغرافيين المسلمين كانوا يطلقون عليه اسم نهر بلخ أيضًا، (المترجم).

(١٣) معربها كنج رستاق، وهي ناحية واسعة بين بادغيس ومرو رود، وكانت تقع فيها بغشور وبنجده، وهي بالقرب من هرات في أفغانستان.

(١٤) يعني لابن زياد ابن أبيه.

(١٥) يقصد نهر أمو (نهر جيحون) (المترجم).

(١٦) نهر جيحون = نهر أمو = نهر بلخ = النهر، وهو الحد الفاصل بين أفغانستان وأسيا الوسطى، وينبع من هضبة پامير في أفغانستان، ويصب في بحيرة آرال بآسيا الوسطى (المترجم).

(١٧) كانت كلمة خدا، خداة، خدات تستعمل في هذا الوقت لملوك نواحي شمال خراسان مثل سامان خداة - بخارى خداه - گرز گان خداه، وقد استعمل شعراء الدرية كلمة كابل خداى وزابل خداى، وقد استعملت هذه الكلمة بالنسبة للملوك الكوشانية في كتيبة سرخ كوتل في أفغانستان بشكل خوذى.

(١٨) يقصد نهر أمو أي جيحون، وهو النهر الوحيد الذي إذا ذكر دون اسمه يعرف أنه نهر جيحون، ولهذا عرفت البلاد التي تقع في شمال خراسان بأنها بلاد ما وراء النهر، وقد سبق التعريف به (المترجم).

(١٩) هكذا في الأصل.

(٢٠) طرخون ليس اسمًا لشخص ولكنه لقب لملوك ما وراء النهر، ويسمى ابن خرداذبه ملك سمرقند طرخان (المسالك والممالك ص ٤٠). وفي الآثار الباقية (ص٢٠) طرخون. وقد كتبت بعد ذلك في كتب الأدب الفارسي ترخان.

(٢١) ذكرت زاغول في (فتوح البلدان) أنها من مرو رود.

(٢٢) دير الجماجم على بعد سبعة فراسخ من الكوفة ناحية البصرة.

(٢٣) وهو من الفقهاء والوعاظ المشهورين في عصر سليمان وعمر بن عبد العزيز.

(٢٤) في الأصل يزيد بن الوليد، والصواب ما أوردناه (المترجم).

(٢٥) بضم الأول وسكون والثاني وفتح الميم والهاء، وهي قرية عظيمة في مرو ناحية أمل وجيحون.

(٢٦) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وهو أول الدعاة إلى الدولة العباسية.

(٢٧) أبو رياح ميسرة النبال من موالي الأزد. وقد أرسل إلى الكوفة عام ٩٧هـ من طرف محمد بن علي. (تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٢٩٨).

(٢٨) مكتوبة عبد السلم، ويبدو أن هذا خطأ من الناسخ.

(٢٩) جعفر بن حنظلة.

(٣٠) الإمام يحيى بن زيد مدفون في شرق مدينة سرپل شمال أفغانستان بين بلخ وميمنة، ويسمونها أيضًا فراغو، وقد كتب على القبر الذي يشبه بناؤه الفن المعماري السلجوقي كما يقول الأستاذ حبيبي : هذا قبر السيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب - رضوان الله عليه - وقتل بأرغوى في يوم الجمعة في شهر شعبان المعظم سنة خمس وعشرين ومائة، وقتله سلم بن أحوز في ولاية نصر بن سيار في أيام الوليد بن يزيد لعنهم الله . زرت مدفن الإمام يحيى بن زيد في شمال أفغانستان عام ١٩٧٠م (المترجم).

(٣١) قرية من قرى مرو.

(٣٢) بفتح الشين والراء وضم الزاى، وهى ناحية واسعة بين جبال أربد وهمدان كان الكرد يسكنون فيها.

(٣٣) مدينة فى سواد العراق.

(٣٤) بهافريد بن ماه فروردين غاب عن أصله في الصين سبع سنوات ثم عاد وحمل من طرفها قميصاً أخضر يسع مطوياً قبضة اليد لدقته ونعومته، ادعى أمام الناس أنه صعد إلى السماء منذ غاب عنهم وعرضت الجنة والنار عليه وأوحى الله إليه وألبسه ذلك القميص وأنزله إلى الأرض، وتبعه خلق كثير من المجوس، فرض عليهم سبع صلوات وأمرهم بالسجود لعين الشمس على ركبة واحدة والتوجه نحوها في الصلاة حيثما كانت. الآثار الباقية ص ٢١٠ (المترجم).

(٣٥) هى غير مدينة بست التى فى أفغانستان على شاطئ نهر هلمند.

(٣٦) استعان الجرديزى فى هذا الموضوع بأبى الريحان البيرونى فى الآثار الباقية (البيرونى ص ٢١٠) (المترجم).

(٣٧) الحرة : جمعها حرار، وهى أرض ذات أحجار سوداء، وتوجد في بلاد العرب عدة أماكن بهذا الاسم. ويذكر الأستاذ سعيد نفيسي أنها الحيرة، وهى مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة ناحية النجف. ويرى حبيبى أن احتمال الأستاذ نفيسى هو أقرب للصواب.

(٣٨) يقطين بن موسى هو أحد الرجال المعروفين فى البلاط العباسى، وقد سعى للبيعة مع السفاح وأسهم إسهامات عظيمة في أحداث عصره، وتوفي سنة ١٨٦هـ .

(٣٩) بفتح الأول، وهى مدينة كانت بالقرب من جيحون على طريق ترمذ وآمل.

(٤٠) ذكر الأستاذ حبيبى اعتماداً على ما نقله من الطبرى (جـ٩ ص ٢٨٨) أن من الجائز أن يكون محمد سعيد هذا هو محمد بن سعيد الكاتب الذى كان والياً فترة على مصر ثم عزل عام ١٥٧هـ، ويذكر الأستاذ حبيبى أنه لم ير هذا فى مصدر آخر غير الطبرى.

(٤١) ذكر الأستاذ حبيبى أنه لم يجد هذا الاسم فى الطبرى أو اليعقوبى أو سنى الملوك.

(٤٢) ذكر هذا الاسم فى الشعر العربى :

تذكرنى قباب الترك أهلى ومبدأهم إذا نزلوا سناما

(٤٣) وردت هذه العبارة بالنص الفارسى كما يلى : "وكوبها بستدند" ومعناها : استولوا على الأحياء. ويذكر الأستاذ حبيبى أن هذه الكلمة أى "كويها" وردت فى النسختين الرئيسيتين للجرديزى "كوسها"، ولكن الأستاذ سعيد نفيسى صححها "كويها" ثم يضيف الأستاذ حبيبى : فى المواضع الحكومية وفى أوقات مخصوصة كانوا يقرعون الطبول، وفى عصر منهاج السراج وفى حدود عام ٦١٧هـ كانوا يقرعون الطبول فى الحروب، والاستيلاء على الطبول يدل على التصرف فى المدينة والتغلب عليها. (المترجم)

(٤٤) وكانت مدينة عظيمة فى بلاد ما وراء النهر، وكان يفصلها عن قرية خاقان التركية أربعة فراسخ، وهى التى ذكرت فى الشعر العربى كما ذكرنا.

(٤٥) سنگردرا وسنگردر وكانت تقع بين الرى ونيشابور على بعد خمسة فراسخ من بيشكند، وعشرة فراسخ من نيشابور.

(٤٦) نوجكت وهى مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر.

(٤٧) مدينة پوشنگك أو فوشنج التاريخية فى الطرف الجنوبى الغربى لنهر هرى رود بالقرب من مدينة هرات بأفغانستان، وهى مدينة طاهر ذى اليمينين قائد قوات المأمون ضد الأمين، وقد سبق التعريف بها. (المترجم)

(٤٨) هو جد الطاهريين، والد حسين والد طاهر.

(٤٩) هى مدينة من مدن بخارى على حدود السغد.

(٥٠) شاهبهار : معناها المعبد الملكى، وكان يوجد فى أطراف كابل، وقد تحدث عنه اليعقوبى وذكر أنه كان بجوار غوربند شمال كابل وباميان، ويذكر أن شاهبهار كابل فتحه جيوش الفضل بن يحيي البرمكى وأحرقت جيوش المسلمين ما كان به من الأصنام التى كانوا يعبدونها.

(٥١) هذا الاسم نقل بإملاء مختلف فيكتب : بيغو - بيغويه -- جبويه، ويقول ابن خرداذبه : جبغويه كان من ملوك الترك، ويقول الخوارزمى فى مفاتيح العلوم : جبويه ملك غزية وخرلخية.

(٥٢) وهى واحدة من ست عشرة كورة من كور سيستان.

(٥٣) وهو داود بن يزيد.

(٥٤) بضم الألف وسكون الثانى وضم الثالث وهى مدينة عظيمة فى بلاد ما وراء النهر بين سيحون وسمرقند وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخاً.

(٥٥) وهى مدينة بالقرب من كرمان شاهان، ويفصلها عن همدان عشرين فرسخاً.

(٥٦) هذا الكتاب يبدو أنه قد اندثر وليس له وجود الان.

(٥٧) وهم الذين كانوا يجلسون القرفصاء ولا يقومون.

(٥٨) هو طاهر بن الحسين الفوشنجى مؤسس الدولة الطاهرية، وقد سبق التعريف به.

(٥٩) ده أس : يعنى أسيا ومعناها الطاحونة، وكان نهر بلخ يسمى دهاس يعنى ده أسيا، ومعناها النهر نو الطواحين العشرة لأن عشرة طواحين كانت تدور عليه، وهذا النهر كان يمر من باب نوبهار بلخ، وكان يروى قرى بلخ حتى سياه گرد. ونهر بلخ هو أحد الأسماء التى تطلق على نهر آمو (نهر جيحون) (المترجم).

(٦٠) من الجائز أن يكون تسجيل الاسم هو التسجيل ضمن إحصائية الجيش.

(٦١) أبو إسحاق بن عمر الجاشنى.

(٦٢) هذه الكلمة فى كلا النسختين لم تكن منقوطة، وأن آل باينجور فى طخارستان كانوا يحكمون من ترمذ ويلخ حتى باميان واندرآب من عام ٢٣٢ حتى عام ٣٧٢هـ .

(٦٣) يقول الأستاذ حبيبى نقلاً عن كتاب مجمل التواريخ والقصص : "دويان المنجم أرسله ملك كابل إلى المأمون".

(٦٤) هكذا النص، ويبدو أنها القضيب. (المترجم).

(٦٥) مدينة على الشاطئ الشرقي للفرات تفصلها عن حران ثلاثة أيام.

(٦٦) كان والد بابك الخرمي بائع زيت في المدائن، وقد ولد في بلال أباد بأذربيجان، وقد رفع راية العصيان على الدولة العباسية وظل يقاوم جيوش الخلافة من ٢٠١هـ حتى ٢٢٣هـ، هذا وسمي العرب أتباعه بالمحمرة يعني من يتشحون بالحمرة، وعُين الأفشين لحربه من قبل المعتصم، وفي عام ٢٢٣هـ قبضوا عليه وساقوه إلى بغداد وأمر المعتصم فقطعوا رأسه وأرجله، وأرسلوا رأسه إلى خراسان وعلقوا جسده في سامرا. (المترجم)

(٦٧) كان أهل نيشاپور يشربون من قنى تحت الأرض.

(٦٨) نصر بن صالح أحياناً يكتب في كتب التاريخ نضر، ولكن يكتب بالصاد في أكثرها، وهو من أهل بست، وهو أخو عشان بن نصر بن مالك الذي بايعوه في المحرم عام ٢٣٨هـ وكان معه يعقوب وعياروا في سيستان، وبعد ذلك قوي يعقوب بن الليث وكانت له حروب متعددة ضد صالح، وهرب صالح بعدها، وقبض عليه على حدود الشتان شمال قندهار الحالية، وأحضر إلى يعقوب، ومات في سجنه في ١٧ محرم عام ٢٥١هـ (تاريخ سيستان ص ٢٠٧).

(٦٩) توجد حتى الآن بهذا الاسم، وهي على بعد عشرة أميال غرب قندهار.

(٧٠) مدينة قديمة غرب قندهار الحالية ولا تزال آثارها موجودة حتى اليوم، وكانت موجودة من ٢٠٠-٦٠٠ هـ، أو هي مدينة أخرى بين قندهار ومجرى نهر هلمند.

(٧١) رخود = رخذ = رخج وهي تقع بين مجرى نهر أرغنداب ومجرى نهر هلمند، وكانت تقع فيها بنجواي وكوهك وتكين أباد.

(٧٢) استعملت هذه الكلمة بخصوص معبد بغلان في بعض النقوش المكتوبة حوالي عام ١٦٠م بشكل نوشال، وكما يبدو أنه باسم نوشاد كانت توجد معابد زردشتية وبوذيه في أفغانستان قبل الإسلام، ويذكر ياقوت أنه كانت توجد تربة أو قصر في بلخ باسم نوشار، وبما أن ياقوت يكتب أخرها راء إذن فهي غير نوشاد التي نقصدها الآن.

(٧٣) ينسب ابن الأثير في وقائع عام ٢٥٧هـ إلى داود بن العباس بن مابنجور بناء نوشاد بلخ. وفي طبعة الأستاذ نفيسي كتبها باينجور. وفي معجم زامبور ص ٣٠٧ ذكر أن بني باينجور كانوا أمراء طخارستان. وفي كتاب "البلدان" لليعقوبي المتوفى عام ٢٩٢هـ آل هاشم بن باينجور. وفي تاريخ اليعقوبي : باينجور هو واحد من حاشية ملك فرغانة.

(٧٤) يذكر الأستاذ محمد ناظم والأستاذ سعيد نفيسي أن كلمة فيروز هذه اسم لمكان، وأشار كل منهما في حاشيته إلى فيروزمند وفيروزوند وفيروزقند التي ذكرها الجغرافيون العرب أمثال ابن حوقل والإصطخرى والبشارى، وكانت توجد بين مجرى أرغنداب وهلمند، وهي غالبًا ما تكون كشك نخود الحالية، ومن الممكن أن يكون فيروز اسم شخص لا مكان؛ لأن المسعودى يذكر عن زابلستان أنها بلاد فيروز بن كتك ملك زابلستان ويتحدث عن حصانة واستحكام حصونه.

(٧٥) كانت وقعة عبد الرحمن الخارجي في هرات عام ٢٥٩هـ. وكروخ تقع في هرات بأفغانستان حتى الآن.

(٧٦) اسم الأخ الثاني مفقود في كلا النسختين.

(٧٧) ناحية مشهورة في نيشاپور كان بها قصر وبستان عبد الله. (معجم البلدان جـ٣ ص٣٠٥).

(٧٨) بين رويان وكلار في طبرستان.

(٧٩) دير العاقول : كان على شاطئ دجلة بين المدائن والنعمانية، ويفصله عن بغداد خمسة عشر فرسخًا (معجم البلدان جـ ٢ ص٥٢٠).

(٨٠) أحمد بن عبد الله الخجستاني، منسوب إلى خجستان من أعمال بادغيس شمال هرات.

(٨١) يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي من عشيرة ذهل بن شيبان، وملقب بالحيكاني بفتح الحاء وسكون الياء وكنيته أبو زكريا، وكان إمام أهل الحديث في نيشابور وابن إمامهم، وقد سافر إلى العراق ودرس الحديث على الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وكان أمير الغزاة والمجاهدين في نيشابور حتى خرج أحمد بن عبد الله الخجستاني، ولكن الحيكاني حاربه حتى أسر وقتل في السجن عام ٢٦٧هـ.

(٨٢) هو الأصرم بن سيف.

(٨٣) كان رافع بن هرثمة واليًا على خراسان من قبل محمد بن طاهر عام ٢٧١هـ، وفتح طبرستان عام ٢٧٧هـ وحينما عزله المعتضد عن ولاية خراسان رفع راية العصيان واستولى على نيشابور وجعل الخطبة في النهاية لمحمد بن زيد الطالبي، ولكن قتله (قتل رافعًا) عمرو بن الليث عام ٢٨٣هـ وأرسل رأسه إلى بغداد.

(٨٤) عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي وزير المعتمد والمعتضد العباسي من ٢٢٦هـ إلى ٢٨٨هـ .

(٨٥) بدر بن عبد الله الحمامي المشهور ببدر الكبير، السردار التركي في الجيش العباسي ووالي أصفهان وشيراز، والمتوفى عام ٣١٠هـ في شيراز.

(٨٦) محمد بن أبي الساج، الملقب بالأفشين المتوفى في أذربيجان عام ٢٨٨هـ .

(٨٧) إسماعيل بن أحمد الساماني.

(٨٨) زم : مدينة مشهورة على رأس طريق نهر جيحون.

(٨٩) في (تاريخ بخارى) ذكر أن هزيمة عمرو كانت يوم الأربعاء العاشر من جمادى الأول سنة ٢٨٨هـ.
وذكر مؤلف (تاريخ سيستان) أنها كانت يوم الثلاثاء في آخر ليلة من ربيع الآخر عام ٢٨٧هـ. ويقول الطبري : إن أسر عمرو بن الليث كان يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ٢٨٧هـ.

(٩٠) ذكر الأستاذ حبيبي نقلاً عن تاريخ سيستان والطبري أن أشناس كان غلام إسماعيل بن أحمد، وليس هذا صحيحًا (المترجم).

(٩١) ذكر الطبري أن مقتل عمرو بن الليث في السجن كان يوم الثلاثاء ٨ جمادى الأولى سنة ٢٨٩هـ، وفي اليوم التالي دفن بالقرب من قصر الحسني ببغداد. (الطبري جـ١١ ص ٣٧٣).

(٩٢) تكتب هذه الكلمة بعدة أشكال فأحيانًا تكون سامان خداه، وأحيانًا تكون سامان خدات (راجع : تاريخ بخارى ترجمة : د / أحمد محمود الساداتي) (المترجم).

(٩٣) الجاج معربها الشاس.

(٩٤) ذكره الطبري أوكرتمش (جـ١١ ص ٣٧٣). وذكره ابن الأثير الدتمش (جـ٧ ص ١٧٠). وذكره ابن خلدون اغرتمش (جـ٤ ص ٣٢٥).

(٩٥) كانت وفاة المعتضد يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين (المسعودي : مروج الذهب جـ٤ ص ٢٣١).

(٩٦) بويع المكتفى بالله - وهو على بن أحمد المعتضـد - يوم الإثنين لثمان بقين من شـهـر ربيع الآخـر سنة تسع وثمانين ومائتين (المسعودى : مروج الذهب جـ٤ ص ٢٧٥).

(٩٧) أبو العباس عبد الله بن محمد بن نوح بن أسد ابن عم إسماعيل، وكان يسمى عبد الله بن نوح وابن نوح.

(٩٨) من أسرة بني جستان ملوك الديالمة، وهو جستان بن وهسودان، حكم فى حدود عام ٢٩٠هـ.

(٩٩) كانت هذه الهزيمة عام ٢٩٠هـ.

(١٠٠) معدل بن على الليث ابن أبى يعقوب، وأخوه أبو على محمد.

(١٠١) رخود يعني الرخج، وهي أرض قندهار الحالية.

(١٠٢) حسين بن على المرورودى.

(١٠٣) وهو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد السامانى، عين حاكمًا على سيستان سنة ٢٩٩هـ.

(١٠٤) محمد بن العباس المعروف بالحفار. جاء فى تاريخ سيستان: محمد بن عباس كولكي، وكوركى.

(١٠٥) ذكرها مؤرخو الدولة الغزنوية : نواتى دار.

(١٠٦) بكسر الأول وفتح الثانى وسكون الباء وهى مدينة بين جيحون وبخارى.

(١٠٧) ولد عام ٢٩٣هـ، وتوفى عام ٣٣١هـ، وعمره ثمانية وثلاثون عامًا.

(١٠٨) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر الجيهانى تولى الوزارة فى جمادى الأخرة سنة ٣٠١ هـ، وسيرها سيرًا حسنًا، وكانت وفاته عام ٣٣٠ هـ.

(١٠٩) وهى قرية على بعد ثلاثة فراسخ من سمرقند، بفتح الأول وسكون الثانى وفتح الثالث، وبها قبر الإمام البخارى (معجم البلدان جـ٢ ، ص ٣٥٦).

(١١٠) يقول الأستاذ حبيبى : وردت فى الأصلين زراه، ويقول : من المحتمل أن تكون زرارة .

(١١١) جيرنج معرب كلمة كيرنگ، وكانت لها شهرة ذائعة حتى عصر المغول.

(١١٢) كان لأحمد إخـوة ثلاثة وهـم محـمـد والفضل والحسين قتلوا فى عصبية العرب والعجم (ابن خلدون جـ ٤ ص ٣٣٨).

(١١٣) بضم الأول وسكون الثانى وفتح الكاف.

(١١٤) التعبير بالفارسية " كلاه ننهدوموزه نپوشد" يعنى ألا يرتدى قلنسوة أو يلبس خفًا. وهذا كناية عن إذلاله وتحقيره ووجوب لزومه للاحترام. (المترجم)

(١١٥) وكانت إحدى النواحى فى مروروذ خراسان (حبيبى) .

(١١٦) يقصد نهر جيحون لأنه النهر الوحيد الذى إذا ذكر باسم النهر فقط يكون المقصود هو نهر جيحون. (المترجم)

(١١٧) أسپيجاب معربها اسفيجاب وهى ناحية على حدود التركستان وقصبتها تدعى أسپيجاب (حدود العالم ص ١١٧).

(١١٨) أبو بكر بن محمد بن المظفر بن محتاج، من آل محتاج ملوك صاغانيان، وهو منسوب إلى صاغانيان خدات يعنى ملوك صاغانيان. وكانت وفاته عام ٣٢٩ هـ.

(١١٩) معرب كومس وهى ناحية واسعة فى طبرستان.

(١٢٠) وشكمير بن زيار الملقب بظهير الدولة أبو منصور، الملك الثانى لآل زيار فى طبرستان حكم فى سنة ٣٢٣ هـ وضرب السكة.

(١٢١) سارية مدينة فى طبرستان يفصلها عن البحر ثلاثة فراسخ، وتعرف الآن باسم سارى فى مازندران شمال إيران.

(١٢٢) مرض ثلاثة عشر شهراً بمرض السل، ثم مات فى شعبان عام ٣٣١ هـ بعد أن حكم ثلاثين عام .

(١٢٣) مدينة آموى على شاطئ نهر آمو (نهر جيحون). (المترجم)

(١٢٤) أيقان بفتح الأول وسكون الثانى هى إحدى قرى پنج ده (معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩١).

(١٢٥) ومعربها سنج بكسر السين وهى احدى القرى الكبيرة فى مرو شاهجهان (معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٦٤).

(١٢٦) أبو جعفر محمد بن نصر بن أحمد شقيق نوح (ابن الأثير جـ ٨ ص ١٨١).

(١٢٧) يقول الأستاذ حبيبي نقلاً عن ابن حوقل : إن باب رخنة هو أحد أبواب ربض بخارى.

(١٢٨) على بعد منازل ثلاثة من سمرقند، وهى من البلاد المعروفة فى بلاد ما وراء النهر.

(١٢٩) صاغان = چاغان = صغانيان = چغانيان والنسبة لها صاغانى أو چاغانى. ارجع إلى لغت نامه دهخدا، معجم البلدان جـ٣ ص٣٣٩ دار صادر. (المترجم).

(١٣٠) منسوب إلى رزكان شمال قندهار، وكانت جزءًا من زابلستان القديمة.

(١٣١) يقول صاحب برهان قاطع : إن ميله هى اسم ميدان حرب السلطان محمود فى التركستان، وهى معبر نهر آمو فى سواحل شمال ولاية طخار، ومن الجائز أن يكون السلطان محمود كان له ميدان هناك فى ذلك الوقت، وكانت هذه المدينة تسمى رباط ميله على الساحل الشمالى لآمو، وكانت تقع بين ورواليز وخلم بالقرب من ميناء شيرخان بندر الحالى.

(١٣٢) وهم جماعة يسمون (كميجيان) وكانوا يقيمون على حدود ختلان وصغانيان.

(١٣٣) وكانت أخر حدود شمال شرق خراسان .

(١٣٤) ولاية إيلاق فى وادى نهر آهنگران بطشقند (تعليقات حدود العالم ص ٢٥٦).

(١٣٥) واشگرد معربها واشجرد، وهى فيض آباد الحالية.

(١٣٦) مدينة من مدن صغانيان على طريق بخارى وسمرقند يفصلها عن صغانيان منزلين.

(١٣٧) كلمة شرابدار رتبة فى البلاط كانت تعطى لمن يختص بأمور المشروبات الملكية فى البلاط .

(١٣٨) ما دون النهر : يقصد خراسان، ما وراء النهر يقصد البلاد التى تقع شمال خراسان بعد عبور نهر جيحون. (المترجم)

(١٣٩) أرگان معربها أرَّجان بفتح الألف ، وتشديد الراء وفتحها، وهى مدينة مشهورة فى فارس تفصلها عن البحر منزلة واحدة.

(١٤٠) بفتح الجيم الثانية وسكون الراء، وكانت مدينة بين نيشابور وجوين وگرگان.

(١٤١) كلمة قرار وردت بلفظها فى النص. (المترجم)

(١٤٢) كانت وفاته يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ٣٥٠هـ .

(١٤٣) المراد نهر جيحون.

(١٤٤) إحدى مدن طوس .

(١٤٥) واحدة من القصبتين في طوس، والثانية طابران .

(١٤٦) ورد في "أحسن التقاسيم" اسم صاهة ويذكر أنه في نواحي نيشابور، ومن المحتمل أن يكون هو هذا المكان.

(١٤٧) يوجد مكانها مدينة تاشقرغان المدينة الأفغانية الحالية.

(١٤٨) هكذا وردت في كل النسخ.

(١٤٩) كانت وفاته في ٢ شعبان سنة ٣٥٢ هـ في غزنة .

(١٥٠) لم يعرف الاسم الصحيح لهذا المكان، ولكن المقديسي في "أحسن التقاسيم" يذكر مكان بين منازل نيشابور وهرات باسم تمخكن، ومن الجائز أن يكون مقصد الجرديزي هو ذلك المكان.

(١٥١) خبوشان أو كوجان أو خوجان هو مركز ناحية استواء نيشابور .

(١٥٢) بيستون بن وشمگير الملقب بظهير الدولة أبو منصور بن وشمگير بن زياد، وهو الأمير الثالث لآل زيار وكان يحكم من ٣٥٦ إلى ٣٦٦ هـ.

(١٥٣) كرگانج: معربها الجرجانية وكانت عاصمة خوارزم، ومكانها الآن أورنج .

(١٥٤) بضم التاء وفتح اللام وهذا المكان حتى الآن يوجد بهذا الاسم، ويقع في جنوب شرق هرات في ولاية الغور.

(١٥٥) وهو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه.

(١٥٦) يوسف بن إسحاق.

(١٥٧) والده محمد بن أحمد الجيهاني الكبير، أما هذا الوزير العالم فهو مؤلف كتاب "المسالك والممالك"، وهو مفقود.

(١٥٨) أبو الحارث أحمد بن محمد فريغون الأمير الثاني في أسرة فريغون، ولد حوالي ٣٦٨هـ وتوفي عام ٤٠١ هـ.

(١٥٩) عمل المعونة والأحداث كانت من أعمال الدولة في ذلك الوقت.

(١٦٠) العبارة باللغة الفارسية "خويشي كردن باوى نموهست" وذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن الكلمة الأخيرة وردت هكذا في النصين اللذين نقل عنهما، ولم يعرف الأصل الصحيح لهذه الكلمة.

(١٦١) وهو أحمد بن علي بن إسماعيل، كان شاعراً وأديباً، ورد ذكره كثيراً في تاريخ اليميني والبيهقي، وكانت وفاته قبل عام ٤١٦هـ، وهو من أسرة الميكاليين المعروفة في خراسان، وقد اشتهروا بالفضل والعلم والأدب ورعايتهم للعلماء والأدباء، وينتهي نسبهم إلى بهرام گور (المترجم).

(١٦٢) وهو شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمگير بن زيار، الملك الرابع لأسرة الزياريين في طبرستان تولى عام ٣٦٦ هـ، ومات في جرجان عام ٤٠٣هـ.

(١٦٣) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذه الكلمة وردت هكذا في النصين اللذين نقل عنهما ولم يعرف أصلها.

(١٦٤) بضم الدال وتشديد الراء، وهى عباءة من الصوف يضعها نوو المناصب فوق أكتافهم (وهى كناية عن تولى المنصب) (المترجم).

(١٦٥) وهو خلف بن أحمد أحد الأمراء الصفاريين فى سيستان، وقد توفى عام ٣٩٩ هـ فى قلعة جرديز، وكان السلطان محمود قد اعتقله فيها (المترجم).

(١٦٦) كان قتله عام ٣٧٢هـ .

(١٦٧) منسوب إلى مُزنة وهى من قرى سمرقند.

(١٦٨) وهى معرب كنج روستا وهى ناحية واسعة بين بادغيس ومروالرود، وتبعد عن هرات منزلتين وتضم بغشور وبنجده.

(١٦٩) وهو الملقب بشيخ الدولتين كما فى تاريخ اليمينى.

(١٧٠) العبارة الفارسية و .. نظم أورا بديد ند، ويذكر الأستاذ حبيبى أنه لم يستطع أن يقرأ العبارة التى قبل "نظم" ولهذا لم تترجم، (المترجم)

(١٧١) وهو شرف الدولة أبو الفوارس شيردل بن عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو (٣٤٠ - ٣٧٩ هـ).

(١٧٢) يذكر الأستاذ حبيبى أن اسمه ورد فى تاريخ اليمينى : أبو نصر أبو يزيد، وورد فى واحدة من النسخ : أبو نصر بن أحمد بن محمد بن أبى يزيد، وقد جرى الأستاذ حبيبى فى تحقيقه على ما ورد فى اليمينى .

(١٧٣) المراد هنا إيلك خان .

(١٧٤) وهى قرية على أبواب نيشابور، ويذكر عنها العتبى بأنها كانت إحدى المنتزهات.

(١٧٥) أبو على وأبو القاسم ابنا أبى الحسن السيمجورى.

(١٧٦) كانت هزيمة فائق فى الثالث من ربيع الأول عام ٣٨٨ هـ .

(١٧٧) وهو أبو المظفر أحمد بن محمد.

(١٧٨) نهر موليان وهو من الأنهار المعروفة فى بخارى، وللرودكى قصيدة معروفة تحدث فيها عن جمال هذا النهر، وقد ترجمها المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى فى كتابه الذى ترجمه عن الإنجليزية تحت عنوان "تاريخ الأدب الفارسى فى إيران من الفردوسى إلى السعدى" (المترجم).

(١٧٩) مكان فى التركستان يعرف بقاشقار.

(١٨٠) قراتكين وابنه منصور كانا حاكمين لأسبيجاب .

(١٨١) نسبة إلى الخلج وهم التَّرك بفتحتين، وهى قبيلة معروفة من قبائل الخلج فى زابلستان، وهم حتى الآن بهذه الاسم ويعيشون بين غزنة وقندهار فى زابلستان القديمة، ويحيون حياة البدو. يذكر الأستاذ حبيبى أن المؤرخين يخلطون دائماً بين التُرك بالضمة والتَّرك بالفتحتين، كذلك يخلطون بين خِلْج القبيلة الأفغانية والتى ينتسب إليها الملوك الخلجيون وبين الخَلَخْ والتُّرْك.

(١٨٢) بفتح الألف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء وسكون الخاء وهى قرية بين جبلين فى طوس.

(١٨٣) هزارأسب كانت من القلاع الحصينة فى نواحى خوارزم، ويفصلها عن خوارزم مسيرة ثلاثة أيام.

(١٨٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، وهو الملك الثانى لهذه السلسلة وظل يحكم حتى وفاته عام ٣٨٥هـ.

(١٨٥) البرغشي تولى الوزارة في عهد الأمير منصور بن الأمير الرضي، وبسبب غلبة فائق على الوزارة طلب استعفاءه وظل فترة في جوزجان، وبعد ذلك أمضى مدة ثلاثين عامًا في نيشابورفي القراءة وتصنيف الكتب، ومن الجائز أن يكون منسوبًا إلى بركوش في نواحي الشاس وطشقند.

(١٨٦) تولى الخلافة في رمضان عام ٣٩٢ هـ، وكانت وفاته في ذي الحجة عام ٤٢٢ هـ.

(١٨٧) يقول الأستاذ حبيبي. في هذا المكان ذكرت كلمة لم يستطع قراءتها.

(١٨٨) أرسل السلطان محمود هذا الشخص سفيرًا له في بخارى، فاستوزروه المدة التي بقي هناك فيها وبعث به السلطان محمود إلى أخيه في غزنة بعد موت سبكتكين

(١٨٩) إيلك خان، اسمه الكامل: أبو نصر أحمد بن علي، ولقبه شمس الدولة، واسمه الأصلي من مسكوكاته أبو الحسين نصر بن علي الأمير السيد وناصر الحق، وهو الملك الرابع لآل أفرسياب الإيلك خانيون، وقد جلس على العرش عام ٣٨٢هـ، وفي عام ٣٨٩هـ حارب السامانيين، وتوفي عام ٤٠٠هـ.

(١٩٠) وهي إحدى مدن فرغانة في بلاد ما وراء النهر.

(١٩١) هكذا في الأصل، ولكن يبدو أن هناك خطأ من الناسخ لأن الجرديزي إنما ذكر أخبار وتواريخ الأنبياء والملوك والعظماء وملوك العجم وخلفاء الإسلام وأمراء خراسان على سبيل الإيجاز والاختصار، أما أخبار يمين الدولة فقد استوعبها بالتفصيل منذ نشأته حتى وفاته (المترجم).

ملك الأمير الأجل السيد يمين الدولة وأمين الملة وكهف الإسلام أبى القاسم محمود بن ناصر الدين والدولة سبكتكين رحمة الله عليهما

ولما انتهى السلطان محمود - رحمة الله عليه - من فتح مرو وصار أميراً لخراسان قدم إلى بلخ . وكان لا يزال فيها حين أتاه رسول القادر بالله من بغداد بعهد خراسان واللواء والخلعة الفاخرة والتاج . ولقبه القادر بالله : يمين الدولة، وأمين الملة، أبا القاسم محمود ولى أمير المؤمنين.

ولما وصل هذا العهد واللواء تسلم الأمير محمود عرش السلطنة، ولبس الخلعة، ووضع التاج على رأسه، وأذن بالدخول في البلاط للخاصة والعامة، (وكان ذلك) في ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، ثم رحل عن بلخ إلى هرات سنة تسعين وثلاثمائة، ومن هناك ذهب إلى سيستان، وحاصر خلف بن أحمد فى قلعة اسپهبد، ووسط خلف الوسطاء ، وتصالح مع الأمير محمود على أن يعطي مائة ألف دينار، وأن يجعل الخطبة له.

ولما فرغ الأمير محمود من هذا ذهب إلى غزنين، ومنها توجه إلى الهندوستان واستولى على الكثير من الحصون.

ولما رجع من الهندوستان أرسل الخان[١] رسولاً يطلب له المصاهرة مع الأمير محمود، واتفقا على أن يكون ما وراء النهر للخان وما دون النهر للأمير محمود، وقدم إلى نيشاپور فى سلخ جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وحارب السپه سالار الأمير نصر بن ناصر الدين - رحمهما الله - أبا إبراهيم السامانى[٢]، وقبض على الغلام الهندى[٣]، وكان هذا يوم الأربعاء آخر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وعظم أمر أبى إبراهيم فى نيشاپور، وقصده الأمير محمود - رحمة الله عليه - فذهب إلى أسفرايين وكرمان، ومن هناك ذهب إلى كركان ثم قدم مرة أخرى إلى نيشاپور[٤]، وذهب إليه الأمير نصر من نيشاپور إلى بوزكان[٥].

وقدم جيش أبى إبراهيم في إثره فهزمه الأمير السپه سالار نصر، ودعا رئيس سرخس أبا إبراهيم وناشده أن يحارب الأمير نصر وسوف يساعده، وذهب أبو إبراهيم وجيشه إلى هناك وذهب الأمير نصر أيضاً وتحاربوا فهزم الأمير نصر أبا إبراهيم، وقبض على توزتاش الحاجب، وأبى القاسم السيمجورى، وفر أبو إبراهيم إلى باورد ومنها إلى الأتراك الغز، وصمم الأتراك على أن يذهبوا معه إلى الحرب، وأسلم يبغو زعيمهم، وصاهر أبا إبراهيم وقدم معه حتى كوهك[٦].

وحاربوا سباشى تگين وهزموه، وقدم إيلك خان إلى سمرقند وهجم رجاله على جبل كوهك ، وقبضوا على ثمانية عشر من القادة (السرهنگيه)، وحملوا الغز والأسرى، ويئس أبو إبراهيم فقدم إلى جسر درعان[٧] وعبره حيث كانت الثلوج مجمدة، فقدموا فى أثره يطلبونه " وأرادوا أن يعبروا النهر فذابت الثلوج وغاص الجميع تحت الماء[٨].

وتأخر أبو إبراهيم فى آموى، وأرسل مرس النقيب إلى الأمير محمود رسولاً.

وقال : لن يستقيم اعوجاج آل سامان بالنسبة لى إلا بعنايتك فانظر ما هو الصواب حتى أفعله.

ولما رحل مرس النقيب كان أبو إبراهيم قد ذهب إلى مرو، ولما وصل إلى كُشْمَهين[٩]، وطلب المساعدة من أبى جعفر ابن أخته لم يجبه واستخف بالرسول.

وخرج مرس النقيب وحارب أبا إبراهيم وهزمه، فذهب (أبو إبراهيم) إلى باورد.

ولما وصل مرس إلى الأمير محمود - رحمه الله - أحسن إليه وأكرم وفادته وأعاده محملاً بالأموال الكثيرة، وتعهد بكل ما يريد ، وكتب إلى أبى جعفر رسالة (يوصيه فيها) أن يبذل فى خدمة مرس كل ما يستطيع ويعتذر، وذهب أبو إبراهيم إلى بخارى ومن هناك إلى السغد، وقدم إليه ابن علم دار[١٠] رئيس فتيان سمرقند يصحبه الشيوخ وثلاثة آلاف رجل، وتقدم الخان العظيم[١١] لمحاربته، فهزموا الخان فى

شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وانفصل ابن سرخك[١٢] عن أبي إبراهيم، وذهب إلى الخان وانضم إليه، ثم كتب رسالة إلى أبي إبراهيم أحسن له القول فيها وعاهده، وكان هذا خداعًا منه قد رتبه مع الخان ، وحينما وصل الخبر إلى الخان أن السامانى قد هزم[١٣]، سيطر على كل معابر المياه وعين عمالاً على هذه المعابر، فلما سمع أبو إبراهيم هذا الخبر هرب مع ثمانية من رجاله ودخل في محلة ابن بهيج وهو من العرب في صحراء مرو، فأمر أحد الأثرياء، - وكانوا يدعونه ماهروى[١٤] - أتباعه فراقبوا طريق أبي إبراهيم وقتلوه في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة[١٥]. وبذلك انتهت دولة آل سامان جميعها.

ولما سمع الأمير محمود خبر مقتل أبي إبراهيم أرسل في الحال إلى أرسلان الجاذب فأغار على محلة ابن بهيج، وقتلوا ماهروى وابن بهيج شر قتلة. وحينما قدم الأمير محمود إلى نيشابور ثار الغلمان، وفي الحال علم الأمير محمود، فأخذ ذلك بالحزم، وأراد أن يقبض عليهم ويؤدبهم فخافوا، وقبض على نفر منهم وفر الباقون، وذهب الأمير محمود - رحمه الله - في إثر الفارين فقتل بعضهم وأسر البعض ، ولجأ البعض إلى الساماني، وهرب في هذا الوقت أيضًا أبو القاسم السيمجورى وذهب إلى الساماني.

ورجع الأمير محمود إلى هرات في الخامس من رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ومن هناك ذهب إلى غزنين، ومنها دخل الهندوستان بجيش عظيم، ونزل في مدينة پرشاور على رأس عشرة آلاف غازى؛ وفي مواجهة محمود نصب جيبال ملك الهند معسكرًا، وجلب للحرب اثني عشر ألف فارس وثلاثين ألف مترجل وثلاثمائة فيل، واصطفت الصفوف، ودارت رحى الحرب، فوهب الله عز وجل النصر للمسلمين، وظفر الأمير محمود - رحمه الله - بالنصر، وقهر جيبال، وهلك الكفار، وقتل المسلمون منهم في هذه المعركة خمسة آلاف كافر، وأسروا جيبال مع خمسة عشر من أبنائه وإخوته، وغنموا كثيرًا من الأموال والسبايا والدواب.

ويقولون: إن جيبال كان يتحلي بقلادة في رقبته مرصعة بالدرر والجواهر قيمها العارفون بمائة وثمانين ألف دينار[١٦].

وكذلك وجدوا قلائد نفيسة فى أعناق سائر القواد. وكان هذا الفتح فى يوم السبت الثامن من محرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

ومن هناك ذهب الأمير محمود - رحمه الله - إلى ويهند[١٧]، وفتح كثيراً من هذه الولايات وحينما حل الربيع رجع إلى غزنين.

وفى المحرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ذهب إلى سيستان، ودخل خلف بن أحمد إلى حصن طاق[١٨]، وكان قلعة محكمة، فاستعد الأمير محمود للحرب، ولما طال الوقت أمر فهدمت الفيلة حائط القلعة، فخاف خلف، وطلب الأمان ، وخرج واضعاً كل مفاتيح خزائنه أمام الأمير محمود فلاطفه الأمير محمود وهش له ، وسأله : إلى أين تريد الذهاب حتى أرسلك؟ فقال خلف : گوز گانان، فأرسله هناك وكان موته فى دهك[١٩].

ولما رجع الأمير محمود إلى غزنين قصد بهاطيه[٢٠]، ومر عن طريق والشستان، وترك الحصن، ووصل إلى بهاطيه، وحارب هناك ثلاثة أيام، وهيأ بجيراو راجا بهاطيه جيشاً، وأرسله لحرب الأمير محمود، وذهب هو مع نفر من أتباعه إلى ساحل نهر السند، وحينما علم الأمير محمود أرسل عدة من الفرسان فلحقوا به وقبضوا على كل من معه، وحينما رأى بجيراو هذا الحال انتحى ناحية وقتل نفسه، فحملوا رأسه، وقبضوا على قومه جميعاً، وأحضروهم إلى الأمير محمود فسر سروراً بالغاً، وأمر فأعملوا السيوف فى الكفار فقتلوا كثيراً منهم، واستولوا على مائتين وثمانين فيلاً، ولما رجع الأمير محمود من بهاطيه أتاه الخبر أن أهل سيستان شقوا عصا الطاعة، فاتجه إلى سيستان ، ولما وصل إلى هناك تحصن قواد السگز جميعاً بحصن ارگ، وحارب الأمير محمود يوماً واحداً ، وقبض على زعيمهم، فأتى السگز كلهم طائعين ، ورجع إلى غزنين بالنصر والظفر.

ومن غزنين قصد الملتان، لكنه فكر أنه لو سار فى الطريق المستقيم فلعل داود ابن نصر[٢١]، أمير الملتان يعلم بذلك فيحزم أمره ، فسلك الطريق المخالف.

وكان أنندپال بن جيپال فى نفس الطريق فلم يعط الطريق للأمير محمود، فأطلق الأمير محمود - رحمه الله - يد الجيش، فنزلوا في ولايته وسلبوا وقتلوا وأغاروا. وهرب أنندپال وذهب إلى جبال كشمير، ووصل الأمير محمود عن طريق الهند إلى الملتان ، وحاصر تلك المدينة سبعة أيام حتى توسط الناس، وتم الصلح على أن يعطى كل عام عشرين كيسًا ألف ألف درهم من ولاية الملتان، وصدق على هذه القرار، ورجع الأمير محمود، وكان هذا عام ست وتسعين وثلاثمائة، ثم وصل الخبر إلى السلطان محمود أن الترك عبروا النهر[٢٢] وقدموا إلى خراسان، وتفرقوا ، فتعجل الأمير وقدم من الملتان إلى غزنين فى فترة وجيزة، وقدم سباشى تكين التركى[٢٣] إلى هراة واستولى عليها، وأرسل الخيول إلى نيشاپور حتى يسيطر على تلك الناحية، ورجع أرسلان الجاذب عامل السلطان. ولم يكد يستقر الترك حتى وصل الخبر أن الأمير محمود رجع من الهندوستان وذهب إلى بلخ، فرحل رجال الخان قاصدين الخان، ولكن عمال السلطان محمود قطعوا عليهم الطريق، فتحير الترك وتشتتوا فى نواحى مرو رود وسرخس ونسا وباورد، وتعقبهم أرسلان الجاذب مدينة مدينة، وكان يقبض على كل من يقع بين يديه ويقتله، وأرسل الأمير محمود التونتاش الحاجب مددًا لأرسلان. وأعمل الترك الحيلة: فذهب بعضهم إلى المعبر، وخاطرت جماعة وعبرت نهر جيحون، فهلك أكثرهم وخلا مادون النهر منهم، ولما علم الأمير محمود أن جماعة منه قد استقروا على شاطئ النهر ولن يتحولوا عن مرو؛ أمر فقرعوا طبول الحرب، ولما سمع ما بقى من الترك هذا الصوت قذفوا بأنفسهم فى الماء خوفًا وذعرًا؛ فغرقوا. وقتل هناك غازى آخر سالار فى ..[٢٤].

وقصد حربهم الأمير محمود، ولما كان جيشه قد تعب من الحرب، فإنه قد اعتقد أنه إذا دخل جيشه الحرب فسيهزم أتراك الخان، ولكن سيحسد هذا النصر والظفر.

ولما وصل سباشى تكين إلى إيلك لامه إيلك لومًا عنيفًا، وقال القادة : ألا يستطيع أحد أن يحارب بهذه الفيلة والعدة والعتاد والسلاح والرجال؟!.

وبعد ذلك أرسل إيلك إلى كل ما وراء النهر يطلب عسكراً، فاجتمع لديه أربعون ألف فارس. وعبر إيلك النهر بهذا الجيش، وقدم إلى بلخ، وذهب الأمير محمود - رحمه الله - إلى هناك وحاربوا فى صحراء كتر[٢٥]. وحينما اصطفت الصفوف صلى الأمير محمود ركعتين ، وطلب من الله عز وجل النصر والظفر، ثم اتجه إلى ساحة الوغى، وأمر بأن يحركوا الفيلة جميعها ويهجموا ، وفي الحال هزم الترك، وأسر عسكر الأمير محمود الكثير منهم وقتلوهم ، أما الذين هربوا فقد غرقوا فى النهر واستولى عسكر السلطان محمود على خيولهم وأسلحتهم، وكان هذا الفتح فى يوم الأحد الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[٢٦].

وحينما فرغ الأمير محمود من هذه الحرب جاء الخبر أن شكپال أحد أحفاد الملوك - وكان قد وقع أسيراً فى يد أبى على السيمجورى فى نيشاپور - قد أسلم ثم ارتد فى هذا الوقت، فاتجه الأمير محمود لحربه وقبض عليه فى جبال كشنور[٢٧]، وقبل شكپال أن يدفع أربعمائة ألف درهم منحها الأمير محمود إلى تگين الخازن، وحبس شكپال وظل حتى مماته فى هذا الحبس .

ثم اتجه السلطان محمود من هناك صوب الهندستان في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وحارب ابندپال وهزمه، واستولى على ثلاثين فيلاً، وغنم كثيراً من الغنائم.

ثم ذهب من هناك إلى قلعة بهيم نگر[٢٨]، وحاصر تلك القلعة، وحارب ثلاثة أيام حتى أتي أهل القلعة يطلبون الأمان، وفتحوا الباب، ودخل الأمير محمود القلعة مع نفر من خاصته، واستولى على خزائن الذهب والفضة والماس وكل ما اكتنزوه من عهد بهيم باندو، كما وجد فى هذه القلعة من المال ما لا حَدَّ له ولا قياس.

ومن هنا ذهب إلى غزنين، ووضع العرش المرصع بالذهب والفضة على باب الجوسق، وأمر فنثروا تلك الأموال فى الخلاء حتى يراها كافة الحشم والرعية، وكان هذا فى عام أربعمائة.

وحينما دخلت سنة إحدى وأربعمائة قصد الملتان من غزنين، وذهب إلى هناك واستولى على كل ما بقى من الملتان ، وقبض على أكثر القرامطة الذين كانوا هناك،

وقتل بعضهم، وقطع أيدى البعض الآخر، ونكل بهم، وسجن الباقين فى القلاع حتى ماتوا فى هذه الأماكن. وفى هذا العام قبض على داود بن نصر وأحضره إلى غزنين، ومن هناك أرسله إلى قلعة غورك حتى لقى حتفه فى هذه القلعة.

وأخبروا السلطان محمود أن تانيسر مكان عظيم به أصنام كثيرة، وهو عند الهنادكة مثل مكة عند المسلمين، ويقدس الهنود هذه البقعة تقديسًا عظيمًا، وفى هذه المدينة يوجد معبد عتيق به صنم يسمونه چكرسوم، فلما سمع الأمير محمود هذا الخبر تملكته الرغبة فى أن يذهب إلى هناك، ويستولى على هذه الولاية ، ويهدم هذا المعبد، ويحصل لنفسه على الأجر الجزيل.

وفى عام اثنين وأربعمائة ترك غزنين وقصد تانيسر، وحينما علم تروچنپال ملك الهند تكدر وأرسل رسولاً إلى الأمير محمود (يقول له) : لو تخليت عن هذا العزم ولم تأت إلى تانيسر سأعطيك خمسين فيلاً من خيار الفيلة، فلم يعبأ الأمير محمود لهذا الكلام، وذهب ووصل إلى ديره رام، فخرج أهل رام على الطريق ، وكان به غابات كثيفة، وقبعوا فى الكمائن ، وقتلوا كثيراً من المسلمين. وحينما وصل إلى تانيسر كان أهلها قد أخلوها، فأغار المسلمون على كل ما وجدوه، وحطموا كثيراً من الأصنام، وجاءوا بصنم چكرسوم إلى غزنين ووضعوه فى البلاط واجتمع كثير من الخلق لرؤيته.

وفى عام ثلاثة وأربعمائة فتح غرجستان[٢٩]، وأتى بملكها مقيداً وأرسله إلى مدينة مستنگ[٣٠]. وحينما أشرف عام ثلاثة وأربعمائة على الانتهاء قدم أبو الفوارس بن بهاء الدولة من كرمان إلى بست طالبًا من السلطان محمود الأمان لأخيه أبى شجاع[٣١]، وظل فى غزنين ثلاثة أشهر، وكتب السلطان محمود فى هذا المعنى رسائل وتنبيهات حتى تم الصلح بينهما، وضمن ألا يتعصب أبو الفوارس لأخيه، وألا يكون لجاجًا، ورجع إلى كرمان، ومكث فى صدر ولايته فى طمأنينة وراحة.

وأيضًا قدم فى هذا العام رسول عزيز مصر وكانوا يسمونه التاهرتى[٣٢]، وحينما وصل بالقرب من خراسان قال الفقهاء وأهل العلم: إن هذا الرسول قدم يحمل دعوة عزيز مصر وهو على مذهب الباطنية، فلما سمع محمود هذا الخبر لم يدع هذا

الرسول يمثل أمامه، وأمر أن يسلموه إلى حسن بن طاهر بن مسلم العلوى، فضرب ابن طاهر عنقه في مدينة بست.

وفي سنة أربع وأربعمائة قصد السلطان محمود قلعة نندنه[٣٣]، ولما علم تروچنپال ملك الهندوستان عين حراساً على القلعة، أما هو فقد ذهب إلى وادى كشمير، وأخذ جيش الأمير محمود مكانًا في نندنه ، وحفر الحفارون سرداباً تحت الأرض، ومن جوانب القلعة رمى الترك السهام، ولما رأى أهل القلعة هذه الحرب طلبوا الأمان في الحال وسلموا، وذهب الأمير محمود مع عدد من خاصته إلى القلعة، وحملوا ما فيها من مال وسلاح . وعين الأمير محمود سارغ[٣٤]، كوتوالا[٣٥] لهذه القلعة

واتجه من هناك إلى وادى كشمير حيث يوجد تروچنپال، وحينئذ علم تروچنپال هرب، فأمر الأمير محمود أن يستولوا على كل القلاع التي في وادى كشمير ويغيروا عليها، ووجد الجيش فيها غنائم كثيرة وسبايا

ودخل كثير من الكفار في الإسلام، وأمر في هذا العام أن يشيدوا المساجد الجامعة في كل مكان فتحوه من بلاد الكفار، وأمر فارسنوا الأساتذه في كل مكان حتى يعلموا الهنود شرائط الإسلام. أما هو فرجع مظفراً منصوراً إلى غزنين، وكان فتح نندنه هذا في سنة خمس وأربعمائة.

وحينما دخلت السنة السادسة (بعد الأربعمائة) اتجه من غزنين إلى كشمير، فلما وصل إلى واديها برد الجو ودخل الشتاء، وكان في وادى كشمير حصن محكم مياهه كثيرة ومزدحم بالناس وكانوا يسمون هذا الحصن الوهكوت يعني الحصن الحديدى، وأنزل الجيش أمام هذا الحصن، ودارت رحى الحرب، وظل هناك فترة، وحينما استعد ليستولى على هذا الحصن حلت البروده الشديدة وتساقطت الثلوج وتجمعت حتى أصبحت الأيدى لا تتحرك من شدة البرودة.

وعن طريق الجبال وصل المدد من كشمير لأهل ذلك الحصن فقوى ساعدهم، ولما رأى الأمير محمود الحال على هذا النحو فكر أنه يجب أن لا تنطلى الحيلة على جيشه، فرجع عن هذا الحصن، وخرج إلى الصحراء من تلك الجبال والوديان، ولما حل الربيع رجع إلى غزنين.

وفي سنة ست وأربعمائة وصلت رسالة أبي العباس المأمون بن المأمون خوارزم شاه[٣٦] من خوارزم، وطلب أخت يمين الدولة[٣٧]، فأجابه الأمير محمود وزوجه أخته فحملوها إلى خوارزم.

وفي سنة سبع وأربعمائة اجتمع قوم من الفضوليين وأوباش خوارزم وثاروا، وقتلوا بينهم خوارزم شاه صهر يمين الدولة رحمه الله، ووصل الخبر إلى الأمير يمين الدولة فذهب من غزنين إلى بلخ ، ومن هنا قصد خوارزم، ولما وصل (جكر بند)[٣٨] التي هي حد خوارزم عبأ الجيش، وأرسل محمد إبراهيم الطائي على مقدمته، ونزل محمد الطائي بكامل جيشه، ولما أشرقت أنوار الفجر شغل المسلمون بالصلاة والوضوء، فخرج عليهم خمارتاش قائداً الخوارزميين بجيش كثيف من الصحراء فسحقهم وقتل قوماً من أقارب محمد الطائي[٣٩]، وحينما وصل هذا الخبر إلى السلطان محمود ضاق صدره، وأرسل فوجًا من غلمان القصر فذهبوا في أثر خمارتاش، وأهلكوا جميع جيشه، وقبضوا على خمارتاش وأحضروه، ولم يكن للقتلى والجرحى عد أو حصر، وحينما وصلوا إلى هزار اسپ قدم جيش خوارزم، وهو على أتم ما يكون تعبئة وتنظيماً واستعداداً، في مقابل جيش يمين الدولة، واصطفت الصفوف ورتبوا الميمنة والميسرة والقلب والجناحين، ودارت رحى الحرب، ولم يمض وقت طويل حتى هزم جيش الخوارزميين، وأسر الپتگين البخاري قائد جيوشهم.

واتجه جيش يمين الدولة إلى مدينة خوارزم واستولى عليها، وأول ما فعله أن أمر فقبضوا على جميع المجرمين مثل الپتگين البخاري وغيره، وأحضروهم عنده ثم أمر فجوزى كل واحد منهم ، فدفع أهل القصاص إلى قصاصهم ، وأدب البعض ، ووضع البعض في القيود والأغلال وسجنهم.

وعين السلطان محمود حاجبه الكبير التونتاش لحكم خوارزم، وأعطاه خوارزم وكركانج، وظل حاكمًا على خوارزم حتى آخر عهده، وكان في طاعة وخدمة الأمير محمود وأسرته، وكان فتح خوارزم في الخامس من صفر سنة ثمان وأربعمائة.

ورجع السلطان محمود من خوارزم، وذهب إلى بلخ؛ وأقام فيها فترة ؛ واستدعوا الأمير مسعود - رحمه الله - إلى بلخ، وحينما مثل بين والده تلطف معه في القول، وأعطاه ولاية هرات وبعثه إليها، وجعل أبا سهل محمد بن الحسين الزوزني وزيراً له وبعثه برفقته .

وكذلك أعطى ولاية گوز گانان إلى الأمير محمد - رحمه الله - وخلع عليه وأحسن له القول، وأرسله على گوز گانان بصحبة أبي بكر القهستاني.

وحينما دخل عام تسعة وأربعمائة قرر السلطان محمود أن يذهب إلى قنوج، وكانت ولايات متعددة غنية عامرة يكثر بها الكفار، فعبر السلطان محمود سبعة أنهار خطيرة، ولما وصل إلى حدود قنوج أرسل بكوره أمير الحدود رسولاً، وأظهر الطاعة والولاء وطلب الأمان فأمنه السلطان محمود.

ومن هنا ذهب إلى قلعة برنه، فهرب أميرها هردت[٤٠]، وترك قومه فتحصنوا في القلعة، وحينما وصل جيش الإسلام ورأى أهل القلعة آلاتهم وأبهتهم وسطوا أناسًا ودفعوا ألف كيس ألف درهم، وثلاثين فيلاً، وبذلك اشتروا أنفسهم.

ومن هناك ذهب المسلمون إلى قلعة مهاون[٤١]، وكان كلچندر هو أمير هذه القلعة، وكانت على شاطئ نهر جون، وحينما سمع كلچندر خبر مجيء يمين الدولة ركب أحسن فيل عنده وأراد أن يعبر من النهر، وعلم الأمير محمود - رحمه الله - فأمر فقطعوا الطرق ، ولما علم كلچندر انتحى ناحية وقتل نفسه، ودخل جيش يمين الدولة القلعة، واستولوا على مائة وخمسة وثمانين فيلاً من خيار الفيلة، وغنموا أموالاً كثيرة لا عد لها ولا حصر.

ومن هناك ذهبوا إلى قلعة ماتوره[٤٢]، وكانت مدينة عظيمة بها معبد للهنادكة، ويقولون : إن مولد كشن بن باسديو - الذي يقول عنه الهنادكة إنه نبيهم - كان في ماتوره هذه. حينما وصل الأمير محمود - رحمه الله - إليها لم يتقدم أحد لحربه مطلقًا ، فأمر أن يدخل الجيش في تلك الولاية، وكانوا يجتثون كل مكان فيه معبد ويحرقونه، وغنموا كل أموال هذه الولاية، ووجد الأمير محمود في معابد تلك الديار وخزائنها

أموالاً تفوق العد والحصر، ووجد قطعة من الياقوت الكحلي تزن أربعمائة وخمسين مثقالاً ولم ير إنسان أبداً مثل هذه الجوهرة ، أما الأصنام التي كانت من الذهب والفضة فكانت لا حد لها ولا قياس ، وأمر الأمير محمود فكسروا صنماً ذهبياً ووزنوه فكان وزنه ثمانية وتسعين ألفًا وثلاثمائة مثقال من الذهب المصقول ، وهكذا حصلوا على مال وجواهر كثيرة من هناك .

وكانت هذه الفتوح في الثامن من شعبان سنة تسع وأربعمائة، وحينما تمكنوا من راى قنوج رجع الأمير محمود من هناك بسرعة.

وفي طريق قنوج الذى كان يتجه إلى غزنين أتوا إليه بخزائن چندراى وفيها الأموال العظيمة، وكان لچندراى هذا فيل مشهور كان مضرب الأمثال فى الهندوستان، وسمع به الأمير يمين الدولة فصمم على أن يشتريه بأى ثمن يطلبه چندراى حتى ولو أراد خمسين فيلاً بدلاً منه، وكان من المصادفات الحسنة أن هرب هذا الفيل من عند صاحبه، وقدم إلى خيمة السلطان محمود بدون فَيَّال، وحينما رآه السلطان محمود شكر الله تعالى وأطلق عليه (خداداد) أى عطية الله. ورجع من هناك إلى غزنين بالفتح والنصر والغنائم الكثيرة.

ويقول الثقات : أنهم أحصوا غنائم سفر قنوج التى أحضرها الأمير يمين الدولة فى هذا العام فكانت : عشرين كيس ألف ألف درهم، وثلاثة وخمسين ألفًا من السبايا ، ونيفًا وثلاثمائة وخمسين فيلاً.

وحينما حل فصل الخريف عام عشرة وأربعمائة قصد الأمير يمين الدولة ننداً لأنه قتل راجپال أمير قنوج ووبخه قائلاً : لماذا هزمت أمام جيش السلطان محمود؟ ! واستقبل ننداً تروچنپال لينصره وليرسل جيشًا إلى ولايته، وحينما وصل خبر مجيء السلطان محمود إلى هذه الديار عبر تروچنپال الگنج وقدم إلى بارى[٤٢]، وعبر الأمير يمين الدولة النهر وهزم الجيوش مجتمعة، وهرب تروچنپال مع نفر من الهنود ولم يتقدموا أمام السلطان محمود، ثم قصدوا مدينة بارى فوجدوا المدينة خالية من الناس فأحرقوا المعابد كلها وغنموا كل ما وجدوه.

ومن هناك قاد السلطان محمود جيشًا إلى ولاية نندا وعبر عدة أنهار كبيرة، وعلم نندا بخبر مجيء جيش الإسلام فتهيأ للحرب وجمع جيشًا كبيرًا، ويقولون: إن جيشه كان يحتوي على ستة وثلاثين ألف فارس، وخمسة آلاف ومائة وأربعين مترجلاً، وستمائة وأربعين فيلاً، ومثل عدد هذا الجيش كانت توجد أسلحة وخزائن وعلف، وحينما اقترب الأمير محمود منه نزل وعبأ الجيش، وهيأ الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والمقدمة والساقة، وأرسل الطلائع ، ونزل بحزم واحتياط ، وأرسل رسولاً إلى نندا ونصحه وتوعده وبصره، كما أرسل إليه الرسائل مهددًا ومنذرًا: أسلم تسلم من هذه الحرب وهذه المحنة وهذا الفساد، فأجاب نندا: لن يكون لي معك أمر غير الحرب.

وقد سمع من بعض الثقات : أن الأمير يمين الدولة – رحمه الله – قد صعد إلى أعلى ليرى جيش نندا، فوجد عالمًا من الخيام والخريشتات والسرادقات والفرسان والمترجلين والأفيال، فدب في قلبه ما يشبه الندم، وطلب العون من الله تعالى وأن يعطيه النصر، وحينما جن الليل قذف الله تعالى الرعب والفزع في قلوب نندا فجمع الجيش وهرب.

وفي اليوم التالي أرسل الأمير محمود – رحمه الله – رسولاً، وحينما قدم الرسول إلى معسكر نندا لم يجد به أحدًا، فقد ذهب الجند والدواب والفيلة وتركوا جميع آلاتهم في مكانها ، فرجع الرسول وأخبر الأمير محمود، فأمر ففتشوا الكمائن وتفقدوا أثر الجيش (فوجدوه) قد ذهب كله، فشكر الأمير يمين الدولة الله عز وجل ، وأمر فاقتحموا معسكر نندا ، وغنموا مالاً كثيرًا من كل نوع.

ومن هناك رجع إلى غزنين بالنصر والظفر، وفي الطريق اعترضتهم غابة، فدخل الجيش فيها فوجدوا خمسمائة وثمانين فيلاً تخص نندا، فساقوها جميعًا وأتوا بها إلى المعسكر، ثم أخبروا الأمير يمين الدولة أن هناك واديين يسمون أحدهما قيرات والآخر نور(٤٤)، وهي أماكن محكمة وأهلها كفار وعبدة أصنام، فقصد يمين الدولة هذين الواديين بجيش، وأمر فرافق الجيش عمال كثيرون من الحدادين والنجارين وقاطعي الأحجار، فعبَّدوا الطرق وقطعوا الأشجار والأحجار.

وحينما وصلوا إلى هناك قصدوا قيرات أولاً، وقيرات مكان مقدس وأهلها يعبدون الأسود، وهواؤها بارد وفاكهتها كثيرة، وحينما علم ملك قيرات قدم طائعًا وطلب الأمان؛ فاستقبله الأمير محمود - رحمه الله - استقبالاً حسنًا يليق به، وأسلم ملك قيرات كما أسلم كثير من أهل قيرات مقتدين في ذلك بملكهم ، واستقبلوا الأساتذة وبدأوا في تعلّم شرائط الدين والعمل بالشريعة.

ولكن أهل نور تمردوا ، فأمر الأمير محمود فذهب الحاجب علي بن إيل أرسلان القريب، وفتحها، وبنى قلعة، وأعطى رئاسة هذه القلعة لعلى بن قدر، وأمر فجعل الإسلام في أعناقهم بالعنف والإكراه وحد السيف فقبلوه إن طوعًا وإن كرهًا، وانتشر الإسلام في هذه الديار. وكان فتح نور وقيرات في عام أحد عشر وأربعمائة.

وحينما دخل عام اثني عشر وأربعمائة قصد كشمير، وحاصر قلعة لوهركوت وأقام هناك شهرًا، ولم يستطع أن يفتح هذه القلعة لشدة منعتها وقوة إحكامها، وفي هذا العام توفي الأمير نصر بن ناصر الدين - رحمه الله - وذهب الأمير يوسف بن ناصر الدين مع يمين الدولة، ولما تعذر فتح لوهركوت خرج الأمير محمود من هذا الوادي، وذهب من جانبي لوهر وتاكيشر[٤٥]، وتفرق الجيش، وكانوا يغزون الوديان ، ولما حل الربيع اتجه صوب غزنين.

وعندما دخل عام ثلاثة عشر وأربعمائة قصد الأمير محمود - رحمه الله - ولاية نندا ، فلما وصل إلى قلعة كواليار[٤٦] أحاط بها وحاصرها ، وأمر الجيش فطوق جميع جوانبها لشدة منعتها وقوة إحكامها ، ولكثرة ما بها من الحجارة الصلدة شديدة المنعة لم يستطع الحفارون ولا الرماة الاستيلاء عليها، وأرسل قائد القلعة رسولاً يطلب الصلح وأعطى خمسة وثلاثين فيلاً، ورجع جيش يمين الدولة من هناك، وذهب صوب قلعة كالنجر حيث قلعة نندا، وكان نندا في هذه القلعة بكامل حشمه وحاشيته وأقربائه، وأمر الأمير محمود - رحمه الله - فطوق جيشه القلعة من جميع جوانبها، وظل يفكر، لأن القلعة كانت على مكان منيع شاهق الارتفاع لا طريق للحيلة وللشجاعة إليه، كما كان بناء القلعة من الحجر الصلد فتعذر حفره أو قطعه، ولم يسعفه تدبير آخر فجلس يفكر ، وقضى عدة أيام هناك ، وحينما نظر نندا ورأى هذا الجيش الكثيف الذى سد كل

الطرقات ، وَسَّط رسلاً تحدثوا في أمر الصلح، واتفقوا على أن يدفع نندا جزية ، وفي الحال يرسل هدية مقابل ذلك، ويقدم ثلاثمائة فيل من الفيلة المختارة، وسُرَّ نندا سروراً بالغًا لهذا الصلح، وفي الحال أمر فخرجت الفيلة بدون حراسها من القلعة، وأمر الأمير محمود - رحمه الله - فدخل الترك والعسكر وأمسكوا هذه الفيلة وركبوها، وكان أهل القلعة ينظرون ويتعجبون من شجاعتهم، ثم قال نندا شعراً عن السلطان محمود باللغة الهندية وأرسله إليه، فأمر الأمير محمود فعرضوا هذا الشعر على شعراء الهند والعرب والعجم فأعجبهم، وقالوا : ليس من الممكن نظم كلام أبلغ وأرفع منه، فافتخر محمود بهذا ، وأمر فكتبوا منشوراً للنندا بإمارة خمسة عشر قلعة، وأرسلوه إليه وقال له السلطان : "هذا عطاء ذلك الشعر الذي نظمته من أجلنا" وأرسل له أشياء كثيرة من الطرائف والجواهر والخلع، ورد نندا علي ذلك بكثير من الأموال والجواهر، ورجع الأمير محمود من هناك بالنصر والظفر ، وقدم إلى غزنين .

وفي عام أربعة عشر وأربعمائة أمر فعبأوا الجيوش ، فتقدم أربعة وخمسون ألف فارس إلي مكان العرض في صحراء شاه بهار(٤٧)، هذا غير الفرسان الذين كانوا خارج المملكة وهم عسكر الولايات ، كما خرج ألف وثلاثمائة فيل بدروعهم وكامل عدتهم وآلاتهم، أما الدواب من الإبل والجياد فقد كانت بلا حصر.

وحينما دخل عام خمسة عشر وأربعمائة ذهب إلي بلخ ليقضي الشتاء فيها، وحينما وصل إليها كان يأتي إليه طوال الوقت المتظلمون من علي تكين من بلاد ما وراء النهر، فقد ارتكب كثيراً من المظالم وجعل الناس في ألم وجور منه، وألحق الأذى بالرعية وأهل الصلاح، وحينما عَمَّ الظلم صمم الأمير محمود على أن يخلص المسلمين من هذا البلاء وهذه الآلام ، وقد رغب في أن يعبر من جيحون وأن يستطلع تلك الديار فأقدم واستعد وقال: " لو نعبر بالسفن فمن الممكن أن يتسرب الخلل إليها " ، فظل فترة في بلخ حتى اتخذت التدابير لذلك، وأمر بصنع سلاسل غليظة تتكون من زوجين (ذكر وأنثى) كل واحدة منها مقدار ذراع أو ثلاثة أذرع، وأخذ هذه السلاسل كلها في جلد بقرة، وأحضروا السفن، وربطوا كل سفينة بالأخرى بهذه السلاسل المزدوجة ثم ركبوها على قرائنها التي كانت في السفن، كما أحضروا ألياقًا قوية من سيستان إلى حد أن

الجمال كلها كانت تحمل ليفًا، وربط السفن بهذه الألياف أيضًا، وملأوا تجاويف السفن بالحشو حتى يستطيع الفارس والمترجل والجمل والبغل والحمار أن يعبر بسهولة عليها، فجعل الجيش يعبرمن فوق هذا الجسر وعبر محمود نفسه.

وحينما وصل خبر يمين الدولة إلى بلاد ما وراء النهر ارتجف أهل هذه الديار وتحير ملوكها، وكان أمير صغانيان هو أول من أتى لخدمته مع كامل جيشه وعرض نفسه والخدمة التى يستطيع أن يقوم بها. ثم قدم خوارزمشاه الحاجب التونتاش مع كل عسكره إلى الأمير محمود، ثم أمر الأمير محمود فضربوا خيمة عظيمة تسع عشرة آلاف فارس، وخيمة أخرى خاصة به من الديباج الششترى الأحمر وستائرها من الديباج المنسوج، ثم أمر فعبأ الجيش وصفوا الميمنة والميسرة والقلب والجناحين، وأمر أن تكون أماكن صناعة الأسلحة فى خلف الجيش، وأوقفوا الفيلة بدروعها وسروجها. ثم أمر فقرعوا الطبول والأبواق والدبدبات دفعة واحدة، ووضعوا على ظهر الفيلة التهالى[٤٨] ومرايا الفيلة، ونفخوا الأبواق وضربوا الأصناج الكبيرة ودقوا الدفوف[٤٩] فأصموا الآذان من الأصوات وأدهشوا الموجودين، واغتم[٥٠] كل من حضر فى هذا المعسكر من التركستان أو ما وراء النهر غمًا شديدًا.

لقاء يوسف قدرخان بالسلطان محمود رحمهما الله

حينما علم قدرخان قائد التركستان وخانها العظيم بعبور يمين الدولة من جيحون رحل عن كاشغر، وقصد أن يلتقي بالسلطان ويأتى إليه فيراه ويجدد له العهد. وبعد أن ترك كاشغر قدم إلى سمرقند، ومن هناك تقدم على سبيل الصلح والصداقة، حتى وصل على بعد فرسخ من جيش السلطان محمود فنزل هناك، وأمر فضربوا له خيمة، وأرسل الرسل.

وعلم الأمير محمود بخبر مجيء قدرخان واشتياقه لرؤيته، فأجابه كذلك جوابًا كريمًا، وعين مكانًا ليلتقيا فيه، وقدم كل من الأمير محمود - رحمه الله - وقدرخان مع نفر من فرسانهما إلى هناك، وترجل كل منهما حينما رأى الآخر، وأعطى الأمير

محمود درة ثمينة في منديل للخازن وأمره أن يقدمها إلى قدرخان، وأحضر قدرخان كذلك مثل هذه الجوهرة ولكنه نسي (أن يقدمها للأمير) لفرط ما لحق به من الرعب والفزع، وحينما عاد من عند محمود تذكر فأرسلها مع أحد رجاله واعتذر ورجع.

ولما كان اليوم التالي أمر الأمير محمود - رحمه الله - فضربوا خيمة عظيمة منسوجة من الديباج وهيئوا الأمر للضيافة، وأرسل رسولاً ودعا قدرخان.

وصف المجلس والضيافة :

وحينما قدم قدرخان أمر (السلطان محمود) فأعدوا خوانًا كامل البهاء والجمال، وأكلا معًا على خوان واحد، وحينما فرغوا من الخوان قدما إلى مجلس الطرب، وكان قد زُيّن فبدا غاية في الروعة والبهاء، قد ازدان بالورود والرياحين التي لم يرها إنسان، وبالفواكه اللذيذة، والجواهر النفيسة، وتحلى المجلس بصنوف الكئوس الذهبية والبلورية، وبالمرايا البديعة والنوادر، فتملك قدرخان العجب والحيرة من ذلك، وجلسا فترة ولم يحتس قدرخان الخمر، إذ لم تكن لملوك ما وراء النهر عادة احتساء الشراب وخاصة الأتراك منهم، وطربوا في مجلس الشراب فترة ، ثم نهض.

وقد أمر الأمير محمود فأحضروا ما وجب من الهدايا والنثار: من الأواني الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة، والطرائف البغدادية، والثياب الجميلة، والأسلحة القيمة، والجياد الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر، والدواب البردعية[٥١] بسروجها ذات البندقات الذهبية، وهوادجها بأهلتها العسجدية والفضية وبمناطقها وجلاجلها، والهوادج من الديباج المنسوج، والفرش القيمة من المحفوريات[٥٢] الأرمنية، والطنافس الأويسية، والثياب البوقلمونية، وكثير من المنسوجات الطبرية[٥٣] المنقوشة والموردة، والسيوف الهندية، والعود القماري[٥٤]، والصندل المصفر، والعنبر الأشهب ، وإناث حمر الوحش، وجلود النمور البربرية، وكلاب الصيد وصقوره، والعقبان الهائلة، والكراكي والغزلان والوعول، وأعاد قدرخان معززًا مكرمًا، ولاطفه كثيرًا واعتذر .

وحينما وصل قدرخان إلى معسكره ورأى هذه الأشياء من الطرائف والأمتعة والأسلحة والأموال تحير ولم يعرف ماذا يقدم مكافأة على هذا، فأمر الخازن أن يفتح أبواب الخزائن، وأخرج كثيراً من الأموال والأمتعة، وأرسلها إلى الأمير محمود مع الأمتعة التي توجد في التركستان : من جياد أصيلة ، وهدايا ونثار، وآلات ذهبية، وغلمان تركية بمناطقهم وأغماد أسلحتهم الذهبية، والصقور والشواهين، وفراء السمور والسنجاب والقاقم[٥٥]، والثعالب[٥٦] ذوات الذنب الأسود، والآلات المصنوعة من ظهور وقرون الكركدن، وطرائف الديباج والدارخاشاك الصيني[٥٧] وما شابه ذلك، ثم رحل كلاهما عن الآخر بالرضا والصلح والحسنى.

وحينما سمع على تكين هرب في الصحراء، فبث الأمير عيونه، فأخبروه أن إسرائيل[٥٨] بن سلجوق قد أخفاه في مكان، فأرسل يمين الدولة رجالاً أخرجوه من هناك، وأرسله إلى غزنين حيث أرسله (من هناك) إلى الهندوستان، وظل فيها حتى آخر عهده.

ثم ذكروا أن عيال على تكين وخزائنه سوف يلحقون به في الصحراء فأرسل الأمير محمود - رحمه الله - الحاجب بلكاتكين في طلبهم، فذهب واحتال حتى تمكن من امرأة وبنات على تكين وخزائنه، وأحضرهم إلى الأمير محمود، وكان هذا في سنة ست عشرة وأربعمائة.

بداية الترك السلاجقة

في الوقت الذى كان فيه الأمير محمود فى بلاد ما وراء النهر أتى إليه فوج من قواد وزعماء التركستان يشكون متظلمين من ظلم أمرائهم لهم ومن الأذى الذى يلحق بهم، وقالوا: إننا أربعة آلاف أسرة، فلو يأمر الملك ويقبل أن نعبر النهر ونتخذ من خراسان وطنًا لنا فسوف يكون من أمرنا فى راحة، وستكون ولايته بنا في سعة، فنحن رعاة ولدينا أغنام كثيرة، وسيكون فى جيشه منا الكثير، فرغب الأمير محمود – رحمه الله – فى أن يعبروا النهر، فهدأ روعهم، وتمنى لهم أمنيات طيبة، ثم أعطى الأمر لهم بعبور النهر، وبناءً على أمره عبر أربعة آلاف أسرة كاملة بين رجل وامرأة وطفل ومتاع وخروف وجمل وحصان ودواب، ونزلوا فى صحراء سرخس وصحراء فراوه(٥٩) وباورد، ونصبوا خيامهم، وظلوا هناك.

وحينما عبر السلطان النهر قدم إليه أمير طوس أبو الحرث أرسلان الجاذب وقال : لماذا أحضرت هؤلاء التركمان في الولاية؟ إن ما فعلته كان خطأ عظيمًا ، والآن وقد أحضرتهم اقتلهم جميعًا، أو ائذن لى حتى أقطع أصابع رجالهم فلا يستطيعون رمى السهام.

فتعجب الأمير محمود – رحمه الله – من هذا، وقال له : إنك رجل لا رحمة عندك ولا رأفة لديك، غليظ القلب قاسى الفؤاد، فقال أمير طوس : إن لم تفعل فسوف تندم ندمًا شديداً، وكان كذلك، وحتى الآن لم يصلح هذا الأمر.

وقدم الأمير محمود – رحمه الله – من بلخ إلى غزنين، وأمضى الصيف هناك، وحينما حل الشتاء ذهب جريا على عرفه وعاداته إلى الهندوستان للغزو، فقد حكوا أمامه : أنه على ساحل المحيط مدينة عظيمة يسمونها سومنات، وهذه المدينة عند الهنادكة مثل مكة بالنسبة للمسلمين، وبها أصنام كثيرة من الذهب والفضة، ومنات الذى هربوه من الكعبة عن طريق عدن في زمان سيد العالمين ﷺ قائم هناك ، طلوه بالذهب، ورصعوه بالجواهر، ورصدوا أموالاً طائلة فى خزائن معبده، ولكن طريقه وعر محفوف بالمخاطر ملىءٌ بالمصاعب.

وحينما سمع السلطان محمود هذا الخبر تملكته الرغبة في أن يذهب إلى هذه المدينة ويغزوها، ويحطم هذه الأصنام. فاتجه من الهندوستان إلى سومنات عن طريق نهروان، وحينما وصل إلى مدينة نهرواله وجدها خالية، فقد هرب جميع أهلها، فأمر الجيش أن يحمل العلف، ومن هناك اتجه إلى سومنات، وحينما وصل إلى المدينة رأوا الرهبان والبراهمة مشغولين بعبادة الأصنام، وخرج قائد تلك المدينة منها وركب سفينة مع عياله وخزائنه، وسار في النهر حتى نزل على جزيرة وأقام فيها على أن لا يبرحها إلا إذا رحلت جيوش الإسلام من فوق أرضه.

ولما اقتربت الجيوش الإسلامية من المدينة حاصروا أهلها؛ ودارت رحى الحرب، ولم يمض وقت طويل حتى فتح المسلمون الحصون، ودخلت فيها جيوش الأمير محمود، وقتلوا من كان منكرًا ، كما قتلوا كثيرًا من الكفار.

وأمر الأمير محمود - رحمه الله - فصعد المؤذن على أسطح المعابد وأذن للصلاة، وحطم هذه الأصنام وأحرقها وأبادها، واقتلعوا الصنم منات من جذوره وفتتوه ووضعوا بعض أحجاره على أظهر الدواب وأحضروها إلى غزنين، وهي ملقاة حتى الآن على أبواب مسجد غزنين، وكان هناك كنز تحت الأصنام فاستولوا عليه.

وقد استولى الأمير محمود من هذه البقعة على أموال عظيمة، منها أصنام فضية مع جواهرها، وكنوز من الغنائم الأخرى ثم عاد من هناك، ولم يرجع من الطريق المطروق. والسبب في ذلك أن بهيم ديو[٦٠] ملك الهند كان في هذا الطريق، وقال الأمير محمود : لا يجب أن يُحسد هذا الفتح العظيم، فاتجه صوب الملتان عن طريق المنصورة[٦١] وساحل جيحون[٦٢]، وأخذ دليلاً لهذا الطريق.

وفي هذا الطريق لحقت بالجيش كثير من المتاعب من كل نوع، سواء من ناحية جفاف الصحراء وخشونتها، أو من ناحية (قبائل) الجت في السند، واستشهد الكثير من جيوش المسلمين في هذا الطريق، ونفقت أكثر الدواب حتى وصلوا إلى الملتان، ومن هناك اتجهوا إلى غزنين، وقدم الأمير محمود - رحمه الله - غزنين بجيشه في سنة سبع عشرة وأربعمائة.

وقدم الرسل في هذا العام من قتاخان ويغراخان إلى الأمير محمود، وأحضروا معهم رسائل الود والصداقة، وعرضوا أنفسهم للخدمة (قائلين) ملتمسين : نريد أن تكون بيننا وبينكم صلات وروابط ، وأمر الأمير محمود فأنزلوهم منزلاً كريمًا ورد رسالتهم (قائلاً) : إننا مسلمون وأنتم كفار، ولا يجوز لنا أن نزوجكم أخواتنا أو بناتنا فإذا أسلمتم فإنه يتحقق هذا الأمر. وأعاد الرسل معززين مكرمين.

وفي شوال سنة سبع عشرة وأربعمائة جاءت رسالة القادر بالله بعهد ولواء خراسان والهندوستان والنيمروز وخوارزم للأمير محمود، ولقَّب أبناءه وإخوته : أما الأمير محمود فهو "كهف الدولة والإسلام"، والأمير مسعود "شهاب الدولة وجمال الملة" ، والأمير محمد "جلال الدولة وجمال الملة" ، والأمير يوسف "عضد الدولة ومؤيد الملة" .

وكتب رسالة قال فيها : " اجعل من تريد وليًا لعهدك، واختيارك سوف يوافقنا" وأفاض القادر بالله في الشكر للأمير محمود، والثناء على هذه الغزوات، وقد وصل هذا العهد واللواء والألقاب إلى مدينة بلخ.

وكان في قلب الأمير محمود - رحمه الله - من الجت في الملتان وبهاطيه على ساحل سيحون[٦٢] غضب عظيم بسبب ما فعلوه من سوء الخلق في طريق السومنات، وأراد أن يجازيهم على فعلتهم ويؤدبهم. وحينما دخل عام ثمانية عشر وأربعمائة جمع اثني عشر مرتبة من الجيش واتجه صوب الملتان، وحينما وصل إليها أمر فصنعوا ألفًا وأربعمائة سفينة قوية الصنع، كما أمر أن يركبوا في كل منها ثلاثة أعمدة حديدية قوية: أحدها في الأمام في مقدمة السفينة، واثنان على جانب السفينة، وكان كل عمود في غاية القوة والمتانة والحدة إلى حد أنك لو ضربت بهذا العمود على أي مكان فإنه يقده ويكسره ويمحيه مهما كانت قوته ، وأمر فألقوا بهذه الألف والأربعمائة سفينة على مياه نهر سيحون ، وكان في كل سفينة عشرون رجلاً بالقسي والسهام وقوارير النفط والدروع.

وحينما سمع الجت بخبر مجيء الأمير محمود أمسكوا خزائنهم وحملوها إلى جزائر بعيدة، ثم قدموا مسلحين مجردين، وألقوا بأربعة آلاف سفينة، ويقول البعض

ثمانية آلاف، وجلس في كل سفينة كثير من الرجال بكامل أسلحتهم، وتوجهوا صوب الحرب، وحينما واجه كلاهما الآخر قذف الرماة من جيش المسلمين بسهامهم، ورمى النفاطون بالنيران .

ولما كانت سفينة المحموديين تقترب من سفينة الجت كانت تضربها بالعمود فتقدها وتكسرها وتغرقها، وحاربوا على هذا النحو حتى تحطمت سفن الجت أو غرقت أو هزمت، ووقف الفرسان والفيلة والمشاة ليأخذوا كل من يخرج من المياه ويقتلوه، ثم واصلوا السير على سيحون حتى وصلوا إلى خزائن الجت وأغاروا عليها، وأخذوا كثيراً من السبايا، ومن هناك اتجهوا إلى غزنين بالنصر والظفر.

وفي أواخر عام ثمانية عشر وأربعمائة[٦٤] وصل أهل نسا وباورد وفراوه إلى البلاط، وأشتكوا من فساد التركمان ومن طول أيديهم على هذه الديار ، فأمر الأمير محمود بكتابة رسالة إلى أمير طوس أبي الحرث أرسلان الجاذب - رحمه الله - وأمره أن يؤدب هؤلاء التركمان ويقصر أيديهم عن الرعية، فهجم عليهم أمير طوس بناءً على هذا الأمر، فتجمع التركمان وتقدموا إليه وحاربوا وقتلوا وجرحوا كثيراً من الناس، وهجم عليهم أمير طوس عدة مرات ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً .

ولم تنقطع الشكوى والتظلمات عن بلاط محمود - رحمه الله - مطلقًا، فكتب رسالة إلى أمير طوس ولامه ونسب العجز إليه ، فكتب إليه أمير طوس رداً (يقول فيه): إن التركمان قد ازدادت شوكتهم وقوى شأنهم، وليس من المستطاع تدارك فسادهم إلا تحت رايتك وركابك الخاص، وإذا لم يأت السلطان بنفسه لتلافي هذا الفساد فسوف يصيرون أكثر قوة ويصبح تدارك الأمر أكثر صعوبة. وحينما قرأ الأمير محمود هذه الرسالة ضاق صدره ولم يقر له قرار، وقاد الجيش من غزنين عام تسعة عشر وأربعمائة ، وذهب إلى بست ومن هناك إلى طوس، وقدم أمير طوس للاستقبال والخدمة، ولما سأل الأمير محمود عن أحوال التركمان شرحها له على حقيقتها ، فأمر الأمير محمود - رحمه الله - أن يذهب فوج كثيف من الجيش مع عدد من القواد بقيادة أمير طوس لحرب التركمان، فلما وصلوا بالقرب من رباط فراوه التقى الجمعان،

وتحمس التركمان ، ودارت رحى الحرب، ولما تغلب الجيش على التركمان وظفر بهم أعمل السيف فيهم، فقتلوا أربعة آلاف فارس من فرسانهم المعروفين، وقبضوا على كثير منهم، وفر الباقون مهزومين مدحورين إلى بلخان[٦٥] ودهستان، وخف فسادهم في هذه الناحية.

ولما فرغ قلب الأمير محمود - رحمه الله - من أمر التركمان قصد الرى واتجه صوب كركان، وعن طريق وادى دينار زارى[٦٦]، دخل كركان ومن هناك اتجه إلى الرى، وقال لى ثقة : إن الأمير محمود - رحمه الله - أرسل إيكوتكين الحاجب بصحبة ألفى فارس من نيشاپور إلى الرى ولم يوجهه ، ولما صار يكوتكين على بعد منزلين كتب إليه رسالة (يقول فيها) : قف ، فسوف يلحق بك غازى الحاجب بألفى فارس . ولم يوجه غازى الحاجب أيضًا ، ولما وصل الاثنان عليٍّ بعد خمسة منازل كتب لهما رسالة (يقول فيها) : قفا، فسوف يصل إليكما على الحاجب ، وأمر عليٌّ الحاجب بما يفعله وأرسل معه أربعة آلاف فارس ، ولما وصل على الى هناك عبأ الجيش ، وأعطى الميمنة ليكوتكين ، والميسرة لغازى الحاجب ، أما هو فكان فى القلب ، وظلوا على تلك التعبئة حتى باب الرى ، وحينما وصل الخبر الى أمير الرى الشاهنشاه مجد الدولة أبى طالب رستم بن فخر الدولة ظنَّ أن الأمير محمود قد قدم بنفسه ، فخرج مع مائة فارس من حشمه والمقربين إليه وعدة من المترجلين من خواصه ومن حاملى الدروع وحاملى الحراب وما شابه ذلك .

ولما رآه عليٌّ الحاجب أرسل إليه وقال له : يجب أن تنزل حتى أفضى إليك بالرسالة التى معى.

وفى الحال وصل مجد الدولة ، وضربوا الخيام والخربشتات ، ونزلوا ، وأمر عليٌّ الحاجب فسيطروا على أبواب المدينة ، ولم يسمحوا لشخص قط أن يخرج من باب المدينة أو يدخل إليها حتى يبقى أمر مجد الدولة خفيًا ، وحجزه عليٌّ الحاجب فى هذه الخيمة، وأخذ الأسلحة التى أحضرها معه، وظل أبو طالب على هذا الحال أربعة أيام.

وأرسل عليٌّ الحاجب رسالة إلى يمين الدولة، وأطلعه على الأمر ، ورد عليه فأركب عليٌّ الحاجب أبا طالب مع ستين رجلاً آخر على ظهور الإبل وأرسلهم إلى الأمير محمود ، وأمر الأمير محمود فحملوهم إلى غزنين ، وظلوا هناك حتى آخر العهد.

وقدم الأمير يمين الدولة إلى الرى ، واستولى على المدينة دون تعب أو نصب، وحمل خزائن البويهيين التى كانوا قد ادخروها من سنين طويلة ، ووجد أموالاً لم يكن لها عد أو حساب. ورووا عن الأمير محمود - رحمه الله - أنه كان فى مدينة الرى وضواحيها أناس كثيرون على مذهب الباطنية والقرامطة فأمر بإحضار من اتهموا بهذا المذهب ورجموهم بالحجارة ، وقتل كثيراً من أهل تلك المذاهب ، وقيد بعضهم وأرسلهم إلى خراسان فماتوا فى سجونه وقلاعه.

واستقر فترة في الري حتى نظم جميع أعمال تلك المملكة ، وعين العمال، وأودع مقاليد ولاية الرى وأصفهان إلى الأمير مسعود - رحمه الله - ورجع هو إلى غزنين ، وكان فتح الري فى جمادى الأولى سنة عشرين وأربعمائة .

ثم بدت على الأمير محمود أعراض مرض الربو، وتغلب عليها فترة، ولكن اشتدت العلة عليه، وكان السلطان محمود يزداد كل يوم ضعفاً، ولكنه كان يصطنع القوة بالحيلة والتكلف حتى يبدو أمام الناس وليس به مرض أو ألم . وقدم على هذه الحال إلى خراسان ، وذهب إلى بلخ وأمضى الشتاء هناك ، وحينما حل الربيع ازدادت عليه العلة، واتجه صوب غزنين وظل بضعة أيام فيها ، وعلى الرغم من أنه قد حاول أن يقوى نفسه فإنه لم يستطع إذ قد صار فى غاية الضعف ، ووافاه الأجل، حيث لم يستطع النوم مطلقًا على فراش، فكان يظل جالسًا، واستمر على تلك الحال حتى أسلم الروح، رحمة الله عليه، ونور قبره. وكانت وفاة الأمير محمود - رحمه الله - يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، وبموته اتجهت الدنيا صوب الخراب وعز الأخساء وذل العظماء.

ولاية الأمير جلال الدولة وجمال الملة أبى محمد[٦٧]

محمد بن يمين الدولة رحمة الله تعالى عليهما

حينما توفي الأمير محمود - رحمه الله - كان الأمير مسعود - رحمه الله - فى أصفهان، وكان الأمير محمد - رحمه الله - في گوزگانان. وضبط عليٌ بن إيل أرسلان الحاجب الذى كان من أقرباء الأمير محمود أمور السياسة ضبطًا حسنًا، وأقر أحوال الملك، ولم يدع إنسانًا يتطاول على مقام إنسان، وصارت مدينة غزنين ينهل الذئب والحمل فيها (من مورد واحد).

وأرسل رسولاً، وأتي بالأمير محمد - رحمه الله - فتولى الإمارة مكان أبيه، وأول عمل قام به هو فض المظالم والاستماع إلى شكوى المظلومين وإنصاف كل واحد من الآخر، ثم أمر بأن ينظر فى صحائف ودفاتر النواحى فيصرف النظر عن خراج كل مكان خرب يكون خرابه سببًا فى تعب ومشقة الملاك، وألف بين الرعية، وأمر ففتحوا أبواب الخزائن، ووهب الحشم والجند من وضيع وشريف ومجهول ومعروف الخلع والصلات. وكانت قيادة الجيوش لعمه أبي يعقوب يوسف بن ناصر الدين - رحمه الله - وخلع عليه خلعة بهية ووصله بصلات عظيمة، وأسند الوزارة للخواجة أبى سهل أحمد بن الحسن الحمدوى، وأدار الأمور بتدبيره، وفتح أمور الولاية، وصار العيش حلوًا للناس طرًا، ورخصت الأسعار، وسر الجنود والتجار على السواء. ولما وصلت أخبار ثراء غزنين وسعة عيشها إلى المدن الأخرى قصدها التجار من أنحاء بعيدة، وأحضروا الأقمشة والأمتعة والملابس الجميلة، وهبطت الأسعار ورخصت، ومع كل هذا الخير الذى فعله للرعية والجند والحشم فقد كان هواهم وميلهم إلى الأمير شهاب الدولة أبى سعيد مسعود بن يمين الدولة - رحمة الله عليهما - وكانوا يريدونه.

ولما مضى على وفاة الأمير محمود - رحمه الله - خمسين يومًا دبر الأمير إياز مع الغلمان، وأخذ منهم البيعة على الذهاب إلى الأمير مسعود - رحمه الله - واستجاب الجميع، وأقسموا على ذلك، وأرسل إلى أبى الحسن على بن عبد الله وكانوا

يسمونه : على دايه، واستجاب على دايه للذهاب مع ذلك الجيش. وفى اليوم التالى خرج غلمان القصر، وذهبوا إلى رباط الخيل، وفكوا الجياد وامتطوا صهواتها مدججين بالأسلحة، وخرجوا من باب القصر، وهكذا ساروا فى كبر وخيلاء حتى وصلوا إلى بُسْت.

وحينما وصل الخبر إلى الأمير محمد - رحمه الله - أرسل جيشًا وراءهم، ومن جملة الحشم سوندهراى قائد جيش الهنود، فقد ذهب فى أثرهم مع عدة من الفرسان وأدركهم، واشتبك معهم، وحارب الغلمان، وقتلوا كثيراً من الهنود وقتل سوندهراى أيضاً، كما قتل الكثير من غلمان القصر، وأحضروا رؤوسهم إلى الأمير محمد، وأسرع أبو النجم إياز بن أيماق(٦٨) وعلى دايه مع كثير من الغلمان حتى قدموا جميعًا إلى نيشابور عند الأمير مسعود - رحمه الله - وحينما رأوا الأمير عظموه، وأظهروا الطاعة والولاء، وسلموا عليه بالملك. فاستقبلهم وقال لهم قولاً جميلاً، واعتذر لهم(٦٩) وسألهم عن الطريق وتمنى لهم أمنيات طيبة.

واستقر الأمير محمد فى غزنين، وأطلق يده فى الطرب والترف، وشغل بالشراب حتى قال له المقربون : إن ما تفعله هذا كله خطأ، وعامة الناس يتحدثون عنك ويلومونك على فعلك هذا، فقد قدم خصمك من العراق واتجه إليك، وأنت عنه غافل متوجه إلى الشراب واللذة، فإذا لم تواجهه فسوف يضيع الملك منك.

ولما مر على ملكه أربعة أشهر عزم على الرحيل، وأمر فضربوا خيمة فى أطراف بست، وأعطى الصلة للجند ورحل عن غزنين يصحبه جيش غنى مجهز، وحينما وصل إلى تكيناباد(٧٠) اجتمع قواد الجيش ورؤساؤه وكتبوا إليه رسالة (يقولون فيها): سوف نذهب جميعاً إلى الخصم الذى صارت الدنيا جميعها من شيعته وأتباعه، ونحن متيقنون أنك لن تستطيع أن تقاومه، والصواب أن تمكث هنا حتى نذهب إليه ونعتذر له ونحدثه فى أمرك، حتى يرضى قلبه عنا وعنك، ويدعوك إليه ونأمن نحن وأنت على أرواحنا. ولما رأى الأمير محمد أن الجيش كله قد تحول أدرك أن هذا لا يمكن جبره، وليس هناك علاج غير الاستجابة، وفى الحال وافق على ما طلبوه، فأتوا به إلى قلعة الرخج(٧١) وأجلسوه، ثم ذهب الأمير يوسف وعلى الحاجب والعظماء والقواد وحملوا الخزائن والأسلحة، وقادوا الجيش، واتجهوا صوب الأمير مسعود وذهبوا إلى هرات.

ولاية الأمير ناصر دين الله حافظ عباد الله

وظهير خليفة الله أبي سعيد مسعود بن يمين الدولة أمير المؤمنين

رحمة الله عليهما

ولما وصل إياز بن إيماق وعلى داية إلى نيشـــابور قوى قـلب الأمـير مسعود، وأذن لهما بالمثول فى البلاط، وجلس لفض المظالم، واستمع إلى كلام الرعية وأنصف بعضهم من بعض. ولما مضت بضعة أيام أحضروا عهد ولواء أمير المؤمنين القادر بالله، وهذا العهد واللواء أحضره أبو سهل مرسل بن منصور بن أفلح الجرديزى، فأحسن الأمير مسعود له القول، وتمنى له أمنيات طيبة.

وأقام فترة فى نيشابور، واتجه من هناك إلى هرات، ولما بقى فيها بضعة أيام قدم الحاجب إلى الأمـير مسعود فسلم عليه وسأله عن الطريق(٧٢)، وكان شقيق على منكيتراك قد قدم قبله وكان الأمير مسعود قد أسند الحجابة إلى منكيتراك، وكان ينظر إليه بعين الاحترام، ولما رجع على الحاجب من عند الأمير أخذوه إلى حجرة ، ووضع منكيتراك يده على قبضة السيف فصاح فيه الحاجب : إنه أميرى وابن أميرى ، ويجب أن نطيع كل ما يأمر به ، وبعد هذا اليوم لم ير إنسان هذين الأخوين .

ولما وصل الحشم ومعهم الخزائن إلى الأمير مسعود اتجه من هرات إلى بلخ، وأقام هناك فى الشتاء ، وضبط أعمال المملكة ضبطًا محكمًا ، وكانت بداية ملكه فى شوال سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. وكانت أول الأعمال التى فكر فيها : من يكون الوزير ؟ ولم يكن هناك شخص يصلح للوزارة قط أكفأ أو آدب أو أعلم من خواجة أبى القاسم أحمد بن الحسن الميمندى - رحمه الله - وكانوا قد حبسوه فى قلعة جنكى فى الهندوستان ، فأرسل الأمير مسعود من أخرجوه من تلك القلعة ، وأسند إليه الوزارة ، وخلع عليه خلعة جميلة ، كما أسند إليه تدبير أمور الجيش .

وقبض على حسن بن محمد الميكالى(٧٣)، وأمر أن يسجنوه ويصادروا أمواله ، ثم أمر فشنقوه فى بلخ، وسبب ذلك أن الأمير حسنك طلب إذنًا من السلطان محمود

- رحمه الله - وذهب إلى الحج، ولما قدم من الحج سلك طريق الشام ؛ لأن طريق البادية كان محفوفًا بالمهالك والمخاطر ، وقد مر بمصر وأخذ الخلعة من عزيزها فاتهموه بميله إلى عزيز مصر، وبهذه التهمة وجب عليه الرجم ، وأمر الأمير مسعود فوضعوا مغفراً على رأسه وصلبوه وقذفوه بالحجارة ، ثم حملوا رأسه وأرسلوها إلى بغداد عند القادر بالله .

وكل الذين خانوا الأمير مسعود - رحمه الله - واتفقوا مع خصمه أتى بهم وعاقبهم واستأصل شأفتهم جميعاً.

وقبض على أحمد ينالتگين الخازن وكان خازن محمود ، وأمر بأخذ أموال طائلة منه ، ولما أعطي المال أرسله إلى الهندوستان ، وأعطاه قيادة جيوشها ، وأرسله مكان الياروق الحاجب . ولما كان الغضب والمصادرة والإيذاء والاستخفاف الذى لحق بأحمد قد تمكن من قلبه؛ فإنه حينما وصل إلى الهندوستان شق عصا الطاعة ورفع راية العصيان. وأمر الأمير ناصر دين الله فأحضروا أبا طالب رستم مجد الدولة من الهند، ودعاه إليه ، وأحسن له القول ، وأمر بتهيئة مكان له فى غزنين، وطلب منه أن يحضر كل وقت للخدمة فى البلاط ، وظل في غزنين حتى آخر عمره.

وفى هذا الوقت حضر حسين بن معدان أمير مكران، واشتكى من أخيه أبى العسكر وقال : لقد اغتصب الملك وسلب حقي ولم ينصفنى ، فتحدث الأمير ناصر دين الله إلى تاش فراش وأرسله معه، فذهب تاش إلى مكران وأخذ لحسين حقه من أخيه وولاه الولاية.

ثم ذهب الأمير مسعود من بلخ إلى غزنين ، ولما سمع أهل غزنين هذا الخبر سروا سروراً بالغًا، وشغل الجميع بالطرب والسرور، فزينوا الأسواق ، وخرج المطربون وظلوا هناك بضعة الأيام، وأقاموا الأفراح ليلاً ونهاراً فى انتظار مجيء ناصر دين الله - رحمه الله - وذهب الأعيان والرؤساء وقادة المدينة جميعًا لاستقباله وتقديم فروض الطاعة والولاء له، وطربوا، ولما وصل إلى غزنين نثر أهلها الدراهم والدنانير. وفى اليوم التالى أذن للناس بالمثول فى البلاط، وأحضروا النثار، فلاطفهم الأمير مسعود جميعاً،

وقال لهم قولاً كريمًا، وتمنى لهم أمنيات طيبة، ولهجت ألسنة أهل غزنين جميعًا بالشكر والثناء عليه، ودعوا له، وطلبوا من الله عز وجل بقاء دولته وأدوا الخدمة وانصرفوا.

ولما صار قلب الأمير أكثر هدوءًا من أمر غزنين طلبته أعمال آمل وأصفهان والرى، فقصد هناك، وحينما وصل إلى هرات قدم المستغيثون من سرخس وباورد متألمين شاكين من التركمان، فعين الأمير مسعود قائدًا مع جيش كثيف، وأرسل أبا سعد عبدوس بن عبد العزيز لرئاسة هذا الجيش وتدبير أمره وكان هذا في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. وحينما وصل الجيش إلى التركمان اشتبكوا في فراوه، وحاربوا. فقتل أناس كثيرون، وحمل التركمان ذخائرهم وعيالهم وأرسلوهما إلى بلخان، واستعدوا متجردين، وكانوا يأتون كل يوم فوجًا فوجًا ويحاربون، وبعد مضى فترة عادت هذه الجيوش.

ولما دخل عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة توفي خواجة أحمد بن الحسن - رحمه الله -[٧٤]، وتدبر الأمير الشهيد أمر الوزارة مع مدبريه وذكروا عدة أشخاص، فوقع الاتفاق على خواجة أبي النصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد؛ فقد كان رجلاً طيبًا داهيةً، كامل العقل، مستنير الرأى، صائب التدبير، وتولى الوزارة في خوارزم فترة، فعمرت بتدبيره المستنير ورأيه الصائب، فكتب الأمير الشهيد - رحمه الله - إليه رسالة، وطلبه من خوارزم، وأسند إليه الوزارة، وخلع عليه الخلعة الواجبة، ثم اتجه صوب غزنين، ورجع إلى مستقر عزّه.

وفي عام أربعة وعشرين وأربعمائة قصد (الأمير الشهيد) الهندوستان، وكانت هناك قلعة في وادى كشمير تسمى سرستى، فذهب إليها وحاصرها، ودافع أهلها كثيرًا، ولكنه فتحها أخيرًا، وغنم الجيش من تلك القلعة غنائم كثيرة من المال والسبايا، ولما حل الربيع اتجه صوب غزنين.

وفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة قصد آمل وسارى، وقاد إلى هناك جيشًا كامل العتاد والعدة، ووصل الخبر إلى تلك الديار فاستعد أهلها للحرب، وجمعوا جيشًا كثيفًا من المدن والجبال والكيل والديلم، وقدموا في الطريق، وأقاموا الكمائن جماعات

جماعات في الغابات والأركان، فلما وصل جيش غزنين إلى هناك خرجوا من كل صوب يحاربون، وكان قد جلس – رحمه الله – على ظهر فيل فقدم إليه شهراكيم بن سوريل أمير استرآباد مدججًا بالسلاح، فتقدم إليه فيل الأمير الشهيد فقفز شهراكيم وثقب كتفه فسقط الفيل، وحينما لاحظ الأمير الشهيد ذلك ورآه من فوق ظهر الفيل رمى بحربته شهراكيم فطرحه، وأتى الحشم وقبضوا عليه، وأتى رجاله أيضًا وحاربوا في ساري، ولكنهم هزموا في النهاية. واستولى الأمير الشهيد على المدينة، وأغار الغزاة على بعض أجزائها، وقدم الناس إليه ضارعين متألمين وقالوا : نحن تجار صالحون وقد لحق بنا ظلم من جيشك، فأمر بكف يد الجيش عن السلب والنهب، وضرب خيمة على باب آمل. وأرسل الرسل إلى كاليجار أمير طبرستان، وتوسط الناس حتى تم الصلح على أن يعطي في الحال ثلاثمائة ألف دينار، ويعطي الخراج كل عام، وأن يجعل الخطبة في جميع أنحاء طبرستان للأمير مسعود، ويسلم الرهائن. ثم حمل أموال الضمان هذه وأرسلها إلى الأمير الشهيد، وأرسل ابنه وابن أخيه شهرو بن سرخاب مع الرهائن.

ولما صارت آمل وساري وطبرستان للأمير الشهيد توجه من هناك إلى غزنين، فلما وصل إلى نيشاپور قدم المتظلمون واشتكوا من التركمان، فجلس الأمير الشهيد مع الوزراء والندماء والقواد وفكروا في أمر التركمان وقال : لقد عم الفساد أخلاقهم، وزادت وقاحتهم. فأدلى كل شخص برأيه، فقال الحاجب بكتغدي : إن فناء هؤلاء كثير على قائد واحد لو أرسلته لهذا الأمر، لكن علاج هذا واجب حتى يتم هذا العمل. فقال الأمير الشهيد لبكتغدي : يجب أن يكون لك هذا الأمر، ويجب أن يكون معك حسين بن علي بن ميكائيل، ثم أرسلهم وأرسل معهم جيشًا كثيرًا من الهنود والأكراد والعرب والترك، وزودهم بالعتاد وفيلة الحرب الجيدة، وذهبوا من نيشاپور، وتقدموا إلى طوس، ومن هناك توجهوا إلى نسا، ولما وصلوا إلى مكان يسمونه سپندانقان(٧٥) قدمت رسل التركمان وأحضروا رسالتهم إلى بكتغدي (وقالوا فيها) : نحن عبيد طائعون، فإذا كنتم تقبلوننا وتعيّنون لنا مرعى فسوف نكف أيدينا عن هذه الأعمال، ولن يلحق إنسان منا أذى. فصاح بكتغدي في الرسول وأغلظ له القول وقال له : بيننا وبينكم السيف،

فإذا كنتم طائعون مذعنون للأمر فأرسلوا رسولكم إلى السلطان مسعود واعتذروا له، وائتوا إلينا برسالة حتى نتركَكم وإلا فلن نرتد عنكم بأى حال. وأعاد بكتغدى الرسول، وعبأ الجيش، فأعطى الميمنة لفتكين الخازن، والميسرة لبير الحاجب، أما هو فوقف فى القلب، وأرسل الفرقة العربية فى طلائع الجيش من خمسمائة من الفرسان كانوا من أصل عربى، وحينما وصلت الفرقة العربية إلى مارونى[٧٦] ظفروا على طلائع التركمان، وقتلوا الكثير منهم، وهزم التركمان، وذهب جيش بكتغدى فى أثرهم حتى (وصلوا) إلى خزائنهم وأمتعتهم وأغاروا عليها ونهبوها، وغنموا أموالاً كثيرة، وأخرجوا الدواب والأثاث، ثم رجعوا إلى المعسكر لضيق هذا المكان.

وفى هذا الوقت كان معظم جيش بكتغدى غانيًا؛ إذ قد شغل بالهجوم أو بالغنائم، ولما وصل الخبر إلى داود التركمانى[٧٧] خرج بجيش لجب من مضائق الجبال واستقر فى مواجهة الجيش، واصطفت الصفوف، وحاربوا يومين وليلتين، وانتصر التركمان، فقال بكتغدى لحسين بن على بن ميكائيل : ليس هناك مجال للصمود، فقال حسين الرئيس : لن أمثل مهزومًا بأى حال أمام الأمير، إما أن أنتصر وإما أن أقتل، وأدار بكتغدى ظهره وفر هاربًا، ولكن حسينًا صمد وظل يحارب حتى فر جيشه جميعه وبقى وحده فدخل التركمان وأحاطوا فيله، وأنزلوه من فوقه، وأرادوا أن يقتلوه فعلم داود فأرسل حتى لا يقتلوه، وساقوه إليه، وصفدوا يديه ورجليه بالأغلال، وحبسوه (فى خيمة) ، وعينوا عدة من التركمان حراسًا عليه، وظل عندهم حتى الآن، ورجع بكتغدى، وقدم إلى الأمير الشهيد فضاق صدر الأمير، ولم يستطع المقام لما كان معه من الرهائن وأسرى الديالمة، وقدم إلى غزنين وأحضر الأسرى وأرسلهم إلى القلاع والمدن فى شهر رمضان سنة ست وعشرين وأربعمائة.

وفى كل وقت كانت تصل الأخبار من الهند أن أحمد يمد يده إلى ولاية الهندوستان، ويقيد أيدى العمال، ويخون الأموال فأرسل الأمير الشهيد بانهه بن محمد بن مللى قائد الهندوستان بجيش عظيم، وحينما لحق كلاهما بالآخر التحموا وتحاربوا، وقتل جند كثيرون من الجيش، وقتل بانهه فى وسط هذه المعركة وهزمت جيوشه جميعها،

وقويت يد أحمد ينالتكين[٧٨]، وحينما سمع الأمير الشهيد هذا الخبر أرسل تلك[٧٩] بن جهلن قائد جيوش الهند. وذهب تلك بجيش كثيف من الهنود، وحارب أحمد ينالتكين، واشتبكا، وكانت بينهما حروب عديدة وكان الظفر فيها طول الوقت لتلك، وذهب ينالتكين مهزومًا مدحورًا وتفكك جيشه، وقبض تلك على جميع أفراد الجيش، كما قبض على التجار الذين كانوا على صلة بأحمد ينالتكين وكانوا من رجاله وقطع إحدى أيديهم وجدع أنوفهم، ونكل بكثير من الناس لهذا السبب، وهرب أحمد ينالتكين، واتجه صوب المنصورة والسند، وأراد أن يعبر نهر السند، ومن المصادفات السيئة أن السيول نزلت فجرفته وأغرقته ومات، وحينما جرف الماء جسده وألقى به إلى اليابسة وجده رجل من جيش خصومه وعرفه فقطع رأسه وأرسلها إلى تلك، فأرسلها تلك إلى بلخ، فأمر الأمير مسعود فنصبوا عمودًا وعلقوا عليه الرأس.

وفى هذا الوقت أيضًا - يعني سنة سبع وعشرين وأربعمائة - تم الجوسق الجديد في غزنين مع العرش الذهبى المرصع بالجواهر الذى صنعوه من أجل هذا الجوسق، ثم أمر الأمير الشهيد - رحمه الله - بأن يضعوا هذا العرش الذهبى في الجوسق، وكانوا قد صنعوا التاج الذهبى زنة سبعين مَنا من الذهب والجواهر وعلقوه فوق العرش بالسلاسل الذهبية، وجلس الأمير مسعود - رحمه الله - على هذا العرش، ووضع هذا التاج المعلق فوق رأسه، ثم أذن للحشم والرعية بالمثول فى البلاط، وسلم للأمير مودود الطبل والعلم وأرسله إلى بلخ.

وفى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة قاد جيشًا إلى الهندوستان، وكانت هناك قلعة منيعة محكمة كان بها أناس كثيرون وكانوا يسمونها هانسى[٨٠]، فتوجه الأمير إليها، ولما وصل بالقرب منها أمر بأن يلتف الجيش حولها، ودارت رحى الحرب، وكان أهل القلعة يحاربون أعلاها، وقد اعتقدوا أنه لن يكون لآدمى يد على هذه القلعة لشدة إحكامها، وكان بعد ستة أيام من الحرب أسقطوا حائطًا منها ففتحت القلعة، ودخل جيش المسلمين وأغاروا عليها وغنموا أموالاً كثيرة، واستولوا على كثير من العبيد والسبايا.

ومن هناك اتجهوا إلى قلعة سونى بت حيث كان يوجد ديبال هريانة، وحينما علم ديبال هريانة هرب واتجه صوب الصحارى والغابات، وترك تلك القلعة بما فيها من أموال ومتاع. وحينما وصل جيش الإسلام هناك أمر الأمير الشهيد فأغاروا على القلعة، وأحرقوا المعابد، وغنموا كل ما وجدوه من الذهب والفضة والمتاع، ثم قدم الجواسيس وجاءوا بالخبر عن ديبال هريانة وعن الغابة التى يختبئ فيها، فذهب الأمير الشهيد هناك حتى وصل بالقرب من جنده، وحينما علم ديبال هرب فى الحال وترك الجند. ودخل عسكر المسلمين فى عسكر الكفار فقتلوا وقبضوا على كثير من الناس ثم استولوا على العديد من السبايا.

ثم رجعوا من هناك واتجهوا صوب دير رام، وحينما علم رام أرسل شخصاً واعتذر للأمير الشهيد وقال : "أنا رجل عجوز، وليست لدى طاقة أو قدرة فى أن آتى للخدمة" وأرسل بيد رسوله أموالاً كثيرة. فقبل الأمير الشهيد عذره وتقبل نثاره. ورجع من هناك واتجه صوب غزنين.

ثم أعطى الأمير مجدود بن مسعود ولاية لاهور، وأعطاه الطبل والعلم، وأرسله بالحشم والحاشية إلى لاهور، وقدم هو إلى غزنين. وكان فتح هانسى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

وحينما استقر فى غزنين كان يأتى فى كل وقت المتظلمون من خراسان، وكانوا يشتكون من الترك، وكتب الجواسيس وأصحاب البريد رسائل متواصلة (وفيها) : أن فساد التركمان قد زاد عن الحد وفاض.

وفى آخر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ذهب الأمير مسعود من غزنين إلى بلخ لإصلاح أمور خراسان وتدارك فساد التركمان، ولما وصل إلى بلخ ترك التركمان الذين كانوا فى هذه النواحى أماكنهم، وخلت ولاية بلخ من التركمان.

وأخبروا الأمير الشهيد - رحمه الله - أنه قامت فتنة ببلاد ما وراء النهر من ناحية پورتگين وجيشه، وقد لحق بالرعية الأذى إليهم، فصمم الأمير الشهيد على أن يتدارك ذلك؛ لأن الخان الكبير قدرخان قد مات. وكان الرعية يكرهون پورتگين، وفكر

في أن تكون هذه الفرصة في عودة ما وراء النهر، فأمر بإقامة جسر على جيحون، وجعل الجيش يعبر من فوق الجسر، وذهب إلى ما وراء النهر، وأخلى جميع المتمردين وقادة ما وراء النهر الأماكن ولم يأت أحد إليه مطلقًا، ولما بقي فترة في بلاد ما وراء النهر قدمت رسالة خواجة أحمد بن عبد الصمد الوزير إلى الأمير الشهيد - رحمه الله - من بلخ (وفيها) : أن داود التركماني قد قصد بلخ بكل جيوشه، وليس معنا من الجيش والعدة والعتاد الكثير حتي نستطيع أن نقاومهم، وإذا لم تعد فسوف تختل الأمور.

فرجع الأمير مسعود من بلاد ما وراء النهر في الحال، وقدم إلى صحراء كتر وعبأ الجيش، واصطفت الصفوف لحرب التركمان.

وحينما علم داود التركماني بأن الأمير قد عبر من النهر سحب الجيش في الحال واتجه صوب مرو. ولما سمع الأمير الشهيد خبره قدم إلى بلخ، وذهب من بلخ إلى كوزكانان، وقدم عدة أشخاص من أهل تلك الناحية واشتكوا من على قهندزي[٨١] وكان على قهندزي قد اعتدى كثيراً على هذه النواحي، فأمر الأمير الشهيد - رحمه الله - فأرسلوا رسولاً ليستدعي عليا هذا إلى البلاط، وحينما ذهب الرسول إليه لم يحضر، وكانت توجد قلعة في تلك الناحية فحمل العيال والذخيرة وتحصن فيها، فأمر الأمير الشهيد أن يستولوا على تلك القلعة وهدموها، وأنزلوا عليا قهندزى منها، ولما أتوا به أمام الأمير الشهيد أمر في الحال فشنقوه، وكان هذا في سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وحينما سمع التركمان بخبر تحرك الأمير الشهيد - رحمه الله - تجاه مرو خافوا، وأرسلوا في الحال رسولاً إليه وقالوا : نحن عبيد مطيعون، ولو يقبلنا الأمير الآن ويعين لنا مرعانا فسوف نترك دوابنا وذخيرتنا في المرعي، ونشغل نحن بمفردنا لخدمة الركاب العالي، ورأى الأمير أعلي وأعظم. فأرسل الأمير الشهيد رسولاً بأن يكتب بيغو الوثيقة اللازمة، وأن يقسم ألا يشق عصا الطاعة، وأن يكون عبداً مطيعًا، وأن يمنع القوم والقبيلة من تلك المفاسد، ويقبلوا المرعي الذي يعينه الأمير، وتعاهدوا على هذا، وعقدوا المواثيق، وأقسموا، وقد شهد على هذا العهد قادة وقواد التركمان، وضمنوا ما فيه.

واتجه الأمير الشهيد من هناك صوب هرات، فهجم عدة من التراكمة فى طريق هرات على ذخيرة جيش الأمير الشهيد واستولوا على الكثير من الأمتعة، وقتلوا وجرحوا العديد من الأفراد، فأمر الأمير الشهيد - رحمه الله - بأن يتعقبهم الجيش، وأن يعمل السيف فيهم، وقتلوا وقبضوا على الكثير منهم، وأتوا بالأسرى ورؤوس القتلى أمام الأمير، وأمر بأن يحملوا تلك الرؤوس على الحمير وأرسلوها إلى يبغو وكتب رسالة (يقول فيها) : "هذا جزاء كل من ينقض العهد"، ولما رأى يبغو ذلك اعتذر ولام هؤلاء المسيئين الوقحاء وأجاب : "لم يكن لدينا خبر عن هذا، ولقد فعل الأمير بنفسه ما كنا نريد أن نفعله".

وأقام الأمير الشهيد عدة أيام فى هرات، ومن هناك ذهب إلى نيشاپور، وحينما ذهب إلى طوس تقدم فوج من جيش التركمان فحاربوه فقتل كثيراً منهم، ومن هناك ذهب إلى نسا وباورد وقد خلت تلك النواحى من التركمان، ثم أخبروا الأمير الشهيد أن أهل باورد أعطوا قلعتهم إلى التركمان واتفقوا معهم، فقصد باورد فى الحال، ولم يمض وقت طويل حتى أحضروا أهل تلك القلعة إلى الأمير، فأمر بقتل أكثرهم، وفرغ قلبه منهم.

واتجه إلى نيشاپور، وقضى الشتاء فى سنة ثلاثين وأربعمائة، وحينما حل الربيع اتجه من نيشاپور إلى باورد، فقد علم أن طغرل التركمانى[٨٢] هناك وحينما سمع طغرل بخبر مجيئ الأمير الشهيد ذهب إلى ترن باورد[٨٣] ولم يأت إلى الأمير مسعود، ولما أدركه الأمير الشهيد توجه عن طريق ميهنة[٨٤] إلى سرخس، ولم يعط أهل سرخس الخراج فحاصروا المدينة، وأمر الأمير فأخرجوا طغرل من القلعة وهدموها، وقتلوا بعض أهلها وقطعوا أيدى البعض الآخر.

ثم ذهب من هناك إلى بلستان[٨٥]، وأقام فيها فترة، ثم اتجه منها إلى دندانقان[٨٦]. وحينما وصل إليها إليها نزل الجيش، ولما كان الصباح الباكر كان التركمان قد استولوا على الصحارى والجبال وسدوا الطرق على جيش غزنين، ولما رأى الأمير الشهيد ذلك أمر فأعدوا أمور الحرب، وعبأ الجيش واصطفت الصفوف.

واستعد التركمان كذلك للحرب، وانتظموا على طريقتهم، فهم يحاربون على هيئة الكردوس، فنظموا أنفسهم كراديس[٨٧]، وتحاربوا، وهزموا جيش غزنين الذى ارتد قوم من جيوشها وانضموا للعدو، ووقف الأمير الشهيد بنفسه فى الحرب، وأسقط الكثير من المحاربين بعضهم بالحربة، وبعضهم بالسيف، وبعضهم بالدبوس، وقد خاض فى هذا اليوم معركة لم يخضها ملك بنفسه قط.

وأرسل رسولاً إلى قيادة جيشه يأمرهم فلم يمتثلوا، وولوا ظهورهم، وفروا مهزومين، فظل بنفسه يحارب هكذا حتى لم يبق عنده نفر كثير، وحينما رأى أن الأمر انتهى رجع، ولم يجرؤ التركمان على تعقبه؛ لأنهم رأوا مهارته فى القتال. وكانت موقعة دندانقان هذه يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

واتجه الأمير الشهيد من هناك إلى مرو الرود، وقدم بعض من العسكر إليه، واتجه من مرو إلى غزنين، وقد وصل إليها عن طريق الغور، وأول عمل عمله فى غزنين هو أن القواد الذين عصوا فى ساحة القتال وأهملوا فى الحرب مثل القائد على داية والحاجب بزرگ سباشى ثم بكتغدى الحاجب هؤلاء القواد الثلاثة سجنهم، واستولى على أموالهم، وأرسلهم إلى قلاع الهندوستان، وقد مات هؤلاء الثلاثة فى يوم واحد، ثم فكر الأمير الشهيد كيف يتدارك هذا الحال ؟ فصمم على أن يذهب إلى الهند، وأن يجمع من هناك جيشاً قوياً، ثم يعود ويتدارك هذا الأمر.

وبعد ذلك أعطى إمارة بلخ للأمير مودود - رحمه الله - وأرسل معه الخواجة أحمد بن محمد بن عبد الصمد الوزير، وأسند الحجابة إلى ارتگين الحاجب وأرسل معه أربعة آلاف فارس، وذهب هو إلى بلخ، ولما وصل الأمير إلى هبيان[٨٨] أقام هناك، وأرسل الأمير مجدود على رأس ألفى فارس إلى الملتان، وأرسل الأمير إيزديار إلى سفوح جبال غزنين؛ فقد كان هناك الأفغان العصاة، وقال له : احفظ هذه الولاية حتى لا تختل الأمور، ثم أمر فأحضر جميع الخزائن والكنوز التى كان الأمير محمود قد وضعها فى القلاع والأماكن فى غزنين، مثل قلعة ديدى رو ومنديش[٨٩] وناى لامان[٩٠]

ومرنج[٩١] وسامدكوت[٩٢]، وحملوا كل ما كان من المال والجواهر والذهب والفضة والملابس والفرش والأواني على الإبل، وقاد الجيش واتجه صوب الهندوستان بتلك الخزائن والنساء والأطفال، وفي الطريق أرسل رسولاً فأحضروا الأمير محمد من قلعة برغند[٩٣] إلى لشكركاه، وحينما وصل الأمير مسعود بالقرب من رباط ماريكلة[٩٤] حملوا الخزائن إليه، فدخل عدة من الغلمان سيئ الأخلاق ومجموعة من العسكر المتهورين : فرأوا دنيا من الإبل والدواب كلها محملة بالجواهر والذهب والفضة، فامتدت أيديهم إليها، وحملوا قدراً منها، وثار الجيش وانقضوا دفعة واحدة على الخزائن كلها فنهبوها، ولما كان فعلهم قبيحاً فقد أيقنوا أن هذا الجرم لن يمحى إلا إذا جاء أمير آخر. واتفاقاً وصل الأمير محمد فقدم قوم من المجرمين وسلموا عليه بالملك.

وحينما رأى الأمير الشهيد – رحمه الله – ذلك، وكان الموقف يجب أن يعالج بالسياسة لا بالحرب ذهب إلى رباط ماريكلة، وظل في الرباط في تلك الليلة، ولما كان اليوم التالي خرج واجتهد كثيراً، ولكن حُمَّ القضاء فلم يستطع أن يفعل شيئاً مطلقاً فرجع وتحصن بالرباط، فالتف جيش من الرجال والفيلة حول الرباط، ثم قدم جمع وأخرجوا الأمير مسعود – رحمه الله – وأوثقوه بالقيود، ومن هناك حملوه إلى قلعة كيرى، وظل هناك حتى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة.

وأخيراً احتالت تلك الجماعة التي سعت في خلعه، وأرسلوا شخصاً، وأبلغوا رسالة إلى كوتوال قلعة كيرى على لسان الأمير محمد، ولم يكن يعلم بها الأمير محمد، فقتله الكوتوال، وحمل رأسه وأرسلها إلى الأمير محمد – رحمه الله – وبكى الأمير محمد كثيراً ولام هؤلاء الناس.

ولاية الأمير شهاب الدين والدولة وقطب الملة

أبى الفتح مودود بن ناصر دين الله مسعود بن محمود

رحمة الله عليهما

بعد وصل خبر واقعة ماريكلة ووفاة الأمير الشهيد - رحمه الله - إلى الأمير مودود اغتم وتكدر فى هبيان[٩٥]، وصمم أن يذهب إلى هناك ويتدارك ذلك الأمر، ويطلب ثأر أبيه فمنعه أبو نصر أحمد بن عبد الصمد - رحمه الله - عن هذا التدبير، وقال : الصواب أن نذهب أولاً إلى غزنين وتضبط (أمورها)، فإذا ملكت غزنين فسوف يسرع الجيش فى الدخول فى طاعتنا. فقدم من هبيان بجيشه إلى غزنين، وجلس للعزاء فعزاه أهل غزنين كلهم. فلما انتهت (مراسم العزاء) وفد أهل غزنين جميعًا، وعرضوا أنفسهم، وقال لهم الأمير مودود - رحمه الله - قولاً كريماً.

ثم دبر الأمور ورتبها طوال فصل الشتاء، وحينما حل الربيع أعد جيشًا واتجه لحرب عمه، فلما وصل إلى دينپور[٩٦] وصل جيش الأمير محمد أيضًا إلى هناك، فاصطفت الصفوف، وتعبأ الجيشان والتحما، ودارت رحى الحرب، وظلوا يحاربون طوال ذلك اليوم حتى دخل الليل فانفصل كلاهما عن الآخر، وحينما رجع الأمير مودود إلى مكانه استدعى الوزير والقادة وتدبروا (الأمور) ثم أرسل الأمير مودود فى السر رسولاً إلى الأمير الأجلّ السيد أبى منصور عبد الرشيد بن يمين الدولة أدام الله ملكه وأعطى إليه رسالة (قال فيها) : إننى أعلم أنك لا تستطيع أن تتحول فجأة وتنضم إلى، ولكن إذا مكثت فى مكانك ولم تحارب حتى أشتبك مع خصمى وأطلب إنصافى منه؛ فستكون لك منة عظيمة على، فإذا بلغت مقصودى سيكون الاسم لى والأمر لك، وسأفعل آنذاك ما تأمر به.

وعلى هذا النحو أقسم بالأيمان المغلظة وأعطى المواثيق والعهود بأن تلك الوثيقة لا تحتمل التأويل. ثم قال : إنك عاهدت والدى الشهيد - رحمه الله - بأنك لن تفعل سوءًا مع أبنائه.

وحينما وصلت الرسالة إلى الأمير الأجل - أدام الله دولته - ورأى الوثائق المحكمة - مال قلبه إلى الأمير مودود وعاهد (قائلاً) : "إنني لن أحارب ولن أستل السيف وسأظل في مكاني حتى ينتهي هذا الأمر" ولما كان اليوم التالي اصطفت الصفوف ورتبوا الميمنة والميسرة والقلب والجناحين، وظل المبارزون يحاربون حتى الظهيرة، ووقف الأمير الأجل عبد الرشيد - أدام الله دولته - في ركن ولم يحارب، وحينما رأى الأمير مودود - رحمه الله - ذلك هجم بنفسه، وضرب الميمنة من الجيش، وقتل الكثير من جنودها، ثم ضرب الميمنة على الميسرة والميسرة على القلب، (وهكذا) بحملة واحدة هزم جيشًا بهذه القوة.

وفي مؤخرة الجيش بقي أرتكين الحاجب مع غلمان القصر، وكانوا يقتلون ويضربون ويأسرون، حتى قتل وأسر كثير من الناس، وقبض (رجال الأمير مودود) على الأمير محمد وابنه أحمد وسلمان بن يوسف وقوم من أبناء عظماء الدولة، ثم أمر الأمير مودود فقتلوهم جميعًا، ورموا بعضهم بالسهام، وربطوا بعضًا منهم في أذناب الخيول الجامحة.

الهوامش

(١) وهو إيلك خان نصر بن علي.

(٢) وهو أبو إبراهيم إسماعيل المنتصر بن نوح بن منصور الأول، المتوفى عام ٣٩٥ هـ.

(٣) كانت هذه الحرب بين قريتي نعاجي وبشجه على بعد أربعة فراسخ من نيشابور، وقد وردت في تاريخ اليميني وابن الأثير، ولكن لم يُذكر شيء عن هذا الغلام الهندي من هو؟ ومن المعروف أن جيوش السلطان محمود والأمير نصر كانت تضم أقوامًا مختلفة منها الترك والعرب والأفغان والهنود (المترجم).

(٤) كان ذلك في شوال عام ٣٩١هـ.

(٥) معربها بوزجان، وتقع بين هرات ونيشابور من نواحي نيشابور.

(٦) وهو جبل في سمرقند، وكانت إحدى بوابات سمرقند تدعى بباب كوهك.

(٧) درعان : بفتح الأول وسكون الثاني على شاطئ أموي كانت تعد أول حدود خوارزم.

(٨) المقصود نهر جيحون، ومياهه تتجمد في الشتاء ويصبح من الممكن للإنسان والدواب السير عليها من شاطئ إلى آخر، ولكن حينما يأخذ الهواء في الدفء تبدأ الثلوج من الداخل في الانصهار وتظل في السطح كما هي قطعة واحدة، وعند المشي عليها تتكسر فجأة ويغوص من يسير فوقها في داخل النهر (المترجم) .

(٩) بضم الأول وسكون الثاني وفتح الثالث وكانت مدينة من أعمال مرو.

(١٠) اسمه الحارث المشهور بابن علم دار.

(١١) يقصد إيلك خان نصر بن علي الذي هزم في قرية بوزبند على حدود سمرقند.

(١٢) ابن سرخك الساماني كما في تاريخ اليميني.

(١٣) يقصد أبا إبراهيم المنتصر الأمير الساماني.

(١٤) وهو أبو عبد الله المعروف بماهروي بندار كما في تاريخ اليميني.

(١٥) دفن في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٥ هـ في قرية مرغ رود بارزم كما ذكر في تاريخ اليميني.

(١٦) يقول اليميني : إن قيمتها كانت مائتي ألف دينار.

(١٧) ويهند تقع إلى الشاطئ الشمالي لنهر السند على بعد حوالي عشرة أميال غربي أتك.

(١٨) طاق : من مدن سيستان ناحية خراسان، وكانت تقع على مسيرة يوم شمال زرنج.

(١٩) دهك بين زرنج وبست، على بعد منزل من زابلستان.

(٢٠) بهت وبهتيان، وكانت قبائل تعيش في السند العليا ومعربها بهاطيه.

(٢١) أبو الفتوح داود بن نصر بن الشيخ حميد اللودى الملك الثالث للأسرة اللودية الأفغانية بالملتان.

(٢٢) المقصود نهر أمو (نهر جيحون). (المترجم).

(٢٣) سباشي تكين قائد جيوش إيلك خان.

(٢٤) يذكر الأستاذ حبيبى أن هذه الكلمة لم تقرأ.

(٢٥) ويقول ابن الأثير : إن كتر على بعد فرسخين من بلخ. ويقول فرخي سيستانى عن هذه الحرب .

زبت پرستان چندان بكشت وچندان بست   كـه كشتـه بودوگـرفتـه زخـانيـان بكـتر

وقال ذاكراً إيلك خان .

دوستان راچو قـدر خان كن شـاد وعزيز   دشمنان راهمچو إيلك راكن غمگين وخوار

الترجمة :

(أ) لقد قتل وأسر الكثير من عباد الأوثان أكثر ممن قتل وأسر من أتباع إيلك خان في صحراء كتر.

(ب) اجعل الأصدقاء أعزاء فرحين مثل قدرخان واجعل الأعداء أذلاء مهمومين مثل إيلك خان (المترجم).

(٢٦) يذكر العتبى وابن الأثير أن هذا الفتح كان عام ٣٩٧ هـ.

(٢٧) يذكر الأستاذ حبيبى أنه لم يعرف أصل هذا الاسم، ويحتمل أن يكون كشمور التى فى السند العليا جنوب شرق الملتان التى تقع فى شمال أراضى البلوچ على الشاطئ الشمالى لنهر السند، ويقول: إننا إذا قرأناها أكتور فهي نورستان الحالية بأفغانستان.

(٢٨) تسمي الآن كانكرة وتقع على الخريطة في جنوب شرق لاهور.

(٢٩) غرجستان : بين باميان وهرات فى شمال نهر هرى رود.

(٣٠) مستنك : معربها مستنج وهى مدينة فى بلو جستان وتعرف حتى الآن بهذا الاسم.

(٣١) أبو الفوارس هو قوام الدولة بهاء الدين، وأخوه هو سلطان الدولة أبو شجاع فناخسرو.

(٣٢) ذكر صاحب تاريخ اليمينى أن تاهرتى منسوب إلى تاهرت، وهى مدينة في المغرب الأقصى.

(٣٣) وهى القلعة التى اعتقل فيها الخواجة عبد الرزاق بن الخواجة أحمد حسن الميمندى وأفرج عنه عام ٤٢٤هـ سارغ الشرابدار (تاريخ البيهقى : ترجمة الخشاب وصادق نشأت ص ١٥٨) (المترجم).

(٣٤) وهو سارغ الشرابدار، ويبدو أنه ظل كوتوال نندنه حتى في زمان السلطان مسعود (البيهقى ص ١٥٨) لأنه هو الذى أطلق سراح خواجه عبد الرزاق بن خواجة أحمد بن حسن الميمندى سنة ٤٢٤ هـ (المترجم).

(٣٥) كوتوال : قائد القلعة، وكوت باللغة الهندية القلعة والكلمة تركية الأصل، ومعناها في الجغطائية : حارس القلعة أو قائدها. ارجع إلى ترجمة تاريخ البيهقى ص ٨٠٣ (المترجم).

(٣٦) هو أبو العباس المأمون بن المأمون بن محمد بن أحمد بن محمد الملك الخامس للخوارزم شاهيين من ٣٩٠-٤٠٧ هـ.

(٣٧) كانت أخت السلطان تسمي كالجى وهى بنت سبكتكين (تاريخ البيهقى : الترجمة العربية) ص ٧٧٤ (المترجم).

(٣٨) جكر بند : (جقربند) على طريق فربر وأمل، على الشاطئ الشمالي لنهر أمو بين الطاهرية ودرغان، على بعد منزل من درغان لأن الطاهرية تعد حد خوارزم.

(٣٩) قواد هذه الحملة هم اليتكين البخاري، وخمار تاش الشرابي، وشادتكين خاني.

(٤٠) يقول العتبي : هردت وهو أحد الرايان الرائين أغنى الملوك.

(٤١) كانت في عصر أكبر تتبع مدينة أكره.

(٤٢) ما توره حتى الآن بهذا الاسم وتقع على بعد ٣٥ ميلاً شمال غربي أكره.

(٤٣) بارى وتقع على الشاطئ الشرقي للكنج.

(٤٤) يقول فرشته أن كوريات ونارديى تقع بين تركستان والهندوستان (كيبرت - كوريات قيرات)، أما صاحب طبقات ناصري فيذكر عنهما أنهما أماكن جبلية وباردة بها فاكهة كثيرة وأهلها يعبدون الأسد، ولكن البيروني يذكر في شرح نهر كابل" إن هذا الماء يتجمع من ناحية المغاني بالقرب من قلعة درونه ويصب في نهري نور وقيرات، وعندما يصل بالقرب من بيشاور فإنه ينقسم إلى أنهار مختلفة". إذن فمن بيان البيروني يتضح أن نهري نور وكيرات يجب أن يكونا بين جلال أباد وبيشاور ثم يختلطان بنهر كابل، ولا بد أن يكونا هما نهر كُنَرْ في أفغانستان الحالي (طبقات ناصري جـ ٢ ص ٤١٢).

(٤٥) تاكيشر وكانت تقع بالقرب من لاهور.

(٤٦) وهي حتى الآن بهذا الاسم في جنوب أكره، ويفصلها عن دهوليور ثلاثة وعشرين ميلا.

(٤٧) شاه بهار يعني بهار شاه أي معبد الملك، ويوجد بهذا الاسم كثير من المعابد في أفغانستان، كما توجد صحراء واسعة بالقرب من غزنة بهذا الاسم، ومن الجائز أن تكون بهذا المكان معابد، والآن يطلق اسم شيبار على صحراء في جنوب غرب غزني.

(٤٨) تهالي : وهي في الهند عبارة عن طبق واسع كبير من الفلز يوضع على ظهر الفيل ويطرقون عليه بالخشب حتى يدق.

(٤٩) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذه الكلمة لم تقرأ، وكتبها الناسخ بدون نقاط، وغالب الظن أنها كلمة تدل على نوع من الطبول المعروفة لديهم أيضًا لأنه أنهى جملته بالفعل زدند، ومعناها قرعوا وضربوا .

(٥٠) التعبير بالفارسية : وهركس كه ازتركستان وماوراء النهر اندرآن لشكر كاه حاضر بودند زهره شان بخواست كفيد.

زهره شان بخواست كفيد : هذا اصطلاح من اصطلاحات الكلام والحوار مازال مستعملاً في أفغانستان، وهو كناية عن الغم الشديد: (لغات عاميان فارسي أفغانستان، تأليف عبد الله أفغان نويس. ص ٣١٥ كابل (المترجم).

(٥١) بردع : مدينة في أرمينية وكان يوجد فيها الدواب الجيدة (حدود العالم ص ١٦١).

(٥٢) محفور : مدينة على شاطئ بحر الروم، والمحفوري فرش تنسج هناك.

(٥٣) نسبة إلى طبرستان : وبها أصناف الملابس الحريرية والصوفية.

(٥٤) قمار : وهي مدينة في جنوب الهند، ومعربها كمار.

(٥٥) قاقم : وهو فراء أبيض جميل يبعث على الدفء والحرارة (برهان قاطع. المترجم).

(٥٦) ذكر الأستاذ حبيبي أنه بعد كلمة روباه لم تظهر الكلمة التي بعدها، وقال: من الممكن أن تقرأ روباه سباه دنبك، يعني كه دمبش سياه است، وترجمتها الثعلب ذو الذيل الأسود. (المترجم)

(٥٧) يقول الأستاذ حبيبي: إن هذه الكلمة بشكلها الحالي غير معروفة، ومن الجائز أن يكون مقصده خارچيني معربها خارصيني، وهو عبارة عن فلز صيني نادر الوجود مثل المرايا الصينية يصنعون منه الأجراس والأواني والأوعية النفيسة.

(٥٨) إسرائيل بن سلجوق بن دقاق، شقيق بيغور ويونس وميكائيل الذى من نسله سلاجقة الروم وإيران.

(٥٩) فراوه : هى مدينة من أعمال نسا تقع بين دهستان وخوارزم.

(٦٠) اسم أحد الراجاوات فى حرب سومنات، وكان ملك الكجرات.

(٦١) سميت هذه المدينة المنصورة فى عهد الأمويين، وتقع فى السند وكانت فى القديم تسمى مهنو.

(٦٢) المراد بساحل جيحون : بحر السند.

(٦٣) المراد بحر السند.

(٦٤) وردت ثمان وأربعمائة، وفيما يبدو أنها خطأ من النساخ، وصحتها ثمانية عشر، لأن الكرديزى يذكر الأحداث متسلسلاً بأعوامها، وقد وصل فى الأحداث إلى عام سبعة عشر وأربعمائة (المترجم).

(٦٥) بلخان : بفتح الأول وسكون الثانى مدينة خلف ابيورد، وبلخان اسم جبل وهو حتى الآن بهذا الاسم، ويقع بين إيران وتركستان.

(٦٦) تكرر هذا الاسم فى تاريخ طبرستان تحت اسم دينار جارى أو دينارزارى ففى حدود كركان، وعلى مسيرة ثلاثة أيام وادى يسمونه وادى دينارزارى وهو ضيق (حدود العالم ص ٣٠).

(٦٧) يذكر الفرخي أنه أبو أحمد وكذلك أكثر كتب التاريخ، ولكن الأستاذ حبيبي يذكر أنه ذكر أبو محمد فى أحد الوثائق الرسمية. يقول الشاعر فرخى سيستانى عنه :

مير أبو أحمد محمود كه ميران جهان بندگانند مراورا همه فرمانبردار

الأمير أبو أحمد محمود الذى جميع ملوك الدنيا عبيد و مطيعون. (المترجم)

(٦٨) أيماق بفتح الألف وسكون الثانى هى قبائل تسكن الغور وأطراف هرات.

(٦٩) عاش الكرديزى فى البيئة الأفغانية فى بلاط الغزنويين وتأثر فى كتابته بالبيئة التي يعيش فيها، ومن عادتهم حتى اليوم إذا قدم المسافر أو الضيف من مكان بعيد أو قريب يبادرون بالاعتذار له عن طول المسافة ومشقة الطريق وما تجشمه من تعب أو نصب فى المجيء إليهم، ويشكرونه على قبول ضيافتهم وإذا قدموا هدية فإنهم يسبقونها بالاعتذار إشارة إلى سمو منزلة المهدى إليه وأنه ليس هناك شيء يطاول منزلته (المترجم).

(٧٠) إما أن تكون مقامة على خرائب مدينة قندهار القديمة أى فى غرب المدينة الحالية، أو كانت بين نهرى أرغنداب وهلمند فى أفغانستان.

(٧١) يقول الأستاذ حبيبى : إنه لا يوجد مكان فى هذه النواحى بهذا الاسم، وكذلك لم يشر إليه فى الكتب، والذى يوجد هو ولغ، وهو قريب من إملاء الاسم المذكور، وهى قلعة فى طخارستان كما ورد فى طبقات ناصرى (جـ٢ ص ١١٠) ولكن هذا لا يطابق الاسم المذكور. ويقول. إنه من المحتمل أن تكون كلمة رخج

هي الاسم التاريخي لهذه المنطقة، وكان مركزها پنجواى وقد ذكر البيهقي كثيراً اسم هذه القلعة بأنها كوهتيز وقال : إنها تقع في بلاد رتبيل على حدود قندهار وپنجواى الحالية، وفي غرب قندهار وعلى بعد عشرة أميال على الشاطئ الغربي لأرغنداب تقع قرية وجبل كوهك، وكانت غالبًا بلاد رتبيل وأعلى ذلك الجبل الصغير توجد خرائب وآثار، ويبدو أن كلمة كوهتيز أخذت من كلمة كوهك، ذلك لأن كوهك حددها الجغرافيون المسلمون بأنها في هذا المكان، وبناءً على هذا فإن التعبير بقلعة الرخج هو تعبير سليم.

(٧٢) سأله عن الطريق: هذه تحية يبادر الأفغان بها الضيف القادم من طريق بعيد، ويقصدون بذلك أن يقولوا له : نتمنى ألا تكون قد رأيت مشقة في الطريق. (المترجم)

(٧٣) آل ميكال من الأسرة العريقة في نيشابور وخراسان.

(٧٤) يذكر البيهقي أن وفاة خواجة أحمد بن الحسن الميمندى كانت في هرات في محرم عام ٤٢٤هـ (المترجم).

(٧٥) يذكر الأستاذ حبيبي أن هذا الاسم لم يذكر في الكتب الجغرافية القديمة، ولكن في هذه النواحي توجد سوسقان (سوسنقان) وتقع على بعد أربعة أميال غرب مرو.

(٧٦) يذكر الأستاذ حبيبي أنه لم يعرف أصل هذه الكلمة والجملة الفارسية هي [وچون جامع ماررنى رسيد] وقد ترجمتها : الفرقة العربية نظراً لأنه تحدث عن طلائع التركمان بعد ذلك، وكان قد ذكر في البداية أن الطلائع كانت عربية، هذا وقد ذكر الأستاذ حبيبي أن كلمة جامع هذه اصطلاح عسكرى معناه الفرقة أو الجماعة (المترجم).

(٧٧) المراد جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق.

(٧٨) يقول الأستاذ حبيبي: إن أحمد نيالتكين كان من أبناء السلطان محمود، وبناءً على هذا كان يرى نفسه أنه شريك ووارث للسلطان. ويقول البيهقي : "وكان نيالتكين رجلاً ذا شهامة وكانوا يسمونه "عطسة" السلطان محمود، وقد بقي وفيًا له، وقيل في أمر والدته وولادته وصلتهما بالسلطان محمود الكثير، منها أن أمه كانت عشيقة للسلطان محمود، وعلم ذلك عند الله عز وجل" ترجمة البيهقي ص ٤٢٥ (المترجم).

(٧٩) يقول البيهقي ص ٤٣٠، ٤٣١ : " كان تلك بن حجام حسن اللقاء، جميل الطلعة، فصيح اللسان، وكان حسن الخط في الكتابتين الهندية والفارسية، وكان رجلاً جلداً حميد الخلق" (المترجم).

(٨٠) وهي حتى الآن بهذا الاسم وهي في شمال غربي دهلي، وتبعد عن هذه المدينة مسافة اثنين وسبعين ميلاً.

(٨١) ورد في تاريخ البيهقي : "أمر السلطان مسعود أن يسلم للحرس هذا المجرم الملعون الذي ارتكب الكثير من الآثام، وأزهق كثيراً من الأرواح بغير حق هو وأنصاره المجرمون الآخرون، فشنق مع سبعين ومائة من رجاله في يوم الأربعاء عام ٤٢٩هـ" (تاريخ البيهقي : الترجمة العربية ص ٦١٤ (المترجم).

(٨٢) طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق أول ملوك السلاجقة من عام ٤٣٢ - ٤٥٥ هـ.

(٨٣) هكذا وردت في كل النسخ.

(٨٤) ميهنة بكسر الميم من قرى خراسان.

(٨٥) هكذا في النص.

(٨٦) دندانقان بفتح الدال وسكون النون وفتح النون الثانية مدينة بين سرخس ومرو تبعد عن مرو عشرة فراسخ.

(٨٧) أتت من كلمة كورتيس اليونانية، ومعناها فرقة من الجيش لها مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقائد وراية، ولها شعارات خاصة.

(٨٨) بضم الأول وسكون الثانى وهو مكان فى القسم الشمالى لكابل في ولاية براون ويكتبونها أيضًا هو بيان.

(٨٩) وهى من أشهر بلاد الغور، وكانت ذات شهرة كثيرة فى دولة الغزنويين والغوريين. طبقات ناصرى جـ٢ ص ٣٣٣ (المترجم).

(٩٠) ناى لامان : من القلاع المعروفة المستحكمة فى عهد الغزنويين، كانت سجنًا للشاعر الكبير مسعود سعد سليمان، وهى الآن باسم قلعة "نى" فى أجرستان شمالى غربى غزنة تفصلها عن قره باغ فى أفغانستان ثمانية عشر ميلاً، وفي قلعة ناى لامان هذه أسر يعقوب بن الليث بن رتبيل.

(٩١) مرنج : من القلاع المحكمة فى دولة الغزنويين وقد أمضى مسعود سعد بها ثلاثة أعوام سجينًا.

ومرقع مرنج حتى الآن غير معروف، ولكن يوجد فى الشرق المتصل بكابل تل مرنجان وفى شمال قندهار توجد قرية مرنجان.

(٩٢) يذكر الأستاذ حبيبى أن هذا الاسم لم يعرف.

(٩٣) كلمة برغند مخففها بره غندى، ومعناها التل العالى أو القلعة، وذكرت فى طبقات ناصرى : برغندى، حيث كان الأمراء المسعوديون محبوسين فيها. طبقات ناصرى الجزء الثانى طبعة حبيبى كابل ص ٣٢٧ (المترجم).

(٩٤) وهى قلعة صغيرة على بعد ٣٥ ميلاً فيما وراء شرقى نهر السند بين تكسيلا وروالپندى، وتعد النقطة النهائية لگندهار أو أرض البشتون، وهى معروفة بهذا الاسم حتى الآن.

(٩٥) ذكر الأستاذ حبيبى أنه يوجد فى الجزء الشمالى لكابل فى ولاية پروان مكان باسم هبيان بضم الأول وسكون الثانى، وتكتب أيضًا باسم هوبيان، والبيهقى يذكر دائمًا هذا المكان مقترنًا باسم ولاية پروان، يقول مثلاً عن السلطان مسعود: "إنه ذهب بسرعة إلى پروان وهبيان".

(٩٦) والمراد بها جلال أباد الحالية فى أفغانستان.

الباب الثامن

في استخراج التواريخ الأربعة أحدها من الآخر

اعلم أن التواريخ المستعملة – التي يستخدمها المنجمون جميعًا وأهل الحساب – ثلاثة : الرومي والعربي والفارسي ، وقد ضممت إلى هذه الثلاثة تاريخ الهنود حتى يستخلص كلاهما من الآخر، وقد اكتشفت طريقة ذلك بعون الله وتوفيقه.

أما التاريخ الرومي فهو أقدم عهداً ، وقد اتخذوه تاريخًا منذ أن جلس ذو القرنين على عرش مقدونيا ، وكان ذلك يوم الإثنين أول تشرين الأول، وبينه وبين التاريخ الهجري عدة أيام ٧٠١، ٣٤٠[1] وبين الرومي والفارسي عدة أيام ٣٢٤، ٣٤٤.

التاريخ الهجري

يوم الخميس غرة محرم هو بداية العام الذي هاجر فيه نبينا محمد المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة، وبين الهجرة وبين التاريخ الفارسي عدة أيام ٣٦٢٣، فإذا وجدت التاريخ الهجري فخذ أعوامه كلها، واضرب في عشرين ألف ومائتين واثنين وستين، ثم اقسم حاصل هذه العملية على ستين، فتكون عدد أيام السنين، ثم أضف عليها كسور هذا العام وكل ما يكون من شهور أو أيام، فجملة الأيام تكون من ابتداء الهجرة حتى ذلك اليوم المقصود.

وإذا أردت أن تعرف التاريخ الرومي من الهجري؛ فأضف تلك الأيام التي بين التاريخ الرومي والتاريخ الهجري حتى ذلك الوقت؛ حتى تتحول أيام هذا التاريخ إلى الرومي، فإذا أردت أن تحولها إلى سنين فاضرب تلك الأيام في ستين حتى تتحول إلى

دقائق، ثم اقسم ذلك الحاصل أو الناتج الذى يخرج على واحد وعشرين ألفًا وتسعمائة وخمسة عشر حتى تحصل على السنين، وما بقى اقسمه على ستين، وحول تلك الأيام إلى شهر ويوم حتى تحصل على اليوم المقصود.

وإذا أردت أن تحصل على التاريخ الفارسى فاضرب أعوامه كلها فى ثلاثمائة وخمسة وستين حتى تتحول إلى أيام، ثم أضف كسور العام المقصود.

وإذا أردت أن تخرج الشهر الهجرى بالتاريخ الرومى فضم الفرق ما بين التاريخين حتى يكون الحاصل أيام التاريخ العربى مع الرومى.

وإذا أردت أن تحول هذه الأيام إلى سنة عربية فاضرب عدد الأيام فى ستين، ثم اقسم على عشرين ألف ومائتين واثنين وستين حتى تحصل على السنين، وما تبقى يكون يومًا من أول العام حتى اليوم المقصود.

وحينما تحصل على التاريخ الرومى وتريد أن تستخرج منه التاريخ الفارسى فضع الأعوام الرومية كاملة، ثم اضرب فى واحد وعشرين ألفًا وتسعمائة وخمسة عشر، واقسمها على ستين حتى تتحول كلها إلى أيام، ثم أنقص منها ذلك المقدار من الأيام الذى يكون بين الرومى والفارسى، ثم اقسم الباقى على ٣٦٥ حتى تخرج منها الأعوام الفارسية، وما تبقى يكون شهرًا ويومًا.

(اعرف تاريخ الهنود)

المستعمل بينهم يسمى شكال، وكال هو الوقت بلغة الهنود. كان شك ملكهم، وقد تغلب على الهند كلها، وآلم الهنود كثيرًا وألحق بهم الأذى، وحينما هلك اتخذوا موته كالعيد واحتفلوا به، ووضعوا من وقت هذا الموت تاريخًا[٢].

ولو أردنا أن نخرج هذا التاريخ من ذلك التاريخ المعروف فإننا نأخذ هذا التاريخ المشهور ونحوله إلى أيام، فإذا كان روميًا فنضيف ٢٧٣، ١١٩، وإذا كان هجريًا فنضيف ٩٧٤ ، ٣٥٩ ، ١، وإذا كان فارسيًا فنضيف ٥٩٧، ٣٦٣ ، ١ وما تحصل عليه

نضعه فى مكانين ونحفظه، ثم نضرب ذلك المجموع فى ٧٣٩ ، ٥٥ ثم نقسمه على ٤٨١ ، ٣٥٦، وما يخرج نضيفه على المحفوظ ونضعه فى مكانين، ونضرب أحدهما فى ٣١١ ، ٥، ثم نقسم هذا الناتج على ٣٣٠، ٣٤٣، ٥، وما يخرج نضربه فى ٣٠ وما جمع ننقصه من مكان آخر، والباقى نقسمه على ٣٠ ونخرج شهراً، وما يتبقى يكون يوماً، ثم نقسم هذه الشهور على ١٢ حتى تصير سنة، وننقص منه ٣١٧٨ ، وما يتبقى يكون عام شككال، وحينما نضيف هذا العدد إلى شككال ١٧٩، ٩٤٧، ٩٧٢، ١ يخرج تاريخ أول سير الكواكب من أول حمل هكذا يقول الهنود. كانت هذه هى كل مقالة التواريخ والأخبار التى ذكرناها. والآن نتحدث فى الأعياد إن شاء الله تعالى.

المقال الثانى : فى جداول الأعياد وأسبابها

يقول مؤلف هذا الكتاب : الأعياد المعهودة لكل أمة خبرية[٣] ورسمية ليست برهانية. فكل حادثة كانت تقع - غما أو سروراً، أو قهراً أو فتحًا - كانت كل أمة تجعلها عادة ورسمًا، وحينما يصلون كل عام إلى ذلك اليوم كانوا يفرحون أو يتعبدون ويصومون. أو كما وجدت فى كتب المتقدمين، فقد رووا عن ثقات كل أمة أنه من الحكمة أن يكون هذا الخبر حقيقة، ويكون أهل كل أمة متفقون على هذه الحكاية والرواية، ومعتقدون فى ذلك الحال، فأتيت بتلك الأعياد مبتدئًا بأعياد المسلمين، وبالله التوفيق.

فى جدول أعياد المسلمين

اعلم أن أعياد المسلمين كثيرة، وهى التى يستعملها أهل كل مذهب، وقد أتيت هنا بكل ما وجدته وبخاصة من كتب أبى الريحان البيرونى - رحمه الله - ووضعته فى الجدول حتى يكون إيجاذ الأعياد بالنسبة للطالب أسهل، وقد وضعتها فى أربعة جداول : الجدول الأول عدد الأعياد، والجدول الثانى اسم كل عيد، والجدول الثالث اليوم السابق من كل شهر عربى، والجدول الرابع أسماء الشهور العربية، وهذا هو الجدول [٤] :

الشهور	اليوم السابق من كل شهر	الأيام الإسلامية المعظمة من الشهور العربية	العدد
محرم	أ	غرة العام وبداية السنة.	أ
	ط	تاسوعاء على وزن عاشوراء.	ب
	ى	عاشوراء التي أخذت من عاشور أول الشهور اليهودية .	ج
	ى	يوم شهادة الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام في كربلاء .	د
	يو	تحول القبلة إلى بيت المقدس في أول الإسلام ثمانية عشر شهراً.	هـ
	يز	مجيء أصحاب فيل الحبشة لهدم مكة .	و
صفر	أ	مقتل زيد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام وشنقه فى الكوفة .	ز
	يو	مجيء الرأس المقطوعة للحسين بن على عليهما السلام إلى دمشق .	ح
	ك	بداية مرض موت الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .	ط
	كد	حمل رأس الحسين إلى مكان شهادتها .	ى
ربيع الأول	كد	خروج النبي ﷺ من مكة واختفائه في غار حراء[٥] مع أبى بكر الصديق رضي الله عنه.	يا
	ح	وفاة النبي ﷺ صبح يوم الإثنين.	يب
	يب	قدوم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً .	يج
	ج	ولادة النبي ﷺ يوم الإثنين عام الفيل .	يد
ربيع الآخر	ح	حرق الكعبة حينما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير .	يه
جمادى الأولى	يه	مولد على بن أبى طالب عليه رضوان الله.	يو
	ج	حرب الجمل في البصرة ضد عائشة وطلحة والزبير .	يز
جمادى الآخرة	ح	وفاة فاطمة البتول بنت رسول عليهما السلام .	يح
	ب	وفاة أبى بكر الصديق عليه رضوان الله .	يط
	د	ولادة فاطمة بنت خديجة بنت خويلد .	ك
رجب	د	حرب صفين بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما .	كا
	كو	بعث النبي ﷺ إلى الخلق كافة.	كب
	كز	ليلة الإسراء والمعراج إلى بيت المقدس .	كج
شعبان	ج	ولادة الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام .	كد
	يه	ليلة البراءة ويدعونها كذلك ليلة الصك .	كه
	يو	تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة العصر .	كو

العدد	الأيام الإسلامية المعظمة من الشهور العربية	اليوم السابق من كل شهر	الشهور
كز	طعن عبد الرحمن بن ملجم لعلى بنى أبي طالب عليه السلام أثناء صلاة الفجر .	يو	رمضان
كح	غزوة بدر والانتصار الأول .	يز	
كط	فتح مكة .	يط	
ل	وفاة على بن أبي طالب من طعنة ابن ملجم .	كا	
لا	وفاة على بن موسى الرضى وعدول المأمون عن ارتداء اللون الأخضر إلى الاتشاح بالسواد .		
لب	ظهور أبي مسلم صاحب دعوة العباسيين في مرو.	كه	
لج	خروج الرقمي في الزنج وظهور الفساد في الأرض .	كو	
لد	يوم الرحمة والفطر وهذا اليوم لا صوم فيه .	أ	شوال
له	مباهلة النبي ﷺ مع نصارى نجران .	د	
لو	غزوة أحد ومقتل حمزة عليه السلام .	يز	
لز	وفاة أبي طالب بن عبد المطلب .	يط	
لح	بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة .	هـ	ذو القعدة
لط	زواج فاطمة الزهراء من على بن أبي طالب عليهما السلام .	أ	ذو الحجة
م	التروية وسقاية الحجاج .	ح	
ما	يوم عرفة والوقوف على عرفات .	ط	
مب	يوم الذبح والضحية في منى .	ى	
مج	يوم القر .	يا	
مد	يوم النفر .	يب	
مه	مقتل عثمان بن عفان رضوان الله عليه بعد شدة الحصار .	يز	
مو	يوم غدير خم للشيعة .	يح	
مز	مقتل عمر بن الخطاب ﷺ .	كه	
مح	وقعة الحرة في المدينة .	كز	

الـهـوامـش

(١) كلا النسختين اللتين رجعا إليهما الأستاذ حبيبي في الجرديزي مكتوبة أعدادهما على هذا الشكل : ٧٠٠، ٣٤٠ وقد أخذ الأستاذ حبيبي الأعداد الصحيحة في هذا المتن من جدول البيروني في كتاب التفهيم (ص ٢٤١)، وقد صححه بدقة بالغة الأستاذ جلال الدين همائي ويضيف : إنه في الغالب أن يكون مأخذ الجرديزي في هذه الأعداد من كتاب (الآثار الباقية).

(٢) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن جميع أعداد المتن أخذها من كتاب (القانون المسعودي للبيروني).

(٣) ذكر الأستاذ حبيبي أن بعد هذه الكلمة كلمة لم تقرأ.

(٤) يذكر الأستاذ حبيبي أن الجدول غير موجود في النسختين اللتين اعتمد عليهما في تحقيق الكتاب، وقد سد هذا النقص ، فنقل الجدول المذكور عن كتاب (القانون المسعودي) للبيروني (جـ ١ ص٢٥٥).

والأصل المخطوط يوجد به بياض ابتداء من جملة (وهذا هو الجدول) حتى (الباب التاسع في أسباب الأعياد).

(٥) الرسول ﷺ كان يتعبد في غار حراء قبل البعثة النبوية الشريفة ، ولكنه حينما تخفى عن المشركين يوم الهجرة مع أبي بكر كانا في غار ثور . (المترجم).

الباب التاسع

فى أسباب الأعياد

لما عرفت الأعياد يجب أن يعرف سببها، وقد أوردت هنا كل ما عرفته وما سمعته وما وجدته مكتوبًا حتى يكون معلومًا.

(أ) غرة محرم وهي اليوم الأول، ويسمونها غرة الحول ورأس السنة وكل الأمم تعظم أول العام، وكان أهل الجاهلية من العرب يعظمون الأيام العشرة الأولى من المحرم تعظيمًا كبيرًا، وكان نبينا ﷺ يجعل أول المحرم حرامًا، وقبل أن تنزل الآيات ويفرض الصوم فى شهر رمضان كان كل الصحابة - رضوان الله عليهم - يصومون العشر الأولى من المحرم كفريضة، وعندما صاموا شهر رمضان عظموا العاشر من عاشوراء. وواجب علينا جميعًا اتباع سنة رسول الله ﷺ وتعظيم هذا اليوم.

(ب) هذا اليوم هو يوم قدوم الأحباش لتخريب الكعبة، وكان أمير الحبشة ويدعى أبرهة قد قصد مكة حتى يهدم ذلك البيت، كما كان مراده ألا يحج العرب إلى الكعبة. وقد أقام أبرهة هذا بيتًا وأنفق عليه أموالاً طائلة، وأراد أن يكون حج الناس إليه، وكان معه جيش كثيف وفيلة كثيرة، وكان عام الفيل هذا فى عام اثنين وثمانين وثمانمائة من ملك الإسكندر، عام أربعين من ملك نوشيروان العادل.

وفي الوقت الذى قدم فيه أصحاب الفيل إلى مكة كان عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ في الشام، ومات حينما وصل إلى المدينة، وكان الرسول ﷺ فى بطن

أمه، وكان مولده - ﷺ - بعد مجيء أصحاب الفيل بخمسين يومًا. ولم يستطع الأحباش تخريب البيت، وأرسل الله سبحانه وتعالى عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، وكان كل سجيل يقتل كل من يجده من الكائنات الحية حتى هزموا جميعًا، ويسمون ذلك اليوم : تاسوعا على وزن عاشورا، وهذا اليوم معظم، وهو لعاشوراء مثل عرفة للعيد.

(ج) ويوم عاشوراء هذا يوم عظيم، وأهل كل ملة يعظمون هذا اليوم ويتعبدون فيه ويهبون الصدقات. فهو عند اليهود أول يوم في العام ويسمونه عشرتا، وجميع أهلهم يصومون في هذا اليوم، ويقال : إنهم في هذا لا يرضعون الطفل في المهد، وعاشوراء هذا أكثر تعظيمًا عن المسلمين من العشرتا عندهم.

(د) في هذا اليوم كان مقتل أمير المؤمنين الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - بكربلاء، وهذا يوم عظيم جليل، وعندما تحل هذه الأيام يقدم كثير من الناس من كل مكان إلى زيارة قبر الحسين ﷺ بكربلاء ويتلون الأدعية. والشيعة يجلون هذا اليوم ويهبون فيه الصدقات ويبكون وينوحون على الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - ويلعنون يزيد.

(هـ) في هذا اليوم تحولت القبلة إلى بيت المقدس، والسبب في ذلك أنه في أول الإسلام نزل الأمر من السماء إلى الرسول ﷺ بالتوجه إلى الكعبة في الصلاة. ثم نزل الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، وتنفيذًا لأمر الله اتجهوا إلى هذا الجانب، وظل الأمر على هذا الحال ثمانية عشر شهرًا حتى نزلت الآية بالأمر بالتوجه إلى الكعبة.

(ح) في هذا اليوم أحضروا رأس الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - إلى دمشق عند يزيد لعنه الله، فقد قتل شمر بن ذي الجوشن الحسين ﷺ ، وقطع عمرو بن سعد رأسه بكربلاء، وفي اليوم التالي كانت زيارة (البررة) الأربعين، ففي الإسلام اجتمع في هذا اليوم في مكان واحد أربعون من البررة وزار كل واحد منهم الآخر.

(ط) كانت بداية مرض الرسول ﷺ فى هذا اليوم بعلة ذات الجنب، ومات من هذا المرض صلى الله عليه وآله، وأول غزوة قام بها رسولنا ﷺ ضد الكفار وهزمهم كانت في هذا اليوم.

(يا) فى هذا اليوم خرج ﷺ من مكة إلى الغار، واختفى في الغار مع أبى بكر الصديق ﷺ ، وظلا فيه ثلاثة أيام بلياليها، ثم خرجا. وإلى المدينة ذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط.

(يد) كان مولد رسولنا – صلى الله عليه وآله وسلم – وأبى بكر فى عام الفيل، وكان هذا فى منزل يدعى منزل ابن يوسف فى مكة.

(ط) فى هذا اليوم كانت وفاة[1] الحسن بن على – رضى الله تعالى عنهما – ويقول بعض الرواة : إنهم أعطوه سما وقد أثر فيه فمات. ويقولون : إن معاوية بن أبى سفيان دفع لزوجة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى خمسمائة ألف درهم حتى أعطت هذا السم للحسن، ومات منه واستولى معاوية على الخلافة قهراً.

(يب) فى هذا اليوم مات رسولنا ﷺ من علة ذات الجنب، وكان ذلك يوم الأحد وقت الظهيرة.

(يب) في هذا اليوم كان زواج خديجة بالرسول ﷺ ، فلما رأت معجزاته ﷺ ، ووجدته أمينًا فى كل شىء عاقلاً عالمًا ذكيا رغبت فى أن يكون ﷺ زوجها فقالت له عليه السلام : تحدث إلى أبي طالب ليطلبني لك من والدى، فلما طلبها أبو طالب لم يوافق خويلد، فأقامت خديجة وليمة، ودعت أبا طالب، وشرب أبو طالب مع خويلد، وحينما سكر خويلد طلب أبو طالب خديجة منه لمحمد المصطفى – ﷺ – فوافق خويلد وتزوجا فى ذلك المجلس، وفى اليوم التالى حينما أفاق خويلد أخبره فندم وأراد أن يفسخ عقد الزواج فمنعته خديجة وقالت : "تسوء سمعتى"[2].

(يو) [٣] : فى هذا اليوم هاجر الرسولﷺ من مكة إلى المدينة، ولما خرج من الغار وصل في هذا اليوم إلى المدينة، ونزل في قباء تحت ظل شجرة، وظل هناك سبعة أيام ثم دخل المدينة، وعرض كل شخص منزله فقال الرسولﷺ : "إن جملى مأمور" وظل الجمل يسير حتى أناخ حيث يوجد اليوم مسجد الرسولﷺ .

وكان هذا المكان ليتيمين، وكان بالقرب منه منزل أبى أيوب الأنصارى فنزل الرسول ﷺ واشترى المكان من اليتيمين وأقام مسجداً.

وفى هذا اليوم كان مولد أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب ؓ وأمه فاطمة بنت المخزومى[٤].

(يح) فى هذا اليوم[٥] قذف الحجاج بن يوسف الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، والسبب في ذلك : أنهم حينما قتلوا الحسين بن على - رضى الله عنهما - واستخف به يزيد بن معاوية كثيراً خرج عبد الله بن الزبير إلى المدينة ودعا لنفسه، وهاجم بنى أمية، وأخرج من المدينة كل من كان فيها منهم، فأرسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرى لحرب عبد الله بن الزبير، فدخل المدينة، وهزم عبد الله، وأمر فأغاروا على المدينة ثلاثة أيام، ثم ذهب إلى مكة ومات فى الطريق ودفنوه فى قديد، فذهب حصين بن نمير إلى مكة، وحاصر الكعبة، وأحرق جدرانها وسقطت، فأعاد عبد الله بن الزبير تعميرها ثانية.

(يط) فى هذا اليوم استقر فرض الصلاة على خمسة أوقات، وقبل ذلك لم تكن مستقرة حيث كانوا يؤدونها أقل من ذلك أو أكثر، فالله سبحانه قد أنزل آية، وأوحى للرسولﷺ وقال : "أقم الصلاة" ولم يقل كم ركعة ؟ ومتى ؟.

وفى هذا اليوم حدد الرسولﷺ هذه الصلاة وعرف أوقاتها وبيّن الفريضة والسنة، وأمر الصحابة أن يفعلوا هكذا، وحينما أتى إليه جبريل عليه السلام ورأى ذلك سر منه، وبقيت على هذا الشكل[٦].

(ك) فى هذا اليوم ولد محمد بن على العلوى، ويسمونه الباقر، وهو إمام الشيعة، ويقولون إنه أحد أئمتهم السبعة.

(يذ): [٧] فى هذا اليوم كانت موقعة الجمل، وقد حارب طلحة وعائشة والزبير رضى الله عنهم ضد أمير المؤمنين علي - رضى الله تعالى عنه - وأخذوا عائشة - رضى الله عنها - معهم إلى المدينة، وكانت - رضى الله عنها - تجلس فى هودج، وقذف الجميع ذلك الهودج بالسهام، ولكن عائشة - رضى الله عنها - لم يصبها أذى من ذلك، وأخيراً هزم القوم الذين كانت معهم عائشة، وأمسكوا جملها، وأمر علي - رضى الله عنه - فأنزلوها منزلاً كريمًا، وذهب علي إليها واعتذر لها، وضاق صدر عائشة - رضى الله عنها - واحتدم النقاش، وأخيراً رجعت عائشة ودخلت المدينة.

؛[٨] فى هذا اليوم كان مولد زيد بن على العلوى الذى قتله بنو أمية ووضعوا رأسه على الرماح، وخرج أبو مسلم صاحب دعوة العباسيين من مرو، وبسبب دمائه أريقت آلاف الدماء، وأُخذ الملك من بنى أمية.

(كه) فى هذا اليوم كانت وفاة محمد بن على الأمير إمام الشيعة[٩].

(ك) فى هذا اليوم كان مولد فاطمة الزهراء بنت النبى ﷺ فى مكة.

(يح)[١٠] : فى هذا اليوم كانت وفاة بنت رسولنا ﷺ فاطمة البتول - رضى الله عنها - واتخذ الصحابة - رضى الله عنهم - هذا اليوم مأتمًا.

(يط) :[١١] كانت وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فى هذا اليوم، واغتم الصحابة - رضى الله عنهم - فى هذا اليوم غمًا شديداً كما اغتم الجميع على وفاته ﷺ .

(كغ) : فى هذا اليوم كان مولد محمد بن على الزكى رضى الله عنهما.

(كا) :[١٢] كانت حرب صفين فى هذا اليوم، وحارب معاوية على بن أبى طالب وقهر على رضي الله عنه معاوية وجيشه، وحينما حاقت بهم الهزيمة قدم عمرو بن العاص إلى معاوية وقال : لم يبق مكان للحرب والشجاعة وإنما يجب اصطناع الحيلة، فعمل معاوية

بإشارة من عمرو، وأمر فرفع الجيش المصاحف على أسنة الرماح وصاحوا : "إننا ندعوكم إلى هذا"، فأمر على فوضعوا السيوف في أغمادها، وتدخل الوسطاء واتفقوا على أن ينصبوا حكمين، فحكّموا عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعرى حتى وصل الأمر إلى ما وصل إليه.

(كب) : [١٣] هذا اليوم هو بدء دعوة رسولنا - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد خرج فى مكة داعيًا إلى رسالة ربه، ومرشداً الخلق إلى الله عز وجل، فكان أول من آمن برسالته وبوحدانية الله عز وجل خديجة بنت خويلد، ثم على بن أبى طالب رضي الله عنه ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(كج) [١٤]: فى هذا اليوم أسرى جبرائيل عليه السلام بنبينا ﷺ من مكة من منزل أم هانئ إلى بيت المقدس، وفى بيت المقدس رأى الرسل - عليهم السلام - ومن هناك عرج به إلى السماء، وأصبح (قاب) قوسين أو أدنى ، وناجى الله سبحانه وتعالى، ورأى السماوات السبع بكل ألوان نعمها، ورأى الجنات كلها، والنار كلها بجميع ألوان عذابها، ورجع فى الليل أيضًا، وقدم إلى مكة، وحينما ذكر ذلك لم يصدقه المشركون وطلبوا منه أمارات، فأعطى الأمارة بأن قافلة مكة التى تأتى من الشام مازالت بالقرب من بيت المقدس، وبها جمل أعور أحماله بيضاء والأخرى سوداء، وحينما قدمت القافلة كان أمرها كما ذكر ﷺ .

(كد) [١٥] : فى هذا اليوم كان مولد الحسين بن على بن أبي طالب - رضى الله عنهما - وقد فرح نبينا ﷺ بولادته كثيراً.

(كه) هذه الليلة هى ليلة البراءة، وقد سطر الله فيها ما كان من القضاء فى اللوح المحفوظ، وفيها أيضًا أنزل ما فى اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ومن سماء الدنيا نزلوا به إلى الأرض بأمره تعالى، ويقولون : إن ليلة القدر كصك النقود لهذه الليلة.

(كو) فى هذا اليوم تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بأمر الله سبحانه وتعالى؛ والسبب فى ذلك أنه حينما جاء أمر الله تعالى إلى الرسول ﷺ بأن يتجه فى

الصلاة إلى بيت المقدس - دخل الحزن قلبه ﷺ ، ولكن لم يكن هناك بد من أمر الله سبحانه وتعالى، فأقاموا الصلاة ثمانية عشر شهرًا متجهين إلى بيت المقدس، ثم بعث الله عزّ وجل بالوحي وأمر فاتجهوا إلى الكعبة، وبذلك أرضى الله رسوله ﷺ وصارت الكعبة بعد ذلك هي القبلة.

(لو) [16] في هذا اليوم كانت وفاة جعفر بن محمد الصادق ﵁.

ء[17] : في هذا اليوم كانت ولادة جعفر بن محمد الصادق ﵁.

(لح) [18] في هذا اليوم دخل عبد الرحمن بن ملجم المرادى إلى المسجد وقت صلاة العصر، وأثناء ركوع على بن أبى طالب كرّم الله وجهه طعنه طعنة نجلاء فمات - رضوان الله عليه - من هذه الطعنة.

(كح) [19] في هذا اليوم كانت غزوة بدر، وهى أول غزوة فى الإسلام، (وكان عدد الجيشين فيها) سبعمائة من الكفار وثلاثمائة من المسلمين، ووهب الله سبحانه وتعالى النصر والظفر للمسلمين، فقتلوا وأسروا كثيرًا من الكفار.

(ل)[20] في هذا اليوم مات على بن أبى طالب من الطعنة التى طُعِن بها.

(كط)[21] في هذا اليوم خرج الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة بجيش كثيف، وحاصرها وحارب أهلها، فقتل وأسر كثيرًا منهم حتي وهبه الله سبحانه وتعالى النصر والظفر وفتح مكة، فخاف أهلها من أن ينتقم الرسول منهم جزاء ما فعلوه معه فى البداية فيبيدهم ويهدم مكة عليهم، ولكن حينما دخل الرسول مكة قال لهم : "سأقول لكم ما قاله أخى يوسف ﵇ لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم" ، فسُرَّ أهل مكة بذلك.

(لا)[22] في هذا اليوم كانت وفاة على بن موسى الرضا، فقد توفى فى طوس، ويقولون : إنهم أتوا بطبق من العنب إلى المأمون فأكل منه، وأرسل الباقى إلى على بن موسى الرضا ((قائلاً) : إن هذا العنب قد سرنى فكل أنت أيضًا منه، فأكل على بن موسى الرضا فمات فى تلك الليلة، ويقولون : إن هذا العنب كان مسمومًا. وكان

المأمون قد جعل الثياب والعلامة خضراء، وحينما مات موسى الرضا ترك اللون الأخضر واتشح بالسواد.

(لب)[٢٣] في هذا اليوم خرج أبو مسلم صاحب دعوة العباسيين من (قرية ماخان)، وجهر بالدعوة، وكان سليمان بن كثير المروزى مرافقًا له. وحارب أبو مسلم نصر بن سيار وهزمه، واستولى على خراسان، ثم استولى على العراق، واجتث جذور دولة بنى أمية ومحاها، وأجلس أبا العباس السفاح على كرسى الخلافة.

(لج)[٢٤] ليلة القدر هى ليلة هذا اليوم، وقد سألوا الرسول ﷺ عن ليلة القدر فقال : ابحثوا عنها في العشرة الوتر الأخيرة، وهى فى غالب الظن ليلة السابع والعشرين، والله أعلم.

(لج)[٢٥] كان البرقعى[٢٦] من البصرة، وقد خرج فى هذا اليوم، وظل فترة يعمل مع المغيرين وقوم من الزنج والأحباش والزط الذين كانوا بالبصرة، وقد أتوا فعالاً جسيمة، وكان بعضهم من العبيد وبعضهم من الأحرار، وقد استمالهم ودعاهم جميعًا إليه، وقد اتفقوا على يوم يخرجون فيه ويستولون على المنازل، وحينما حل اليوم الموعود كان أكثر سلاحهم الخشب وعظام الأسماك، فهدموا منازل أهل البصرة، وأطلق البرقعى أيديهم فاستولوا على أموال الناس وقتلوا المسلمين وأسروا نساءهم واستباحوا حرماتهم، وبذلك أخضعوا البصرة كلها، واجتهدوا كثيرًا حتى دانت لهم فترة، وكانت رعية البرقعى وحشمه كلهم من الزط والزنج والأحباش.

(لد) : هذا اليوم هو عيد الفطر، وهو يوم الرحمة، ولا يجوز فيه الصوم.

(له) : فى هذا اليوم كانت مجادلة الرسول ﷺ مع نصارى نجران، وجرت مناظرة حول عيسى عليه السلام : فقال النصارى : إنه ابن الله تعالى كما يقولون؛ وقال الرسول ﷺ : "ليس لله تعالى امرأة ولا ولد وليست به حاجة إلى شىء مطلقًا، ثم قال الرسول ﷺ للنصارى : إننا سوف نبتهل ابتهالاً تحل به اللعنة، فقال : تعالوا وائتوا بأبنائكم ونسائكم وأقربانكم، وسوف نأتى بنسائنا وأبنائنا، ثم نلعن كل من يكذب أو كل من كذب من هؤلاء القوم فلا يبق منهم إنسان خلال عام ويموتون جميعًا

أو يهلكون، فخافوا وقالوا : سوف نعطي كل عام ثلاثمائة حتى أربعمائة أو خمسمائة درع ولا نقوم بهذه المباهلة، فأذن لهم الرسولﷺ بهذا على أساس ذلك الصلح.

(لو) : في هذا اليوم كانت غزوة أحد، وكان في هذه الغزوة ثلاثة آلاف كافر وسبعمائة مسلم، وانتصر المسلمون أولاً وقتلوا كثيراً، وكان عبد الله بن جبير هو قائد رماة السهام للمسلمين، ولاحظوا الكمائن بدقة. ثم شغل المسلمون بعد ذلك بالغنائم، فبدأ الكفار في الدخول من هذه الثغرة وانتصروا فتجبروا وتكبروا، واستشهد كثير من المسلمين.

(لذ)[٢٧] في هذا اليوم مات أبو طالب بن عبد المطلب، ولما مات استخف كفار مكة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى وجبت الهجرة من مكة إلى المدينة.

(لح) [٢٨] : في هذا اليوم وضع إبراهيم عليه السلام أساس الكعبة، وورد في الأخبار أنهم أتوا بذلك الحجر الذي كان أساساً للبيت من الجنة، ففي الوقت الذي أعادت فيه قريش بناء البيت نزلوا إلى القاع فظهر حجر أخضر تحت أساسها، وكلما ضربوا بالحديد على هذا الحجر الأخضر لم يؤثر فيه، فعرفوا أن هذا الحجر من الجنة، فوضعوا الأساس عليه وأقاموا البناء.

ي[٢٩] : في هذا اليوم كان مقتل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي يدعى : جعفر الطيار.

لط[٣٠] : في هذا اليوم كان زواج فاطمة الزهراء بعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - بأمر الله تعالى وقد أتى به جبريل عليه السلام من السماء . وفي هذا اليوم يكون الحجيج بالمزدلفة، ويذهبون من المنازل متجهين صوب الحج.

م[٣١] : وهو يوم التروية، فيحمل حجاج بيت الله الماء، ويقصدون عرفات، ويقفون بمنى.

ما[٣٢] : وهو يوم عرفة، (وفيه) يقف الحجاج في عرفات ويسعون بين الصفا

والمروة، ويرمون الجمرات ويحجون.

(مب) وهو يوم عيد الأضحى، فيضحى الحجيج بمكة، ولا يجوز الصوم فى هذا اليوم ولا اليوم الذى يليه، وأيام التشريق من أعظم هذه الأيام.

(مج) [٣٣] ويسمون هذا اليوم يوم الفر، يعني يرحلون فيه من أماكن الحج.

مد[٣٤] : ويسمون هذا اليوم يوم أول النفر، وأول قافلة تذهب من مكة تكون في هذا اليوم.

مه[٣٥] : في هذا اليوم قتلوا عثمان بن عفان ﵁، فقد نزل الغوغاء في منزله، وكان يتلو في المصحف، فقتلوه وهو على هذا الحال، فسالت دماؤه على المصحف.

مو : ويسمون هذا اليوم يوم غدير خم.

مز[٣٦] : في هذا اليوم كان مقتل عمر بن الخطاب ﵁ فقد طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ومات من هذه الطعنة، والحكاية هى : كان أبو لؤلؤة هذا أعجميًا، وكان غلامًا للمغيرة وكان يجيد حرفًا ثلاثة : الحدادة، والنجارة، والطحانة، وكان المغيرة يطلب منه كل يوم خمسة دراهم، وجرت بينهما مشادات، فقدموا إلى عمر بن الخطاب ﵁ وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين هذا عبدى يجيد حرفًا ثلاثة وأنا أطلب منه كل يوم خمسة دراهم، فقال أبو لؤلؤة : لا أقدر على هذا، فقال عمر : يجب أن تعطى كل يوم خمسة دراهم عن هذه الحرف الثلاث التى تعرفها، وليس هذا كثيرًا فإنه يجب هذا عن الطحانة فقط. فخرج أبو لؤلؤة من عنده وكان يقول بلسان أعجمى : "لا أكون رجلاً إذا لم أصنع شيئًا يتحدث به الناس حتى يوم القيامة" ثم صنع خنجرًا وروى سنانه بالماء، ودخل المسجد، ووجد الفرصة وقت الصلاة، فطعن عمر ﵁ طعنة أودت بحياته.

مح[٣٧] : في هذا اليوم كانت موقعة الحرة بالمدينة، وسببها أن عبد الله بن حنظلة، وهو الذى كان والده يدعى غسيل الملائكة، قد اتفق مع أهل المدينة على أن يخرجوا على يزيد بن معاوية، فأخرجوا بنى أمية من المدينة، فأرسل يزيد بن معاوية مسلم بن

عقبة المرى لحربهم، فحارب مسلم أهل المدينة حربًا ضروسًا، واستشهد عبد الله مع أكثر أهل المدينة، وبعد ذلك دخل مسلم بن عقبة واستولى على المدينة، ولهذا السبب لحق بالمهاجرين والأنصار أذى لم يلحق المسلمين مثله مطلقًا، وأطلقوا على هذا اليوم اسم يوم الحرة.

وكانت هذه كل أعياد ووقائع المسلمين التي وجدتها.

الهوامش

(١) قيل : إن وفاة الحسن كانت فى ربيع الأول عام ٤٩هـ، وقيل : يوم الخميس السابع من صفر عام ٤٩ أو ٥٠هـ ، وهذه الواقعة ليست موجودة بجدول البيرونى، هكذا ذكر الأستاذ حبيبى. وقد رجعنا إلى البيرونى فى (الآثار الباقية) فلم نجد الجدول الذى أشار إليه حبيبى، ولعله يقصد جدول القانون المسعودى للبيرونى.

(٢) والد السيدة خديجة توفي قبل خطبتها للرسول ﷺ . ارجع إلى تاريخ الطبرى جـ٢، ص ٢٨٢، البداية والنهاية لابن كثير : جـ٢ ص ٤٦٨. (المترجم).

(٣) يذكر الأستاذ حبيبى أن هذه الواقعة وردت فى جدول البيرونى بترقيم (يج).

(٤) ذكر المسعودى أن أم علي هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (مروج الذهب جـ٢ص٣٥٠) (المترجم).

(٥) هذه الواقعة وردت فى البيرونى بترقيم (يه).

(٦) لقد فرضت الصلاة خمسًا ليلة الإسراء والمعراج وكان جبريل مع الرسول ﷺ ليلة إذ ، وعبارة الجرديزى لا تفيد هذا.

(٧) بياض فى الأصل .

(٨) بياض فى الأصل .

(٩) محمد بن على بن أبى طالب منسوب إلى أم خولة بنت جعفر الحنفية وينسب إليها فيقال : ابن الحنفية.

(١٠) فى الأصل (كه) بينما جدول البيرونى يذكرها تحت رقم (يح).

(١١) فى الأصل (كه) بينما جدول البيرونى يذكرها تحت رقم (يط).

(١٢) غير موجود فى الأصل ، ويقول حبيبى إنه استمدها من البيرونى.

(١٣) بياض في الأصل ، ويقول حبيبى إنه استمدها من البيرونى.

(١٤) بياض فى الأصل ، ويقول حبيبى إنه استمدها من البيرونى.

(١٥) بياض فى الأصل ، ويقول حبيبى إنه استمدها من البيرونى.

(١٦) هكذا فى الأصل، وقيل : إن وفاة الإمام جعفر فى شوال أو يوم الأحد منتصف رجب عام ١٤٨هـ.

(١٧) هكذا في الأصل، وقيل : إن ولادة الإمام جعفر كانت يوم الأحد سبعة عشر من ربيع الأول عام ٨٣هـ.

(١٨) هكذا في الأصل، ويقول حبيبي إنها في جدول البيروني (كز).

(١٩) في الأصل (م)، ويقول حبيبي إنها في جدول البيروني (كح).

(٢٠) بياض في الأصل، ويذكر حبيبي أنه استمدها من القانون المسعودي للبيروني.

(٢١) هكذا في البيروني، أما في الأصل فهي (ما).

(٢٢) هكذا في البيروني، أما الأصل فبياض.

(٢٣) هكذا في البيروني، وفي الأصل (كه).

(٢٤) في الأصل (مد).

(٢٥) هكذا في البيروني، أما في الأصل فبياض.

(٢٦) هو علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، أو علي بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد القيس (البيروني : الآثار الباقية ص ٣٢٢) (المترجم).

ويقول الأستاذ حبيبي نقلاً عن ابن خلدون : إن علي بن عبد الرحيم هذا كان من قرية ورزنين في الري وقد ادعى النسب العلوي واشتهر بأنه صاحب الزنج.

(٢٧) هكذا في البيروني، أما في الأصل فهي (لح).

(٢٨) هكذا في البيروني، أما في الأصل فهي (يط).

(٢٩) بياض في الأصل.

(٣٠) هكذا في البيروني، أما في الأصل فهي (ما).

(٣١) هكذا في البيروني، أما في الأصل فهي (كه).

(٣٢) هكذا في البيروني، وفي الأصل (فه).

(٣٣) هكذا في البيروني، ولعله المسعودي، وفي الأصل (قر) ويطلق البيروني في الآثار الباقية على هذا اليوم (يوم القر) وتعليل ذلك بأن الناس يستقرون فيه.

(٣٤) هكذا في البيروني، وفي الأصل (بر).

(٣٥) هكذا في البيروني، وفي الأصل (لح).

(٣٦) هكذا في البيروني وفي الأصل بياض.

(٣٧) هكذا في البيروني، وفي الأصل (سا).



الباب العاشر

فى معرفة أعياد اليهود بالجدول

لليهود أعياد، ولهم أحوال وأمور في كل عيد، وقد جاءت هذه الأمور فى التوراة، ولا يجوز أن يخرجوا عنها، وبعض هذه الأعياد والاحتفالات وضعها أحبارهم، ويسير يهود هذا الزمان اقتداءً بهم. ويوم السبت بالنسبة لهم أهم الأعياد، فهم يجب أن يتفرغوا فيه، وثمان وثلاثون عملاً لا يجوز لهم أن يعملوها يوم السبت، وهي محرمة عليهم، وإذا عملوا منها عملاً واحداً وجب القتل عليهم بحكم آيات التوراة :

الأول : حرث الأرض، والثاني : زراعة الأرض، والثالث : الجرى في الزراعة، الرابع : الحصاد، الخامس : الطحانة، السادس : تشغيل المنجل، السابع : بذر البذور، الثامن : نقل الطعام من مكان إلي مكان، التاسع : الغناء، العاشر : الحلابة، الحادى عشر : قطع الأشجار، والثاني عشر : قطع الأخشاب، والثالث عشر : العجن، والرابع عشر : الخبز، والخامس عشر : تحمير اللحوم، والسادس عشر : إشعال النار ، السابع عشر : وضع الخيط فى الإبرة للحياكة، الثامن عشر : عدم فك الأعنة، التاسع عشر : غسيل الملابس، والعشرون : صباغة الملابس، الحادى والعشرون : الكتابة، الثاني والعشرون : محو الكلام من مكانه، الثالث والعشرون : قتل الحيوانات ، الرابع والعشرون : الصيد ، الخامس والعشرون : الإتيان بالحطب ، السادس والعشرون : الإتيان بالماء، السابع والعشرون : جني الثمار، الثامن والعشرون : سقاية الدواب، التاسع والعشرون : استعمال الطاحونة، الثلاثون : زراعة الأشجار، الحادى والثلاثون : البيع والشراء، الثاني والثلاثون : لبس الملابس الغالية، الثالث والثلاثون :

الخروج عن حدود القرية، الرابع والثلاثون : الدخول إلى قرية أخرى، الخامس والثلاثون : نقل الملابس من مكان إلى مكان، السادس والثلاثون : تبديل المكان، السابع والثلاثون : حفر الأرض، الثامن والثلاثون : اقتلاع شيء من مكانه.

كل هذه الأشياء محرمة عليهم، وكثير من الأشياء محرمة عليهم أيضًا في كل عيد واحتفال؛ وقد أوردت أعيادهم في جدول على نفس النسق الذي أوردت به أعياد المسلمين؛ وهذا هو الجدول الذي رسم هنا حتى يكون معلوماً :

العدد	أعياد اليهود وأيامهم	أيام الشهور	الشهور
أ	عيد أول العام	أ	تشرين
ب	صوم كدايا	ج	
ج	صوم ربا عقيبا	هـ	
د	صوم العذاب	ز	
هـ	صوم الكيبور	ى	
و	أول عيد المظال	يه	
ز	عيد عرابا فى آخر عيد المظال	كا	
ح	عيد الجمع	كب	
ط	عيد التبريك	كج	
ى	صوم صيدقيا	و	مرحون
يا	صوم النياح	ح	كسلير
يب	صوم الحنكة وهو ثمانية أيام	كه	
يج	أول ظهور الظلمة	هـ	طيبث
يد	صوم الظلمة	ح	
يه	صوم أخر	ط	
يو	صوم الحصار	ى	
يز	صوم موت الصديقين	هـ	شفط
يح	صوم الأسباط	كج	
يط	صوم موت موسى عليه السلام	ز	آذار
ك	صوم فتنة الكهان	ط	
كا	صوم البورى	يج	
كب	عيد الفرح بقتل هامان	يد	

العدد	أعياد اليهود وأيامهم	أيام الشهور	الشهور
كد	صوم موت أبناء هارون عليهم السلام	أ	نيسن
كه	صوم موت مريم بنت عمران	ى	
كو	عيد الفطير	يه	
كز	عيد الكبس وآخر أيام الفطير وغرق فرعون	كا	
رج	صوم وفاة يوشع بن نون	كو	
كط	صوم التابوت	ى	اير
ل	عيد الفصح الصغير ووفاة أشمويل النبى	يه	
لا	صوم ووفاة أشمويل النبى عليه السلام	كح	
لب	عيد العنصرة وهو يومان	و	سيرن
لج	صوم العجل ويسمونه أيضًا صوم الباكورة	كج	
لد	صوم مقتل العلماء	كه	
له	صوم مقتل حنينا	كز	
لو	صوم بداية حصار أورشليم وتخريبها	يد	تمز
لز	صوم موت هارون عليه السلام	أ	أوب
لح	صوم تخريب بخت نصر لبيت المقدس	ط	
لط	صوم خروج بخت نصر من بيت المقدس	يه	
م	صوم انطفاء المصباح فى الهيكل	يج	
ما	صوم موت الجواسيس	ز	أيلل

الباب الحادي عشر

في أسباب أعياد اليهود

لما فرغنا من جدول أعياد اليهود فإننا نتحدث الآن عن أسبابها وأيامها : أما عيد أول العام فيسمونه عشرتا، وهذا في اليوم الأول من تشرين.

وجاء في نص آية من التوراة (الأمر) بصوم هذا اليوم. وفي هذا اليوم قبل قربان إبراهيم ﷺ فنزل الكبش فذبحه بدلاً من إسحاق ﷺ، ولهذا السبب ينفخ في هذا اليوم في البوق ثلاث مرات، ويقولون : إن هذا هو الصوت الذي أسمعه إبليس إلى سارة، كما يقولون : إن هذه الضحية كانت في شهر نيسن، ولكنهم أوردوها هنا كما كانت هجرة الرسول ﷺ : في شهر ربيع الأول، وأوردوها في محرم.

(ب) وهذا صوم كدليان بن أحيقام بن شافان الذي أعطى له بخت نصر الملك على بيت المقدس بعد أن سبى بني إسرائيل، فقد جعله ملكًا على هؤلاء المستضعفين في بيت المقدس. ولما رأى القواد والزعماء من اليهود صدق اعتقاده في بخت نصر غضبوا منه، وقصدوا سفح الجبل الذي كان مقيمًا فيه وقتلوه مع قوم من الكلدانيين كانوا معه، ولما قتله هؤلاء القوم خافوا من بخت نصر فرحلوا عن بيت المقدس، ودخلوا مصر وجعلوها وطنًا لهم.

(ج) صوم ربا عقيبا، وهو الذي عذبوه في أيام اليونان ومات في السجن، كما مات فجاءة في هذا اليوم عشرون نفراً من زعماء بني إسرائيل، ولهذا فهم يصومون هذا اليوم.

(د) وصوم العذاب هذا بسبب خطأ داود النبى عليه السلام، فقد أحصى بنى إسرائيل وعدهم، فبعث الله عز وجل له رسالة على لسان حاد الرسول (يقول فيها) : إن فعلك هذا كان خطأً، ولهذا الخطأ عقوبة، فالآن تخير أحد هذه الثلاثة : إما قحط يدوم أعوامًا، أو يهزمك العدو ويخرجك من ملكك فتغيب ثلاثة أشهر عن دارك ومالك وعيالك، أو يتفشى الموت بين قومك فيموت أكثرهم فى ثلاثة أيام. فتخير واحداً من هذه الثلاثة. فاختار داود عليه السلام الموت، وفى منتصف هذا اليوم مات سبعون ألف رجل من بنى إسرائيل.

(هـ) صوم الكيپور، ومعناه الكفارة، وكان فيه توبة بنى إسرائيل من عبادة العجل. ولو أتى هذا اليوم فى يوم السبت يسمونه عاشور؛ والصوم مفروض عليهم فى هذا اليوم بنص التوراة . وهذا الصوم فريضة عليهم، وإذا لم يصمه شخص فإنهم يقهرونه ويعنفونه. ويسمون (هذا) الصوم باللغة العربية تعيينًا، أما الصوم الآخر فيصومونه تطوعًا فى وقت الأحداث الأخرى كما ذكرنا قبل ذلك مثل قتل كدليا وعقوبة الموت فجأة.

ولا يقع لهم صوم إلا فى يومين، لأن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، والصوم بالنسبة لهم يجب أن يكون خمسًا وعشرين ساعة، ولا يتأتى ذلك فى يوم وليلة.

(و) عيد المظال [١]، ومعنى المظال الظل، وسببه ما أمرهم فى السفر الثالث[٢] من التوراة (حيث قال) : حينما تنقلوا طعامكم احتفلوا سبعة أيام، وتعطلوا وتفرغوا من كل الأعمال، وفى اليوم الثامن استريحوا واصنعوا ظلالاً واجلسوا تحتها حتى يعرف مخالفوكم أننى أجلستكم فى ظلال وراحة، ولهذا السبب صنعوا فى وقت العيد العرايش من الفروع والأوراق الخضراء الموجودة بكل شجرة تكون فى هذه البقعة.

(ز) عيد عرابا[٣] هو حجهم، فيرقصون حول المذابح بالموز والموالح وسعف النخيل وأغصان الصفصاف وهو المسمى عرابًا، وبهذا الترتيب يسمون هذا العيد صفصاف الصفصاف.

(ح) عيد الجمع : يسمون هذا العيد بلغتهم : عصارت، وكل الأعياد تمر بهذا العيد، ومعنى ذلك أن هذا آخر الأعياد.

(ط) عيد التبريك : ويسمون هذا العيد باللغة العبرية بركث يعني : بركة ويسمونه أيضاً موت موسى، لأن موسى - عليه الصلاة والسلام - دعا وطلب من الله تعالى حتى يؤخر أجله، واستجاب الله تعالى دعاءه وأمهله، وحينما اقتربت المهلة أدرك أنه لن يؤخر ومات فى هذا اليوم.

(ى) صيدقيا : وهو الذى صار فيه بخت نصر ملكًا على بيت المقدس لأول مرة، وأسر الملك بوتاجين صيدقيا، وحينما عصاه قدم مرة أخرى وحاصر بيت المقدس سبعة أشهر، فهرب صيدقيا، فقبض عليه بخت نصر وذبح كل أولاده أمامه، ثم قيده وحمله إلى بابل وحبسه فى السجن.

(يا) وصوم النياح[٤] هذا سببه إحراق يهويا قيم الملك العظيم ما يسمونه بالقينوث، وكان أن كتب يوروخ كاتب أرميا النبى رسالة هذا القينوث سطر فيها ما لحق ببيت المقدس من جيوش بخت نصر ، فأحرق (يهويا قيم) القينوث لما لحق قلبه من الألم.

(يب) حنكه : وتفسيرها التنظيف والنظام، وسببه أن أنطياخوس ملك أنطاكية قد انتصر على اليهود وارتكب الكثير من المحرمات فى حقهم، وكان بغراس وزيره، وقد فرض على اليهود المغلوبين عشرة قوانين جائرة (هى) :

أولاً : عدم كف يد السوء عنهم.

ثانيا : ذبح باكوريله[٥].

ثالثًا : عدم الاغتسال من الحيض.

رابعًا : الامتناع عن الصلاة.

خامسًا : عدم الختان.

سادسًا : عدم قراءة التوراة.

سابعًا : فعل الذنوب.

ثامنًا : برسردكادينستن[٦] حتى لا يكون لهم نصيب من ثوابها.

تاسعًا : الأنس والاعتقاد في المديح[٧].

عاشرًا : أن يقدموا بناتهم إلى الملك ثم يعطوهم بعد ذلك إلى أزواجهن، ولما وصل إلى جارية كان لها ثمانية إخوة وحل الموعد خرجت هذه الفتاة حاسرة الوجه متزينة، فرآها إخوتها وكل قومها، وحينما رآها أخوها الأصغر أنكرها إنكارًا شديدًا، فاحتال ولبس ملابس النساء وزين نفسه كما تتزين الجميلات من النساء، وقدم إلى بلاط ذلك الملك الذى استن هذه السنن القديمة ومثل بين يديه، وحينما خلا المكان قتله، ونجا بنو إسرائيل جميعًا من الإثم، وفى الليلة الأولى أوقدوا مصباحًا على أبوابهم، وفى الليلة الثانية أوقدوا مصباحين، وظلوا كذلك حتى أوقدوا فى الليلة الثامنة مصابيح بعدد هؤلاء الإخوة، وبقيت تلك العادة حتى الآن.

(يج) ظهور الظلمة : ويذكرون فى سبب صومه : أن تلما ملك مصر أكره بنى إسرائيل فترجموا التوراة من العبرية إلى اليونانية فأظلمت الدنيا ثلاثة أيام، وهذا الخبر معروف أن الذى وضعه فيليد لقوس، وأخذ لقوس من تلك الترجمة نسخة، وفى هذا الوقت كان بنو إسرائيل ينعمون بالحرية فى مصر، وقد أحسن إليهم (ملك مصر) وأعادهم إلى منازلهم، وهذه الترجمة قام بها سبعون من كهنتهم ويسمونها الترجمة السبعينية، وهذه واحدة من تخليط وتحريف التوراة، فقد ذكر الله عز وجل فى القرآن الكريم : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ سورة المائدة : ١٣

(يد) وفى اليوم التالى لذلك كانوا يصومون، وظل هذا الرسم باقيًا لديهم.

(يه) وهذا الصوم يأتى بعد صوم الظلمة، يقول ثقاتهم : إن عظماء بنى إسرائيل ذكروا أنهم لم يوضحوا فى كتبهم المنكرات والصعوبات التى كانت سببًا فى ذلك.

(يو) صوم الحصار: وسببه قدوم بخت نصر للمرة الثانية إلى بيت المقدس، وكتب في سفر الملوك أن بخت نصر ذهب إلى أورشليم - يعنى بيت المقدس - فى العام العاشر من ملكه، ونزل فيها من اليوم العاشر من الشهر العاشر - يعنى تموز - ونصب المنجنيق واستولى على بيت المقدس وخربه.

(يز) وهو صوم موت الصديقين، وكان هذا فى عصر يوشع بن نون، وهؤلاء هم الزهاد وكان بنو إسرائيل يعظمونهم، فهم الذين كانوا يديرون أمورهم وكانوا يقومون بالحسبة بين شعبهم، ثم مات هؤلاء الزهاد دفعة واحدة، فأمر يوشع فصاموا جميعًا، وصارت هذه سنة لديهم.

(يح) صوم قتل الأسباط : وسبب هذا الصوم أن سبط بنيامين بن يعقوب قد فجروا؛ إذ قدم إليهم ضيف مع امرأته، ونزل فى منزل كبيرهم، فتجمع هؤلاء السبط وطلبوا تلك المرأة من صاحب المنزل حتى يفجروا بها، فتشفع كثيرًا وحمل ابنته العذراء (طالبًا) أن يأخذوها بدلاً من المرأة ولكنهم لم يستمعوا إلى كلامه، وردوا شفاعته، واقتحموا منزله، وأخرجوا امرأة الضيف، واجتمعوا عليها طوال الليل حتى تنفس الصبح، وحينما علم شعب إسرائيل بهذا الأمر أمروا بالجهاد، فقتلوا خمسة وعشرين ألف رجل من هذا السبط، وهرب سبعمائة رجل منهم، واختفوا في زوايا الصحارى حتى نجوا من القتل.

(يط) وكانت فتنة الكهان، فإن الفتنة فى أمور الدين وقعت بين قبيلتين من بنى إسرائيل : واحدة كانت تسمى قبيلة أشما والأخرى كانت تسمى مليل[٨]، فتحاربا وقتلت كلاهما من الأخرى العديد من الأفراد، ثم تدخل رؤساء بنى إسرائيل فأصلحوا ذات بينهما.

(ك) فى هذا اليوم مات موسى (ولهذا السبب يصوم بنو إسرائيل فى هذا اليوم، والآن تحول هذا الصوم إلى سنَّة عندهم.

(كا) وهذا عيد البورى وهو القرعة، ويسمونها المغلة، وتفسيرها الكتاب. والسبب في ذلك : أن ملك بابل كان له وزير يدعى هامان، وكان للملك زوجة اسمها موردخا وهى

من بني إسـرائيل، وكـان هـامـان يحـرض دائمًـا ملك بابل على أن يلحق الأذى ببني إسـرائيل، كما كان يرغب أن تكون موردخـا تابعة لأمره، ولكن موردخـا لم تسـتجب له، فكان يزداد كل يوم تحـريضًـا لملك بـابل على قتل بني إسـرائيل وإلحـاق الأذى بهم، حتى إنهم كانوا يرتكبون الجرائم ويلصقونها ببنى إسرائيل ويقتلونهم بها، فقصت موردخـا على الملك حال هـامان معها، فأحضر هامان وسـأله فأنكر، فـأمر فأجروا القرعة فجاءت على هـامـان، وشـهد عـدة ممن كانوا يعرفون على صـحـة ذلك حتـى صـار الأمـر معلومًا للملك، ثم أمر فربطوا هـامـان، وعاقبوه بـالمـاء والنار والبرودة والحرارة، ثم صلبوه وقتلوه، وبقـيت هذه العـادة حـتى اليـوم، فإنهم في هذا اليـوم يصنعـون التـمـاثيل باسم هامـان ويحرقونها، ويسمى هذا اليوم أيضًا "هامان كوب" يعنى "يوم هلاك هامان".

(كب وكج) لم أجد لهذين اليومين شرحًا في الكتب.

(كد) يوم مـوت ابنى هـارون، وكان أحـدهمـا يسـمى مـاراب والآخـر بيـهوا، وكـان كلاهمـا من زعمـاء الكهنة في بني إسـرائيل، وقد احـترقا فى طور سـيناء، والسـبب فى ذلك أنهما قربا نارًا غريبة إلى الله تعالى - كما يتضح فى التوراة في السفر الرابع[٩] - فسلط الله وحده تلك النيران عليهما حتى احترقا بها.

(كه) في هذا اليوم كان موت مريم، ويتضح من السفر الرابع[١٠] في التوراة أنهم حينمـا دخـلوا صـحـراء التيه في الشـهـر الأول مـاتت أخت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكـانت امرأة تقية مسـتجـابة الدعوة، وحينما قدمت إلى التيه وكان المكان جافًا بلا ماء دعت ففجـر الله عـز وجل ببـركتـهـا الينابيع فى التيـه، وحينما مـاتت جفت هذه الينابيـع، وظل بنو إسـرائيل ودوابهـم عطشـى ضـائعـين، فقدمـوا إلى مـوسـى وهـارون يشـكون ممـا لحـق بـهم من الألـم، فتشـفـع موسـى وهـارون إلى الله عز وجل حتى أمر الله تعالى موسى ﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ سورة البقرة آية رقم ٦٠ ، لما ضـرب بعصاه الحـجـر تفجرت المياه.

(كو) هذا اليوم أكل الفطير، ويسـمونه البسـحا وأيضًا الفسـح، ومعنى كلمة الفسح : الطريق الواسع، وفي هـذا اليـوم يحـجـون ويذبحـون الخـراف، وفـيـه أيضًـا أخـرج بنو

إسرائيل من مصر في وقت صلاة المغرب، ولما كانوا مسرعين فقد عجنوا الدقيق وخبزوه دون أن يتخمر، ثم جاءهم الأمر أن يأكلوا الفطير سبعة أيام وأن لا يأكلوا الخبز المخمر وأن يبعدوه عن منازلهم في تلك الأيام، وكانوا يخافون من فرعون، فلما كان اليوم السابع قدم فرعون مع جيشه في إثرهم، وحينما وصلوا إلى نهر النيل أمر الله المياه لبني إسرائيل فانشقت وظهرت اليابسة وسط الماء فعبر بنو إسرائيل، وحينما وصل فرعون مع قومه في عقبهم، ورأى الماء على هذا النحو فانطلق فيه بجواده وحينما وصل وسط النهر غشيه الماء فغرق هو وقومه، وكان ذلك في الواحد والعشرين من نيسان، ويسمون هذا اليوم (اكس) وقد أحل فيه لبني إسرائيل أكل الخبز المخمر، ومعنى كلمة (اكس) [١١] باللغة السريانية : القتل.

(كز) عيد اكس وهو اليوم الذي شرحته.

(كج) في هذا اليوم مات يوشع بن نون ، وكان تلميذاً لموسى في حياته ، وحينما مات موسى كان يوشع خليفة على بني إسرائيل، وخرجوا من التيه، وحينما مات صام بنو إسرائيل في هذا اليوم وصار سنة لهم، وبعضهم يقول : إن هذا اليوم يأتي في الثامن عشر من اير.

(كط) في هذا اليوم صوم التابوت، وكان سبب ذلك أن بني إسرائيل حاربوا أهل فلسطين، وفي ذلك الوقت كان قاضيهم هو عالي كاهن، وكان تابوت بني إسرائيل معهم، وانتصر أهل فلسطين على بني إسرائيل، وقتلوا ابن حفتر وفنخاس وأسروا ثلاثين ألف رجل، واستلبوا التابوت ووضعوه في معابدهم، وحينما وصل هذا الخبر إلي عالي طار لبه وانكسر من الحزن ظهره، وسقط من فوق الكرسي، ومات في الحال.

(ل) الفصح الصغير : ومن عاداتهم أنه إذا قصر شخص في الشروط التي تكون في الفصح في شهر نيسان وفاته ذلك العيد ، فإنه يقضيه في هذا اليوم. وقد جاء الأمر بهذا في التوراة.

(لا) في هذا اليوم مات أشمويل النبي، وقد رباه عالي كاهن، وأشمويل هذا هو الذي قال له بنو إسرائيل : ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[١٢] فأرشد إلى شاول يعني طالوت، ودعاه إليه، ودهنه بزيت القدس، وجعله ملكًا على بني إسرائيل، وأمر الجميع فأطاعوه.

(لب) وهذا هو صوم العنصرة، وباللغة العبرية : عسرتا، وهذا الاسم مشتق من الاجتماع، وقال الله تعالى في السفر الثاني[١٣] : " توجهوا إلى بيت الله في وقت الحصاد وفي باكورة كل ما تحصدونه وتحملونه[١٤] وكذلك في اليوم التالي. وفي هذا اليوم نزلت عشر آيات، ومن الفسح إلى هذا اليوم سبعة أسابيع بنص آيات التوراة، إذن فوجب بالقياس أن يكون يوم الباكورة هو الثاني لهذا العيد.

(لج) صوم العجل، وعبادة العجل هذه وقعت مرة على أيام موسى عليه السلام حينما ذهب للمناجاة في طور سيناء، والمرة الأخرى وقعت حتى جاهدهم بنو إسرائيل وردوهم.

وهذا الصوم فرضه على الأسباط العشرة يوربعم ملك بني إسرائيل بعد ولاية سليمان (وقد منعهم من حمل الباكورة إلى بيت المقدس[١٥].

(لد) أما علماؤهم المقتولون فهم: شمعون وأشمويل وحنينا، وأحرق حنين الآخر[١٦]، ملفوفًا بالتوراة يوم فتح حصار أورشليم، ويصادف كسر ألواح شهادة موسى (فقد رماها لهم بقضيب)، وأيضًا يتصادف في هذا اليوم أن تسطوموس ملك اليونان أحرق التوراة، وأيضًا في هذا اليوم نصبوا الصنم في الهيكل في عهد منشا.

(له): في هذا اليوم قتل حنين الذي يقولون عنه أنه نبي.

(لو) : في هذا اليوم ضربوا بيت المقدس، ويقول سفر الملوك: إن هذا كان في التاسع من الشهر الخامس يعني شهر نيسان، وأيضًا في هذا اليوم ضرب القيصر طيطوس بيت المقدس وأمر فحرثوا أرضه جميعها وزرعوها، وفي هذا اليوم حرم الله تعالى الأرض الموعودة على بني إسرائيل وظلوا في التيه.

(لز) في هذا اليوم مات هارون عليه السلام، وكان موته مصيبة صعبة على بني إسرائيل.

(لج) انطفاء المصباح في الهيكل، وهذا المصباح وضع في الناحية الغربية منه، وقد اطفأ أحاد الملك ذلك المصباح.

(لط) في هذا اليوم خرج بخت نصر من بيت المقدس وذهب إلى بابل، وكف يده عن قتل وسبي بني إسرائيل.

(م) كان هذا اليوم موت جواسيسهم، وكانوا اثني عشر نفراً، مات عشرة فجأة أظهروا الخوف كذباً لبني إسرائيل، أما الاثنان اللذان لم يظهرا خوفًا فقد ظلا حيين حتى خرجا من التيه إلى الأرض الموروثة، وهذان الشخصان أحدهما يوشع والآخر كالب وقد خرج مع ابنه سالمًا من أرض التيه.

كانت هذه كل أعياد اليهود التي ذكرتها، وقد أنهيتها بتوفيق الله تبارك وتعالى.

الهوامش

(١) يقول البيرونى فى الآثار الباقية ص ٢٧٧ : عيد المظال وأيامه سبعة متوالية فيها يستظلون بأغصان الخلاف والقصب وغيرها فى صحون دورهم، وذلك فريضة على المقيم دون المسافر، ويبطل فيها الأعمال لأن الله تعالى يقول في السفر الثالث من التوراة : وفي خمسة عشر من الشهر السابع عيد المظال فلا تعملوا سبعة أيام، وحجوا قدام الله حجًا، وأجلسوا فى المظال بيت آل إسرائيل كلهم سبعة أيام، ليعلم أعقابكم أني أجلست بني إسرائيل في المظال إذ أخرجتهم من مصر ويستعمله جماعة اليهود. وذكر أبو عيسي الوراق فى كتاب المقالات أن السامرة لا تُعيِّده (المترجم).

(٢) الخروج : ٢٣ : ٣٣ : ٤٤، النص الموجود هو المعنى العام للنص لا النص نفسه (المترجم).

(٣) يقول البيرونى ص ٢٧٧ : إن آخر يوم من عيد المظال وهو اليوم السابع منه والحادى والعشرون من الشهر يسمى عرافًا (المترجم).

(٤) يقول البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٢٧٨) :

"صوم سيه إحراق يهويا قيم القراطيس المسماة قينوث، وتفسيره النياح، وكان فيها وعد الله، جاء بها أرميا النبى فى حال وصف بنى إسرائيل فى مستقبل الزمان وما يصيبهم من المكاره، وأنفذها على يدى يوروخ ابن فريون فرمى بها يهويا قيم إلى النار فضوعفت عليهم النياحة.

ويقول البيرونى في القانون المسعودى : (أما صوم النياح فسببه إحراق يهويا قيم الملك المؤرخ المسمى قينوث. وقد كتب يوروخ كاتب أرميا النبي الوعيد بالحادث فى بيت المقدس).

(٥) ذكر الأستاذ حبيبى أنها وردت هكذا فى النسختين (باكورمله) وأن تصحيحها إلى باكوريله كان اجتهاديا.

(٦) العبارة باللغة الفارسية " برسرد كادنيستن" وقد كتب الأستاذ حبيبى فى الحاشية أن هذه العبارة لم تفهم وأنها وردت هكذا فى النسختين التى نقل عنهما ولم نتوصل إلى ترجمة معقولة لها (المترجم) .

(٧) العبارة بالفارسية أنس اندرمديح باورد، وذكر الأستاذ حبيبى أن تصحيحها لم يتيسر، وقد اجتهدنا فى محاولة ترجمتها (المترجم).

(٨) بيت هلال : الآثار الباقية ص ٢٨٠ (المترجم).

(٩) العدد (٣ : ٤) فى نص التوراة العربية : ناداب - أبيهو (المترجم) .

(١٠) العدد (٢٠ : ١ - ١٣) (المترجم) .

(١١) في جدول البيروني : كيس اللس – الكس.

وفي الآثار الباقية ص ٢٨١: المكس – المكمس (المترجم).

(١٢) سورة البقرة : ٢٤٦ .

(١٣) الخروج (١٤٢٣ – ١٧).

(١٤) يقول البيروني في الآثار الباقية ص ٢٨١ : وقال تعالى فى السفر الثانى من التوراة : "وحجوا إلى ثلاث مرات فى كل سنة : الأولى فى حين الفطر، والثانى حين نزلت التوراة وهو حج العنصرة، والثالث فى آخر السنة حين تدخلون ثماركم من المزارع ويكون على حجكم وتذكركم الله فى بيوت مقدسة، وفي هذا اليوم يؤتى بالباكورة من الغلات فيقرأون عليها، ويدعون لها بالبركة" أما نص التوراة فهو كالآتى كما فى الترجمة العربية : جاء في سفر الخروج (٢٣ – ١٤ ، ١٧) : "ثلاث مرات تعبدنى فى السنة تحفظ عيد الفطير تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر ولا يظهروا أمامي فارغين، وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع في الحقل، وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. (المترجم)

(١٥) هكذا نص الجرديزى ولكن ورد فى الآثار للبيرونى النص الآتى : "واليوم الثالث والعشرون صوم ذكروا أنه اليوم الذى فرض فيه على الأسباط العشرة يوربعام بن بنط عبادة عجلين معمولين من ذهب فعبدوهما، وملكهم وأولاده زهاء ٢٤٠ سنة ، حتى غزاهم سليمان الأعشر ملك الموصل وسباهم ، فحينئذ اتحدوا مع سائر الأصوات وذلك في أيام حزقيا ، وهذا المذكور كان من عبيد سليمان بن داود هرب منه وملكه بنو إسرائيل عليهم ، فمنعهم عن حج بيت المقدس بعبادة هذين العجلين ، علماً منه أنهم إذا دخلوا بيت المقدس بدا لهم فيما صنعوا من تمليكه وعرفوا حقيقة حاله فخلعوه وقتلوه" ص ٢٨٢ (المترجم) .

(١٦) ربا حنينا بنترديون. الآثار الباقية ص ٢٨٢ .



الباب الثانى عشر

فى أعياد النصارى بالجداول

اعلم أن النصارى مقسمون إلى ثلاثة أقسام، وكما هو مشهور : أحدها الملكانية، والأخرى اليعاقبة، والثالثة النساطرة، وهذه الطوائف الثلاث لها فى العام أيام معلومة للصوم والأعياد والذكارين، والأوقات التى تأتى بالشهور السريانية أكثرها للملكانية وهم يبالغون فى هذا كثيراً، وبعضها للنساطرة، وبعضها لليعاقبة، وقد وضعت أسماء المذاهب فى جدول، ورقمت كل مذهب بحرف : فعلامة العياقبة (ع) ، وعلامة الملكائيين (م) ، وعلامة النساطرة (ط) حتى يكون معروفاً.

وقد جمعت فى هذا الجدول كل ما استطعت أن أجمعه، ووضعته فى خمسة جداول : الجدول الأول عدد الأيام والأعياد والذكارين بالحروف، وما وجدت شرحه كتبت رقم الجُمل بالأسود ، أما ما تعذر شرحه ولم أجده فقد كتبت رقم شرحه بالأحمر، والجدول الثانى أسماء الأعياد وأوقاتها بالنسبة للمسيحيين، والجدول الثالث الأيام الماضية من الشهور السريانية بوقت كل عيد واحتفال وذكران، والجدول الخامس أرقام مذاهبهم بحروف الجمل، وهذا هو الجدول الذى وضعته حتى يكون معلوماً :

العدد	أعياد النصارى وصومهم وذكارينهم	الأيام	الشهور	المذاهب
أ	ذُكران أصحاب الكهف وكانوا سبعة في مدينة أفسيس	ك	تشرين الأول	م
ب	ذكران إبراهيم خليل الرحمن.	ط		م
ج	ذُكران فلغياء الشهيد وأندرلوس السليح	ح		ع
د	ذُكران غريغريوس نوسى	يب		م
هـ	ذُكران شموني وأولاده	يه		ع
و	ذكران فوفاء الشهيد	يه		م
ز	ذُكران بوليانوس صاحب الأعاجيب	يذ		م
ح	ذُكران لوقا صاحب الإنجيل الثالث .	يح		م
ط	ذُكران الثلاثمائة والثمانية عشر شخصاً	ك		ع
ى	ذُكران مارت مريم	كا		م
يا	ذُكران دفن رأس يحيى بن زكريا في القبر	كو		م
يب	ذُكران ثاو نوسيوس الملك .	ى	تشرين الآخر	م
يج	ذُكران فليفس تلميذ المسيح عليه السلام	يب		م
يد	ذُكران وفاة فم الذهب[1] .	يج		م
يو	ابتداء صوم الميلاد ، وكان قبل ذلك أربعين يوماً .	يو		م
يز	ذُكران يعقوب (ذكران يوحنا البتول)	ك		ع
يح	ذُكران شهداء الفرس وملكرديق.	كه		ع
يط	ذُكران أندرلوس السليح وأندر لوس الشهيد .	ل		م

العدد	أعياد النصارى وصومهم وذكارينهم	الأيام	الشهور	المذاهب
ك	ذُكْران مارتوما السليح	أ	كانون الأول	م
كا	نُكْران يعقوب ترب المسيح عليه السلام	ب		م
كب	ذُكْران سابا السليح	هـ		م
كج	نُكْران يوحنا بطرق أورشليم	ز		م
كد	ذُكْران دانيال الرسول عليه السلام	كا		م
كه	نُكْران يوسف الذى دفن جسد المسيح عليه السلام	كب		م
كو	ليلة ميلاد المسيح عليه السلام	كه		ش[٢]
كز	ذُكْران داود الرسول ويعقوب بطرق أورشليم	كو		م
كح	ذُكْران الأطفال الذى قتلوا فى طلب المسيح من طرف هيرودوس	كح		م
كط	(عيد القلنداس)	أ	كانون الآخر	م
ل	صوم الدنج	هـ		م
لا	عيد الدنح وغسل يحيى المسيح فى نهر الأردن	و		ش
لب	ذُكْران ثانوسيوس السليح الكبير	يا		م
لج	تمام عيد الدنح وذُكْران الآباء الذين قتلوا فى طور سيناء	يج		م
لد	ذُكْران بولس السليح	يه		ع
له	ذُكْران أسطاسيوس الفارس الشهيد	كب		م
لو	ذُكْران يهود السليح ترب شمعون	كد		م
لز	ذُكْران يوحنا فم الذهب بطريق القسطنطينية	كز		م
لح	عيد الشمع وأول إدخال المسيح إلى الهيكل	ب	شباط	ط
لط	ذُكْران بوليانس البعلبكى الشهيد فى دمشق	ج		م
م	نُكْران يوحنا أسقف القسطنطينية	هـ		ع
ما	ذُكْران بطرس مطران دمشق الذى قطعوا لسانه	ط		م
مب	ذُكْران وجود رأس يحيى المعمدان	كد		م

العدد	أعياد النصارى وصومهم وذكارينهم	الأيام	الشهور	المذاهب
مج	ذُكْران الشهداء الأربعين	ط	آذار	م
مد	ذُكْران القديسين الذين أُحرقوا بأيدى اللصوص	كا		م
مه	عيد السبار يعنى البشرى إلى مريم بحمل المسيح عليه السلام	له		م
مو	عيد هيكل اسطفانوس عليه السلام	ح	نيسان	م
مز	ذُكْران مرقوس صاحب الإنجيل الثانى	كه		م
مح	ذُكْران إيرميا الرسول عليه السلام	أ	أيـــار	م
مط	ذُكْران أيوب الصديق	و		م
ن	ذُكْران يوحنا صاحب الإنجيل الرابع	و		ع
نا	عيد ظهور الصلب فى سماء بيت المقدس	ز		م
نب	ذُكْران يوحنا صاحب الإنجيل الرابع	ح		م
نج	ذُكْران أيشعيا الرسول عليه السلام	ط		ع
ند	عيد الورد (مستحدث)	يو		م
نه	ذُكْران زكريا الرسول عليه السلام	يو		م
نو	ذُكْران سبى بيت المقدس	ك		م
نز	ذُكْران قسطنطين المظفر	كب		م
نح	ذُكْران شمعون صاحب العجائب	كج		م
نط	عيد الورد وفريك السنبل	كه		م
س	ذُكْران يوسطينيانوس الفيلسوف	أ	حزيران	م
سا	ذُكْران حزقيل الرسول عليه السلام	أ		ع
سب	ذُكْران الثلاثة آلاف شهيد في بيت المقدس	و		م
سج	ذُكْران مكتبة الإنجيل	يب		م
سد	ذُكْران غريغوريوس رب المعجزات	يه		م
سه	ذُكْران رؤساء الملائكة جبريل وميكائيل	كب		م
سو	ذُكْران مولد يحيى بن زكريا المعمدان	كه		م
سز	ذُكْران تلاميذ المسيح (السبعين)	ل		م

العدد	أعياد النصارى وصومهم وذكارينهم	الأيام	الشهور	المذاهب
سع	ذُكْران اثنى عشر من الحواريين	أ		م
سط	ذُكْران مرتوما	ج		م
ع	ذُكْران الخمسة وأربعين شهيداً	ى		ط
عا	ظهورالمسيح فى بولس	يب	تموز	م
عب	ذُكْران مرجورجس الشهيد	يو		م
عج	قربان العنب	ك		م
عد	ذُكْران شمعون أول من صنع الصومعة	كز		م
عه	عيد كنيسة مريم	ل		م
عو	أول صوم وفاة مريم (خمسة عشر يومًا)	أ		م
عز	ذُكْران الشهداء السبعة مع والدتهم	أ		م
عح	ذُكْران إيليشع الرسول عليه السلام	ج		م
عط	ذُكْران إلياس الرسول الحى	د		م
ف	ذُكْران موسى الرسول عليه السلام	هـ	آب	م
فا	عيد طور تابور أول التجلى	و		ش
فب	عيد وفاة مريم البتول (فى جبل صهيون)	يه		ش
فج	ذُكْران لرسول إيشعيا وحزقيل وزكريا	يو		م
فد	(آخر عيد التجلى)	يز		ش
فه	ذُكْران ثاو ذو سيوس السليح	ك		م

العدد	أعياد النصارى وصومهم وذكارينهم	الأيام	الشهور	المذاهب
فو	ذكرى الشهداء المصريين	ك		ع
فز	ذُكْران إيليشع أم يحيى بن زكريا المعمدان	كز	أب	م
فح	ذُكْران مقتل يحيى المعمدان	كط		م
فط	عيد إكليل السنة ونهايته	أ		م
ص	ذُكْران يوشع بن نون	ج	أيلول	م
صا	ذُكْران بوليوس البطرك	د		ع
صب	ذُكْران مولد مريم البتول	ح		م
صج	عيد كنيسة القيامة فى بيت المقدس	يج		م
صد	عيد وجود الصليب لهيلانى أم قسطنطين	يج		ط
صه	عيد اكتشاف الصليب الهيلانى للناس	يد		م
صو	عيد ينقلا الشهيد	ك		ع
صز	عيد كنيسة مارخوس فى القيسارية	كب	أيلول	م
صح	ذُكْران مريوانيس قمر الذهب	كب		م
صط	ذُكْران نقل بدن يوحنا الإنجيلى	كز		م

والآن نذكر شرح وأسباب أعياد النصارى وكيفية كل عيد :

(أ) وجدت فى الكتب القديمة أن أصحاب الكهف هؤلاء كانوا فى زمن قلطيانوس الملك، وقد دعاهم إلى دينه فلم يستجيبوا، وهربوا من عنده ودخلوا فى غار، وكانوا سبعة ومعهم كلبهم، واختفوا فى ذلك الغار فأرسل الله تعالى عليهم النوم، ولبثوا نائمين ثلاثمائة عام وتسعة .

وفى هذا اليوم أول تشرين الأول استيقظوا من النوم، وخرج واحد منهم، وحينما رآه الناس ذهبوا معه ليروا الآخرين أيضًا، فأضل الله تعالى هذا الشخص ومن معه عن طريق الغار حتى لا يدرك أصحاب الكهف أحد، ثم ناموا مرة أخرى فى ذلك الغار، وسيظلون نائمين حتى آخر الزمان.

(ب) ذُكْرَانْ إبراهيم الخليل عليه السلام، والنصارى يعظمون هذا اليوم ويهبون فيه الصدقات، ويقولون : إن إبراهيم عليه السلام قد نجا من النار فى هذا اليوم.

(ج) يقولون : إن هذا اليوم هو ذكران لوقا، ويسمونه البشارة، وهذا اللفظ هو المعرب لكلمة إنكليون، وفيه أخبار المسيح من الأول حتى الآخر، وقد كتبه أربعة أشخاص بلغات مختلفة :

الأول : كتبه متى فى فلسطين باللغة العبرية.

والثانى : كتبه مرقوس فى بلاد الروم باللغة الرومية.

والثالث : كتبه يوحنا فى أفسيس باليونان باللغة اليونانية.

والرابع : كتبه لوقا فى الإسكندرية باللغة اليونانية .

ثم سمى هؤلاء الأربعة ما كتبوه إنكليون، وقد سموا ذكران لوقا لأنه كان عظيمًا كثير الزهد. ولما تمت ترجمة الإنكليون أطلقوا على هذا اليوم ذكران.

(ط) وهؤلاء كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر، وكلهم كانوا أساقفة وزهادًا ومسيحيين، وماتوا كلهم فى يوم واحد.

(ى) وفيه تختفى رياح الصبا، وفى هذا الوقت يمتنعون عن الفصد والحجامة، ويقولون : إذا فصد دم تكون مضرته أكثر من نفعه.

(يا) فى هذا الوقت يمنع الأطباء أكل المواد الحريفة، والمجامعة فى هذا الوقت مكروهة أشد كراهية.

(يب) تتحرك ذكور الحيوانات، ويأمن أهل السفن من الرياح المخالفة.

(كو) ليلة ميلاد عيسى صلوات الله عليه، والخلاف فى هذه الليلة لو أذكره يطول الكتاب، وهم يختلفون فى اليوم أيضًا، ويقولون : إن الولادة كانت فى السادس من كانون الآخر.

(د) ؟ : [٣] يمنع الأطباء فى هذا اليوم من شرب الماء البارد خاصة فى الليل بعد النوم، فإن الخطر من الماء أن يتحول إلى الصفرا فى بدن الإنسان، ويأمرون بأكل لحوم الطيور ناضجة؛ وبشرب الماء الدافئ قبل الطعام، وبعد ذلك تكون المجامعة محمودة فى هذا الوقت.

(يح) يكون عيد الزيتون، ويقولون : إنه يأتى إلى كنيسة مريم كل ما بولاية الروم من طائر السار وقد أمسك كل واحد فى فمه بغصن زيتون، ويرميه هناك، ويحمله الناس ويأخذون منه الزيت ويضيئون به مصباح الكنيسة، ويقول البعض : إن ذلك هو طلسم بليناس[٤].

(ب) ؟ : [٥] السابع من تشرين الأول وقت المطر، وفى هذا اليوم تكون الأمطار ويقل الانزلاق.

(كه) ذكران يوسف، ويوسف هذا هو الذى وضع جسد المسيح فى القبر حسب ادعائهم فى هذا اليوم، وهم يعظمون هذا اليوم لذلك السبب.

(لا) عيد الدنج فى هذا اليوم. وقد نزل يحيى فى نهر الأردن فى هذا اليوم.

(لح) ويكون فيه تمام العيد، وقد قتل الآباء فى جبل الطور بسيناء.

(لب) فى هذا الوقت يزرعون أشجار العنب في مصر، ويعمرون البساتين.

(لخ) في هذا اليوم السابع من شباط حلول الجمرة الأولى، ويميل الهواء من البرودة إلى الحرارة.

(لط) الرابع عشر من شباط تحل الجمرة الثانية، ويتحسن الهواء.

(م) فى هذا يظهر طائر غليواز[٦] وبغ[٧]، ويصير باطن الأرض دافئًا وتصير الدنيا أكثر بهجة.

(ما) فى هذا اليوم الخامس عشر من شباط يرتفع الماء من جنوع الأشجار إلى فروعها، وتبدو الأشجار نضرة خضراء.

(مب) نزول الجمرة الثالثة فى الواحد والعشرين من شباط، ويصير الهواء جميلاً رائقًا وتقل البرودة.

(مح) وهو يوم السادس والعشرين من شباط أول أيام العجوز، وفى هذا اليوم يصير الهواء فى غاية البرودة، وتكون البرودة شديدة وصعبة، ثم بعد ذلك يتجه (الطقس) نحو الحرارة.

(مد) : فى هذا اليوم الثامن من آذار تظهر العصافير فى ديار غزنين، ويصير الهواء جميلاً.

(مه) وهو السابع من آذار، وفي هذا الوقت يأمر الأطباء بأكل لحوم الأسماك والحلوى، ويأمرون بتجنب أكل الحريف من الطعام.

(مز) وهو يوم الرابع والعشرين من نيسان، بداية مد الفرات، ويمتد كل يوم حتى يصل إلى الجذر.

(نا) عيد ظهور الصليب، والسبب فى ذلك : أنه ظهر فى السماء شهاب مثل الصليب فقالوا لقسطنطين الملك : سوف تظفر إذا صنعت رايتك على هذا الشكل، فصنعها وظفر، والسبب فى مسيحية قسطنطين هو هذا الأمر، وبقى هذا الرسم بين الأقباط فهم يحملون صلبانًا وسط الجيوش أمام كل ملك أو بطريق.

(ند) أما عيد الورد (فسببه) أن أم يحيى بن زكريا - عليها السلام - قدمت إلى مريم وأحضرت إليها هدية ورد، فأخذته، وشكرت الله عز وجل، وأظهرت الفرح والسرور.

(نح) فى هذا اليوم تتحسن وتلطف رياح البحر، ولا تهب الرياح العكسية، ويسوق الملاحون السفن ولا يكون هناك خطر عليها.

(سا) فى هذا اليوم تأخذ رياح السموم فى الذهاب إلى الأماكن المعتادة، ويزداد ماء النيل، وينتشر الطاعون.

(سد) يقول ثيانوق المصرى فى كناشه فى : هذا اليوم فى ديار مصر (بار الكع) [٨].

(سو) هذا الوقت يبتدئ فيه مد نهر النيل، وهو عيد لهم، وتأخذ مياهه فى الامتداد وتقوى.

(سط) وفيه كان مولد يحيى بن زكريا - عليهما السلام - وفى هذا الوقت تشتد الحرارة ويكون أمر الغيب للنصارى فى هذا اليوم.

(عد) فى هذا اليوم تسقط جمرة الصيف، وتصل الحرارة إلى نهايتها، ويبلغ الصيف أقصى مداه فى هذا اليوم.

(عز) وهو يوم التاسع عشر من تموز، وأول باحور[٩]، وأيام باحور ستة أيام، وأهل التجارب يستدلون على الشتاء المقبل بهذه الأيام الستة، وكل يوم يكون ممطراً من هذه الأيام والجو ملبد ، يكون هذا الشهر من الشتاء غزير الأمطار، أما إذا مضى باحور جافًا فإن الشتاء يكون جافًا أيضًا والله أعلم. وأيضًا يسمون هذا اليوم موالد السنة، وكل برج يكون القمر فيه فى هذا اليوم يكون ذلك البرج دليل السنة، فإذا كان القمر فى برج الحمل يكون القمح أقل، وإذا كان القمر فى برج الثور تكون الأمطار غزيرة وتنتشر علة الصداع، وفى الصيف تكون رياح السموم شديدة، وفى الشتاء يكون البرد شديداً زمهريراً وتلحق الآفات بالفواكه. وإذا كان القمر فى برج السرطان فإن العام يكون جافًا ويظلم الملك الناس، وإذا كان القمر فى برج الأسد تكثر الغلال من القمح والشعير والأرزن[١٠] وتكون رخيصة، ويكذب الناس كثيراً فى المعاملات،

ويرحل الناس من ظلم السلاطين. وإذا كان القمر في برج السنبلة تكثر الأمطار، وتتحسن الزراعة، وتكون فاكهة الأشجار جيدة أيضاً، ولكن تلحق الآفات بالحيوانات. وإذا كان القمر في برج العقرب ترخص الأسعار وترتاح الدنيا من الاضطرابات ولكن تكثر الأمراض. وإذا كان القمر في برج القوس تكون الراحة وتصير المعيشة رغدة، ولكن تكون الخصومة دائمة بين غوغاء الناس وعامتهم. وإذا كان القمر في برج الجدى يكون المطر غزيراً وتكون الغلال كثيرة ويرسل الملوك كثيراً من الجيوش في كل مكان وتكون الأسعار رخيصة. وإذا كان القمر في برج الدلو تلحق بالجند المصائب وينتشر بين الناس مرض اليرقان في هذا العام. وإذا كان القمر في برج الحوت تسقط الكثير من الأمطار ويكون العام خيراً وترخص الأسعار، والله أعلم. وفي هذا اليوم يطلع الكلب الجبار[11].

(فا) يسمون هذا اليوم عيد "طورتابور"، وكما يدعون : هذا هو اليوم الذى خرج فيه المسيح وقد خلا من تلاميذه، وذهب على جبل بين السحاب، وعاش مع موسى بن عمران وإلياس ورآهم، ثم عاد مرة ثانية إلى تلاميذه.

(فح) وفي هذا تتحسن الرياح وتتكسر حرارة الصيف، ويبرد باطن الأرض.

(صب) ولدت مريم بنت عمران في هذا اليوم، وهم يجلونه.

(عح) في هذا اليوم ذُكْرَانُ اليسع، وفي هذا الوقت يمنع الأطباء الناس من الذهاب إلى الحمام ومن أكل الكثير من الفاكهة، لأن في كليهما ضرر.

(فح) في هذا الوقت يصير الليل جميلاً، وتتكسر السموم في الأماكن المعتادة، وكان فيه أيضاً مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(صب) في هذا اليوم يأخذ نهر النيل في الزيادة ويقوى كل يوم، وفي هذه الأربعين يوماً يكون (فصد الدم) وشرب الدواء والاستفراغ محموداً.

.... [12] في هذا يلاحظون الريح بدقة، فأى ريح تهب وكل ريح تذهب في هذا اليوم يكون لهم الغلبة على هذه الريح طول العمر.

هذا هو المقدار الذى وجدته في شرح أعياد وصوم وذكران النصارى، وقد ذكرته بإذن الله تعالى.

الهوامش

(١) هو القديس يوحنا وهو أحد أبناء الكنيسة اليونانية وبطريق القسطنطينية في سنة ٣٩٨هـ، وقد قام بإصلاحات في الكنيسة، ولهذا السبب عزل من جانب الإمبراطور وأوذي، ولما كان لمواعظه أثر كبير على الناس فقد أطلقوا عليه (فم الذهب) وقد كتب في المسائل الدينية كثيراً من المؤلفات.

(٢) يعني : مشترك بين المذاهب الثلاثة.

(٣) وضع الأستاذ حبيبي علامة استفهام عند هذا الحرف ربما لأنه غير صحيح.

(٤) بليناس بن بطياس أشهر مطلسم، وقد عمل في مغارة الإسكندرية طلسمًا وصنع مرآة حينما تنظر فيها ترى جميع السفن على أبواب الروم والقسطنطينية ولا يخفى عنك شيء.

(٥) وضع الأستاذ حبيبي علامة استفهام عند هذا الحرف ربما لأنه غير صحيح.

(٦) غليواج وغليواز هو طائر ويسمونه كوشت ربا أيضًا وهو يكون ستة أشهر ذكرا وستة أنثى ، وبعضهم يقول : إنه يكون عامًا ذكرًا وعامًا أنثى (برهان قاطع ص ٧٩٩، ٨٠٠) .

(٧) هذه الكلمة باقية في لغة الپاشتو حتى الآن وهو طائر يأكل السمك.

(٨) يقول الأستاذ حبيبي : هكذا وردت في النسختين التي صحح عنهما ولم يعرف أصل هذه الكلمة.

(٩) ذكر البيروني في الآثار الباقية ص ٢٦٨ : الباحور هي سبعة أيام متوالية آخرها الرابع والعشرون من الشهر، والباحور والبحران مشتق في اللغة اليونانية والسريانية من حكم الحكام، وقيل : أن البحران مشتق من البحر.

(١٠) نوع من الغلال (المترجم).

(١١) وهو الشعرى اليمانية العبور [الآثار الباقية ص ٢٩٦] ويقول أبو نواس في ديوانه :

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور (المترجم)

(١٢) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذا المكان خال وليس له حرف.

الباب الثالث عشر

فى أعياد ورسوم المغان (المجوس) بالجدول

والآن أتحدث عن كيفية أعياد المجوس والأعاجم، وأوضح فى أى يوم من أيامهم يكون كل عيد، وقد أوردته فى الجدول أيضًا بنفس الطريقة التى ذكرت بها أعياد العرب، وقد أوردت هذا في أربعة جداول: الأول العدد. والثانى أسماء الاحتفالات والأعياد . والجدول الثالث فى أيام وشهور العجم. والجدول الرابع فى شهور المجوس، وهذا هو الجدول كما رسم هنا :

العدد	أعياد واحتفالات المجوس	الأيام	الشهر
أ	نوروز الملوك	ألف	فروردين
ب	النوروز الكبير كما يسميه الخاصة	و	
جـ	ابتداء الباز	يز	
د	زوديكَان(١)	يط	
هـ	أردى بهشتكَا	ج	أردى بهشت
و	أول كَهنبار الثالث	كو	
ز	آخر كَهنبار الثالث	ل	
ح	خرداد كَان	و	خرداذماه
ط	أول كَهنبار الرابع	كو	
ى	آخر كَهنبار الرابع	ل	
يا	تيركَان ويسمونه عيد الاغتسال	يج	تيرماه
يا	تيركَان الكبير	يد	
يب	مرد اذكَان	ذ	مردادماه
يج	؟ (شهر) يور كَان ويسمونه العيد	ك	
يد	يوركَان ويسمونه عيد آذار	د	يورماه
يه	أول كَهنبار الخامس	يو – يز	
يو	أخر كَهنبار الخامس	ك	
يز	مهركَان	يو	مهرماه
يح	رام روز المهر كَان الكبير	كا	

(١) زورديكَان : فيما يبدو أنها فروريكَان ؛ لأن الجرديزى فى الشرح كتبها فرورديكَان، وكتبها البيرونى فى الآثار الباقية: فرورد كَان.

العدد	أعياد واحتفالات المجوس	الأيام	الشهر
يط	أبأنكان	ى	أبان ماه
كا	عيد الربيع ويسمونه عيد ركوب الكوسج	أ	ماه آزر
كب كج	عيد خره ويسمونه عيد التسعين يومًا	أ	دى ماه
كد	عيد أول دى	ح	
كه	عيد كهنبار الأول	يا	دى ماه
كو	أكل الثوم	يد	
كز	عيد دى الثاني وأخر الكهنبار الأول	يه	
كح	بتيكان	يه	
كط	ليلة كاو كهل ؟	يو	
ل	عيد دى الثالث	كج	
لا	بهمنجنة	ب	بهمن ماه
لب	برسده (برسدق)	هـ	
لج	ليلة السدق	ى	
لد	رش الماء في أصفهان	ل	
له	كتابة التعاويذ	هـ	اسفندارمذماه
لو	أول كهنبار الثاني عيد زردشت	يا	
لز	أخر كهنبار الثاني عيد زردشت	يه	



الباب الرابع عشر

فى شرح احتفالات وأعياد المغان (المجوس)

كانت للمجوس احتفالات كثيرة فى الزمان القديم، وقد أوردت هنا فى هذا الجدول ما وجدته. والآن أذكر شرح وأسباب كل واحد على النحو الذى وجدته فى الكتب أيضًا.

(ألف) : ويسمون هذا اليوم النوروز ، لأنه أول العام، ويكون الليل متساويًا مع النهار، وتنعدم الظلال من الحوائط ، وتدخل الشمس من النوافذ . وكانت رسوم وعادات المجوس أيام ملوكهم القدماء هكذا: كانوا يفتتحون الخراج فى هذا اليوم، ويقول العجم: فى هذا اليوم امتطي جمشيد عجلاً، وذهب ناحية الجنوب لحرب الشياطين والزنوج، واحتدم معهم فى معركة، وقهرهم جميعًا.

(ب) يسمون هذا اليوم : النوروز[1] الكبير فقد رجع فيه جمشيد من حرب الزنوج والشياطين مكللاً بالظفر والنصر، وأتى بكثير من الغنائم ، وفي اليوم الذى أتى فيه بجواهر الغنائم جمعها كلها فوق عرشه حتي يراها كل إنسان، ودخلت الشمس من النافذة ووقعت على هذه الجواهر فأضيئ القصر كله من انعكاسها؛ ولهذا السبب لقبوه " شيد" ، وكلمة شيد باللغة الفارسية معناها: الضياء، ولهذا السبب يسمون الشمس "خورشيد" ، وخور معناها: قرص الشمس ، وشيد معناها: الضياء، وفى هذا اليوم يرشون الأماكن بالماء ، فهذا اليوم اسم لملاك موكل بالماء بحسب قولهم.

(جـ) : وهذا اليوم (بداية الباز للمغان)، ويسمون هذا الباز بالعربية: الزمزمة، وهي: التوقف عن الكلام ، وفى الحقيقة هي: التحدث فى وقت الاضطرار ، وهم

يعتكفون فى هذا اليوم ولا يتحدثون مع إنسان، وقد ورد فى كتابهم: إنهم حينما يعبدون الله فيجب أن يعبدوه بكل كيانهم، ويكون لسانهم خاليًا من أى حديث حتى تكون العبارة سليمة.

وهذه الزمزمة يسلكونها وقت الطعام أيضًا ، ولا يتحدثون طالما لم ينتهوا من طعامهم[٢]، ويقولون: إن هذا اليوم سروش ، وهو اسم لملاك عينه الله تعالى لإلحاق الأذى بالشياطين، وهذا اليوم حينما يحل في أى شهر يعظمونه ويتبركون به .

(د) : يوم التاسع عشر يسمونه فروردیگان، وهذا اليوم موافق (اسمه) للشهر (الذى هو فيه)، وقد جرى فى عادات المجوس أن كل يوم يوافق اسمه الشهر الذى يكون فيه فإنهم يعظمون هذا اليوم .

(هـ) : ويسمون اليوم الثالث من أردى - بهشتگان[٣]، وهم يعظمونه للاتفاق مع اسم الشهر، ويحتفلون به، ويقولون : إن هذا اليوم على اسم ملاك موكل بالنار.

(و) : هذا هو الگهنبار السادس، وهو ستة أيام، فقد خلق الله تعالى الخلق فى هذه الأيام الستة، كما هو واضح فى الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

ولكن المجوس يقولون: إن الله تبارك وتعالى خلق السماء فى الگهنبار الأول وكان هذا فى أول دي، والماء فى الگهنبار الثانى وكان هذا فى الحادى عشر من أسفندارمذ، وخلق الأرض فى الگهنبار الثالث وكان هذا فى السادس والعشرين من أردى بهشت، وخلق النباتات فى الگهنبار الرابع وهذا فى السادس والعشرين من شهر خرداد، وخلق الحيوانات فى الگهنبار الخامس وكان هذا فى السابع عشر من شهر يور، وخلق الإنس فى الگهنبار السادس ، وكان هذا فى أول الأيام المسروقة آخر آبان.

وهذا (أى الگهنبار) بنفس لغة كتاب الأوستا، وقد ذكرت شرح الگهنبار بنفس لغة كتاب الأوستا، وقد ذكرت شرح لگهنبار هنا مجملاً حتى يكون معلومًا لدى القارئ فى أى مكان يأتى فيه[٤].

(ز) آخر الگهنبار الثالث .

(ح) خردادگان وهذا اليوم موافق مع الشهر .

(ط، ى) الگهنبار الرابع .

(يا) : تيرگان الثالث عشر من شهر تير موافق للشهر، وهذا اليوم هو الذى رمى فيه آرش السهم، فى هذا الوقت الذي تم فيه الصلح بين منوچهر وأفراسياب، وقال لمنوچهر : أى مكان يصل فيه سهمك سيكون لك . فرمي السهم من جبل رويان[٥]. وسقط هذا السهم في جبل بين فرغانة وطخارستان، ووصل السهم فى اليوم التالى إلى هذا الجبل. ويحتفل المجوس فى اليوم التالي ويقولون: لقد وصل السهم هنا فى هذا اليوم. وفى تيرگان يغتسل الفرس، ويكسرون المطابخ والكوانين. ويقولون: إن الناس نجت فى هذا اليوم من حصار أفراسياب وانصرف كل شخص إلى عمله، وفى هذه الأيام يطبخون القمح مع الفاكهة ويأكلونهما. ويقولون: فى هذا اليوم يطبخ الجميع الحنطة ويأكلونها؛ إذ لم يستطيعوا طحن الحنطة لأن الكل كان فى الحصار. ويقولون : إن السبب فى الاغتسال هو أن كيخسرو حينما رجع من حرب أفراسياب نزل وحيداً على عين ماء، فأخذته سنة من النوم، فوصل إليه بيژن بن گيو فوجده نائمًا فرشَّ عليه الماء حتى استيقظ من النوم، وبقيت عادة الاغتسال بينهم فى هذا اليوم سنة .

(يب) مردادگان .

(يد): هذا اليوم شهريور گان، ويسمي: عيد آذر؛ لأنه فى آخر أيام الصيف . وهو أول تغيير الهواء وميله إلى البرودة، وفيه يرغب الناس فى إشعال النار أمامهم.

(يه يو): وهو أول الگهنبار الخامس، ويكون فى منتصف شهريور فى يوم مهر، وهو يوم الطهارة، وهو ليس للفرس ولكنه أمر معروف، وهو أول فصل تيرماه ويسمونه " خزان أول" يعنى الخريف الأول، وبعده بخمسة عشر يومًا " خزان دوم" (يعنى) الخريف الثانى، ويسمونه : الخريف الخاص والعام.

(يذ): وهو يوم المهركان، واسم اليوم والشهر متفقان، ويقولون: إنه فى هذا اليوم انتصر أفريدون على بيوراسف الذى يسمونه الضحاك، وأخذه أسيرًا وقيده، وحمله إلى دماوند، وحبسه هناك.

(يح): وهو المهركان العظيم، ويقول بعض المجوس: إن نصر أفريدون على بيوراسف كان فى رام روز من مهرماه، وقد أمر زردشت نبى المغان بأن يعظموا هذا اليوم ويوم النوروز.

(يط): فى يوم آبانگان أجرى بامرزو بن طلماسب الماء فى النهيرات التى كان أفراسياب قد حفرها، وأيضًا فى هذا اليوم وصل الخبر إلى كل الممالك: إن الملك قد زال عن الضحاك ووصل إلى أفريدون، فاطمأن الناس على مالهم وملكهم، وجلسوا آمنين مع نسائهم وأبنائهم بعد أن لم يكن هناك أمان.

(ك): أما هزورد گان فهو عيد للمجوس، وهم يصنعون فيه الأطعمة والأشربة ويضعونها فى مكان، ويقولون : إن روح موتانا تأتى وتأكلها لأن هذه الأيام موسومة بتربية الروح، وهى الأخيرة من آبان ماه، أما الأيام المسترقة فهى من جملة الكبيسة حتى يتم العام، وقد فعلوا هذا بعد زرادشت، واختلف المغان فى هذا : بعضهم قال : إن فروردگان خمسة أيام لاحقة، والبعض يقول : إنها خمسة مسترقة، وللاحتياط حتى لا يفوت فرورد گان وضعوا الأيام العشرة وخمسة أيام وخمسة أيام مسترقة من فروردگان.

(كا) : أما عيد الربيع فيسمونه ركوب الكوسج ، وفى زمان الأكاسرة كان عيد الربيع فى آذرما، وفى هذا اليوم كانوا يركبون رجلاً أمرد على حمار، وقد لبس الغلالة(٦)، وربط فوق رأسه العمامة، وحمل مروحة فى يده ليروح بها عن نفسه، وربط بعضًا من صور الشتاء على بدنه بحبل ، وكان يشير بهذا إلى أن البرودة انتهت وحلت الحرارة. وقد جعل البعض من فارس هذا الرسم وهذه العادة (مجالاً) للضحك والسخرية، ولكن كان فى المروحة سم هذا المسكين وفى الغلالة نزع روحه.

(كب – كج):

وفى هذا اليوم عيد خره، وشهر دى شهر معظم عند المجوس، وهم يسمون أول يوم فيه باسمه، وهذا اليوم عظيم البركة لديهم ويسمونه " نودروز" أى التسعون يوما؛ لأن بينه وبين النوروز تسعين يومًا .

(كد): عيد دى[٧].

(كه): أول الگهنبار الأول .

(كو): وهو يوم سير سور[٨]، وفيه يطهو المجوس طعامًا ويأكلونه، ويقولون : إن هذه الأطعمة تدفع مضرة الشياطين، كما يقولون: فى هذا اليوم تغلبت الشياطين على جمشيد وقتلوه .

(كذ): وهو يوم العيد الثانى لدى، وآخر الگهنبار الأول .

(كج): وهو يوم بتيكان، يصنع فيه المجوس التماثيل من الطين أو العجين على هيئة إنسان، ويثبتون هذه التماثيل خلف الأبواب ، وقد تركوا هذا الآن لما فيه من التشبه بعبادة الأصنام وهم ينكرونها.

(كظ) : أما ليلة كاوكيل[٩]، فهى بعد الخامس عشر من الشهر، وفيها يزينون بقرة، ويخرجون ويقولون : إنهم حينما فطموا أفريدون من لبن الأم ركب بقرة، وفى هذا اليوم أطلق والد أفريدون بقرة أثفيان هذه، وكان الضحاك قد منعها عن أثفيان وضاق الأمر عليه. والمجوس لهذا السبب يعظمون هذا اليوم بسبب أفريدون وأثفيان.

(ل): عيد دى الثالث.

(لا): وهو يوم بهمنجنه. وعادة العجم : أن يطبخوا فى هذا اليوم، ويضعوا فى وعاء الطبخ (شيئًا) من كل أنواع النباتات والفلال والبقول ولحوم كل الحيوانات، ويسمونه: وعاء بهمنجنة. يطبخون فيه، ويبيعون فى كل مكان، وفى هذا اليوم يأكلون بهمن سرخ[١٠] مع اللبن الطازج، وهو مبارك عندهم، فهو مفيد فى الحفظ، ويمنع عن السوء .

(لب): ويطلقون على سده: السده الجديد، وهى قبل سده بخمسة أيام.

(لج): والسده العظيم، يقول المغان: إن الناس فى هذا اليوم بلغوا المائة من نسل " ميش وميشانه " وهما أول إنسانين، وهما عند المغان كآدم وحواء عند المسلمين، ثم قال البعض: إن بين هذا اليوم وبين النوروز مائة يوم وليلة، يعنى خمسين يوم وخمسين ليلة، ولهذا السبب أسموه " سده" أى مائة. أما السبب فى إشعال النار فيه فإن أرمائيل[11]، الذى كان وزيراً لبيوراسب كان رجلاً حسن النية، وعندما كان الضحاك يأمر بقتل رجلين من أجل ثعابينه ، كان أرمائيل يقتل واحداً من هذين الرجلين ويطلق سراح الآخر (قائلاً له) : حتى تختفى عن العالم اذهب إلى مكان لا يدركك فيه إنسان، وحينما انتصر أفريدون على الضحاك كان هؤلاء الناس الذين أعتقهم أرمائيل مائة رجل، وكانوا جميعاً مختبئين فى جبل دماوند .

وقدم أرمائيل إلى أفريدون وتقرب إليه وأخبره بهذا ، فلم يصدقه أفريدون وأرسل شخصاً ثقة إلى هذا الجبل ليرى ويكتشف الحقيقة ويخبره، وقد أمر أرمائيل هؤلاء المتنكرين بأن يشعل كل واحد منهم شعلة حتى يراهم أفريدون جميعاً، فأوقدوا مائة شعلة، ولشفقة أرمائيل عليهم امتدحه أفريدون وأعطاه ولاية دماوند، وحتى هذا الوقت مازالت فى حوزة أولاده.

(لد): " أماأب ريزگان أصفهان" أى رش الماء فى أصفهان فهو أن الناس يرشون الماء عدة مرات، والسبب فى ذلك: أن الأمطار لم تسقط فى إيران فى عهد فيروز بن يزدجرد جد أنوشيروان العادل، وذهب فيروز إلى معبد نار يسمونه: آذر خوره، وتعبد كثيراً وتصدق على الفقراء وتضرع إلى الله كثيراً حتى انهمرت الأمطار، وكل وقت تتساقط فيه الأمطار فى هذا اليوم يبتهج المغان ويجعلونه عيداً، وهذه العادة باقية فى أصفهان حتى اليوم.

(له): وهذا اليوم هو الخامس من اسفندارمذ، وهو أيضاً اسم للملاك الموكل بالأرض وبالنساء الصالحات العفيفات[12]، وفى الزمان القديم كان هذا العيد خاصاً

بالنساء، وكانوا يسمونه " مرد گيران " حيث كن يخترن الرجال وفق مرادهن، ويسمون هذا اليوم: كتبة الرقاع. ويكتبون فيه التعاويذ من أجل الحشرات والهوام ويلصقونها على الجدران والحوائط حتى يقل ضررها.

كانت هذه أسباب أعياد واحتفالات المغان التي وجدناها، وبالله التوفيق وهو الموفق والمعين.

الهوامش

أشهر السنة الفارسية وتبدأ بتاريخ ٢١ مارس .　　　　[السنة الشمسية بالشهور العربية]

(١)	فروردين	بدايته ٢١ مارس، ويوافق مارس وإبريل	الحمل.
(٢)	اردى بشهت	بدايته ٢١ إبريل، ويوافق إبريل ومايو	الثور.
(٣)	خرداد	بدايته ٢١ مايو، ويوافق مايو ويونيه	الجوزاء.
(٤)	تير	بدايته ٢١ يونيه، ويوافق يونيه ويوليه	السرطان.
(٥)	مرداد	بدايته ٢١ يوليه، ويوافق يوليه وأغسطس	الأسد.
(٦)	شهريور	بدايته ٢١ أغسطس، ويوافق أغسطس، وسبتمبر	العذراء.
(٧)	مهر	بدايته ٢١ سبتمبر، ويوافق سبتمبر وأكتوبر	الميزان.
(٨)	آبان	بدايته ٢١ أكتوبر، ويوافق أكتوبر ونوفمبر	العقرب.
(٩)	آذر	بدايته ٢١ نوفمبر، ويوافق نوفمبر وديسمبر	القوس.
(١٠)	دى	بدايته ٢١ ديسمبر، ويوافق ديسمبر ويناير	الجدى.
(١١)	بهمن	بدايته ٢١ يناير، ويوافق يناير وفبراير	الدلو.
(١٢)	اسفندارمذ	بدايته ٢١ فبراير، ويوافق فبراير ومارس (المترجم)	الحوت.

(٢) قال البيروني في الآثار الباقية ص ٢١٢ : وسروش أول من أمر بالزمزمة وهو الإيماء بالغنة لا بكلام مفهوم. ولذلك أنهم إذا صلوا أو سبحوا الله وقدسوه تناولوا الطعام في وسط ذلك فلا يمكنهم الكلام وسط الصلاة فيهمهمون ويشيرون ولا يتكلمون، وهذا على ما أخبرني به أذرخورا المهندس وقال غيره : بل ذلك لئلا يصل بخار الأفواه إلى الأطعمة" (المترجم).

(٣) وهو الشهر الثاني من السنة الشمسية (ثور) ومعنى كلمة "أردى بشهت" الشبيه بالجنة ؛ لأن كلمة أرد معناها شبيه وبهشت معناها الجنة، وهذا الشهر يأتي في وسط فصل الربيع حينما يرق الهواء ويصفو الجو وتخضر النباتات، ولهذا فهم يسمونه : الشبيه بالجنة (المترجم).

(٤) ذكر هذا الجرديزى ولكن الشرح لم يكتب بلغة الأوستا، وفيما يبدو أن هذه الصفحات التي ذكرها فيه قد ضاعت.

... رويان في شمال طبرستان.

(٦) الغلالة : بكسر الأول وهو الثوب المتصل بالبدن، وبعضهم يقول : هو الثوب الذي يلبس الدرع تحته.

(٧) وهو اسم الشهر العاشر من السنة الشمسية، وفي هذه الفترة تكون الشمس في برج الجدي، ويكون أول الشتاء . وهو كذلك اسم اليوم التاسع من كل شهر، والفرس يتخذونه عيداً (برهان قاطع).

(٨) وهو يوم النوم .

(٩) يذكر البيروني أنها تسمى كاكثل وهي في ليلة السادس عشر (الآثار ص ٢٢٦).

(١٠) وهو نوع من الحشائش يزهر في شهر بهمن في الشتاء، وفي عيد بهمن ينثرون أزهار بهمن الحمراء والبيضاء على الأطعمة ويأكلونها مع السكر، ويعتقدون أنه مقوٍ وحافظ ، وهذا النوع من الحشيش معروف في الطب، وله جذر أبيض أو أحمر واسمه في البهلوية وهومن.

(١١) البيروني : أزمانيل ص ٢٢٧.

(١٢) يقول البيروني في الآثار الباقية ص ٢٢٩ : واسفندارمذ هو الموكل بالأرض والموكل بالمرأة الصالحة العفيفة الفاعلة للخير والمحبة لزوجها. ذكر في الآثار الباقية: مرْد گيران، وذكر الأستاذ حبيبي أن مردگيران أصح لأنها وردت هكذا في المتن.



الباب الخامس عشر

فى أعياد الهنود

اعلم أن الهنود يسمون العيد ژاتر، ومعنى ژاتر هو : " الحركة تجاه السفر " ، وأكثر أعياد الهنود هي التى تكون متعلقة بالنساء والأطفال، وقد جمعت هنا ما وجدته من أعيادهم، وقد أدرجته بالجدول حتى يكون إيجاده سهلاً، وقد وضعت جدول الهنود على النحو الذى وضعت به جدول أعياد المغان ، وهذا هو الجدول :

	أعياد الهنود	أسماء الشهور [illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] (1)	[illegible]	ب
[illegible]	[illegible] اجيتر (2)	چيتر	ب
ج	[illegible] (3)	جيتر	حب
د	كورتر (4)	بيشاك	ح
هـ	بسنتي (5)	بيشاك	ك
و	عيد [illegible] پنچمي (6).	جيرت	أ
ز	آهاري . وهذا الشهر كله مثل العيد	آشاڑ	همه
ح	مها نقمي.	(اشوجج)(7)	ح
ط	پهاي (8)	اشوجج	به
ى	عيد أشوك يسمي أيضًا : أهو (9).	اشوجج	كج
يا	پتريكش(10).	بهادرپت	أ
يب	هريالى.(11)	بهادرپت	ج
يج	كابهت.(12)	بهادرپت	و

(١) أصله بالسنسكريتية إكادش EKA DASHL

(٢) هندولي

(٣) هندولي چيترچينتي، وكلمة چنتي معناها ذكرى مولد CHETRA JAYANTI

(٤) كورتر GAU RATAR

(٥) الأصل السنسكريتي بسنتيBASANTI

(٦) مها لكشمي MAHA LAKSHMI

(٧) اسم الشهر أشوين

(٨) بهو POHU

(٩) أشوك چينتي ASHOK JAYANTI

(١٠) بتربكش PITRA PAKSH

(١١) هرياليHARYALE

(١٢) كابهت GABHIT (المترجم)

العدد	أعياد الهنود	أسماء الشهور	أيام الشهر
يد	دروب هر[١]	بهادرپت	ح
به	بربت[٢]	بهادرپت	يا
يو	كرارة[٣]	بهادرپت	يو
يو	گونالهيد[٤]	بهادرپت	كو-كز
ج	ديوالى[٥]	(كارتك)	أ
يط	كوان پاتريج[٦]	منگهر	ج هذا الشهر ليس موجوداً الت
كه	عيد پوهول[٧]	پوش	همه
كا	اشتك[٨]	هـ	ح
كب	سا كارتم[٩]	پوش	ح
كج	هتريج[١٠]	ماگ	ج
كد	مانسرتگ[١١]	ماگ	كج
كه	پورارتگ[١٢]	پالسگن	ح
كو	أوداد[١٣]	پالسگن	كه
كز	شوارتر[١٤]	پالسگن	كو
كح	پويتن[١٥]	پالسگن	كج

(١) الأصل درويد DROPAD
(٢) بريت PRIT
(٣) كراره KARARA
(٤) گوناهليد GONALAHEED
(٥) ديپالى أو ديوالى : أكبر عيد، والهنادكة يحتفلون به ثلاثة أيام DEEPA WALI DEEWALI
(٦) كوان پترج (٦) اسم الشهر ميگد COAN PATRAJ
(٧) پوهول POHOL
(٨) أشيك ASHTIK
(٩) سنكراترى SANK RATRE
(١٠) هترج HATRAJ
(١١) مان سرتك MANSRTAK
(١٢) پوارتك POWARTIK
(١٣) أوداد UDAD
(١٤) شوراترى SHIWRATRE
(١٥) پوتين، ويسمونه پاگن PHAGUN (المترجم)



الباب السادس عشر

في شرح أعياد الهنود

والآن أذكر شرح أسباب وعادات كل عيد للهنود على النحو الذي وجدته في الكتب.

(أ) يسمون هذا اليوم: أكدوس، وهو عيد أهل كشمير، وسببه: أن متّى ملكهم قد انتصر على الترك الذين استولوا على الهندوستان، وعندهم أن متى هذا كان ملك الدنيا كلها، وأكثر من هذا أن ملوكهم يعتقدون ذلك، ويعظمون تاريخ متى، ولكن ليس كما يقولون؛ إذ إن من الممكن أن يستولي واحد من الفرس أو واحد من الترك أو واحد من العرب أو الروم على الدنيا كلها وهذا لا يكون غريبًا، أما أن يستولي عليها أحد الهنود أيضًا (فهذا عجيب)؛ فإن كل أخبار الدنيا معروفة ومكتوبة في الكتب ولم يرد مطلقًا أن هنديًا قد استولى على الدنيا بأسرها، ولكنهم لا يعرفون دنيا غير الهندوستان، وحينما يستولي شخص على الهندوستان يقولون: إنه يملك الدنيا[1].

(ب) ويسمون هذا اليوم: هندولي، وهذا العيد يجتمعون فيه حول ديرهر باسديو، ويضعون هذا الإله في أرجوحة ويحركونها بالطريقة المعروفة، وفي هذا اليوم ينصبون مثل هذه الأراجيح في منازلهم، ويفرحون ويبتهجون، وليس مثله شهر عندهم، ويطلقون عليه : بابهند، وهذا اليوم هو عيد النساء، وفيه يتزين ويقدمن إلى أزواجهن ويطلبن الهدايا.

(ج) ويسمون هذا اليوم: چيتر جشت، وفي هذا العيد يبتهجون باسم المعبود بهگبت[2]، ويغسلون فيه رؤوسهم ويوزعون الصدقات.

(د) وكورتر هذا هو عيد للنساء، سمي باسم كور بنت جبل هماجل[٣]، زوجة مهادير، وفي هذا اليوم يغسلن رؤوسهن ويزين أنفسهن ويذكرن اسمها في أحاديثهن، ويضئن المصابيح ، ويتطيبن ، ولا يأكلن مطلقًا، ويتلاعبن بالأراجيح، وفي الغد يتصدقن ويأكلن.

والأرجوحة حبل طويل قد عقدوه من ناحيتين، وربطوا بينهما لوحة أو مهدًا، ويضعون الدمي على هذه اللوحة أو المهد ، ويطلقون عليها: أواديج ، وأحيانًا يجلس الرجال والنساء والأطفال على هذه اللوحة ويحركونها، ويسمون هذا في الفارسية: كاز.

(هـ) وهذا هو يوم بسنت، ويكون في العاشر من بيساك، وفي هذا اليوم يخرج البراهمة إلى الصحراء بصحبة الملك، ويشعلون نارًا عظيمة في كل جهة من الجهات الأربعة، ويتولى القربان فيها أربعة براهمة بعدد الجهات الأربعة، ثم يرجعون في اليوم السادس عشر. وفي هذا الشهر يتساوى الليل مع النهار، وهم يحسبون هذا ، وفي هذا اليوم يعيدون ويستضيفون البراهمة.

(و) وهذا اليوم هو أول چيرت، وهو يوم الاجتماع ، وهم يتخذون هذا اليوم عيدًا، ويطرحون باكورة الزروع في الماء على سبيل التبرك، ويبتهجون، ويكون عيد روپ پنجمي في أول شهر چيرت (چيت)، وهذا هو عيد النساء .

(ز) يدخل شهر إشار، وفيه يتصدقون، ويسمون هذا: آهاري، وفيه تجدد الأواني والأوعية الفخارية، ويستقبل البراهمة هذا الشهر بالدعاء وهو كالعيد عندهم.

(ح) مهانفمي : وهو اليوم الثامن من أشوجج، ويكون القمر في منزل مول، والمنزل التاسع عشر يعني شوله[٤]، وفيه يبتدئون في مص قصب السكر، ومهانفمي هذه كانت أخت باسديو، وهم يتقربون بباكورة قصب السكر ويحملونه إلى صنم يسمونه: بهگبت، كما يتقربون إليه بالكثير من الصدقات، وينحرون الجديان، ومن لا يملك شيئًا يظل واقفًا أمامه حتى يقتل نفسه.

(ط) وهو يوم بهاى، ويقول الهنود: إن هذا هو اسم باسديو، وفى هذا اليوم د...
باسديو خاله كنس للمصارعة، والآن صارت العادة أن يلعب الناس مع الحيوانات الأخرى ، ويتصارع أحدهما مع الآخر، ويقيمون الولائم .

(ى) وفى السادس عشر عيد، وفيه يتصدقون على البراهمة، ويسمون هذا اليوم: أسوك (أشوك)، ويسمونه أيضًا : أهوى . وفى هذا الوقت يكون المنزل السابع للقمر يعنى الذراع، وهذا العيد هو يوم اللعب والسرور والابتهاج.

(يا): وفى شهر بهادربت (يد) حينما يصل القمر إلى منزل مگ المنزل العاشر، وفى نصف الشهر يعبد الآباء الصنم الذى يسمونه: پتربكش؛ لأن مجىء القمر فى هذا المنزل فى هذا الوقت يكون قريبًا من الاستقبال، وفى هذا الوقت يتصدقون خمسة عشر يومًا باسم الآباء.

(يب): ويسمون هذا اليوم: هربالى ، ويكون فى الثلث الأخير من بهادربت، وهو عيد النساء، ومن عاداتهن: أن يأخذن شيئًا من الأوعية، ويزرعن فيها من كل البذور، وحينما تنبت يحضرنها فى هذا اليوم ، ويرمين عليها الورد والروائح الطيبة، ويلعبن فى الليل ، وحينما يكون الصباح الباكر يحضرن بهذا النبات إلى الأحواض، ويغسلنه ويغتسلن ، ثم يتصدقن.

(يج): گلبهت، وهذا هو اليوم السادس، ففى هذا اليوم يعطون الطعام للمسجونين.

(يد): دزوب، وهو اليوم الثامن حينما يصير القمر فى نصف قرصه، وفيه يغتسل النساء ويطهين ما نبت من الحبوب، ثم يهيئنها جيدًا ويأكلنها، ولا يعطينها لأولادهن، وتحتفل النساء بهذا العيد طلبًا للحمل والولد.

(يه): بربت، وهذا هو اليوم الخامس عشر من بهادربت، وفى هذا اليوم يصنعون حبلاً طويلاً على مقدار سادن الصنم، ويسمون هذا الحبل: الملمع بربت ، ثم يحملون هذا الحبل هدية إلى السادن ويقولون : إن هذا الحبل بقدر قامة صنم باسديو

ويلفونه فى عنق السادن هكذا حتى يصل إلى قدمه، ويبتهجون. وهذا اليوم هو عيد عظيم لهم.

(يو): ويسمون هذا: كراره، ويكون هذا في السادس عشر من بهادربت، ومدة هذا العيد سبعة أيام، فيزينون الاطفال ويتطيبون ويلعبون مع الحيوانات الأخرى، وعندما يكون اليوم السابع يزين الرجال أنفسهم ويتصدقون على البراهمة ويفعلون فعال الخير.

(يز): وحينما يصل القمر إلى منزل روهنى يكون فى المنزل الرابع، يعنى دبران المسمى كونالهيد، وفيه يحتفلون ثلاثة أيام ويظهرون السرور ويلعبون ويمرحون، ويقولون: إن باسديو ولد فى هذه الآونة.

يقول مؤلف هذا الكتاب أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك : سمعت هذا من الخواجة أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى - رحمه الله - إذ قال: قال جيبشرم الهندى: إن الناس في كشمير يحتفلون فى يوم السادس والعشرين والسابع والعشرين من بهادربت؛ لأنه فى هذا اليوم يأتى تهربت بقطعة الخشب التى يسمونها: كنه، فى وسط أدشتان قصبة كشمير، ويقولون: إن مهاديو يرسل تلك الخشبة، ومن خواص تلك الخشبة: إنه إذا عزم شخص أن يمسكها فلا يستطيع أن يمسكها؛ فهى لا تمسك باليد، ويقول بعض أهل كشمير: إن هذه الخشبة تخرج من حوض يسمونه كوديشهر، وهذا الحوض على شمال نهر بهت، وهذا يكون فى منتصف بيساك، يقول أهل كشمير: وهذا ممكن لأن بيساك يكون وقت الفيضان، وهذا قريب لما يحدث بگرگان، ففى كل عام فى وقت الفيضان تطفو خشبة بمقدار قامة رجلين وتظل بضعة أيام ثم تختفى دون أن تمتد لها يد شخص مطلقًا، وسمعت أن قابوس بن وشمگير[٥] صنع جنزيرًا محكمًا وأمر فألقوه على الخشبة وربطوها به ربطًا محكمًا وفى اليوم التالى نظروا المكان فوجدوا الخشبة قد اختفت، وقال جيبشرم: أيضًا فى حدود سوات[٦]، فى جبال ناحية گيرى[٧]،

يوجد مكان يسمى ترنجاى يجتمع فيه ثلاثة وخمسون نهرًا تبيض مياهها فى هذين اليومين، ويقولون : أن مهاديو يغسل نفسه بهذا الماء فى النهار .

(يج): يسـمون هذا اليوم: ديوالى، وهو أول كارتك وهو يوم الاجتمـاع فى برج الميزان. وهم يغتسلون فى هذا اليوم ويتزينون، وفيه يهدى بعضهم إلى بعض أوراق التنبول والقوفل، ويذهبون إلى ديوهرها[٨]، ويتصدقون، ويلعبون ويظهرون الابتهاج والسرور حتى منتصف اليوم، وفى هذه الليلة يوقدون الكثير من المصابيح فى كل مكان حتى تضاءُ الدنيا، والسبب فى ذلك أن لچمى زوجة باسديو تخرج كل عام فى هذا اليوم مع بل بن بيروجن بن برملاد المحبوس فى الأرض السابعة ، وتأتى إلى هذه الدنيا، ويسمون هذا اليوم " بل راج" يعنى بادمشاهى بل أى ملك بل، ويقولون : إنه كان فى "دست چك" يعنى زمان السهولة والرغد والخير، ونحن أيضًا نبتهج ونفعل الخير مع الناس مثل ذلك الزمان[٩].

وفى هذا الشهر بعد الاستقبال يقيمون الولائم ويزينون النساء[١٠].

(يط): گوان باتريج، وهو اليوم الثالث لمنگهر، وهو عيد النساء يسمونه " گور" وفى هذا اليوم يجتمعون فى منازل الأغنياء، ويجمعون جميع أوثان گور الفضية ويضعونها على كرسى ويعطرونها، ويلعبون طوال الليل ، ويتصدقون فى الغداة ، ويوم استقبال منگهر يكون أيضًا عيدًا للنساء.

(ک): وهو يوم يوهول، وهو الرابع من پوش[١١]، وهم فى هذا اليوم يطهون يوهول، وهو طعام حلو، ويأكلون منه.

(كا): ويسمونه: عيد اشتكك، وهو فى الثامن من پوش ، فى هذا اليوم يجمعون البراهمة حتى يأكلونه، ثم يحسنون إليهم .

(كب): وهو اليوم الثالث والعشرون من پوش، ويسمون هذا اليوم: مساگارتم، ويأكلون السلجم فى هذا اليوم[١٢].

(كج): ويسمونه هتريج، وهو الثالث من ماگ، وهو عيد النساء على اسم گور، ويجتمع الجميع في منازل عظمائهم بالقرب من وثن گور، ويضعون حوله الثياب الفاخرة والعطر الطيب والأطعمة الشهية، وفي كل مجمع يحتفلون فيه يجب أن يضعوا مائة وثمانى قطع من الأوانى، وكلها تكون مملوءة بالماء حتى يبرد هذا الماء. ثم يغتسل به النساء أربع مرات في أرباع هذه الليلة، وفي الغداة يتصدقون ويقدن العرس والولائم، وفي هذا الشهر تغتسل النساء عامة بالماء البارد، وفي آخر هذا الشهر في اليوم التاسع والعشرين منه في الوقت الذى يتبقى من الليل ساعة وخمس دقائق يتغمسون في الماء سبع مرات .

(كد): ما نسرتگ ، وهو اليوم الثالث والعشرون من ماگ، ويسمونه أيضًا: "ماهاتن" وفي هذا اليوم يقيمون الولائم ويطهون الأطعمة من اللحم والماش[١٣] الأسود ذى الحبات الكبيرة.

(كه): ويسمون هذا اليوم : پورارتك، وهو الثامن من بالگن، وفي هذا اليوم يطهون الأطعمة من أجل البراهمة من الدقيق وسمن البقر، ويعطونهم من كل طعام يأكلونه تبركًا.

(كو): ويسمون هذا اليوم: " أوداد" وهذا اليوم يكون في استقبال " بالگن" ، وهو عيد السناء، ويسمونه أيضًا " هولى" ، ويبحثون عن الأماكن المنخفضة ويشعلون فيها نيرانًا قوية، ويسمون هذا : " جاماهة "، ثم يرمون هذه النيران خارج القرية في كل جانب.

(كز): حينما ينقضى أوداد فالليلة التالية منه تسمى: " شوراتر"، فيها يستيقظون جميعًا طول الليل ولا ينامون، ويخدمون مهاديو، ويهدون إليه الروائح الطيبة والرياحين..

(كح): ويسمون هذا اليوم: بوبتن، وهو اليوم الثالث والعشرين من بالگن، وفيه يأكلون الأرز بالسمن والسكر .

هذا القدر من أعيادهم الذى وجدته، وهو الذى ذكرته، وكانت هذه هى كل الأعياد التى ذكرتها لخمس من الأمم: المسلمين واليهود والمسيحيين والمغان والهنود، وانتهت مقالة الأعياد وشرحها، وبعد هذا أتحدث عن المعارف والأنساب، وأطلب التوفيق من الله عز وجل لإتمامها، إنه خير موفق ومعين .

الهوامش

(١) نص عبارة البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة" ص ٤٨٦ : وإن كان ممكنًا أن يستولي هندي كما استولي يوناني وورومي وبابلي وفارسي ، ولكن أكثر الأخبار القريبة منا هي كالمقررة عندنا ، وكان هذا المذكور ملك أرض الهند بأسرها فهم لا يعرفون غيرها ولا غير أهلها.

(٢) بها كبد .

(٣) جبل هما چل.

(٤) شوله: وهو أحد منازل القمر.

(٥) شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمگير بن زيار الملك الرابع لآل زيار ، وحكم من ٣٦٦هـ حتي وفاته عام ٤٠٣هـ.

(٦) وتوجد الآن بهذا الاسم على بعد مائة ميل شمال شرقي بيشاور.

(٧) وهو نفس المكان الذي يعرف باسم گهري في سفح جبال كاغان، وتقع على شاطئ نهر كونار في أخر شرقي وادي بگهل، وكان هذا الوادي في الزمان القديم في حصص شرقي سوان (طبقات ناصري ج ٢ ص ٣٦٢).

(٨) ديوهرها: في اللغة السنسكريتية بمعنى المعبد ، وهم يعبدون فيه الأصنام.

(٩) يقول البيروني في هذه الفقرة ما نصه ص ٤٩ : " وسببه أن لكشمي زوجة باسدبو تخلف عن بل بن بيروجن الملك المحبوس في الأرض السابعة كل سنة في هذا اليوم وتخرجه إلي الدنيا فيسمي بل راج أي إمارة بل، ويزعمون أنه كان في كرتاجوك زمان الخير فنحن نفرح لأن يومنا مشابه لذلك الزمان، وفي هذا الشهر إذا انقضى الاستقبال أقاموا الضيافات وزينوا النساء. (المترجم)

(١٠) وردت هذه الكلمة في الجرديزي : زناردارن، ولكن ليس لها معنى هنا، وقد رجح الأستاذ حبيبي في هامشه أن تكون الكلمة " وزنان رادر أن بيارايند " ويؤكد حدسه هذا ما ورد في كتاب الهند في هذا الصدد : وفي هذا الشهر إذا انقضى الاستقبال أقامو الضيافات وزينوا النساء". البيروني ص ٤٩٠ (المترجم) .

(١١) بوش : هو الشهر العاشر الهندي .

(١٢) العبارة بالفارسية:

" واندرين روزطعا مهاى شلغم خورند "، ويذكر الأستاذ حبيبي أن كلمة شلغم في النسختين لم تقرأ أبدًا وقد وضعها سلغم لأن البيروني قال: ويأكلون السلجم.

(١٣) نوع من البقول يشبه العدس .

الباب السابع عشر

في المعارف والأنساب

يقول مؤلف هذا الكتاب أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الجرديزى :
حينما خلق الله تبارك وتعالى هذه الدنيا، كما أراد وجعلها مستقراً لبنى آدم - امتنَّ عليهم بأن قال فى هذا المقام : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾(١)، ثم خلق الناس متفاوتين كالتفاوت الذى بين الدنيا، فمثلاً: مكة والمدينة والحجاز واليمن والعراق وخراسان والنيمروز وجزء من الشام وما يسمى بالفارسية (إيران)، هذه الأرض فضلها الله تبارك وتعالى على الدنيا طراً منذ بداية العالم حتى الآن، وهذه الديار وأهلها محترمون، وهم سادة الدنيا بأسرها فلم يؤخذ منهم عبيد أو غلمان إلى مكان آخر، ولم يجر العرف ولا العادة بذلك، بل إن أهل الجهات الأخرى هم الذين كانوا يخدمون أهل هذه الديار وكانت العبيد والغلمان تجلب منها إليهم، وكان سكان الولايات والأطراف لهؤلاء فى الدنيا -مثل الخدم، وذلك فى تأدية الخراج والانقياد والطاعة، سواء عن طريق الأسر أو أخذ الغلمان والخدم منهم بالبيع والشراء؛ وسبب هذا : أن هؤلاء من بين الناس طراً أذكى وأكمل عقلاً، وأشجع وأميز بطولة، كما أنهم أكثر بصيرة وأعظم سخاء، وأهل الدنيا أقل منهم فى كل هذه الأمور، ولهذه الأسباب فقد دان العالم لهؤلاء القوم إنْ طوعًا وإن كرهًا، ولما كان حالهم فى الدنيا على هذه الصورة كانوا فى غنى عن التعريف، وأحوالهم أشهر وأعرف من أى تعريف، ولقد تركت معارفهم لأننى لو شغلت بها لخرج الكتاب عن حد الاختصار. ولقد فحصت أحوال وأنساب أربع طبقات هم الذين على جوانب الدنيا الأربعة، أهل المشرق وأهل المغرب وأهل الشمال وأهل الجنوب.

أما أهل المشرق فهم الهنود، وأهل المغرب هم الروم، وأهل الشمال هم الترك وأهل الجنوب هم الزنوج. وذكرت في البداية أحوال وأنساب الترك إذ هم أقرب إلى المسلمين.

أحوال وأنساب الترك

يقول عبد الله بن خرداذبه في كتاب (الأخبار) الذى كتبه: إن الترك من جملة الصينيين. ويقول أبو عمرو عبد الله بن المقفع فى كتاب (ربع الدنيا) : حينما خرج نوح عليه السلام من السفينة كانت الدنيا خالية من الناس وكان له ثلاثة أبناء: سام وحام ويافث ، فقسم الدنيا على أبنائه: فأعطى لحام أرض السود وديارها: برها وبحرها وجزائرها مثل : الزنج والحبشة والنوبة والبربر. وجاءت العراق وخراسان والحجاز واليمن والشام وإيرانشهر من نصيب سام، ووصلت الترك وسقلاب ويأجوج ومأجوج حتى الصين إلى يافث. ولما كانت ولاية تركستان أكثر بعداً عن العمران فقد أطلقوا على ديارها الترك. ودعا نوح عليه السلام وطلب من الله عز وجل أن يعلم يافث اسماً حينما يتلوه تسقط الأمطار فاستجاب الله عز وجل دعاءه فى الحال، وحينما تعلم يافث هذا الاسم كتبه علي حجر وعلقه في رقبته احتياطاً حتي لا ينساه، وكل وقت كان يطلب الأمطار بهذا الاسم كانت الأمطار تتساقط ، وإذا ضرب هذا الحجر فى الماء وأعطى ذلك الماء لمريض شُفِيَ، وكان أبناء يافث يمتلكون هذا الحجر بالميراث، حتى كثر نسله مثل الغز والخلخ والخزر وأمثالهم ؛ فدب الخلاف بينهم بسبب ذلك الحجر، وكان فى أيدى الغز، واتفقوا قائلين: " إننا سوف نجتمع فى اليوم الفلانى ونجرى القرعة ومن تقع عليه نعطيه الحجر" ، وأحضر الغز حجراً آخر مثله ونقشوا عليه الدعاء، وعلق عظيمهم ذلك الحجر المزور فى رقبته، ولما حل المعاد أجروا القرعة فأصابت الخلخ، فأعطوهم الحجر المزور، وبقى الحجر الأصلى عند الغز، ولهذا السبب يطلب الترك الأمطار بالحجر.

أما قلة شعرهم ورداءة طبعهم (فسببه) أن يافث مرض فى طفولته ولم ينفع معه علاج ، فقالت عجوز شمطاء لوالدته: أعطه خصية نملة ولبن ذئب حتى يشفى من تلك العلة، وظلت والدته شهراً متصلاً تعطيه من هذين الشيئين حتى شفي من المرض، ولكنه أتى أمرداً وجاء أبناؤه هكذا، وقلة الشعر بسبب خصية النملة أما رداءة الطبع فبسبب لبن الذئب، ومن يافث هذا جاء الترك، وكما وجدت فى الكتب سوف أذكرهم قبيلة قبيلة الآن:

الخلـــخ

يقولون: إن خلخ كان من عظماء الترك، وكانوا يتنقلون من مكان إلى مكان ، وكانت والدة الخلخ تجلس علي دابة وقد خلا المكان إلا منها، فلحق بها أحد الخدم وأراد بها السوء فطرحته خارجاً وهددته؛ إذ من المعروف عن نساء الترك طهارة الذيل والعفة، وحينما رأى الخادم ذلك خاف وهرب، وذهب إلى ناحية التغزغز فى ولاية الخاقان، وفى مكان الصيد وجده رجل من الخاقانيين فى مكان شديد القذارة وقد لف نفسه برداء ممزق فأسماه (يباغو) ثم اصطحبه إلى الخاقان.

وحينما علم الخاقان بحاله جمع الخلخ الذين كانوا فى ولايته جميعاً، وأعطى يباغو الرياسة عليهم [٢]، وأسمى تلك القبيلة (يباغو الخلخ).

ثم قدم رجل من التركستان إلى قبيلة التغزغز، وعشق جارية من جماعة يباغو، وخطفها وحملها إلى التركستان، فأخذها خاقان التركستان منه وقربها إليه ورعاها رعاية طيبة، وكتب رسالة إلي أهل بيت الجارية وأخبرهم عن أحوالها ودعاهم إليه، وحينما قدموا عمر الأماكن جميعاً ودعاهم إليه، ولما وصل الخبر إلى باقى القبيلة أتى جميع أفرادها إلى هناك، فلما كثر عددهم فى ولايته أسكنهم على طريقة العرب، ولقبهم بلقب (خبوى)[٣].

وظلوا على هذا الحال حتى هجم التركستانيون على الخاقانيين وقتلوا منهم اثنى عشر سيداً معروفًا، ثم أعملوا السيف حتى قتلوا الخاقانيين (جميعًا) فانتقل ملك الخاقان إلى الجونيان[٤] من الخلخ، وكان آخر شخص قتل من الخاقانيين هو الخاقان ختغلان .

وأول خلخي تولى الرياسة هو ايلمالمش جبويه، وبقيت الرياسة فى الخلخ، ومن قبيلة يباغو الخلخ توجد قبائل كثيرة في تركستان، وسوف يأتي شرحها الذى وجدته.

الكيـــماك

وأصلهم: أن عظيم التتار حينما مات أعقب ولدين ، تولى الابن الأكبر الملك، فحقد الأصغر على أخيه وكان يدعى (شد) [٥]. وصمم على أن يقتل أخاه الاكبر فلم يستطع ، فخاف على نفسه، وكان له جارية يعشقها فحمل تلك الجارية وهرب من أخيه، وذهب إلى مكان به المياه غزيرة وأشجار كثيرة وصيد وفير، فضرب خيامه هناك ونزل.

وكان كل يوم هو والجارية يصطادان، ويأكلان من لحوم الصيد، ويصنعان الملابس من جلد السمور والسنجاب والقاقم. حتى قدم إليهما سبعة من مولدى التتار أحدهم: إيمى، والآخر إيماك ، والثالث تتار، والرابع بالاندر، والخامس خفچاق، والسادس نقاز، والسابع أجلاد ، وهؤلاء القوم كانوا قد أتوا بدواب سادتهم للرعي حيث لم تبق مراعى في ديارهم، فنزلوا حيث يوجد شد طلبًا للرعى، وحينما رأتهم الجارية خرجت وقالت: (آرتش) يعنى: انزلوا ، فسمى النهر لهذا السبب: آرتش[٦].

وعرف القوم تلك الجارية فنزلوا جميعًا وضربوا خيامهم، ولما وصل شد - وكان قد أحضر صيداً كثيراً - استضافهم، وظلوا هناك حتى الشتاء وانهمرت ونزلت الثلوج فلم يستطيعوا العودة، وكانت الحشائش وفيرة فظلوا هناك طوال الشتاء .

وحينما تحسن الهواء وتوقفت الثلوج أرسلوا رسولاً إلى مضارب التتار حتى يأتي بأخبارهم، فلما وصل إلى هناك رأى الأماكن كلها قد خربت وخلت من الناس؛ فقد أغار العدو عليهم جميعًا وقتلهم ، ومن بقي منهم فقد قدم إلى هذا الرسول من سفوح الجبال، فاختلى هذا الرسول بأصدقائه وأخبرهم، فاتجهوا جميعًا إلى آرتش. فلما وصلوا إلى هناك سلموا على شد بالرياسة وعظموه، وكل من سمع بهم أخذ يجيء إليهم حتى اجتمع إليهم سبعمائة شخص.

وقد ظلوا زمانًا طويلاً في خدمة (شد). وحينما كثروا تفرقوا في شعاب الجبال حتى صاروا سبعة قبائل باسم هؤلاء السبعة الذين ذكرتهم.

والكيماك جميعًا طباعهم سيئة؛ أعداء للغرباء لا يحبون الضيف. وكان شد مع قومه ذات يوم على نهر آرتش فانبعث صوت (ينادي): " يا شد أعطني يدك في الماء" ولم يرَ شد إلا شعراً كان يطفو على سطح الماء، فربط حصانه ونزل في الماء وأمسك ذلك الشعر فكانت زوجته خاتون، فسألها كيف سقطت؟ فقالت : ابتلعني تمساح على شاطئ النهر. وأهل الكيماك يعظمون ذلك النهر ويعبدونه ويسجدون له، ويقولون : إن هذا النهر هو إله الكيماك، وأسموا شد: تع ، يعني : من سمع صوتًا في الماء ولم يخف.

أما طريق الكيماك فهو من پاراب إلى ده نو. ويتجه السائر من ده نو إلى الكيماك، ويعترضه نهر فيعبره ، ثم ينزل في صحراء . وتسمي الترك هذا المكان: الوممن(٧)، ومن هناك يصل إلى نهر يسمونه : سنوق، ويعبر منه إلى أرض ملحة، ثم يصل من هناك إلى جبل يسمونه: كنداورتاعي " ويسير على شاطئ هذا النهر بين الخضرة والحشائش والأشجار الكثيفة(٨)، حتى يصل إلى منبع النهر وهو جبل عظيم، ثم يسير على الجبل في طريق ضيق، وينزل من جبل أورتاعي إلى نهر أسس، وفي هذا الطريق لا تنفذ الشمس من خلال الأشجار إلى الناس مسيرة خمسة أيام، حتي يصل السائر إلى جيحون الذي يسمونه أسس ، ومياهه سوداء ، ويأتي من حدود المشرق حتى يصل إلى أبواب طبرستان، ومن نهر أسس حتى نهر آرتش تكون بداية حدود الكيماك، وعلى الجهات الأربع لهذا النهر توجد الجياد الوحشية، ويرى منها في المكان الواحد ألفُ

أو آذان، ويقولون : إن نتاجهم كان ركائب الملوك، ولم يكونوا قادرين على أن يمسكوا هذه الجياد إلا بالوثاق، وحينما كانوا يمسكونها كانوا يمتطون ظهورها ويروضونها حتى راضت وائتلفت مع الناس، ونهر آرتش هذا نهر عظيم إلى حد أنه لو سار إنسان على شاطئه ووقف فإنه لا يميز من كان على الشاطئ الآخر؛ لبعد المسافة. ومياهه سوداء .. ومن نهر آرتش يعبر السائر حتى ينزل إلى خيام الكيماك.

وليس لديهم منزل، لأنهم جميعًا يعيشون فى الغابات والوديان والصحارى، وكلهم مُلاّك بقر وغنم، وليس عندهم إبل ، ولو ساق تاجر جملاً إلى هناك فإنه لا يعيش أكثر من عام؛ لأن الجمل يموت حينما يأكل من أعشابهم.

وليس عندهم ملح مطلقًا، وإذا باع شخص ملحًا فإنه يأخذ (عوضًا) عنه جلد السمور، وشرابهم فى الصيف لبن الجياد ويسمونه : القمز.

وفى الشتاء يصنع كل شخص ما يكفيه من القديد وأكثره من لحوم الأغنام والجياد والبقر. وفى هذه النواحى يسقط كثير من الثلوج، ويكون ارتفاع الثلوج بمقدار بوصة فوق الأرض، وفى الشتاء يسوقون الدواب حتى ولاية الأغراق(٩)، إلى مكان يسمونه: أو كتاع، ومن أجل الشتاء صنعوا من الخشب أماكن للماء تحت الأرض، وحينما تتجمد الثلوج ولا تستطيع دوابهم أن تشرب منه فإنهم يشربون من الماء الذى ادخروه فى أول أشهر الصيف، وصيدهم هو السمور والقاقم، ويسمون رئيسهم: ييغو.

اليغمـــــــــائية

أما حال اليغمائية فإنه حينما رأى تُرْك الخاقان أن الخلخ كثروا وصارت لهم الغلبة وتصادقوا مع هياطلة تخار وتزوجوا نساءهم وزوجوهم ؛ رأوا ضعف تركستان فخافوا على ولايتهم. ثم هرب قوم من التغزغز، وخرجوا من قبيلتهم ودخلوا بين الخلخ فلم يفعل الخلخ لهم شيئًا مطلقًا، ثم أمرهم تُرْك الخاقان فنزلوا بين الخلخ والكيماك،

وكان لهم زعيم سيئ شرير يدعى: يغما، وولايتهم على شمال الصين على مسيرة شهر واحد، وأهلها أغنياء لديهم دواب كثيرة، ويأتون بالسمور الصيني الجيد من هناك، وقد تعصبوا فيما بينهم، ونزل قوم منهم في جوار تُرْك الخاقان، وحينما اقتربوا من اليغمائية واختلطوا بهم أرسلوا شخصًا إلى تُرْك الخاقان فخبروه عن أحوالهم وقالوا: لقد قدمنا لخدمتكم ولو تأذنوا نكون مع اليغمائية في كل مكان، فسر ترك الخاقان لذلك وقالوا لهم قولاً كريمًا فأذنوا لهم بما طلبوا، ولكن الخلخ كانوا يسيئون معاملتهم، فلما اشتد بهم الضيق ذهبوا من هناك إلى الكيماك، وبعد مضي مدة أخذ شدتع في مضايقتهم وألحق الضرر بهم وطلب منهم الخراج وضايقهم، فطلبوا الأمان من ترك الخاقان، وذهبوا من بين الخلخ والكيماك إلى الخاقان، فأسمى الخاقان زعيمهم: يغماتع، بدلاً من : شدتع.

الخـــــرخيز

أما سبب تجمع الخرخيز وزعيمهم فهو أن زعيمهم كان من جملة السقالبة، وكان واحداً من زعمائهم، وكان في سقلاب، وكان هناك رسول قد قدم من الروم فقتل هذا الرجل الرسول، وسبب قتله: أن الروم من نسل سام بن نوح والسقالبة من نسل يافث، ولهم علاقة بالكلب فقد تربوا بلبنه، وقصة هذا: هي أنهم حينما أخذوا خصية النملة ليافث دعت النملة ألا يسر الله عز وجل يافثًا من ناحية أبنائه. وحينما جاء ليافث ابنٌ وكان يسمي: أمكة، كان كفيف البصر، وكان الكلب له أربعة عيون في ذلك الوقت، وكان ليافث كلبة كانت في حالة وضع، فقتل يافث ابن الكلبة وأرضع ابنه لبنها حتى صار في الرابعة من عمره، وكان يمسك أذن الكلبة ويسير على شكل العميان ، وحينما ولدت الكلبة مرة أخرى تركت ابن يافث وشكرت الله عزّ وجل على نجاتها من ذلك الابن، ولما كان اليوم التالي صارت عينا الكلبة لهذا الطفل، وبقي للكلبة عينان، وبقي أثر هذا على وجه الكلبة، حتى الآن، ولهذا السبب يسمونهم: سگلابي، وقتل هذا الرسول في هذه المناظرة.

ولم يكن هناك بد من وجوب خروج هذا الزعيم من سقلاب، فذهب إلى الخزر، فاستقبله خاقان الخزر استقبالاً حسنًا وأحسن وفادته طيله حياته، ولما ولي خاقان آخر تضايق منه، ولم يكن هناك حيلة في أن يترك المكان، فرحل وقدم إلى شحرت، وكان شحرت هذا رجلاً من عظماء الخزر، وكان يجلس بين أهل الخزر والكيماك بألفي فارس. فأرسل الخزر رجلاً إلى شحرت (يقول له): أخرج السقلابي . فأخبر السقلابي بذلك فذهب السقلابي إلى ولاية أخزر، فقد كانت بينه وبين أهلها قرابة . ولما وصل في الطريق إلى مكان يتوسط الكيماك، وكانت أحوال خاقان التغزغز سيئة مع قبيلته وقد غضب منهم وقتلهم فأتوا متفرقين واحداً أو اثنين إلى السقلابي، فتقبلهم جميعًا وأحسن معاملتهم بما يليق بهم حتى كثروا، وأرسل إلى يشحرت[10] شخصًا وعقد معه أواصر الصداقة حتى قوي، ثم هجم على الغز وقتل الكثير منهم، وأخذ منهم كثيراً من الأسرى، وحصل على مال كثير سواء عن طريق الغارة والهجوم أو عن طريق الأسرى، فقد باعهم جميعًا، وأسمى تلك القبيلة التي اجتمعت معه: خرخيز، ولما وصل خبره إلى سقلاب قدم إليه أناس كثيرون من السقالبة مع الأهل والذخيرة والعدة والعتاد، واختلطوا مع الآخرين، ونمت بينهم أواصر الصلة حتى صاروا جميعًا (شخصًا) واحداً. وعلامة السقالبة في الخرخيز ظاهرة وهي احمرار الشعر وبياض الجلد.

أما طريق خرخيز من التغزغز: فإن السائر يسير من چينا نجكت[11] إلى خسن[12] ، ومن خسن إلى نوخبك حتى كمپزارت مسيرة شهر أو شهرين بين الحشائش ، ثم يسير خمسة أيام في الصحراء ، ومن كمپزارت حتى مانبك لو[13] ، ثم يسير خمسة أيام في الصحراء ، ومن كمپزارت حتى ما نبك لو يسير يومين في الجبال ، ثم يصل إلى غابة وتظهر أماكن فسيحة وعيون وأماكن الصيد، ويظل كذلك حتى يظهر جبل يسمونه: ما نبك لو، وهو جبل عال به يكثر السمور والسنجاب والغزلان التي بها نافحة المسك ، كما تكثر الأشجار والصيد وهو جبل كثير الغني والعمران . ثم يتجه (السائر) من مانبك لو إلى كوكمان في طريق به مراعي وعيون ماء

عذبة وصيد كثير، ويظل يسير أربعة أيام فى مثل هذه الأماكن حتى يصل الى جبل كوكمان ، وهو جبل عال به أشجار كثيره ، وطريقه ضيق .

ومن كوكمان حتى حائط الخرخيز (مسيرة) سبعة أيام فى طريق واسع به خضرة وماء، وهى أماكن جميلة بها أشجار ملتفة يصعب على العدو الدخول فيها وكأن الطريق كله بستان حتى يصل (السائر) الى حائط الخرخيز، وهناك معسكر خاقان الخرخيز وهو من أجمل وأبدع الأماكن، وله ثلاثة طرق يصعب اختراقها لما فيها من جبال مرتفعة وأشجار ملتفة، ومن هذه الطرق الثلاثة طريق يتجه إلى التغزغز وهذا يكون صوب الجنوب ، والآخر إلى كيماك والخلخ وهذا يكون ناحية المغرب، وثلاثة أخرى تتجه ناحية الصحراء، ثم يجب السير ثلاثة أشهر حتى يصل السائر الى قبيلة يسمونها "فورى"[١٤]، وهى قبيلة كبيرة، وهذا أيضًا له طريقان يتجهان إلى الصحراء : أحدهما طريق مسيرته ثلاثة أشهر، والآخر الواقع جهة اليسار طريق مسيرته شهران، ولكن هذا الطريق صعب فالذاهب فيه يجب أن يسير بين الغابات والأشجار الكثيفة، وهو طريق ضيق وأماكنه ضيقة ومياهه كثيرة وأنهاره متصلة، وتهطل هناك الأمطار بغزارة، والسائر فى هذا الطريق يجب أن يدبر (وسائل) النقل والفرش التى سيجلس عليها، فإن الطريق مغمور بالماء ولا يمكن وضع شيء على الأرض، ويجب السير فى أثر الدواب حتى يعبر تلك المياه، وفى هذه المياه أناس متوحشون لا يختلطون بأحد مطلقًا ولا يعرفون لغة أحد كما لا يعرف أحد لغتهم، فهم وحوش آدمية، وهم يضعون كل شيء فوق ظهورهم، وملابسهم من جلود الوحوش، وإذا خرجوا من هذه البحيرة فإنهم يكونون مثل السمك الذى يضيق تنفسه كثيرًا إذا خرج من الماء، وقسيهم من الخشب، وملابسهم من جلود الوحوش ، وطعامهم من لحوم الصيد، ومذهبهم أنهم لا يمدون أيديهم مطلقًا إلى ملابس وأمتعة أى إنسان، وحينما يحاربون فإنهم يخرجون مع عيالهم وذخائرهم، وحينما يظفرون بالعدو فإنهم لا يمدون أيديهم على أمتعته ولكنهم يشعلون النار فيها، ولا يحملون شيئًا مطلقًا إلا السلاح والحديد، ويكون لقاؤهم بزوجاتهم على هيئة الحيوانات ذوات الأربع، ويدفعون مهر النساء وحوشًا أو ودياناً

تكثر بها الوحوش والأشجار الكثيفة. ولو ذهب أحد من هؤلاء إلى الخرخيز فإنه لا يتناول الطعام (عنده)، وإذا رأى أحدهم صديقه فإنه يهرب ويفر، ولو مات أحدهم فإنهم يحملون جثته إلى الجبل ويعلقونها على شجرة حتى تفنى، ويجلب المسك والفراء وقرون البقر الصينى من ناحية الخرخيز، أما أهل الخرخيز فهم يحرقون الجثة مثل الهنود ويقولون: إن النار هى أطهر شيء كما تطهر كل شيء تمسه، وهى تطهر الجثة من القانورات والذنوب.

وبعض الخرخيز يعبد البقر، وبعضهم يقدس الرياح؛ وبعضهم القنفذ، والبعض العقعق؛ وبعضهم الأشجار الجميلة، وبينهم رجل يأتى كل عام فى يوم معلوم ويحضر كل المطربين وجميع أنواع آلات السرور ويسمون هذا الرجل: فغيتون. وحينما يأخذ المطربون فى السماع يفقد (هذا الرجل) الوعى، فيسألونه عن كل ما سيكون فى هذا العام من الضيق والسعة والأمطار والقحط والخوف والطمأنينة وغلبة العدو، فيذكرها كلها، وما يقوله يحدث أكثره كما يقال.

التـــبت

أما التبت فسببها: أن رجلاً من مشاهير حمير اسمه: ثابت، كان من جملة معتمدى ملوك اليمن الذين كانوا يسمونهم: تبع. وحينما أعطى التبع نيابة الملك إلى ثابت كتبت أمه ورقة إلى ثابت (تقول فيها) : إن أحد التتابعة ذهب ناحية المشرق، واجتهد كثيراً حتى وصل إلى ولاية نباتها ذهب وترابها مسك وحشائشها بخور وصيدها الغزلان المسكية، وعلى جبالها الثلوج؛ وصحراؤها أنضر الأماكن، وتسقى زراعتها بالتراب والغبار بدلاً من الماء. وحينما قرأ ثابت هذه الورقة مال قلبه فكون جيشًا عظيمًا، وذهب . وحينما وصل إلى التبت رأى فيها كل هذه العلامات فصار معلومًا له أنها هى، فسر كثيراً وقد بلغها حينما حل الظلام حتى إن الرجال لم ير أحدهم الآخر.

فأمر إبليس الشياطين فرفعوا ثابتًا هذا وحملوه في الهواء، وكان ثابت يلبس دائمًا درعًا تحت ملابسه، ولم يكن أحد يعرف ذلك قط، ووضعه الشياطين على قمة جبل عال. وظل هناك عشرين يومًا ثم تقدم إليه إبليس على شكل رجل عجوز وأمره (قائلاً): اسجد لي وأطع أمري، ففعل كما أمر، فأنزله إبليس من فوق قمة الجبل، وفعل الفاحشة كل منهما مع الآخر . ثم تدلى شعر ثابت مثل النساء، وبدلت عنه أسباب الزينة، وربط عصابة صفراء على جبينه وأخذ القمل يتساقط من جانبيها في فمه ويبلعه، وقال: كل من يريد أن يطول عمره ولا يكون له عدو يجب أن يأكل من هذا الحيوان. وأمره إبليس (قائلاً): اقتل سبعة من قادة جيشك، وذكر اسم كل واحد، ثم سأله ثابت: ماذا سيكون لي حينما أنفذ هذه الشروط وأطيع أمرك؟ قال: ستصبح خاقان، وستسخر لك كل هذه البلاد، وستصير سيدًا لكل الأقوام، ثم أنزله من فوق الجبل فرأى رجلاً من الجيش كان يجمع الحطب ، وكان قد رآه من مدة ، وكان إبليس يسير معه مثل رجل عجوز، فسأله ثابت عن الجيش فقال: بعد ذهابك دب الخلاف بينهم. وسأل الجندي ثابتًا عن حاله فأجاب إبليس : لقد حملته الملائكة حتى أمره الله عز وجل بأوامره وألبسه درعه، وأنزله معي وفي الحال أسرع هذا الرجل إلى العسكر وأخبر الجيش بما رآه وسمعه.

وفي عقبه وصل ثابت وفعل كل ما أمر به (إبليس) وأسموه الخاقان. ولهذا السبب فإن أهل التبت يأكلون القمل، ويأتي بعضهم بعضًا، ويسدلون شعورهم مثل النساء، ويربطون عليه عصابة، وعقيدة تبت خاقان: أنه قدم من السماء ومعه درع من نور.

أما طريق التبت فإنه يخرج من "ختن" حتى "الشان"، ويمر على جبال ختن ، وهذه الجبال عامرة تكثر بها الحيوانات مثل الأبقار الوحشية وغير الوحشية والأغنام، ومن هذه الجبال يصل إلى الشان، ويمتد هناك جسر من طرف جبل إلى طرف جبل آخر.

ويقولون: إن أهل ختن هم الذين أقاموا هذا الجسر في الأزمنة السابقة.

ومن هذا الجسر حتى باب تبت خاقان يوجد جبل حينما يقترب منه الناس فإنها تضيق أنفاسهم من هوائه فلا يستطيعون التنفس، ويثقل لسانهم، ويموت كثير من الناس فيه، وأهل التبت يسمون هذا الجبل: جبل السم. وحينما يترك (السائر) مدينة كاشغر فإنه يسير على الطريق الأيمن بين جبلين من ناحية المشرق ويمر عليهما ويصل إلى ولاية يسمونها: أوزكند[١٥]، وولايتها أربعون فرسخًا نصفها جبال ونصفها سهول ملتصقة[١٦]، وفي كاشغر قرى كثيرة ومدن لا تعد ولا تحصى.

وفي الأيام السالفة كانت تلك الولاية (تابعة) لتبت خاقان. ثم يتجه (السائر) من ولاية كاشغر إلى سار سامكث، ومن هناك يسير إلى نهر اليشو ويقطع صحراء حتى يظهر نهير يتجه إلى كجا[١٧]، وعلى شاطئ هذا النهير ناحية الصحراء توجد قرية حمحان[١٨]، ويسكنها أهل التبت، ثم يستقبل (السائر) نهرًا يعبرونه بالسفن ويدخلون إلى حدود التبت، وحينما يصلون إلى ولاية تبت خاقان يجدون بها معبدًا به أصنام كثيرة، ومن هذه الأصنام صنم وضع فوق كرسي وقد وضعوا وراءه شيئًا من الخشب مثل الرأس وعليه يتكئ هذا الصنم، وحينما تضع يدك على ظهر الصنم يخرج منه شرر كالنار ، وعلى شمال هذا المكان صحراء، وعلى شاطئ النهر يكثر شجر العناب.

برسخـــــان

أما أصل برسخان فقد كانوا من العجم وفارس، وسبب ذلك: أن الإسكندر ذا القرنين حينما انتصر على دارا وهزم العجم، واستولى على إيرانشهر اعتقد أنهم بعد رحيله سيخرجون ويقتلون خليفته ويستولون على الملك؛ لأن العجم كانوا ذوي رأي وتدبير وشجاعة وعلم كثير وحيلة ودهاء وبصيرة وذكاء، فأخذ من كل ولاية واحدًا أو اثنين كرهينة واصطحبهما معه، ثم اتجه إلى التركستان، ومن هناك قصد ختن،

وحينما وصل إلى هناك فى المكان الذى يسمي اليوم: برسخان وليلان[١٩] ، قالوا لذى القرنين: إن أمامنا طرق خربة وأماكن ضيقة ليس بها علف، وهذه الأمتعة التى معك ستحتاج (دوابها) إلى العلف، فأمر ذو القرنين فدفنوا كل ما كان زائداً، وحملوا الدواب بالعلف ، وأمر عظماء إيران (قائلاً): " وأنتم أيضاً انتظروا هنا، وحينما أحضر من ولاية الصين سآخذكم معى وأعيدكم إلى ولاياتكم"، فظلوا هناك بأمره، وحينما جاء الخبر بأن الإسكندر استولى على الصين ومن هناك ذهب إلى الهندوستان يئس عظماء إيران من الوصول إلى بلادهم، فأرسلوا شخصاً إلى الصين وأتوا بالعمال من بنائين ونجارين ونقاشين، وأمروهم أن يضعوا أماكن على غرار مدن فارس وأسموها: پارس خان، يعني: أمير فارس. أما طريق برسخان فهو من نوبكت إلى كومبركت على طريق جگليان[٢٠]، ومن هناك إلى جيل[٢١]. وجيل هذا جبل طريقه ضيق، ومن هناك حتى يار اثنا عشر فرسخاً، ويار هذه قرية خرج منها ثلاثة آلاف رجل وتوطنوا بين خيام الچگل، وعلى شكل الطريق بحيرة يسمونها: ايسغ كول[٢٢]، وهى مقدار سبعة أيام فى الطريق، ويصب فى ايسغ كول هذه سبعون نهراً ومياهها ملحة، ومن هناك حتى تونگ[٢٣] خمسة فراسخ، ومن تونگ حتى برسخان مسيرة ثلاثة أيام، وليس فى هذا الطريق شيء إلا خيام الچگل، ويسمون فلاح برسخان منع[٢٤]، ويخرج من برسخان ستة آلاف رجل يعيشون حول بحيرة ايسغ كول فى الچگل، وعلى يمين برسخان قمتان عاليتان إحداهما تسمي: يبغو[٢٥]، والأخرى تسمي : أزار، ونهيراً يسمي تفسخان[٢٦] على جانب المشرق وحدود الصين، وهذه القمة شاهقة الارتفاع إلى حد أن الطيور التى تجيء من ناحية الصين لا تستطيع أن تمر من هناك.

الغــــــــز

الغز ويسمون ملكهم: تغزغزخاقان، وفى الزمان القديم كان تغزخاقان يدعى كورتگين، وأمه كانت من الصين، وكان له أخ يدعى خاقان وكانت أمه حرة فصمم خاقان على قتل أخيه كورتگين فجرح رقبته، ثم ألقى به فى مقابر موتاهم، وكان

لكورتكين مرضعة فحملته إلى السوبين (أتباع ماني) وأعطته للأطباء فعالجوا داء الجرح حتى شفي، ثم حضر إلى مدينة أزل، وكانت عاصمة تغز خاقان، [illegible] فاحتالوا حتى قصروا خبره على تغزغزخاقان، وطيبوا خاطره حتى أذن بصحبته واستبقاه عنده ثم ولاه إمارة نبچيكث[27]، فاستعد كورتكين واستمال أهل تلك الناحية وأحسن إليهم، وأخذ يتحين الفرص حتى سمع أن تغزخاقان خرج إلى الصيد، فجمع جمعًا كثيفًا، وقصد تغز خاقان، وحينما التقى كلاهما الآخر تحاربا وانتصر كورتكين على جيش الخاقان، وهرب التغزخاقان ودخل حصنًا فأمر كورتكين فهدموا [illegible] حوائط الحصن حتى تهدمت، ثم أمر كورتكين فنادوا وأعطوا الأمان، واغتم أهل الحصن من شدة الجوع، وخرجوا جميعًا وطلبوا الأمان فأمنهم، وظل تغزغزخاقان في الحصن فأرسل كورتكين رجاله إليه وقتلوه شنقًا، واستولى كورتكين على الملك.

ويقولون : إن تغز خاقان كان له ألف غلام وأربعمائة جارية ، وكانوا يأكلون دائمًا كل يوم ثلاث مرات من عند الخاقان، ويحملون ما يشتهون من الأطعمة، ويحتسون الشراب وقت الطعام، وكان شرابهم من العنب.

وكان الخاقان لا يخرج أمام العامة إلا نادرًا، وعندما كان يركب كان يتقدم قواده الطرق، ومن قصره حتى أطراف المدينة كانت تصطف على الجانبين فرقتان من الناس، ويتقدم (الركب) أحد رؤساء المدينة ليوسع الطريق، وحينما كان ينزل من فوق صهوة جواده كانوا يحضرون الجواد من الدهليز، وكان الجميع يركع أمام الجواد حتى يمضي.

وكان التغز خاقان على مذهب الديناوري[28]، وفي ولاياته توجد المسيحية والثنوية والشمنية[29].

وكان له من الوزراء تسعة، وحينما كانوا يقبضون على شخص بتهمة السرقة كانوا يضعون القيد في أرجله ويربطون يديه على رقبته، ثم يضربونه مائتي عصا على كل فخذ من فخذيه ومائة على ظهره ، ثم يقطعون يديه وأذنيه ويجدعون أنفه، ثم يطوفون به في الأسواق وينادي المنادي : " ليرى كل إنسان هذا حتى لا يفعل فعله" .

وحينما يزني شخص ببنت يضرب ثلاثمائة عصا، ويأخذون منه جواداً (أنثى) ولجاماً فضياً، كما يأخذون منه فضة (قيمة) خمسين جملاً، ولو يزني بسيدة يأتون بكليهما إلى بلاط الملك، ويأمر الملك أن يضربوا كلاً منهما ثلاثمائة عصا، ويحبسون الرجل في خيمة حتى يجدد فرشاً كاملاً من الأبسطة الجديدة والطنافس ويعطيه لزوج تلك المرأة، ثم يزوجون الزانية بالزاني، كما يجب على الزاني أن يقدم للزوج زوجة (جديدة) أو يدفع له مهرها إذا كان الزاني غنياً، أما إذا كان فقيراً فإنه يضرب ثلاثمائة عصا ويترك .

وإذا قتل شخص رجلاً فإنهم يلزمونه بفدية كبيرة حتى تستأصل ماله، ويسجنونه شهراً، ويضربونه ثلاثمائة عصا ثم يطلقونه، أما إذا كان فقيراً فإنهم يقتصرون على الضرب بالعصا ويطلقون سراحه.

والتغزغز خاقان يعيش في قصر حوائطه منخفضة، ومفروش بالأبسطة والطنافس، ويفرشون فوقها فرش أهل الإسلام ثم يضعون الديباج الصيني فوقها، أما عامتهم فيعيشون في الصحراء في الخيام والخركاهات، ولباس ملوكهم هو الديباج الصيني والحرير، أما العامة فالحرير والكرباس ، وثوبهم مثل اللحاف طويل له أكمام واسعة، وحزام ملكهم محلى بالدر ، وحينما تفد الجموع إلى مجلسه فإنه يضع التاج على رأسه، وحينما يركب يركب معه ثلاثون ألف فارس يرتدي كلهم الدروع والجواشن وحراب الحرب.

أما طرقهم فهي من برسخان حتى بنچول[٢٠]، ومن بنجول إلى كجا، ومن كجا إلى أزل، ومن أزل إلى سيكت[٢١]، ومن سيكت إلى مكشميغناثور[٢٢]، ومن ثور إلى جكت مقدار مسيرة يوم واحد في الطريق، وهذه الولاية أصغر من كجا، وهي اثنتان وعشرون قرية، وهذه الصحراء قارسة البرودة في الشتاء ويسقط بها ثلج قليل، وفي الصيف تكون شديدة الحرارة ، وبسبب الحرارة يبني أهل تلك البلاد سراديب يحتمون بها من الحرارة وهم يمكثون بها كثيراً، ويهربون من أمطار تلك الصحراء في بيوتهم ، وكل رجالهم يتمنطقون ويعلقون في منطقتهم السكين والخنجر، ويعلقون فيها كل شيء

يلزمـهم، وعلى باب العـامل يجـتـمع كل يوم ثلاثمـائة أو أربعـمـائة رجل من الديناوريين[٣٣]، يقرأون صحف ماني بصـوت عال، ثم يـأتون إلى العامل يسلمون عليه، ويعودون ويرجعون من جينا نجكث إلى التغزغز[٣٤].

الصـــــين

أما الصين فهي بلاد عظيمة، ولو شغلت بشرح كل ولاياتها فسوف يخرج الكتاب عن الحدود المشروطة. وتبدأ طرقها من التغزغز وجيثا نجكث حتى قمول[٣٥] ناحية المشرق في الصحراء، وحين يصل السائر إلى بغ شور[٣٦]، يعبر نهراً أمامه بالسفينة ويصل إلى قمول في اليوم الثامن، ويذهب من قمول في طريق صحراوى به عيون وحشائش ، ويسير سبعة أيام حتى يصل إلى مدينة من مدن الصين يسمونها ساجو، ومن هناك بعد ثلاثة أيام يصل إلى سنكلاخ، ومن سنكلاخ سبعة أيام حتى سنمجو[٣٧]، ويصل من هناك إلى خاجو في ثلاثة أيام ، ومن هناك يصل إلى كجا فى ثمانية أيام، ومن هناك بعد خمسة عشر يوماً يصل إلى نهر يسمي راغيان يعبرونه بسفينة، ومن بغ شور حتي خمدان[٣٨] التي هى مدينة الصين العظيمة مسيرة شهر، وفى الطريق رباطات ومنازل عامرة، ويقولون : إن مملكة الصين هى أكبر ممالك الأرض وأغنى الأماكن ، وهى واسعه فسيحة الأرجاء، وكل أهلها فطس الأنوف، وملابس رجالهم ونسائهم من الديباج والحرير، وكذلك ملابس فقرائهم وعبيدهم من الحرير، ولها أكمام واسعة، وأثوابهم طويلة تجر على الأرض من طولها، وكل أحيانهم مسقوفة ويرشونها كل يوم بالماء ثلاث مرات وينظفونها[٣٩]، ولها أبواب عالية من خشب السوسن، وبيوتهم بها تماثيل، وأبنيتهم من الطين والآجر، وللكهم جيش كثيف، ويقولون : إن أربعة آلاف رجل يأخذون معاشهم من ذلك الملك، وله ثمانية عشر ألف قائد من الرجال ، وأهل الصين جميعًا يحبون الملبس، وهم أصحاب مروءة ، ثيابهم نظيفة ، ولهم أوانٍ كثيرة.

يقـول أبو زيد الحكيم[٤٠]: إن التـرك الذين يسكنون الجـبـال والصـحـارى هم صَينيـون. وحدود الصـين: أحـدها خـتن، والآخـر الهند، والثـالث بلور، والرابـع يأجـوج ومـأجوج ، ويقول عبيـد الله بن خرداذبه[٤١]: إن كل من يذهب إلى الصـين يرجع عالمًا وعاقلاً وعظيمًا. وللصين ملوك كثيرون أما أعظم ملوكهم فهو الفغفور، وهو لا يلبس غير الديباج المذهب ولا يركب غير الجواد الأبيض، وفي الصين كلها لا يملك شخص غيره هذين الشيئين، والناس يرونه مرة واحدة كل عام، فهو يخرج ويركب على الجواد ، أما الآخرون فيترجلون ويسيرون أمامه وخلفه حتى يذهب إلى قبور آبائه، وحينما يقترب من مدافن آبائه يترجل ويسير إلى القبر ويعطي إذنًا بالمثول لديه، ويظل هناك حتى منتصف النهار ثم يعود ويمكث في قصره، ويقيمون قبة صفراء ديباجية خلف مجلسه، ويجلس الآخرون على الجانب الآخر من تلك القبة، ويحضر هناك كل من في ملكه وحوزته من المطربين، ويهب الملك في هذا اليوم العطايا والصلات لكل شخص صغيرًا أو كبيرًا عظيمًا أو حقيرًا، ولا يستطيع شخص أن يقترب من الملك إلا إذا كان وزيرًا أو صاحبًا أو رسولاً قد قدم من عند ملك، وهو يأذن بالمثول في البلاط سبعة أيام في العام، ويراه قواد الجيش ورؤساء المدينة ، وحينما يصيح: رسول، يحملونه إليه فيراه، وعندما يقدم رسول من عند ملك يمثل أمامه في الوقت الذي يأمر به، ويقف وزير عن يمين الفغفور ووزير عن شماله، وحينما يراه هذا الرسول من بعيد يكشف رأسه ويسجد له، ولا يرفع رأسه حتى يأمرونه، ثم يتقدم الحاجب مع الوزير ويسألون الرسول، ثم يخبرون الملك، ثم يأمر الملك أن يعملوا عرشًا من الديباج وكأسًا فضيًا مطليًا بالذهب، ويحملوه إلى الرسول ثم يأتوا به كل يوم للطعام في منزل الملك. وحينما يريد الملك أن يأتي جارية يصعد المنجمون فوق أسطح المنازل ويرون الطالع ويتخيرون له وقتًا يأتيها فيه.

وأكثر زراعة الصين تعتمد على مياه الأمطار، وحينما تقل الأمطار يرتفع سعر الغلال ، وحينئذ يذهب الملك إلى المعبد ويقبض على الرهبان (الشمنيين) ويضع الأغلال في رقابهم ويقيدهم ويهددهم (قائلاً): إذا لم تنزل الأمطار سوف أقتلكم . ويظلون مقيدين حتى تنزل الأمطار.

وفي قصر الملك مائة وثمانون من الكوسات والطبول حينما تغرب الشمس يقرعونها دفعة واحدة، وعندما يسمعها الناس يهرولون إلي منازلهم، وعند غروب الشمس لا يبقى فى السوق شخص مطلقًا، ويأتى العسس شاهرين سيوفهم فى الأسواق والطرقات، وكل من يجدونه خارج المنزل فى ذلك الوقت يضربون عنقه فى الحال ويكتبون على ظهره: هذا جزاء من يخرج عن أمر الملك، ولا يعاقبون المجرم إلا بالقتل.

أما (جزاء) الفحش فإنه لو قذف شخص شخصًا فإنهم يضربون القاذف بالعصى ثم يطلقون سراحه. ويقولون: إنه فى ناحية الصين وفى مملكتها يوجد أناس حمر الجلود حمر الشعور، يعيشون جميعًا فى سراديب، وحينما تشتد حرارة الشمس يهرعون إلى هذه السراديب، وعندما تغرب يخرجون منها إلى الخلاء.

أما طرقها فيذهب السائر من كاشغر إلى پايش، ومن پايش إلى كرمان[٤٢]، ومن كرمان إلى خمجان، ومن خمجان إلى غزا، ومن غزا إلى پونچه، ومن پونچه إلى أخجكت، ومن أخجكت إلى كنديلو، ومن هناك إلى رايكونيد، ومنها إلى تدروف، ومن تدروف إلى رستويه ، وحتى يصل السائر إلي الصين فإنه يسير فى قرى متصلة ، ومن رستويه إلي ختن، ومن ختن حتي مدينة الصين، وفي الوسط يظهر نهر يسمونه : يره، ومن هناك يصل إلى قرية يسمونها : يسمويم، ومن هناك إلى مقابر المسلمين، ومن هناك إلى حرمى[٤٣] الذى يظهر من الصين، ومن هناك إلى مدينة ختن، ومن مدينة ختن حتى مدينة كجا مسيرة خمسة عشر يوم، ومدينة كجا مدينة عظيمة من حدود الصين ولكن بها التغزغز. وفى مدينة ختن أصنام كثيرة ففى هذه المدينة ستة عشر معبداً، ويدينون بالشامانية، وفى المدينة كنيستان للمسيحيين: إحداهما داخل المدينة، والأخرى خارجها. ويوجد فى أسواقها القحاب والفاجرات.

وكل نسائهم ورجالهم شعورهم مدلاة مسترسلة، وأثوابهم مثل أثواب العرب. وتكثر الفاكهة فى الصين كما يكثر القمح والچال[٤٤] والذرة والسمسم والأترج والقطن، كما يكثر الحرير وأكثر لباسهم منه، وأشجار التوت كثيرة ويوجد من لديه ألف شجرة، كما يكثر الكروم والعنب والأنجاص بأنواعه، وفى قنواتهم توجد السلاحف. وفى ولاية

ختن توجد طواحين كثيرة، ولكل طاحونة حجر سفلي وهو ساكن لا يتحرك مطلقًا، وفي مقر الطاحونة توجد غرابيل كثيرة من الحرير الصيني تدور بالماء فينزل الدقيق وتبقى الردة، وعندهم آلة يسمونها: طاحونة الهواء، يرمون فيها الغلال فتنظفها: الفضلات في جانب، والغلال النظيفة في جانب آخر، وتدار تلك الطواحين بالرياح والمياه، ولديهم آلة أخرى يطحنون بها الزعتر والكال، وقد صنعت مستديرة مثل المعلف، ويضعون فيها خشبًا قويًا يربطون عليه حجرًا صلدًا، وفي أسفل الخشب صنعوا الطلسمات حتى يديرها الماء.

الخـــــــزر

أما طريقها فيخرج السائر من كركانج حتى جبل خوارزم، ثم يتجه من هذا الجبل إلى بجناك، ثم تظهر بحيرة خوارزم، ويعبر السائر البحيرة من اليمين ويمضي من هناك فيصل إلى اليابسة والصحراء، ويظل السائر فيها مدة تسعة أيام، وكل يوم أو يومين يصل إلى بئر فيدلي دلوه ويسقي دوابه، وعندما يكون اليوم العاشر يصل إلى العيون والمياه، والصيد هناك من كل نوع من طيور وغزلان، ثم يصل إلى مراع قليلة يظل بها ستة عشر يومًا، وفي اليوم السابع عشر يصل إلى خيام البجناك. ووادي ولاية البجناك مسيرته ثلاثون يومًا في الطريق، ومن كل ناحية (من حدود بلادهم) تتصل بهم أمة، منها ولاية الخفچاخ، ومن الجنوب الغربي الخزر، ومن الغرب السقلاب ، وهؤلاء جميعًا أهل غَزْوٍ فهم يغيرون على البجناك[٤٥]، ويسترقونهم ويبيعونهم .

والبجناك أرباب مال وأصحاب دواب وأغنام كثيرة، كما يمتلكون الكثير من الأواني الذهبية والفضية، ولديهم أسلحة وفيرة ولهم مناطق فضية، وأعلام وطراوات[٤٦] يحملونها في الحرب، ولهم أبواق يعلقونها في قرون البقر ينفخون فيها وقت الحرب.

وطرق البجناك صعبة وعرة، فكل من يريد أن يخرج منها قاصداً أى جهة عليه أن يشترى جياداً؛ لأن انحناءات الطرق ووعورتها وصعوبة مسالكها لا تمكن السائر من الخروج منها إلا على ظهور الدواب. ويسلك التجار إلى هناك طرقًا وعرة المسالك تمتلئ بالأشجار، وهم يعرفونها بعلامات النجوم. وبين البجناك والخزر عشرة أيام (يقطعها السائر) بين الصحارى والمشاجر والغابات حتى يبلغ الخزر. وولاية الخزر واسعة الأرجاء على جانبها جبل عظيم، وتمتد من هذا الجبل حتى تفليس(٤٧).

ولهم ملك عظيم يسمى الشاد(٤٨)، (كما أن) لهم ملكًا عظيم آخر يمسى: خاقان الخزر، وليس له إلا الاسم فقط، أما مدار كل شغل الولاية والحشم فهو على الشاد، وليس هناك إنسان أعظم منه مطلقًا، ورئيسهم الأعظم يهودى(٤٩)، وكل من يميل إليه من الكبراء والعظماء كذلك، أما الباقون فهم على دين يشبه دين الأتراك الغز.

ولهم مدينتان عظيمتان: إحداهما يسمونها سارغش(٥٠)، والأخرى خنلغ(٥١). ومقامهم فى الشتاء فى هاتين المدينتين ، وحينما يأتى الربيع يخرجون إلى الخلاء ولا يعودون إلى المدينة إلا حينما يحل الشتاء . وفى هذه المدينة قوم من المسلمين ، لهم مساجد وأئمة ومؤذنون ومدارس، ويأخذ منهم الخزر كل عام شيئًا (من المال) من كل قدر طاقته.

وهم يذهبون كل عام إلى ولاية بجناك للغزو، ويجلبون من هناك المال والسبايا، ويأخذ الشاد خراجه ويوزعه على الجيش، ولهم أثناء غزو البرداس(٥٢) الأعلام والطراوات والجواشن المحكمة والمعارك الضارية. وحينما يركب ملك الخزر يركب معه عشرة آلاف فارس بعدتهم وآلاتهم، بعضهم يأخذون الرواتب وبعضهم يأخذ مما يوضع على الأغنياء من أموال وصدقات. وحينما يذهبون إلى الغزو يتركون جيشاً كثيفًا فى ديارهم حتى يرعوا الأبناء والذخيرة.

ولهم طلائع تتقدم الجيش كما تتقدم الملك الشموع والنفاطات التى صنعت من الشمع حتى يسير على نورها مع الجيش. وحينما يغنمون غنيمة فإنهم يجتمعون جميعاً

فى المعسكر ثم يأخذ قائدهم لنفسه كل ما يريد من تلك الغنائم، ثم يقسم الباقى بين الجيش، ويأمر قائدهم أن يحمل كل جندى دبوسًا له رأس حادة مقداره ثلاثة أذرع، وحينما ينزلون يغرسون تلك الدبابيس حولهم، ويعلقون على كل دبوس درعًا ، وبذلك يصنعون ما يشبه السور للمعسكر ، ولو أراد عدو أن يباغتهم ليلاً ويقيم معهم معركة فإنه لا يستطيع ؛ لأن المعسكر بتلك الدبابيس المدرعة يصير كأنه الحصن.

وفى ولاية الخزر تكثر الزروع والبساتين ، وتتوفر النعم، ويكثر العمل، ومن هناك يأتون بالشمع الجيد.

أما البرداس فهو بين الخزر والبلكار، وبين البرداس والخزر مسيرة خمسة عشر يومًا ، وكلهم تحت طاعة ملك الخزر. .ويخرج من البرداس عشرة آلاف فارس ليس لهم قائد يأمرهم، إلا أنه فى كل محلة يوجد شيخ أو شيخان للفصل بينهم فى الخصومات أو فى أى شىء يقع بينهم: والبرداس ولاية كبيرة، وكل عام تدب العداوة وتقع الحروب بينهم وبين البلكار والبجناك. وأهل البرداس كلهم أصحاب جلد وشجاعة، ودينهم مثل دين الغز، ووجوههم جميلة بيضاء. وإذا ارتكب أحدهم خيانة فى حق الآخر مثل ظلم أو جرح فإنه لا يتم الصلح إلا إذا جوزى (المعتدى) بنفس ما صنع .

وحينما تبلغ الفتاة (فإنها تخرج عن طاعة والدها) (٥٣)، فتختار من تريده زوجًا لنفسها ، فيأتى ويطلبها من والدها ويتزوجها.

ولدى أهل البرداس إبل وأبقار كثيرة وعسل بلا حصر، وأكثر أموالهم من جلود القاقم. وهم فريقان: فريق يحرق الموتى والفريق الآخر يدفنهم، وجلوسهم فى الخلاء، وأكثر أشجارهم من شجر الخلخ(٥٤)، ولهم مزارع، وأموالهم من العسل ، وملبسهم من جلد القاقم، وطول ولايتهم مسيرة تسعة عشر يومًا، ومثل ذلك فى العرض. ومن ولايتهم حتى الخزر أرض واسعة عامرة بها عيون وأشجار ومياه جارية وأنهار.

وبعضهم حينما يذهب من البرداس إلى الخزر فإنهم يذهبون عن طريق نهر أتل[٥٥]، ويركبون السفن، كما يذهب البعض بالطريق البرى.

وسلاحهم الحربة والقوس ، وليس لهم دروع ، وليس لكل واحد منهم جواد إلا الأغنياء ذوى النعم الكثيرة، ولباسهم القرطق والعباءة ، ولا توجد فاكهة فى هذه الولاية، وشرابهم من العسل، ولهم قلنسوة وعمامة يلفونها حولها .

البلكـــار

أما البلكار فهى متصلة مع البرداس. وأهل البلكار على شاطئ جيحون الذى يصب ماؤه فى بحر الخزر، ويسمون هذا الجزء من جيحون: نهر أتل، وهو بين الخزر وسقلاب، ويسمون ملكهم املان وهو ينتمى إلى الإسلام، والبلكار حوالى خمسمائة ألف بيت، وكل بلادهم غابات ملتفة الأشجار، وهم يتجولون فيها من مكان إلى مكان، وهم ثلاث طوائف: الأولى يسمونها برسولا[٥٦]، والثانية أسكل[٥٧]، والثالثة البلكار. وتعيش هذه الطوائف الثلاث فى مكان واحد . وللخزر معهم معاملات، وهم يحضرون للتجارة، وكذلك يحضرون الروس . وتجارتهم كلها السمور والقاقم والسنجاب.

وهم يعيشون على شواطئ الأنهار، ولهم زراعة فهم يزرعون كل الحبوب مثل القمح والشعير والكال[٥٨]، والعدس والماش[٥٩]، وكل شىء غير ذلك (من الحبوب).

وأكثرهم ينتسب للإسلام ، وتوجد فى ولايتهم مساجد ومدارس ومؤذنون وأئمة وحينما يرى كافر أحد معارفه من المسلمين فإنه يسجد له.

وبين البلكار والبرداس مسيرة ثلاثة ايام، وهم دائمًا يذهبون للغزو، ويهجمون على البرداس ويأسرونهم. ولديهم أسلحة كثيرة ودواب وجياد أصيلة.

وحينما يطلب الملك دوابًا فإنهم يعطونه، وكذلك يأخذ العشر من كل من يتاجر، وحينما يتزوج الرجل فإن الملك يأخذ من كل من الزوجين جوادًا .

ولباسهم يشبه لباس المسلمين، وقبورهم تشبه قبورهم، وأكثر أموالهم فراء القاقم[٦٠]، وليس لهم صامت[٦١]، وهم عوضًا عن الفضة يعطون فراء الدلق الواحد بدرهمين، ويأخذون من ديار الإسلام الدرهم الأبيض المستدير، فالمسلمون يحملون هذه الدراهم وهم يشترون بها منهم كل شيء ، ثم يعطي البلكان تلك الدراهم إلى الروس والسقالبة؛ فهؤلاء القوم لا يبيعون الملابس والأقمشة والأمتعة إلا بالدرهم الصامت.

المجغــــــرية

حدود المجغر بين ولاية البلكار وولاية أسكل وهي من البلكار أيضًا، والمجغرية قوم من الترك، ولقائدهم عشرون ألف فارس، وهذا القائد يسمونه : "كنده"[٦٢]، وهو اسم للكهم الأعظم. أما القائد الذي يصدر الأمر بالأعمال فيسمونه : "جله" ، والمجغرية يفعلون ما يأمر به.

ولهم صحراء ممتلئة بالحشائش، ومكانهم متسع، فولايتهم مائة فرسخ في مائة فرسخ وهي متصلة ببحر الروم[٦٣] حيث يصب فيه نهر جيحون، وهم يعيشون بين هذا المجرى، وحينما يحل الشتاء يأتي بالقرب من جيحون من يكون بعيدًا عنه ويستقر هناك طيلة الشتاء، وهم يصطادون الأسماك ويعيشون عليها.

أما الذين على يسار نهر جيحون ناحية السقلاب فهم قوم من الروم، وكلهم مسيحيون، ويسمونهم : نندر، وهم أكثر عددًا من المجغرية، ولكنهم أضعف، ويطلقون على فرعي جيحون : أتل[٦٤]، ودوبا[٦٥].

ولما كان المجغرية يستقرون على شاطئ النهر فهم يرون هؤلاء النندرية.

وتحت النندرية على شاطئ النهر جبل عظيم، ويخرج الماء بجانب هذا الجبل، وخلفه يوجد قوم من النصارى يسمونهم : مروات، وبينهم وبين النندر مسيرة عشرة أيام. وهم أقوام كثيرة، وملابسهم تشبه ملابس العرب من ناحية العمامة والقميص والجبة.

ولهم زراعة، وجبالهم بها كروم، ومياههم تجرى على وجه الأرض ، وليس لديهم قنوات، ويقولون : إن عددهم أكثر من الروم، وهم أمة منفصلة، وأكثر تجارتهم مع العرب.

وذلك النهر الواقع على يمين المجغر يمتد إلى السقلاب، ومن هناك يسير فى ديار الخزر، وذلك النهر هو أعظم من هذين[٦٦].

وولاية المجغر كلها أشجار وبحيرات، وأرضها رطبة، وهم جميعًا يتغلبون على السقالبة ويرهقونهم فيتخذونهم كالأسرى لهم.

والمجغرية يعبدون النيران، ويذهبون إلى غزو السقلاب والروس، ويجلبون من هناك الرقيق ويحملونه إلى بلاد الروم ويبيعونه.

والمجغرية أصحاب جمال وشكل حسن، وملابسهم من الديباج، وأسلحتهم من الفضة الخالصة والدر الخالص، ودائمًا يذهبون للإغارة على السقالبة.

ومن المجغر حتى السقلاب مسيرة عشرة أيام في طريق مغبر، وفي السقلاب مدينة يسمونها : وانتيت[٦٧].

ولديهم عادات عند الزواج : فإنهم حينما يريدون الزواج يحملون مهرًا على قدر المرأة وثرائها، ويذهبون به إليها على الدواب (سواء فى ذلك) قليلة أو كثيرة، وحينما يجلسون لتحديد المهر فإن والد العروس يصحب والد العريس إلى منزله، ويجمع كل ما لديه من فراء السمور والقاقم والسنجاب والدله وفراء بطن الثعلب مع الأردية المطرزة بالذهب والديباج، يجمع كل هذه الجلود ومقدارها عشرة، ثم يلفها فى بساط ويربطها على جواد والد العريس، ويصحبه بها إلى منزله، وكل ما يجب أن يدفع من مهر العروس من دواب وأموال صامتة يرسلونها كلها إلى العروس، وحينئذ يحضرون العروس إلى منزل العريس.

السقـــــــــلاب

بين البجـناك والسقـلاب طـريق مسيرته عشـرة أيام، وهذا الـطريق وعر ولكن به عيون وأشجار كثيـرة. وولاية السقـلاب مكان فسـيح به أشـجار كثيفة، وأكثر السقـالبة يعيـش بين هـذه الأشجـار، وليـس لديهـم كروم أو مـزارع، وعندهـم بيوت للنحل مصـنوعة من الخشـب، وبها عسـل كثيـر، ويستـخـرجـون من البيـت الواحـد خمسين منًا من الشـهـد أو ستـين أو مـائة، وهـم يربون الخنازير، وقطعانها عندهم كالأغنام عندنا.

وإذا مات أحد رجالهم فإنهم يحرقونه، أما إذا ماتت امرأة فإنهم يقطعون يدها ووجهها بالسكين، وعندما يحرقون الجثة فإنهم يأتون في اليوم التالي ويأخذون الرماد من هناك، ويحملونه في جرار يضعونها على مرتفع فإذا مضى عام على الميت فإنهم يحضرون الكثير من الشـهد، ويجتمع أهل بيت الميت ويجلسون على قبره ويأكلون هذا، ثم يعودون.

وهم يعبدون البقر، وأكثر زراعتهم الجاورس[٦٨]، وحينما يكون وقت الحصاد فإنهم يضعون حبوب الجاورس في مغرفة ثم يرفعون رؤوسـهم إلى السمـاء ويقولون : يارب أنت الذى جعلت هذا رزقًا ووهبتنا إياه[٦٩].

وعندهم أنواع متعددة من الآلات الموسيقية مثل العود والطنبور والناى وما شابه ذلك، ونايهم طويل فهو يصل إلى ذراعين، وللعود ثمانى نغمات وهو عريض، وشرابهم من العسل، وهم يعزفون الأنغام وقت حرق الميت ويقولون : نحن مسرورون لأن الرحمة ستهبط عليه.

وجيـادهم قليلة، وملبسـهم قميص وموزة[٧٠]، وأحذيتهم على شكل الأحذية التى ترتديهـا نسـاء طبرسـتان، وعيشـتهم بسيطة، والسـلاح الذى يحـاربون به هو الحـربة والدرع والسنان.

ورئيسهم يلبس التاج، ويدين له الكل بالطاعة والولاء، ورئيس الرؤساء يسمونه "سويت ملك" ، ويسمون خليفته "سونبج"، ويسمون مقر ملكه "جراوت" ويعقد السوق في هذه المدينة ثلاث مرات في الشهر، وهم يتفقدون فيه كل شيء، كما يبيعون كل شيء.

ومن عاداتهم : أنهم يقيمون الحصون، فكل عدة أشخاص يتجمعون ويقيمون حصناً؛ لأن المجغرية يهجمون ويغيرون عليهم في كل وقت، و(عندما) يأتي المجغرية فإن السقالبة يدخلون في تلك الحصون التي شيدوها، وأكثر إقامتهم في الشتاء في تلك القلاع والحصون، أما في الصيف فإقامتهم بين المشاجر وفي الرياض والبساتين. ولهم عبيد كثيرون.

وإذا قبضوا على سارق فإنهم يسلبون كل ماله، ثم يرسلونه في أطراف الولاية ويعذبونه هناك، ولا يروج بينهم الزنا. وإذا أحبت امرأة رجلاً فإنها تقترب منه، وحينما تعطيه يدها فإنه يتزوجها إذا لم تكن متزوجة، أما إذا كانت متزوجة فإنه يبعدها ويقول : "لو كان فيك فلاح لحفظت نفسك"، وإذا زنت امرأة متزوجة فإنهم يقتلونها ولا يقبلون منها عذراً. وعندهم الشراب والشهد كثير، ومن الناس من يكون لديه مائة دن من شراب الشهد.

أمـــا الـــروس

أما الروس فهي جزيرة في البحر مسيرتها ثلاثة أيام في ثلاثة أيام، وكلها غابات وأشجار، أما أرضها فهي شديدة الرطوبة بحيث إذا وضعت قدمك فوقها فإنها لا تتحرك من الرطوبة. ولهم ملك يدعى خاقان الروس.

وفي هذه الجزيرة حوالي مائة ألف فارس، وهم يذهبون دائماً إلى غزو السقالبة في السفن فيقضون عليهم ويتخذونهم سبايا ثم يحملونهم إلى الخزر والبلكار ويبيعونهم، وليس عندهم زرع ولا بذر، أما زراعتهم فهي الغارة على السقالبة. وحينما يولد لهم ابن فإنهم يمتشقون الحسام ويضعونه أمامه، ويقول الوالد : ليس عندي ذهب

ولا فضة ولا مال فأتركه ميراثًا لك، هذا ميراثك فامتشقه وجرده بنفسك"[٧١]، وتجارتهم السمور والسنجاب وغيرها من الفراء.

وهم أناس طاهرو الثياب، يرعون رقيقهم، ولا يجيزون ظلم الفقير بينهم، ولو وقع الظلم فإنهم يلومون الظالم وينصفون الفقير منه.

وملابس الروس والسقالبة من الكتان، ورجالهم يزينون أيديهم بالأساور الذهبية.

وتوجد في هذه الجزيرة مدن كبيرة، وفيها تكثر السيوف السلمانية، وحينما يحاربون يتحدون جميعًا ولا يخالف أحدهم الآخر خاصة أمام العدو.

وحينما يشكو أحدهم الآخر إلى الخاقان فإنه قد يفصل في الدعوى بأمره، وقد يأمرهما بالمبارزة، وأيهما يطعن بسيف فإن صاحب ذلك السيف يكون هو المظلوم.

ولديهم أطباء، وحكمهم نافذ على ملوكهم، وحينما يأخذ طبيب رجلاً أو امرأة ويضع حبلاً في رقبته ويعلقه في مكانه حتى يهلك ويقول هذا الأمر للملك فإنهم يرضون بذلك ولا يقول له إنسان شيئًا، وملكهم يأخذ العشر من التجار، وهم يذهبون دائمًا إلى السقلاب بالمائة والمائتين، وطيلة مكثهم يستولون على النفقات عنوة، ويذهب من السقالبة أناس كثيرون إلى بلاد الروس، ويخدمون الروس حتى يأمنوا من الرق، وشلوارهم مائة ذراع[٧٢] وحينما يلبسونه فإنهم يرفعونه إلى الركبة ويعقدونه، ولديهم أثواب كالألحفة، وهم يلبسون القبعة، وجميعهم لا وفاء عندهم، وعندما يذهب أحدهم لقضاء حاجة فإنه يصحب معه اثنين أو ثلاثة مدججين بالسلاح حتى يحرسوه، ولو وجد أحدهم شخصًا وحيدًا فإنه يقتله.

وحينما يقتلون رجلاً عظيمًا فإنهم يحفرون له في الأرض قبرًا فسيح الأرجاء كالمنزل الواسع، ويضعون معه كل ملابسه وأساوره، ووعاء مائه والطعام والشراب، والأموال الصامتة ، كما يضعون امرأته معه، ثم يغلقون القبر حتى تموت امرأته.

ســـــرير

أما ولاية سرير فبينها وبين الخزر اثنا عشر فرسخًا، فالسائر يذهب أولاً في صحراء، وبعد ذلك يقترب من جبل عالٍ ونهر، ثم يسير ثلاثة أيام حتى يصل إلى قلعة الملك، وهذه القلعة على قمة جبل، أربعة فراسخ في أربعة، وسورها من الحجر . ولهذا الملك عرشان: أحدهما ذهبي، والآخر فضي، وهو يجلس على العرش الذهبي، أما ندماؤه فيجلسون على العرش الفضي.

وأكثر أهل القلعة مسيحيون، وباقي أهل المملكة كفار، وفي هذه المملكة عشرون ألف قبيلة ومذهب ، ولهم قرى وضياع، وهم يعبدون الأسد .

وحينما يموت أحدهم فإنهم يضعونه في النعش، ويخرجونه إلى ميدان، ويتركونه هناك ثلاثة أيام وهو على هذا النحو، ثم يحضرون في اليوم الثالث وقد ارتدوا الأسلحة والدروع والجواشن كما حملوا (سائر) الأسلحة الأخرى، ويقفون في طرف الميدان، ويصوبون الحراب، ويضعون السهام في الأقواس، ثم يجردون السيوف، ويهجمون على الميت ولكن لا يطعنونه، ويقولون: إن سبب ذلك أن رجلاً منهم مات، ودفنوه، ولما كان اليوم الثالث خرج من القبر، وحينما سألوه قال: غاب عني الوعي، فدفنتموني، ثم ارتدت إلى الروح في القبر مرة أخرى فنهضت وخرجت، والآن حينما يموت واحد منهم فإنهم لا يدفنونه ثلاثة أيام، وإنما يخيفونه بالحراب والسهام والسيوف، فإذا كان حيًا فسيقوم بنفسه أما إذا كان غير ذلك فإنهم يدفنونه، وقد بقيت هذه العادة عندهم.

وهم يسمون ملكهم آواز، وعلى يمين السرير توجد ولاية تسمي جندان[٧٣]، وأهل جندان لهم ثلاثة أديان: فحينما يكون يوم الجمعة فإنهم يذهبون مع المسلمين إلى المسجد ويؤدون صلاة الجمعة ثم يرجعون، وحينما يكون السبت فإنهم يأتون إلى الكنائس ويتعبدون مع المسيحيين على طريقتهم، ولوسألهم شخص لماذا تفعلون ذلك؟ فإنهم يقولون: إن هذه الفرق الثلاث أحدها يخالف الآخر وكل شخص يقول: إنني على حق[٧٤] ، إذن فنحن موافقون مع الفرق الثلاثة لعلنا ندرك الحق في ذلك. وعلى بعد عشرة

فراسخ من سرير توجد شجرة ليس فيها ثمر، وكل أربعاء يأتي أهل هذه المدينة ومعهم كل أنواع الفواكه ، فيعلقونها فى تلك الشجرة، ثم يسجدون لها، ويقدمون القرابين هناك.

اللان[٧٥]

يخرج السائر من سرير ويسير ثلاثة أيام وسط الجبال والمراعى حتى يصل إلى اللان، وملكها مسيحي، وكل أهل مملكته كفار يعبدون الأصنام. ومن حدودها يسير الإنسان عشرة أيام بين الأشجار والنهيرات والغدران والأماكن النضرة حتى يصل إلى قلعة يسمونها " باب اللان" وهى على قمة جبل، وتحت هذا الجبل طريق مستقيم، وحوله من جميع النواحى جبال عالية، ويتناوب الحراسة على هذه القلعة ليلاً ونهاراً ألف رجل.

چگل وتركشى

أما طريق جگل وتركشى فإنك حين تقصد نويكت فإنه يجب أن تذهب ناحية بنجيكت، ويسمون دهقان بنجيكت كولبقار، ومن هناك يخرج ثمانون ألف رجل، والقرية المتصلة بها يسمونها: أوزكت. ولها دهقان آخر، وعلى يسار هذه القرية توجد ثلاث قرى، وبينها وبين هذه القرى قرية يسمونها: سوياب، ودهقانها شقيق يبغو أو من رجاله، ويركب معه خمسمائة فارس، وهذه القرية مجاورة للجبل، وقرية أخرى يسمونها: خوتكيال وهى على بعد فرسخ من هذه القرية ، ومن هناك يخرج خمسة آلاف رجل، ويسمون دهقانها: يغليلا، وهو تركشى يعيش فى الصحراء، والقرية الثالثة يسمونها: دلوغغ، وهى أصغر، فمنها يخرح حوالى ثلاثمائة شخص، وهذه القرية أيضًا قريبة من الجبل ، والترك يتقربون إلى هذا الجبل ويقسمون به، ويقولون: إن هذا هو مكان رب العزة. تعالى الله عما يقولون.

وحينما تترك هذا الكوتل[٧٦] فإنك تجد على يساره ولاية التركستان من تخسيان وأرمان، وهناك قرية يسمونها سويان بين أوزكت وأرمان ويخرج من هناك عشرون ألف رجل، وعلى مقربة من هذا قرية يسمونها: " بيگلغ" ويوجد في هذه القرية شقيق جبويه[٧٧]، وحينما يركب يصحبه خمسمائة رجل، وإذا حدث له أمر فإنه يركب معه ثلاثة آلاف رجل من حول تلك القرية، ويسمون دهقانها: " بدان سانكو" وأصله منها، ويخرج من هناك سبعة آلاف رجل، ويوجد ماء بالقرب من هذا الكوتل، وحينما تعبر من هناك يظهر أتراك چگل وتظهر خيامهم وخرگاهاتهم.

كانت هذه هي معارف الترك التي وجدت بعضها في "المسالك والممالك" للجيهاني[٧٨] وبعضها من توضيح الدنيا[٧٩]؛ وبعضها من كتاب عبيد الله خردادبه[٨٠]؛ وبعضها أوردته هنا من أماكن متفرقة، ومن الجائز أن تكون لهم قبائل غير هذه، ولكن لم توجد أخبارهم، فليعذروني.

الهوامش

(١) سورة الإسراء، آية [٧٠].

(٢) العبارة الفارسية " بياغو رابر إيشان.. رياست داد" ذكر الأستاذ حبيبى أنها فى كلا النسختين اللتين اعتمد عليهما " برايشان بارساعت رياست داد" وذكر أن كلمة (بارساعت) غير واضحة لذلك وضع نقاطاً مكانها ، ويقول: يجوز أن تكون (أرساتگ) التى أتت فى تاريخ رشيدى بشكل (أورستگ) وهى اسم قبيلة فى ختاى وتبت.

(٣) يقول الأستاذ حبيبى : إن كلمة (خبوى) التى وردت فى كلا النسختين لم تفهم. ولكن صاحب (برهان قاطع) يقول : إن كلمة (خبيوه) معناها (سامان كار) أى مدبر الأمور ، ومن الجائز أن تكون (خبيوه) ، ويقول مينارسكي فى تعليقات (حدود العالم) ص ٢٨٨ : إن هذه الكلمة (خبوى = خبيوه) . ويقول الكاشغرى فى (الديوان) ج ٣ ، ص ٢٤ : إنه لقب أقل من الخاقان.

(٤) جونيان وهى قبيلة من الخلج.

(٥) يقول الأستاذ حبيبى : إن هذه الكلمة وردت فى اللغة الدرية الطخارية فى كتبية بغلان : شاد ، وقد ضبطها الطبرى الشد والشذ ، وهى فى اللغة الطخارية بمعنى شاه، أى ملك.

(٦) نهر أرتش ونهر إرتشت كلاهما صحيحة.

(٧) يقول الأستاذ حبيبى : ذكرت هكذا فى النسختين اللتين صحح عنهما، ويذكر أن مينارسكى تردد أيضاً فى قراءتها فقد قرأها مرة : أويوقمن، ومرة أولوقمن.

(٨) ذكرت فى النص (در ختان شش؟) ويذكر الأستاذ حبيبى أنها ذكرت هكذا فى النسختين، ولكنه يرجح أن تكون (درختان گشن) بمعنى : الأشجار الكثيفة.

(٩) يذكر الأستاذ حبيبى أن كلا النسختين (عراق)، ولكن مينارسكى يرجح أن تكون (أغراق)، ذلك أن العراق حتى العصر السلجوقى كانت بعيدة عن ذهاب وإياب القبائل التركية والمغولية، وكلمة أغراق ذكرت فى (ديوان لغات الترك) للكاشغرى، وفى طبقات ناصرى أنها اسم قبيلة كانت تحارب ضد جنكيز خان، ويقول المروزى فى (طبائع الحيوان) : إنهم كانوا يحملون دوابهم وقت سقوط الثلوج إلى ناحية غزنة.

(١٠) هكذا وردت، وذكرت قبل ذلك شحرت.

(١١) هكذا فى المتن.

(١٢) هكذا فى المتن.

(١٣) يقول الأستاذ حبيبي نقلاً عن مينارسكي : إن مانبك لو منطقة مراعي نواحي جبل التاء.

(١٤) فوري : إحدى قبائل المغول بالاستناد إلى جامع التواريخ، ويخلط بارتولد بينها وبين كولي كن من مجموعة تولوس قبائل الترك.

(١٥) أوزكند أو أوزجند مدينة في نواحي فرغانة بما وراء النهر.

(١٦) الجملة باللغة الفارسية:

" نيمي أزوكوها، ونيمي پيچيده كورستان"

ذكر حبيبى نقلاً عن تعليقات مينارسكى أن كلمة (كورستان) بمعنى السهول أو الجبال العارية، ويرى الأستاذ حبيبى أن كلمة (كورستان بمعنى الجبال العارية – لم ترد فى كتب اللغة بهذا المعنى. ويرى بارتولد كما ذكر حبيبى أن كلمة (كورستان) هى (گورستان) بمعنى المقابر.

أما الأستاذ حبيبى فيرى أن كلمة (كوره) مأخوذة من (خوره) التى تستعمل مجازاً بمعنى ناحية وقصبة والمدن والقرى العامرة، ويرى أن (كور) بضم الأول وفتح الثانى فى العربية هى جمع (كوره). وكلمة (پيچيده) معناها الملتصقة والقريبة، ونحن نرى أن ترجمة الكلمة بالسهول الملتصقة هى أقرب المعانى لا سيما وأن الجرديزى يقول قبلها مباشرة : "نصفها جبال" (المترجم).

(١٧) وهى مدينة على حدود ما وراء النهر والصين.

(١٨) يقول الأستاذ حبيبى إنها من المحتمل أن تكون (برخمان) فإنها فى (حدود العالم) من جملة بلاد التبت ومينارسكى متردد فى قراءتها فهو يقرأها حمحان أو حمحاب.

(١٩) يسمونها لبان، ويحتمل أن تكون ليلاق هى لبان.

(٢٠) هكذا ضبطها حبيبى، : فهو يقول : إن چگل ناحية من النواحى هناك كما ذكر فى (حدود العالم).

(٢١) يكتب الكاشغرى فى العشرين قبيلة التركية اسم جميل بضمتين، ومن الجائز أن جميل كث هى مسكن هذه القبيلة. ومينارسكى يعتبر أن جبل أريق هو هذا المكان، وهو يقع فى مدخل وادى بوام. ويضيف حبيبى أنه فى المتن رجح (جبل) اعتماداً على مينارسكى.

(٢٢) اسم هذا الجبل اليوم ابسك كول، والبيرونى فى جدول جغرافية القانون يكتب هذا الاسم ايسي كول يعنى البحيرة الحارة، وهى بالقرب من برسخان.

(٢٣) منسوب إلى أحد الأبناء الترك الأربعة الأسطوريين، وكان أحدهم يسمى تونگ.

(٢٤) يكتبها مينارسكي بامنغ ، ثم يقول : إنه يجوز أن يكون منف وهى رائجة بين أهل القرغيز.

(٢٥) يبغو : وفى الأصل يذكر الكاشغرى أنه يوجد بالقرب من برسخان واد باسم يفغوذ وهو يبغو هذا، وهو عبارة عن وادى (جزت) الحالى ويقع فى تينشان الوسطى بالقرب من منبع نهر أفسود.

(٢٦) تفسخان · تفشخان = توشقان بالتركية بمعنى أرنب، وهو ممر المجرى الغربى لآقسو وطريق وادى بدل .

(٢٧) وهى مدينة من مدن سمرقند على شاطئ نهر بخارى.

(٢٨) يقول الأستاذ حبيبي : إن الكلمة وردت هكذا في الأصل ويضيف هل هي دينار؟ ونرى أن الديناورى ربما كان مذهبًا معروفًا لأن الجرديزى يذكر بعد ذلك الديانات التي كانت معروفة هناك. (المترجم)

(٢٩) الشمنية : كانوا يعبدون الأوثان وبقاياهم الآن بالهند والصين والتغزغز، ويسميهم أهل خراسان شمنان.
(الآثار الباقية ص ٢٦) (المترجم).

(٣٠) في (حدود العالم) بنچول على حدود الخلخ.

(٣١) يقول مينارسكي : كلمة سيكند بمعنى القرى الثلاث، ويسمى الصينيون منطقة بارخورتورسى كند وتقع على بعد اثني عشر كيلو مترًا غرب تورفان.

(٣٢) مكشميفناثور : ذكرت في (حدود العالم) كمسيفيا وهي قرية بين جبلين ناحية التغزغز.

(٣٣) العبارة باللغة الفارسية: (وبردر عامل أنجا هرروز سيصد ياچهار صد مرد گردآيند آز ديناوريان وصحف مانى رابا آواز بلندهمى خوانند)، ويذكر الأستاذ حبيبي أنه يعرف من سياق الكلام أن هؤلاء الناس كانوا يدينون بالديانة المانوية، ولكن هذا الاسم وهو ديناور لم يرد في كشفيات تورفان التي ظهرت في كتاب جيكسون، ثم يقول : أظن من بيت واحد قرأته للفردوسي أن أصل هذه الكلمة دين أوران ذلك لأن الفردوسي يقول عن مانى :

بصور تكرى گفت پيغمبرم

زدين أوران جهان برترم

قال للرسام: أنا نبى، وأنا أعلى من معلمى الدين في الدنيا .

ويضيف الأستاذ حبيبي أن كلمة دين أوران التي وردت هنا يجب الوقوف عندها، ذلك لأن الطبقات في شريعة مانى خمسة: معلمين - مشمسين- قسيسين - صديقين - سماعين، إذن فمن الممكن أن تكون كلمة ديناوران التي ذكرها الجرديزى يقصد بها المعلمين الذين كانوا يعلمون الديانة المانوية، ومن الممكن أن يقال حدسًا : إن مراد الفردوسي أن الأنبياء ليسوا معلمين، ذلك لأن هنا وظيفة الدين أوران هي قراءة وتبليغ صحف مانى، ثم يضيف الأستاذ حبيبي : إن هذا الكلام لا يزال حدسًا وتخمينًا.

(٣٤) بالفارسية (وازجينا نجكث بازيكرد؟ شود وبتغزغز) هكذا في الفارسية، ووضع الأستاذ حبيبي استفهامات وقال : إنها غير واضحة في الأصل ولم يستطع قراءتها .

(٣٥) ويكتبها مينارسكي : باخمود - خمول = قمول، ويذكر (حدود العالم) أن بها مراعي وأماكن لخركاهات التغزغز.

(٣٦) بغ شور هذه على حد قول صاحب (حدود العالم) كانت مدينة الصين العظيمة، وهي غير بغ شور التي تقع في غرجستان شمال هرات ، والنسبة إلى هذه بغويست.

(٣٧) ويكتبها مينارسكي سوچو ، وقد وجدت في الكتابات التركية عن أورخون : سوچو. بالبق.

(٣٨) خمدان مدينة عظيمة في الصين ، وهي مقر فغفور الصين.

(٣٩) كتب الأستاذ حبيبي أن هذه الصفحة لم يستطع قراءتها بسبب الرطوبة التي علقت بها، لذلك فهو قد صححها تصحيحاً حدسياً والكلمة بالفارسية برونيد.

(٤٠) يقصد أبا زيد أحمد بن سهل البلخى المتوفى عام ٣٢٢هـ، والمولود عام ٢٣٥هـ .

(٤١) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (٢١١ - ٣٠٠هـ) مؤلف كتاب "المسالك والممالك" .

(٤٢) هكذا فى النص، ووردت فى "حدود العالم" كريان.

(٤٣) يقول الأستاذ حبيبي : من الجائز أن تكون حرمي هي سور الصين .

(٤٤) هو نوع من الغلال الدقيقة.

(٤٥) ذكر الأستاذ حبيبى أن هذه السطور فى الأصل قد أصابها التلف فأصبحت غير قابلة للقراءة .

(٤٦) الطراوة : هي الثوب الحريرى الذى يعلق على الحربة والعلم فى الحرب.

٤٧) في الأصل (وازكوه تاتقليس مكند) ، وقد صححها حبيبى إلى (دازكوه تاتفليس بكشد).

(٤٨) كلمة شاد هى الصورة القديمة لكلمة شاه مثل كلمة ساه هي الشكل القديم لكلمة چاه، وهذه الكلمة كتبها الطبرى ومؤرخو العرب الشاذ والشذ بإلحاق الألف واللام العربية، والمؤرخون المتأخرون لم يكن لديهم علم عن الأصل القديم لهذه الكلمة فجعلوا الألف واللام جزءاً من الكلمة.

(٤٩) أضاف الأستاذ حبيبى ما ترجمته : (ورئيسهم الأعظم يهودى) وهذه الإضافة ليست موجودة بالنص الأصلى كما نبه هو على ذلك، ونحن نميل إلى عدم ذكر هذه الإضافة لأن الرئيس الأعظم عند الخزر إنما هو الشاد فقط، وهذا مصرح به فى النص، ومن ثم لا داعى لهذه الإضافة بعد ذلك خاصة وأنها تفيد أن هناك رئيساً أعظم وهو شخص آخر غير الشاد، مع أن النص قبل ذلك يقول : (وليس هناك أعظم من الشاد مطلقًا) (المترجم).

(٥٠) سارغش: ذكرت في "حدود العالم" سارغز، وفى "الأعلاق النفيسة" لابن رسته : سارعشن. ويقول مينارسكي : إن الجزء الأول من هذه الكلمة وهو (سريع) تركى الأصل بمعنى أصفر، وسارعشن هذه يجب أن تكون مدينة سقسين المعروفة .

(٥١) ختلغ: بضم الخاء واللام ، يقول الأستاذ حبيبى نقلا عن مينارسكى : إنها بمعنى راضٍ ومسرور.

(٥٢) يقول ابن رسته : إن برداس بين الخزر والبلكار يفصلها عن الخزر مسيرة خمسة عشر يوماً، وعن البلكار مسيرة ثلاثة أيام.

(٥٣) هكذا النص، ولعله يقصد أن أمرها فى شأن الزواج إنما يكون بيدها ولا سلطان للوالد عليها (المترجم).

(٥٤) نوع من التوت البرى .

(٥٥) أتل نهر ينبع من جبل في شمال الارتش، ويمر فى وسط الغور والكيماك غرباً بين البنجال والترك والبرطاس، ويصب فى بحر الخزر وسط مدينة أتل فى حدود الخزر.

(٥٦) هكذا فى الأصل وهو متفق مع ابن رسته. وفي "حدود العالم" (بهضولا) ويقول عنها مينارسكى : إنها تتفق مع برزويلاء التي ذكر في الشاهنامة، وبرزيلاء التي ذكرت في مجمل التواريخ والقصص، وبرزولاو للإدريسي، وتوجد حتى الآن محطة للسكة الحديد باسم برزولا بين كييف وأوديسه.

(٥٧) هكذا في الأصل، وفي حدود العالم (أشكال)، وفي ابن رسته (أسفل).

(٥٨) نوع من الغلال حبوبه صغيرة جداً (برهان قاطع) (المترجم).

(٥٩) نوع من الحبوب كالعدس يطبخ ويؤكل (المترجم).

(٦٠) وهو حيوان له فراء يسمونه القاقم وقط الصحراء، ومعربه : الدلق. (المترجم).

(٦١) كناية عن الذهب والفضة والنقود والمجوهرات . والمال الناطق هو ما يكون من جوارٍ وغلمان.

(٦٢) يقول مينارسكي : إن ترك ألتاي يطلقون كندى على الأشراف الذين بعد الملك، وفي الشاهنامة : كند هو اسم بطل سقلاب.

(٦٣) ورد في تحقيق حبيبى (بحر الروم)، وفي تعليقات مينارسكي على "حدود العالم" ورد الآتي : وبلادهم تتصل ببحيرة الروم وفي هذه البحيرة يصب نهران، ويعيش هؤلاء الناس بين هذين النهرين (ص ١٦٠ – ١٦١) (المترجم).

(٦٤) أتل وقد ورد في حدود العالم أنه نهر الفولجا.

(٦٥) المراد منه هو الدينوب الحالي.

(٦٦) أورد حبيبى النص هكذا دون تعليق، ولكن مينارسكي يقول في تعليقه على حدود العالم : "بلادهم متصلة ببحر الروم (هكذا) ومستقر هؤلاء القوم على شواطئ نهرين أحدهما وفا (= دوبا)، والآخر يسمى (أتل) وهما أكبر من جيحون، ص ١٦٥ (المترجم).

(٦٧) ذكرت في "حدود العالم" ص ١٨٨ : وابنيت هي أول مدينة على مشرق صقلاب.

(٦٨) الجاورس ويسمى أيضاً : الجال، وهو حبوب صغيرة تشبه حبوب الأرزن الذى يقدم للحمام كطعام (المترجم).

(٦٩) يقول الأستاذ حبيبي : إن في كلا النسختين ورد النص (مارا بارزداني) ولكنها من الجائز أن تقرأ (بارزاني) وقد ترجمتها على المعنى الثاني، ويقول ابن رسته حاكياً قولهم على هذا النحو : "يا رب أنت الذى رزقتنا فأتممه علينا".

(٧٠) الموزة : حذاء يصل طوله إلى الركبة ويلبسه أصحاب المناطق الباردة عندما تهطل الثلوج لأن نعله قد صمم بطريقة لا تجعل القدم تنزلق أثناء السير (المترجم).

(٧١) هذه العبارة وردت في الجرديزى : [خود ملح ؟ وخود نجور]، وفي حاشية الأستاذ حبيبى قال : إن هذه الكلمة موضع شك وقال : من الجائز أن تكون بياخ في صيغة الأمر من ياختن بمعنى تجريد السيف من غمده. (المترجم)

(٧٢) هكذا في الأصل .

(٧٣) يقول حبيبي: وردت هكذا في كلا النسختين، وفي (حدود العالم) : ص ١٩٢ خندان، وذكرها ابن رسته خيزان، والمسعودي جيران، والبلاذري خيزان، وذكرها مينارسكي أخيداق.

(٧٤) فيما يظهر هنا أنه سقط من حديث الجرديزي كلام لأنه تحدث عن ثلاث فرق ولم يذكر إلا المسلمين والمسيحيين، ويبدو أنه كان يخص اليهود بيوم السبت والمسيحيين بالأحد ولكن سقطت من النسخة أو تآكلت (المترجم).

(٧٥) اللان: هي الكلمة المعربة لكلمة آلان، وعلى حد قول البيروني في تحديد الأماكن: هم الناس الذين ذهبوا بين خوارزم وجرجان بسواحل الخزر، ولغتهم مركبة من الخوارزمية والبجناكية، إذن فاللان يسكنون على الشاطئ الشرقي لبحيرة كسبين وقد ذكر الفردوسي قلعة اللان.

(٧٦) الكوتل : هو الجبل المنخفض الذي يكون فوقه طريق للعبور (لغات عاميانه فارسي أفغانستان) (المترجم).

(٧٧) جبويه – بيغو = جبغو.

(٧٨) كان هذا الكتاب يقع في سبعة مجلدات، وهو مفقود ، ومؤلفه هو الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني توفي عام ٣٢٥ هـ، وكان وزيراً للسامانيين.

(٧٩) يقول حبيبي : من الجائز أن يكون هذا الكتاب قد ذكر هنا خطأ، وصحته هو " ربع الدنيا" الذي ذكره الجرديزي قبل ذلك خاصة وأنه لا يوجد كتاب بهذا الاسم.

(٨٠) اسمه: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه، توفي حوالي عام ٣٠٠ هـ، وطبع كتابه " المسالك والممالك" في ليدن عام ١٨٨٩م.

الباب الثامن عشر[1]

في معارف الروم

اعلم أن الروم مملكة عظيمة، وقراها كثيرة، والروم أناس أذكياء أهل علم عظيم، يدينون بالمسيحية منذ الأزمان الغابرة حتى هذا الوقت، وكان لهم حكماء وفلاسفة كثيرون، وقد ألفوا كتبًا كثيرة وخاصة في علم الطب والطبائع.

كركيس :

ذهب على طريقة "أرطكسر كسس" ولم يفكر في عدم انتظام الملك ، وجعل المال وسيلة لنسب الأشرار[2]، واتجه إلى الطرب واللهو، ولم يتدبر العواقب مطلقًا حتى خرج عليه خدمه وقتلوه وانتهى أمره.

صفر ياقوس :

حينما جلس صفر ياقوس على العرش كان متحيرًا في أول الأمر، وكان خائفًا مما فعله مع كركيس ، فلما مضت على ملكه عشرة أعوام أخذ في التعمير فعمر الولايات، ولما مضى على ملكه عشرون عامًا وضع السياسات، وأدب المغرورين، وقهر كثيرًا من الأشرار والمتمردين.

دار نوش:

حينما جلس دارنوش على العرش رأى المملكة عامرة، فلم يتدبر أيضًا العواقب، وأدار ظهره للمملكة فلم يعرف داءها ولم يحمل همها، حتى ضاع كل ملكه من يده، وخرج عليه الأعداء وانتصروا عليه، وألحقوا به الأضرار حتى تاب وأناب، ولكن (بعد) ضياع الملك من يده.

أرطكسركسس :

ويسمونه أيضًا: أردشير، وقد ظهر أفلاطون في زمانه، ووضع كتاب الدعائم، وذهب لرؤية أفلاطون ومنحه مالاً عظيمًا ولكنه لم يقبله.

أوخوش بن أردشير :

وكان أوخوش هذا رجلاً محبًا للعلم معظمًا لأهله، وكان يلازمه دائمًا الكتب والحكماء، وكان دائم النظر في الكتب، ولم يخل مطلقًا من عالم أو كتاب، وحينما وصل إلى نهاية عمره جعل أرسين وليًا لعهده.

أرسين بن أوخوش:

حينما جلس أرسين على الملك سار على سنة والده أيضًا: فقرب منه العلماء، وأحب أهل العلم، وكان دائمًا يأمر بالمناظرات في الكلام والجدل، وقد بذل النفس والمال الكثير في أمور الكتب وسبيل أهل العلم.

دارا بن دارا:

وكان شديد التكبر، فلم تكن لإنسان قدرة على الحديث أمامه مالم يأمره، ولكنه قتل فى حرب الإسكندر، وبقتله تحطمت أسرة ملوك العجم، وذهب الملك من أيدى الفرس ووصل إلى الإسكندر.

وجاء عهد الإسكندريون واستولوا على الدنيا، وجاء ملوك الطوائف وظلوا فى الملك حتى زمان أردشير بن بابك بن ساسان .

أخبار الإسكندريين والبطالسة

في عصر الإسكندر

حينما انقضى عصر الفرس والقبط وبنى إسرائيل، وانتصر ذو القرنين على دارا وهزمه، فكّر وزير دارا وأمير الفرس أنهما حينما يجدان الفرصة سوف يقتلان دارا ويحملان رأسه إلى ذى القرنين حتى يستقبلهم ويكافئهم على الخدمة التى فعلوها، وعلى هذا النحو سلكوا مع دارا حتى نزل ونام، فقدموا من أعلى وجزوا رأسه، وقدموا إلى ذى القرنين، فحينما رأهم سألهم : أى عمل كان لكما معه؟ فقالا: أحدنا كان وزيره والآخر صاحب شرطته، فقال: لم تفيا له فلن تفيا لى. ثم أمر فسلخوا جلودهما وصلبوهما وأمطروهما وابلاً من السهام، وأمر فنادوا: " هذا جزاء من يخون سيده " .

ذو القــرنين :

وكانوا يسمونه الإسكندر، واسمه: أخشندروس بن فيلقوس بن مصوبر بن هرمس ابن هردوس بن روم بن لطي بن لوثان بن يافث بن سرجون بن رومية بن بربط بن نوفل إبن روقــي بن الأصفر بن البعـر بن العيـص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام . وفي أخبار العجم . إن نسبه من العجم، وهو ابن دارا بن بهمن بن اسفنديار، وأمه بنت فيلقوس. والسبب في ذلك أن دارا حينما أحضر بنت فيلقوس واقترب منها انبعث من فمها رائحة كريهة، فأمر دارا الأطباء فعالجوها حتى ذهبت هذه الرائحة منها. وعلى الرغم من ذلك فإن الغصة لم تخرج من قلب دارا فأعادها إلى منزل أبيها فيلقوس، وكانت حاملاً، وفي منزل والدها ولدت ابنًا، ولو قال والدها: إن هذا ابن ملك العجم فإن العار يتملكه ، فنسبه إلى نفسه.

وحينما انتهى عهد فيلقوس وجلس الإسكندر مكانه لم تسمح له همته أن يقتصر على عرش مقدونيا؛ فنظر فى كل ملوك الأرض فلم يجد أعظم من دارا، وكانوا يأتون له

كل عام من الروم بألف بيضة ذهبية كل واحدة مائة مثقال، وكان هذا خراج الروم الذى تعطيه له.

وحينما جلس الإسكندر على العرش أرسل له دارا من يجبى منه الخراج فلم يعطه ذو القرنين وقال: " ماتت الدجاجة التى كانت تبيض الذهب، والآن لن تستطيع أن تأخذ منا إلا السيف" ، ورجع الرسول وأخبر دارا، وكان دارا رجلاً عظيماً، ولم يعرف أن فى الدنيا كلها إنسان يستطيع أن يظهر هذه الجرأة ويبديها أمامه ، وفى الحال كتب رسالة إلى الإسكندر (قال فيها): " استعد لحربي" ، وحينما وصل رسول دارا كان ذو القرنين قد استعد، وفى الحال غادر الروم للقاء دارا ، وحينما سمع دارا أنه قد جاء أمر من حضر من جيشه أن يتجه لحرب الإسكندر، ولما دارت بينهما رحى الحرب لم يمض وقت طويل حتى هزم دارا . وفى ذلك الوقت أحضروا رأسه إلى الإسكندر، وصار له ملك العجم مرة واحدة.

وحينما هزم العجم لم يرجع إلى الروم، وإنما اتجه على هذا النحو إلى ما وراء النهر وتركستان، واستولى على تلك الديار حتى الصين وما وراءها ، واتجه من هناك إلى الهندوستان فاستولى عليها كلها، وكل مكان ذهب إليه كان يرجع بالنصر والظفر، وجعل كل الملوك على وجه الأرض مسخرين له فى أقل زمان.

وكان الحكيم أرسطو طاليس في زمانه، وكتب كتاباً فى المنطق، وصنف الكثير من التصانيف فى أصول الطب والكلام، وكان أرسطو طاليس هذا وزير الإسكندر، وكل ما فعله الإسكندر إنما كان بمشورته، واستن كثيراً من السنن الحسنة.

وحينما قدم الناس إليه من أقاصى التركستان يشتكون من يأجوج ومأجوج أقام السد الذى لا يزال قائماً حتى اليوم، وانقطع شر يأجوج ومأجوج عن الدنيا بأسرها. وفى مدينة كالف[٢] أقام جسراً على جيحون وجعل من هناك رباطاً، واستولى على فارس وإيران والهند والسند والشام والحجاز والزنج والحبش والمغرب والأندلس والصين وما وراء الصين.

وأخيراً مات فى أوج عظمته ومجده، وأتوا بتابوته إلى الإسكندرية.

أولاعوس بطليموس:

وضعوا بداية تاريخ الإسكندر من ملك أولاعوس، ولم يمض على ملكه ثلاثة عشر عامًا حتى وضعوا تاريخ الإسكندر.

فيلا فليس بطليموس:

حينما جلس فيلا فليس على العرش ومضي على ملكه أربعة وعشرون عامًا خرج أشك من سفوح الجبال، واستولى على ملك إيران، وسموا قومه: الأشكانيين، ويدعون: ملوك الطوائف. وفى هذا الوقت الذى جلس فيه استعبد المصريون اليهود، فخلص اليهود من أيدى المصريين وأطلقهم.

بطليموس أور حاطليس :

حينما جلس أور حاطليس على العرش بمصر سيَّر الأمور على طريقة الآخرين، فقهر كثيراً من الملوك، وهزم كثيراً منهم، ودخل فى طاعته إيطياخوش العظيم ملك الشام والعراق، وبأمره كانت ترسل كل عام ألف بدرة دراهم إلى رومية.

فيلوناطر بطليموس:

حينما تسلم فيلو ناطر العرش جمع ايطياخوش العظيم جيشًا واتجه لحربه وانتصر على فيلوناطر وخلص اليهود من يديه.

أفيقالس بطليموس:

حينما جلس أفيقالس على العرش كان أول عمل عمله أن أعد جيشًا وقصد إيطياخوش العظيم وهزمه، واسترد كل ما استولى عليه من ملكه، وقهره واستولى على الشام، واستأصل قوم إيطياخوش جميعًا وأخرجهم من الملك.

فيلو منظر بطليموس:

حينما جلس فيلو منظر على العرش كانت الدنيا هادئة، فبنى مدينة أنطاكية، وكانوا يسمونها: سموني. وكان رجلاً شجاعًا، وكان يحب أهل العلم ويتحدث معهم دائمًا، ولم يفعل شيئًا قط دون مشورتهم.

آلو حاطيس بطليموس :

وكان آلوحاطيس فى زمان ايطياخوش أيضًا، وقد أبطل الدين اليهودى وألزم اليهود أن يتركوا دينهم، وأمرهم بعنف أن يتحولوا عن هذا الدين، وكل من لم يمتثل عاقبه أشد العقاب وآلمه أشد الإيلام حتى هلك كثير من الناس فى هذا الأمر(٤). ....

فرغبوا العلم إلى كل شخص، وتعلموا من أجل بقاء العلم حتى لا يندثر، وحينما مات بقراط بقى له تلاميذ من أبناء أسقلبيوس مثل: ثاسلوس ودراقن ومايا أرسيا ابنته، ومن التلاميذ الآخرين مثل : بقراط بن ثاسلوس، وبقراط بن دراقن، ولاذن وما سرجس ومكسانوس وفولوس، وكان أحسن وأعظم تلاميذه: مانيسون واسطاس وساورى وغورس وسنبلقيوس وثاناليس. وكان علم الطب فى هذه الطائفة حتى جالينوس.

والأطباء الذين كانوا في فترة بقراط وجالينوس: سنبلقيوس الطبيب الذي فسر كتب بقراط، وأنقيلاوس، ومولوقس، وأرسطراطس القياس، وغالوس، ومترو‌ديطس رب العقاقير، وسنطاليس مفسر كتاب بقراط، ومابنوس، وغوروس، ومنيس، وأندروماخس وأوراس، وسوناخس، وروفس مهره[٥]، وماذا موموس، وأريجانس، وماسقور يدوس وطيماوس، وثيادر يطوس الذي يسمونه موهبة الله والممزوج باسمه، ومسيدناوس الذي فتح علم الطب، ومارس كوئي[٦].

وحينما شب جالينوس نظر في كتب الأوائل، ورأى كثيراً من الكلام المتناقض في هذه الكتب، فاحتاط وتفحص كل الكتب باستقصاء، وأحرق كل ما وجده متناقضاً وأبطله، وكان له تلاميذ مثل: أفريطي وأقاموس وحاربكسالس وأرسالوس ومارنقوس وفاقوتوس وماريس ومر عاليس وهرمس الطبيب وبولاس وحاحوقا وكلماس وفلس حلقوري الذي كان يعالج الأمراض الصعبة ولم يكن يخطئ أبداً وديمقراطيس وبطليموس الطبيب ومادفس وسادرلوس الذي كان لقبه الساهر، وبلاديوس مفسر كتاب بقراط، وفلاء قطورلي الطبيبة التي تعلم منها جالينوس كثيراً من الأدوية وخاصة الأشياء التي كانت تستعمل للنساء، وديوجافس الطبيب وأسليتس الكحال وأسقلسارس البلادري[٧]؛ وبقراط الگوارشي، والأطباء الذين كانوا بين جالينوس وإسحاق بن حنين مثل: اصطفن الإسكندراني وجاسيوس وانقيلادس ومارينوس، وكان هؤلاء الأربعة من الإسكندرية، وقد فسروا كتب جالينوس وبعضها اختصروه وبعضها شرحوه، وطيماوس الطرسوسي، والسيمري الملقب بالهلال؛ لأنه كان طوال اليوم في المنزل لا يخرج مشغولاً بتأليف الكتب، وأريباسيوس صاحب الكنانيش.وفولش صاحب كناش ثريا ودياسقور بدوس الكحال، وأريباسيوس التوابلي الذي كان يجيد معرفة أمراض النساء، وأقروتيطس الإسكندراني، والأطباء الذي كانوا من عهد إسحاق بن حنين حتى هذا الوقت مثل : ثابت بن قرة الحراني، ويوحنا بن سرافيون، وسابور بن سهل، ومحمد بن زكريا، وعيسى بن صهارنجت، ويوحنا بن ماسويه، وبختيشوع بن جبرائيل، ويوسف بن سامو[٨]..[٩]..[١٠].

الهوامش

(١) ورد في الأصل : الباب السابع والعشرون، وقد صحح حبيبي ذلك - تمشيا مع الترتيب الطبيعي للأبواب - إلي الباب الثامن عشر، وهذا الباب في الأصل ورد مفرقًا إلى قسمين : قسم أتى بعد " جدول الخلفاء العباسيين " والقسم الثاني أتى بعد تاريخ الغزنويين ، وقد ضم حبيبي القسمين معًا، وجعلهما بابًا واحدًا ، ويشير حبيبي إلى أن بعض المطالب قد سقطت من بين هذين القسمين.

(٢) العبارة باللغة الفارسية: يرسم ارطكسر كسس رفت ونسب؟ بدان وخواسته كرد" وفي الحاشية وضع الأستاذ حبيبي علامة استفهام عند نهاية كلمة (نسب؟) وقد اجتهدت في ترجمتها على النحو الوارد. (المترجم)

(٣) وكانت مدينة على الشاطئ الأيمن لنهر أمو في مقابل أمل.

(٤) سقط في الأصل .

(٥) كتبت هكذا في النص الفارسي، ووضع الأستاذ حبيبي عليها علامة استفهام.

(٦) كذا في الأصل، وقد وضع الأستاذ حبيبي عليها علامة استفهام.

(٧) كذا في النص الفارسي (المترجم).

(٨) هكذا في الأصل، ويذهب حبيبي إلى أنه من الجائز أن يكون هو يوسف الساهر الطبيب الذى كان أيام المكتفي.

(٩) سقط من الأصل.

(١٠) يراجع في هذا الباب المصادر الآتية:

- الفهرست لابن النديم .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.
طبقات الأطباء لابن جلجل.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي. (المترجم)



الباب التاسع عشر[1]

في معارف الهنود

أما أهل الهند فهم حاذقون، أذكياء ماهرون، يعملون أعمالاً دقيقة جميلة، خرج من بينهم الكثير من العلماء وبخاصة في ولاية كشمير، وصناعاتهم جيدة الإبداع، ولهم في دينهم فرق، وفي عاداتهم مذاهب، وقد أوردت هنا ما وجدته من معارفهم ليكون معلوماً، والهنود ماهرون في حفظ الأنساب متحققون منها، وهم لا يزوجون ولا يتزوجون ممن يخالفهم في الأنساب، ويقول أبو عبد الله الجيهاني في كتاب (التواريخ) الذي صنفه : إنهم سبع طوائف:

أولهم : الشاكبرية : وهي أشرف الطوائف، تسجد لها كل قبائل الهند، وهم لا يسجدون لأحد، والملك فيهم ، وهم قلة.

البراهمة : وليس فيهم الملك، وهم يسجدون للسمنيين، والسمنيون لا يسجدون لهم وأكثر البراهمة لا يشربون الخمر ولا يأكلون اللحم.

والثالثة : الكشترية: وهذه الطائفة لا يشربون أكثر من ثلاثة (أقداح) ، والبراهمة لا يزوجونهم ولكنهم يتزوجون منهم.

الرابعة : هم الشودرية: وهم الزراع والبستانيون ، وهم يتحدثون مع الكشترية، والكشترية لا يزوجونهم ولكنهم يتزوجون منهم.

السادسة : السندالية : وهم أرباب الألحان والمختصون بأعمال الجلد والتعذيب، ونساؤهم جميلات، وإذا عشق برهمي امرأة منهم فإنهم يخرجونه من زمرة الزهاد ولا

يعدونه من البراهمة؛ ولهذا السبب فإن السندالية لا يمسهم أحد، وهم يسيرون وفى أيديهم مطرد فى أعلاه حلقة وفي هذه الحلقة وضعت حلقات صغيرة، وهم يشيرون بهذه الخشبة حتى يرى الناس ويسمعون صوت تلك الحلقات، فيفسحون الطريق؛ حتى لا يلحق بهم ضرر.

السابعة: الدنبية: وهم سود البشرة، وجميعهم موسيقيون وراقصون، وهم جميعًا على طريق السندالية، يختلطون بهم ويتزوجون منهم ولا يزوجونهم[1].

أما علمهم وأدبهم فهو أنواع متعددة: أحدها : السحر، ويقولون: إنهم حينما يريدون شيئًا فإنهم يفعلون كل ما يريدون، وهم يعالجون المرضى بالسحر فيخرجون المرض حيثما يكون ويحولونه إلى شخص آخر.

والآخر : الوهم والفكر، ويقولون: إنهم يصلون إلى أشياء عجيبة عن طريق الوهم، وقد بلغوا الغاية فى الحديث عن المعنويات وكذلك الوهميات، وهم يحلون الأشياء الصعبة بالاعتقاد والوهم بما لا يستطاع التحدث عنه، وهم يفعلون النيرنجات والخيالات التي يتحير فيها العلماء العظام، ويسمون علمهم هذا " الشمانند[2]" ومعناها: الطلاسم العجيبة التى يفعلونها، وهم يدعون بأدعية يفعلون بها الطلاسم ويعلمونها لتلاميذهم، ومن أدعيتهم العجيبة (ما يدعون به فى) البرد وتسييره من مكان إلى مكان ، ولهذا السبب تمجدهم القرى وأماكن المقاطعة لأنهم يحفظونهم من البرد، وكل عام تجدد الثناء عليهم مقاطعتهم، وإذا امتنع شخص فإنهم يسقطون البرد على أرضه.

والدعاء الآخر للسم يخرجونه من جسد الناس، وحكى محمد بن ولك الجرديزى: إن رجلاً لدغه ثعبان، وتجمد فى مكانه وصار ميتًا، وأرادوا أن يدفنوه فوصل هندى وقال: إن هذا الرجل فاقد الوعي وليس ميتًا، وأخذ فى تلاوة التعاويذ فنهض الرجل وارتد إليه وعيه، ثم أخرج السم من المكان الذى لدغه الثعبان، ونهض الرجل بسلام وذهب.

ومثل هذه العجائب يبدون الكثير من تلاوة التعاويذ وعلم الطب مما لم ير مثله إنسان فى ديار المسلمين، وأدعيتهم فى الطب كثيرة: منها لحفظ الصحة، والقضاء على

المرض، وتأخير الشيخوخة، وزيادة القوة ، وغير ذلك من منع أمراض الشيخوخة، وأشياء عجيبة مما رآه بعض أصدقائي وبعض ما سمعته.

وعلم الحساب والمساحة والهندسة والنجوم علمهم في هذا الباب وتعلقهم به (وصل) إلى حد لا يستطاع أن يقال إن هذا من فعل البشر، وهم يحركون - بعلم الألحان والرقص وصناعة آلات السرور والأغاني العجيبة - ما هو صعب بحيث لا يكون جسد إلا ويتحرك .

وقد صنعوا أنواعًا كثيرة من الأسلحة، وصنعوا عتاد الحرب: مثل البوق والطبول ، وأشياء بسيطة يبعثون منها أصواتًا مفزعة هائلة مثل صوت الفيل أو صوت الأسد؛ فكل من يسمعها يندهش ويتملك قلبه الفزع والرعب من صوتها.

وأيضًا صنعوا العيدان للطرب والسماع، وهؤلاء الذين يصنعون مثل هذه الأشياء يعيشون في مشرق الهندوستان ويسمونهم: الكامروت، ويصنعون أشياء بحيث إذا رآها إنسان أو سمع بها يقر أن هؤلاء ليسوا بشرًا بل جنا أو عفاريت.

والمدن التي يصنعون بها هذه العجائب من ولاية قندهار على جانب كشمير، والأخرى ولاية الگنگ، وواحدة من هذه المدن هي جلندهر التي يوجد بكثرة في ولايتها الهليلة والبليله[٣]، والدار خاشاك[٤]، ويقول الهنود : إن الملك عندهم يعيش مائتين وخمسين عامًا، ويركب طوال الوقت ويصطاد، وهو كالشباب في لقائه بالنساء، وكل هذا بالعلاج والحيلة، والمدينة الأخرى هي مدينة سراوست[٥]، ويقولون: إن هذا المكان هو مكان مولد بوذا ، ومدينة كشكري، ويقولون: إنها مكان هلاك بوذا، ومدينة جتركوت حيث ينبت هناك الشيطرح الهندى، وفي جبالها يوجد الدار خاشاك، وأشياء كثيرة، وفيها مسكن العظماء ، وبها يتعلمون السحر، ويتلقون كل العلوم من أرباب السحر.

ومدينة أوجين التي بها المهاكلية، وقد حدد كتاب زيج أركند[٦] طولها، وبها كثير من خزائن الكتب والحكمة.

الطـــوائف:

يقول أبو عبد الله الجيهاني: إن الهنود تسع وتسعون فرقة، وكل هؤلاء يجتمعون في اثنين وأربعين نوعًا، ومدار هؤلاء جميعًا على أربعة أنواع، وأنا سوف أشرح هذه الأسس الأربعة بتوفيق الله .

أول الطـــوائف:

هم الذين يثبتون الله جل شأنه، ويعترفون بالأمر والنهي من الأنبياء، ويقرون بالثواب والعقاب، وأن كل شخص ينال الثواب والعقاب على قدر عمله.

وثاني الطوائف :

هم الذين ينكرون الأنبياء، وهؤلاء يسمون الشمنية .

والثالثة:

هم الذين يثبتون الباري عز وجل، ويقرون بالجنة والنار ، ويقولون : إنهم حينما يذهبون إلى هناك فإنهم يبقون إلى الأبد حيث لا ينقطع الثواب أو العقاب من الله جل جلاله.

وتقول الطائفة الرابعة:

إن الثواب والعقاب متناسخين في السعادة والشقاء، والجنة والنار على قدر العمل والذنب، وليس هناك أبد، ولما كان الإنسان يجد الثواب على قدر الفعل فإنه يخرج من هناك (ولا يخلد)، وهذا قول الشمنية الذين يسمونهم: البوذيين .

أما كل من يثبت الله جل جلاله من البراهمة فإنه يقول: إن رسول الله إلى الخلق كان ملاكًا اسمه " باسديو". وقد أتى إليهم بالرسالة على شكل بشر ولم يكن معه كتاب، وكانت له أياد أربعة: في إحداها استل سيفًا؛ وفي الأخرى غمد السيف؛ وفي الثالثة "الچكر" وهو سلاح الهنود، ويرمون به ظهر الفيل ويكون على شكل حلقة قد سنوا أطرافها؛ وفي يده الرابعة وهق، وقد جلس على العنقاء (السميرغ) وله اثنا عشر رأسًا، الأولى: مثل رأس البشر، والثانية : مثل رأس الأسد، والثالثة : مثل رأس الحصان، والرابعة : مثل رأس الفيل، والخامسة : مثل رأس الخنزير، والسادسة : مثل رأس الخروف، والسابعة : مثل رأس البقرة، والثامنة : مثل رأس الذئب، والتاسعة : مثل رأس الديك، والعاشرة : مثل رأس الكلب، والحادية عشر : مثل رأس العنزة، والثانية عشر : مثل رأس النسر، ولهم في هذه الرؤوس تأويلات كثيرة، ويقولون : إن باسديو أتى برسالة يقول الله عز وجل فيها : (اعبدوني، وقدسوا النار فقد جعلتها مقدسة وجعلتها في أعلى المراتب، وأخفيت فيها الضياء، وجعلت بها نفع أهل الدنيا في كل شيء سواء للقرابين أو للعطور أو للزيوت أو من أجل الأطعمة والغلال، ونهيتهم عن ذبح أو قتل أي كائن حي إلا ما يكون قربانًا، وأمرتهم أن يأتوا بحبل ويربطوه من الكتف الأيمن إلى تحت الإبط الأيسر، ويلبسونه ويسمونه "جنو"، ونهاهم عن شرب الخمر، وقول الكذب، وعن أكل طعام أي شخص لا يكون من ملتهم أو من كبارهم، وأباح الزنا حتى يقوى النسل ولا ينقص وتضيء الدنيا (وتعمر)، وأمر بأن يصنعوا تمثالاً له، وأن يعبدوه، ويطوفوا حول جهاته الأربع[٧] كل يوم ثلاث مرات، وأن يضربوا الدفوف وينفخوا الدخن[٨] ويرقصوا أمامه، وأن يعبدوا البقرة ويسجدوا لها حينما يرونها.

ولا يجوز لبرهمي أن يعبر نهر الكنگك. وشرط دينهم أنهم لا يعلمون شخصًا إلا إذا كان من ذريتهم، وإذا ارتد شخص عن دينهم فإنهم لا يقبلونه مالم يتطهر، ويطهرونه بأن يحلقوا رأسه وذقنه وحواجبه ورموشه وكل شعرة على جسده، ثم يجمعون خمسة أشياء : روث البقرة وبولها ولبنها وزبدتها وماء الكنگك، هذه الأشياء الخمسة يجمعونها ويعطونها له ليأكل منها مقدار رطل في طاسة معدنية، ثم يصبون

منها على رأسه، ثم بعد ذلك يطلون كل جسده، وهكذا يفعلون عشرة أيام على قدر تمرده وخروجه عن الدين، ثم يذهب إلى بقرة ويسجد لها.

الطائفة الثانية : المهاديوية :

وهم يقولون : إن نبيهم كان ملاكًا من الملائكة، وكان اسمه : مهاديو، وقد أتى إليهم على صورة بشرية، راكبًا بقرة، وقد وضع تاجًا على رأسه، وزين هذا التاج بعظام الموتى، كما ارتدى من هذه العظام قلادة على رقبته، وأمسك بيده جمجمة إنسان، وبالأخرى حربة رأسها ذو ثلاث شعب، وعقد عليها ريشة طاووس. وقد قدم إليهم وأمرهم بعبادة الله، وهم يعبدون مهاديو أيضًا فهو مثل الله سبحانه وتعالى؛ إذ أن كل شيء يتم على يديه، وهم يصنعون صنمًا مثله (يعبدونه).

ومن عاداتهم : أنهم يمسكون الأشياء التى تنالها أيديهم، ويصنعون منها قلادة، ويلبسونها لأحدهم ثم يعظمونه. ومن هذه الأشياء أيضًا يصنعون تاجًا ويضعونه على رأسه، ثم يمسحون وجهه وجسده بالرماد، ثم يلفونه من الوسط حتى الأرجل بخرقة عرضها قيراطين وطولها يكون على قدر ما يلفه من وسطه إلى أرجله، وهذه الخرقة ملونة بكل الألوان المركبة التى لا تختلط ببعضها، ويضعون جرسًا فى رجله، ويمسك عصا في يده يضعها على الرقبة، ويعلق فيها من ناحية الظهر قرعة خالية وكوزًا من فخار، ويكون بواحدة منهما رماد يمسح به كل يوم، وحينما يعطيه إنسان صدقة فإنه يمسح بهذا الرماد على جبهته، ويضع فى الأخرى الطعام، وحرام على هذا الشخص قتل أى كائن حي، وأكل اللحم، والقرب من النساء، وجمع المال، ومعاشه من الصدقة. وهذه الطبقة يسمونها أيضًا : (بهرارة) (البهرارية). وهم فى حديث الرقي والخرافات مهرة مهارة شديدة، وفي اليد الأخرى

لهذا الرجل طبل له رأسان تشبهان رأس البقرة، ويدقون هذا الطبل، وحينما يحركونه ينبعث منه صوت يعرفونه في أماكن العبادة، وأكثرهم يجتمعون فى الصحارى والأماكن الخربة، وحينما يأتون إلى العمران يرفعون أصواتهم بحمد الله عز وجل ويثنون عليه بأنه خالف مهاديو، ثم يذكرون مهاديو أيضًا بالحمد والثناء، ويدقون الطبل بأيديهم ثم يثنون على مهاديو بالشعر والألحان والزهد فى الدنيا، وتجتمع الناس والكلاب(٩) حوله بسبب أصوات هذه الأجراس التى وضعها فى أرجله.

والكابالية : وهم قوم يقولون : إن نبيهم كان ملاكًا اسمه "رشب"، وقد قدم إليهم على صورة بشر، وقد تطهر بالرماد، وعلى رأسه قبعة من الصوف الأحمر طولها ثلاثة أشبار، وحولها قطع من عظام جمجمة أدمية، وهو يأتى ويحضر معه رجلاً من عظماء العصر ويضع هذا فى رقبته، وفى هذا الوقت يأتى الذين يقدسونه ويصنعون من هذه الأشياء قلائد، ويضعونها فى رقبته، ثم يربطون مثل الحزام على وسطه، كما يضعون منها فى يده (سواراً)، وفى قدمه مثل الخلخال، وهو يمسك بيد عظام جمجمة آدمية وفى الأخرى طبل مثل طبل المهاديو، وقال لهم متنبيهم : إن هذا ربكم. تعالى الله عما يقولون.

ثم صنع شيئًا مستديرًا يشبه آلة الرجل التناسلية، طولها ذراعان وقطرها شبر، ويسمونها بلغتهم :لند، كما يسمونها شبالنگك، وتفسيرها آلة الرجل التناسلية، وهم يعبدونها، ويقولون إن سبب التناسل فى هذه الدنيا هو هذه الآلة، وهؤلاء الناس عرايا لا يلبسون ملابس قط إلا القلنسوة على هذا النسق الذى ذكرناه، وأيضًا يسيرون على نسق "شباشيوا"ويعلقون فى آلاتهم التناسلية جرسًا كبيرًا، وبذلك لا يستطيعون مطلقًا أن يقربوا النساء، وكل من يقترب منهم من النساء أو الرجال يسجد لهم ويعظمهم، وهم بهذا يتقربون إلى الله تعالى ويستضيفونهم ويجلسونهم على كرسى من شدة ثقل ذلك الجرس، ثم يبخرون آلتهم التناسلية، ويثنون عليهم ويقولون : ليعطنا الله عز وجل نصيبًا

من أجركم. ومعاشهم من الصدقة، وكلهم عرايا، وبعضهم يثقبون أجسادهم، ويضعون حلقة من النحاس أو القصدير أو الحديد في ذلك الثقب حتى يضيء قليلاً.

والرامنية : في ولاية دكشايت[١٠] يعني في شمال[١١] مدينة بازناين[١٢]، وكان رامان ملكًا عظيمًا، وكان أحكم أهل زمانه، ثم سقط بهمته فادعى النبوة وقال للناس : إن طريق الجنة مذهبه وهو الدليل لها، فقبل أهل مملكته ذلك المذهب منه، ثم دعاهم إلى عبادته وقال : اعبدوني إذا كنتم تريدون رضاء الله. وقال أقرباؤه وأهله : إنه حدثت مشادة بينه وبين راوان العفريت[١٣]، ولم يقبل العفريت دينه، وكان هذا العفريت في جزيرة تسمى : الربوة، وكانت حوائط هذه الجزيرة قد نسجت من الجواهر واللآلئ والياقوت والزمرد ونفائس الجواهر الأخرى؛ ويوجد بهذه الجزيرة كل أنوا ع الخضروات والعطور؛ وفي شأن هذه الجزيرة يروون كلامًا عجيبًا يطول شرحه، مثال ذلك : الجسر الذي أقاموه على البحر وما شابه ذلك، وقدم راوان وأخذ امرأة رامان وأتى بها إلى هذه الجزيرة، ووقعت الحرب بينهما فظلا يتحاربان حتى قتل رامان العفريت، واسترد امرأته.

أما الذين يثبتون الخالق جل جلاله والجزاء، ولكنهم ينكرون الأنبياء فيقولون : دعا الله عز وجل الخلق ليذكر لهم أنه ليس بحاجة إلى غيره، فقد وضع في عقولهم حب الخير وكراهية الشر، والمساعدة غير مطلوبة من شخص آخر في الأشياء التي لا يحتملها العقل أو تخالف طبع البدن، فليست لله عز وجل حاجة إلى عبيده ولا إلى عبادتهم، ويقولون : إن الوصول إلى الجنة يكون بالاشتغال بالمعقولات ومخالفة طبيعة البدن، والبحث عن هذا الشيء في غاية الصعوبة وبخاصة على من يثبتونه حتى يصلون إلى مقصدهم.

ويقول بعضهم : إن الوصول إلى الحق (قائم) على حقيقة فناء الجسد والتخلص من كثافة النفس والبدن، لأن الجسد يحث على الذنوب ويجملها في مرأى العين.

وبعضهم ربط العالم بالفلك والطب ومختلف العلوم والآداب، وكانوا جميعًا أرباب فكر، وقد أعدوا أنفسهم دائمًا لهذا الأمر، ويقولون : بالمجاهدة والزهد تستطيع أن

تصل إلى ذلك المكان الذى ترى فيه الملائكة وتتحدث إليك، وتأخذ منها الفوائد، وهم الذين وضعوا كتب العلوم والآداب، ويقولون : إنهم يصلون من المحسوسات إلى حيث يدركون المعقولات.

القسم الأول[١٤] : هو استعمال الإرادة فيما يرغبون، والفكر فى تفتيق الحيلة على ما يدعون، وقمع (الرغبة) فيما يكسبون، ورد التهم عن كل شىء حتى يبدو جميلاً. ومكان هؤلاء العلماء[١٥] الجبال، فقد جعلوا قممها من أجل أجسادهم، وكانوا يصنعون أطعمتهم من البلح والنبات والحشائش، ومن هذا الطعام الذى يطعمون طوال أوقاتهم صارت حواسهم أكثر إرهافًا وعيونهم أشد حدة وقلوبهم أسرع إدراكًا، وهم يصلون إلى كل ما يتمنون من الأمطار والرياح والبرد وإهباط الطيور وقنص الوحوش والطيران فى الجو كالطيور.

وهؤلاء الناس هم الذين وضعوا السحر، وصنعوا الكثير من العجائب من أجل تصحيح مذهبهم، ويقولون : إن أحدهم كان يجلس فى مكان وحوله الطيور تغرد فدعا فتساقطت أجنحتها ووقعت، وحينما وصل ذلك الخبر إلى ملك ذلك الزمان أمر (قائلاً) : أخرجوه من ولايتى حتى لا يدعو بشىء فيتهدم ملكي.

وجماعة تسمى النكريتية يعنى : المصفدون بالحديد، وهم دائمًا حليقو الذقن والرأس، ولا يسترون من أجسادهم إلا العورة، ويصفدون أنفسهم بالحديد من الوسط حتى الصدر، ويقولون : (إننا نفعل ذلك) حتى لا تنفتح البطن من كثرة ما بها من العلم، ودائمًا معهم وعاء للشرب، وهم لا يعلمون إنسانًا معارفهم، ولا يتحدثون مع شخص إلا إذا صار من دينهم.

وجماعة يدعون الكنكاياترية: ومثل هذه الجماعة التى فى الهند توجد جماعات فى كل مكان، وسنتهم كما يلى : إن كل شخص يرتكب إثمًا أو ذنبًا - كأن يؤذى أمه وأباه أو يرتكب سيئة - فإنه فى أى مكان يوجد فيه قريبًا أو بعيدًا من الهند فعليه أن يذهب من هذا المكان إلى الكنج ويغتسل بمائه، ويكون هذا كفارة لذنبه، ولو مات أثناء السفر فإنه يقبل منه.

وجماعة يسمون الچترية : وأكثرهم من أمراء الهند وشيعة ملوكهم، ودينهم هو خدمة الملوك ومساعدتهم فى كل حال، وهم يقولون : نحن لا نملك نفعًا لأنفسنا أو دفعًا للضر عنها، والأصوب أن نخدم الملوك ونكون عندهم ونجتهد ضد عدوهم، فإن ظفرنا فسوف نزداد قدرًا لدى الملوك وسيعلو شأننا وسيرتفع جاهنا ونفوذنا بأحسن ما فى الدنيا، وإذا متنا فى هذا المسعى فسيكون نصيبنا الجنة بكل نعمها. وكل هذه الطبقة أصحاب مروءة وشجاعة وأرباب سيوف بتارة، وهم عن بذل الروح لا يصبرون.

وجماعة يسمون البهادروزية، ويقولون : إنهم كانوا ثلاثة إخوة فاحتال اثنان منهم حتى أسقطا الأخ الثالث من فوق صهوة جواد وكان يسمى بهادروز، ومات فسلخا جلده ونزعاه : فكان اتساع الأرض من جلده، والجبال من عظامه، وتلك المياه من دمائه، وهذه الأشجار والنباتات من شعره؛ وتحت هذا الرمز معنى آخر. وسنتهم أنهم طوال الشعور يتدلى منهم بتساوٍ على جميع الجوانب إلى حد أنهم لا يبصرون إلا من خلاله. وهم يلبسون صِدرة ويخرجون أيديهم من الأكمام، وصدورهم مفتوحة، ويربطون جنزيرًا على وسطهم، ويصحب كلَّ رجل رجلٌ آخر يمسك جنزيره، ولا يشربون (الخمر)، وحجهم يكون إلى جبل يسمى (چون غر)، وهم يذهبون إلى هذا الجبل وينوحون على بهادروز(١٦)، ويمدحون الجبل چون، وقد صنعوا فى هذا الجبل منزلاً عظيمًا رسموا (فيه) صورة بهادروز ممتطيًا صهوة جواده، ولهذا المنزل باب حينما يدخلونه يكممون أفواههم حتى لا يصل النفس إلى جسد الصنم، ويقدمون له القرابين، وحينما تذهب هذه الطائفة إلى الولايات الأخرى يذكرون هذه القصص التى عليها مذهبهم، ويحركون رؤوسهم(١٧). وغير هذا المنزل توجد منازل أخرى رسموا فيها صورة بهادروز وأخويه : چون، ومرسى، كما صنعوا التماثيل ؛ أما المنزل الذى فى جبل چون غر فهم يعظمونه.

وجماعة منهم يسمونهم المهاكلية : ولهم صنم يدعونه : مهاكال، وله أربع أيد، ولونه بلون السماء، وله شعر كثيف، ودموعه تتساقط، وله بطن قد خرجت، ووضع على ظهره جلد فيل حيث يجرى الدم من هناك، وفى أذنيه ثعبانان، وفى كل من أياديه

الأربعة ثعبان ورأس إنسان وعصا، ودفع أحد الأيدى تجاه الرأس، ووضع تاجًا على الرأس من عظام القحف، ويقولون : إنهم يعبدون هذا العفريت لعظمته، ففيه كثير من الخصال المحمودة والمذمومة، وقد أقاموا له في الهند الكثير من المعابد، وأهل هذا المذهب يدخلون هذه المعابد ثلاث مرات في اليوم، ويسجدون لمهاكال ويطوفون حوله، ولهم هناك مكان يسمونه آجر[١٨] فيه صنم كبير على صورة مهاكال، وهم يرفعون إليه حاجات الدنيا والآخرة، ويتعلمون منه علم العزايم، ويأتون أعمالاً عجيبة ويقولون : إن كل هذا من تعليمه، ويأتى إليه الرجل ويقول : زوجني المرأة الفلانية أو أعطنى الشىء الفلانى، ويأتى البعض فيعبده ويصوم (عنده) عن الطعام عدة أيام ثم يتضرع إليه ويطلب حاجته. ويمسك بعضهم مصباحًا حديديًا فى أسفله حربة يضعونها على أكفهم ويضغطون حتى تدخل الكف وتثقبه، ثم يضيئون المصباح. ويجثون بكلتا ركبتيهم أمام الصنم ويتضرعون (قائلين) : تقبل منا هذا المجيء إلى هذا المعبد.

وطائفة منهم يسمونهم الديواترية[١٩] : وطريقتهم أنهم يصنعون صنمًا، ثم يجلسونه على بقرة، ويضربون فوقه قبة مرتفعة، ثم يسحبون تلك البقرة، ويطوف الناس من حولها، ويضربون الدفوف والعيدان. وفى هذا اليوم تتجمع كل قحاب الولاية ويجلسن على الخيول والفيلة، وقد عقدن الكثير من زينتهن، ويذهب الناس إليهن ويطوفون حولهن كطوافهم حول الصنم، وهذا يكون فى فصل الربيع. وحينما يمضى ذلك اليوم يحملون الصنم من مكانه، ولهذا الصنم خزينة توجد بها تماثيل على مثال الملوك السابقين وقادة الولايات وأئمة الملل، ولهم تماثيل (أيضًا) على مثال الدواب والطيور والعفاريت، وهم فى ذلك اليوم يعقدون الزينات حول الأصنام، ثم يلعبون حولها، وبعد انتهاء العيد يعيدونها إلى الخزينة.

وطائفة يسمونهم البهكتية[٢٠] : وعادتهم أنهم يصنعون صنمًا على هيئة امرأة فوق رأسها تاج، ولها أربعة أيدٍ دُقَّ في إحداها مسمار، وأمسكت بالأخرى سيفًا ووضعت في الثالثة البچر، وفى الرابعة الچكر[٢١]، وكلاهما من أسلحة الهند، وحينما تأتى الشمس فى منتصف برج الميزان يزينون هذا الصنم، ويصنعون عرشًا يضعونه بين

يديه، ثم يحضرون كل ما يجدنه من النباتات أو أغصان الأشجار ويضعونه على ذلك العرش، كما يجمعون فيه الروائح الطيبة، ثم ينحرون الذبائح، فيحضرون أنواعًا من الجواميس والخراف، ويضعون العلف أمامها حتى تأكل، ثم يضربون عنقها بالسيف فتطير الرأس أمام الصنم، وهذا هو قربانهم، وكذلك يفعلون حتى ينقضي العيد. هذا هو فعل عامتهم، أما ملوكهم فإنهم يحضرون رجلاً أحمر الشعر، أخضر العينين، ويضعون أمام الصنم حربة قاطعة ماضية ويجعلون سنها إلى أعلى، ثم يأمرون الرجل بأن يضع رأسه على تلك الحربة، ويأتي رجل ثان فيضربه على رأسه حتى تدخل تلك الحربة في جبهته، ويموت في الحال، ويقولون : إنهم بذلك ينالون ثوابًا عظيمًا، وفي هذا الوقت يبتهجون ويقيمون الولائم ويشربون.

وطائفة تسمى الجلبهكتيه : أي عباد الله، ويقولون : إن على الماء ملاكًا، والماء أصل كل النباتات والحيوانات وأصل الحياة، وكل مكان يزداد فيه الماء تكثر النباتات وتكون ولادة الحيوان وعمران الدنيا.

(وعندما يريد رجل عبادة الماء فإنه[٢٢]) يأتي وينزل في الماء حتى وسطه، ويمكث فيه أكثر من ساعتين، ويمسك في يده الرياحين ويقطعها قطعًا صغيرة ثم يلقيها في الماء وهو يسبح ويتلو شيئًا، وحينما يريد أن يرجع فإنه يحرك الماء بيده، ويأخذ قدرًا منه يرشه على الرأس وعلى المكان الذي سيخرج منه، ثم يعود ويسجد للماء.

وطائفة تسمى الأكنيهوترية : أي عبدة النيران، وهم يقولون : إن النار أعظم العناصر وأهم الجواهر، وكل من يحرق نفسه بها يتطهر من جميع القاذورات، وهم يحفرون أخدودًا مربعًا، ويشعلون فيه نيرانًا كثيرة حتى تعلو تلك النيران، ثم يحضرون الطعام والملابس والذهب والفضة والجواهر والدانكو[٢٣] والروائح العطرة ويلقون كل هذا في النيران، ثم يطوفون حولها. ولهؤلاء القوم ملوك عظام.

وطائفة يدعون الجندربهكتيه : أي عباد القمر، وهم يقولون : إن القمر ملاك من الملائكة العظام، وقد صنعوا له صنمًا أجلسوه على بقرة، ووضعوا أمامه أربعة تماثيل،

وبيد ذلك الصنم جوهرة. وهؤلاء القوم يصومون منتصف كل شهر ولا يفطرون حتى يروا الهلال، وحينما يتم البدر يعتلون الأسطح ويشمون الروائح العطرة وينظرون القمر على وجه حسن، ثم ينزلون إلى المنازل ويفطرون، ويأتون أمام ذلك الصنم ويرقصون ويلعبون.

وطائفة يسمونها ابهكتيه : أي عباد الشمس، وقد صنعوا (لها) صنماً أركبوه على بقرة، وأحكموا في الأمام أربعة خيول، وأمام ذلك الصنم ملاك من الملائكة يعبدونه ويسجدون له، ثم يضربون أمامه بالدفوف ويعزفون النايات، (ويوقفون عليه) الضياع والغلات الكثيرة، ولهم في هذا الصنم كلام كثير. ويأتى المرضى إليه ويصومون له ليلاً ونهاراً حتى يروا فى المنام من يقول لهم : لقد تحققت رغبتكم، وعندئذ يفطرون، ويسمون هذا الصوم : لكهن.

وكان يوجد اثنان من هذا الصنم، وقد هدمهما السلطان محمود مع غيرهما فى الهند.

وطائفة تسمى المهابرفتيه : وطريقتهم : أن يذهب رجل إلى المقابر ويأخذ من عظام جثة محترقة، ثم يأتى إلى العمران وينادى موبخاً الناس ويقول : أيها العصاة المذنبون، يا من صرتم أسرى للهوى وعبيداً للطبيعة، وسقطتم فى فتنة الشهوة، إلى متى لن تتوبوا عن قتل الآباء ومجامعة الأمهات ؟!

يعنى : إن الرجال والنساء لن يتوبوا مالم يصيروا مثلنا، ويسيروا فى طريقنا ويثوبوا إلى أنفسهم، ويصيروا أذلة حتى يصبحوا أعزة.

وطائفة يدعون الأمركجرية : ويقولون : إنهم يتشبهون بالوحوش، فيمشون على أربع، ويأكلون الحشائش بالفم، ولا يحلقون رؤوسهم ولا يفعلون شيئاً مطلقاً[٢٤].

وطائفة تسمى الويرية : ويعنون بذلك الصامتون، وهم لا يؤنون شخصاً، ولا يلحقون ألماً بإنسان، ولا يتحدثون مع أحد، ويأكلون ما يجدونه من الطعام، ولا يأكلون اللحم ولا يتزوجون.

وطائفة منهم تسمى النيكسية : ويعنون بذلك : الباحثون عن طريق الجنة، وهم يأتون إلي العمران، ويصحبهم النساء والقوم، ويجتمعون في السوق، ويغرقون في الخيال، ويظلون كذلك فترة، ثم يجلسون ويصيحون : لقد نسينا الذهاب، ثم يأتى رجل فيمسك رجله فيضعها في الأمام ثم يضعها مرة أخرى، وهكذا يجعله يسير عدة خطوات بصعوبة، ويقول له : اذهب هكذا، فيذهب ويدعو له.

وطائفة يدعون الكشتكرتيه[٢٥] **والسيدريه** [٢٦]: وهم عرايا لا يخفون إلا عوراتهم ، ولهم عصا يضعونها فوق رقبتهم وقرعة بها كل شيء يمتلكونه، وكيس به طعام يعلقونه في العصا، وفى اليد الأخرى مظلة من ريش الطاووس، وهؤلاء القوم أهل جدل، ويأتي مع كل رجل منهم تابعه، ومعهم كرسي يجلسون عليه، وليس لهم عمل طوال اليوم سوى نزع الشعر من الرأس والرموش والحواجب والذقن، وينزعون كل شعرة في الجسد لأن به سيكون عذاب البدن، ويقولون : كان هناك ملك يرغب في هذا المذهب، فعروا جسده، ثم قالوا له : كل شعرك هذا يجب أن ينزع، وقالوا : لا تصرخ حينما ينزعون شعرك، بل قل : واراحتاه. وحينما نزعوا كثيراً من الشعر تألم وصاح، فقالوا : لقد أفسدت الأمر. فصمت وتوقف عن قول واراحتاه، فقالوا : إذا قلت كذلك حتى ينزع كل هذا الشعر فإنك تنال الجنة، وأخذوا في نزع الشعر ولحقه ألم كثير، فلم يجد لديه صبراً فشد نفسه من أيديهم وعاد إلى مكانه وتراجع عن مذهبهم، فقالوا : لماذا فعلت ذلك ؟ فقال : يجب الهروب من المذهب الذى أوله كذب.

ويوجد أناس منهم يحرقون أنفسهم بالنار، وهم يفعلون ذلك حيث يحفرون أخدوداً بجوار الماء، ثم يملأونه بالنار، والشخص الذى يأتي ويبخر نفسه ويسجد لكل إنسان، فإنه يرمي نفسه في الأخدود. وحينما تسقط النار عليه يخرج ويغوص في الماء طويلاً حتى يموت، وإذا مات في المنتصف فإنهم يحزنون ويقولون : لم ينل الجنة. وبعضهم يسخنون الأحجار ثم يلقون رجلاً على ظهره، ويضعون قطع الأحجار الصغيرة الساخنة على بطنه حتى تثقب البطن وتخرج الأمعاء ويموت. وبعضهم يشعل نيراناً أربعة ويجلسون وسطها بإحدى رجليهم ويمسكون الأخرى بأيديهم، ويظلون هكذا حتى

تشتعل النار فيهم، وتجف أمعاؤهم ويضعفون فيسقطون ويموتون ويحترقون ، وبعضهم يقطع من فخذه ولحمه قطعًا قطعًا، ويفصل كل جزء عن الآخر، ويرمون الأجزاء فى النار، ويغنون شيئًا من أغانيهم، ويلتف الناس حوله يمدحونه ويرغبونه فى الجزاء، ويدعون لعل الله سبحانه وتعالى يمنحهم تلك المرتبة، ويظلون يفعلون ذلك حتى يموت. وبعضهم يغوص في روث البقر حتى الساق، ثم يجلسون ويشعلون النار فى هذا الروث، ويظلون هكذا حتى تتأجج النار فتحرقه، ويسقط ويموت.

وبعضهم يحمي تنوراً ويجلس بداخله فتشتعل النار فيه وتحرقه، ويسأله الناس : هل وصلت إليك رياحين الجنة ؟ ويظل يجيب حتى يحترق ويموت. وبعضهم يقتل نفسه بالجوع والعطش ويسمونهم : (انشيان) [٢٧]، (وهم مختلفون)؛ فشخص يموت فى اليوم العشرين، وبعضهم يقاوم حتى الثلاثين (وهم يتدرجون) : فأولاً يعجزون عن السير، ثم عن الجلوس، ثم عن الحديث، ثم يتعطل حسهم، وحينما يجفون مثل الخشب لا يتحركون ويتجمدون.

وطائفة يدعون الترشولكية[٢٨]: وطريقتهم : إن هناك شجرة تسمى : باتو، وهذه الشجرة تنبت من الأرض، وتعلو، ويخرج منها غصن طويل على كل جانب، ثم يتجه إلى الأرض ويصنع جذوراً ، ويكبر، ويظل على هذا، ولو يتركون الشجرة لأخذت مكان ولاية، ولكنهم يقطعون بعضها ويحرقون البعض الآخر حتى تزداد قوتها. ولأهل هذه الملة مكان تتجمع فيه مياه الكنج، وهناك حيث تزدهر الشجرة العظيمة الكبيرة فإنهم ينصبون تحتها شيئًا يسمونه الترسول وهو من الحديد، يغرسونه فى الوسط مثل العمود، وهو يرتفع فوق الماء بمقدار عدة عشرات من الأذرع. وعندما يصير خشب (الباتو) أكثر قوة يصنعون (منه) ثلاثة أفرع يجعلونها فى رأس الترسول، ويجعلون هذه الأفرع قوية وحادة ونظيفة ومصقولة. وحينما تتأجج النار يجلس رجل على معبر المياه بالقرب من الشجرة، ويقرأ كتاباً ويقول لنهر الكنج : أيها العظيم يا محل الرغبة والأمل والانتظار، يا طريق الجنة، أنت النهير الذى تخرج من وسط الجنة وترشد الناس إليها، فطوبى لذلك الذى يعتلى الشجرة ويقذف بنفسه فوق العمود فيسمع ذلك كل الموجودين

من الناس، فيعتلي أحدهم شجرة الباتو ويقذف بنفسه على العمود، فيقطع إربًا إربًا على أسنانه ويسقط في المياه، ويدعو له من كان موجوداً من الناس، ويقولون : لقد ذهب إلى الجنة.

وطائفة ..... [٢٩] وطريقتهم : أنهم يأتون كل يوم إلى المكان الذى يلتقى فيه نهر الكنگك بنهر جون، ومع كل واحد منهم سلاح حاد مثل السيف والخنجر والأسلحة الحادة الأخرى، فإذا أراد أحد الفاسدين أن يطهر نفسه ويتقرب إلى الله فإنه يأتى أمام هؤلاء القوم، فيخلعون عليه كل ما لديهم من اللباس والزينة والأطواق الذهبية والأساور وما شابه ذلك، ثم يستخدمون فيه ما يملكون من الآلات الحادة، ويقتلونه ويمزقونه إربًا إربًا، ثم يرمون بنصفه فى نهر الكنگك، ونصفه الآخر فى نهر جون، ويقولون : إن هذين النهرين سيحملانه إلى الجنة.

ومنهم قوم يخرج من بينهم عابد يذهب إلى الصحراء بصحبة جمع عظيم يدعون له ويرغبونه، ثم ينفرد عنهم ويجلس وحيداً في مكان، فتجتمع عليه كل طيور الصيد مثل العقبان والنسور والصقور والشواهين والعنقاوات وما شابه ذلك من الطيور الجارحة، ويظل جالسًا في مكانه ساكنًا حتى تعتليه هذه الطيور، ثم تتجاسر عليه فتنقره بمنقارها، ثم تمزق عمامته وتنزع لحمه وهو صامت لا ينظر، حتى تأخذ لحمه وتأكله، ثم يسلم الروح وهو على هذه الحالة من السكون والطيور تأكل لحمه كله وتبقى عظامه، وحينما ينفض الناس يأتى أهله لرؤيته، ويحمل كل شخص منهم قطعة من تلك العظام للتبرك، ويحرقها ويحفظها في المنزل، ولأهمية تلك العظام المحترقة فإنهم عند الحاجة يستعملونها فى علاج المرضى.

تلك هي معارف الهنود التى أوضحتها ، وما وجدته فقد أظهرته هنا.

وبالله التوفيق وعليه التكلان

الهوامش

(١) لا يخفى على البال أن الجرديزى قال فى أول هذا الباب : إن طبقات الهند سبعة ، ولكنه بعد ذلك بين وشرح أحوال ست طبقات ، ومن الجائز أن يكون شرح الطبقة الأخرى قد سقط فى الشرح، ولما كان الشرح والعبارات متساوية بين الجرديزى والمروزى فبناءً على هذا من الممكن أن يقال : إن مأخذهما واحد أو أن المروزى أخذ من الجرديزى ، ويشرح المروزى الطبقتين الأخيرتين هكذا :

الطبقة السادسة: البيشية وهم أصحاب الصناعات والحرف، والطبقات الأخرى لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم.

الطبقة السابعة : الدنبية وعملهم اللعب والطرب ، والسندالية لا يزوجونهم.

(٢) وفى طبائع الحيوان للمروزى: السيمانبدات.

(٣) الهليلة والبليله وهو دواء قابض بارد جاف.

(٤) يقول الأستاذ حبيبى : إن مينارسكى كتبها جاشاك، ثم يقول : إن خشب جاشكه نوع من الخشب أصفر حسن الرائحة.

(٥) جاءت فى طبقات ناصرى : سرستى، ولكن مينارسكى ضبطها : سراوستى، ويقول : إن سراوستى لم تكن مكان ولادة بوذا ولكنها كانت محلاً لنشاطه.

(٦) والمراد زيج كنده كاديكه، تأليف البرهم كوپته الفلكى الهندى الذى تلقى عنه البيرونى فى الهند علم الفلك.

(٧) فى طبائع الحيوان : "ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف ووقود الدخن" واحتمال أن تكون الكلمة دخنة وليست زخنة كما وردت فى متن الجرديزى.

(٨) فى الأصل (رخنة)، وفى طبائع الحيوان (دخن) ، وقد رجح الأستاذ حبيبى ما فى طبائع الحيوان.

(٩) فى الأصل المخطوط "سكان" ولكن الأستاذ حبيبى وضعها فى تحقيقه "سكان" أى كلاب، ولكن مينارسكى جرى على ما فى أصل المخطوط وهو "سكان" وقال فى حواشيه : إن مفردها ساكن. ولما كان المقام يرجح ما وضعه الأستاذ حبيبى فى تحقيقه فقد جرينا عليه فى ترجمتنا. (المترجم).

(١٠) مينارسكى فى تعليقات طبائع الحيوان ضبط هذه الكلمة دكشايت (دكشيناپته) ومعناها ناحية الجنوب.

(١١) يقول حبيبي : يجب أن تكون هذه الكلمة جنوب.

(١٢) ذكرت هكذا في الأصل وهي غالبًا "ناراين" ، ويقول البيروني في كتاب الهند : إنها تقع على بعد ٨٨ فرسخ شمال غربي قنوج.

(١٣) هكذا في الأصل، ولكن راوان بن ويشروا كان ملكًا لجزيرة لنكا، وهو الذي سرق سيتا ولكن زوجها رامه جهندره استولى على ملك راوان.

(١٤) هكذا النص دون أي تمهيد أو ذكر لأقسام تالية للقسم المذكور. (المترجم)

(١٥) في الأصل (رئيسان)، وصححها مينارسكي (ريشيان)، ومعناها في الويدية والسنسكريتية : العلماء.

(١٦) هكذا في الأصل.

(١٧) يقول الأستاذ حبيبي نقلاً عن مينارسكي : إنه من الجائز أن تكون حركة الرأس هذه لخداع الناس أو للاستخفاف بهم.

(١٨) عند الشهرستاني : (اختر) الملل جـ٢ ص ٢٦٧ (المترجم).

(١٩) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن هذه الصفحة كانت غير مقروءة لكثير ما لحق بها من التلف. وقد ذكر المروزي ديوياتريد وأصل هذه الكلمة ديوه ياترايا أو ديوي ياترا، ومعناها الأول الزيارة أو الطواف حول بيت الله ص ٢٩٤.

(٢٠) وفي السنسكريتية بهكت بمعنى درويش روحاني، وأيضًا بهكتاى بمعنى زاهد وعابد (المترجم).

(٢١) البچر هو قرص الشمس (حبيبي نقلاً عن ميناركسي)، والچكر هو دبوس حديدي (برهان قاطع).

(٢٢) اقتبسنا هذه الزيادة من الشهرستاني حتى يرتبط المعنى ويتضح جـ٢ ص ٦٩ (المترجم).

(٢٣) نوع من الغلال يتكون من الحمص والباقلاء والعدس.

(٢٤) وعند المروزي : ولا يستعملون حيلة في دفع ضر.

(٢٥) يقول الأستاذ حبيبي : "كتب ميناركسي في ترجمة هذا الفصل نقلاً عن الدكتور بارنيت تصحيح هذه الكلمة كيشة + كرتي، ومعناها بالفارسية "موى بريده"، وترجمتها ذوي الشعور الحليقة. أو كيشة + لونچي يعني "موى كنده" وترجمتها ذوي الشعور المنزوعة.

(٢٦) يقول ميناركسي : وضع الدكتور بارنيت مكان سيدر شكل بيندر "ويجنه دهره" ، ومعناها دارنده پكه وترجمتها "مالك المروحة". (المترجم) .

(٢٧) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذه الكلمة بناءً على قول ميناركسي (نه سيه براكريت)، معناها (ناخورنده) وترجمتها "الجائعون غير الآكلين". (المترجم).

(٢٨) الترشولكية : نسبة إلى الترشول أو الترسول السنسكريتية، ومعناها الحربة ذات الأذرع الثلاثة. وهي سلاح المهاديوية.

(٢٩) سقط من الأصل.

فهرس
الأعلام والأماكن والكتب



حرف الألف[1]

× آبسكون /

أتسز بن خوارزم شاه /

× أجر /

آدم عليه السلام /

× أذربيجان

آذرخوره /

آذركسپ /

آذين جشنس /

آرش /

× آزادوار /

آزخداه /

أزرمي دخت /

× آس /

آل افراسياب

(١) أشرنا إلى الأماكن بعلامة (×) .

أبو جعفر (الهادى) /

أبو جعفر الفورى /

أبو جعفر محمد الحسين /

أبو جعفر محمد بن نصر /

أبو جعفر محمد بن القاسم /

أبو جعفر (ابن أخت إبراهيم السامانى) /

أبو الجهم بن عطيف الباهلي /

أبو حارثة المصرى /

أبو الحارث منصور بن نوح /

أبو الحارث بن أبى القاسم /

أبو الحسن علي بن أبى طالب /

أبو الحسن محمد بن إبراهيم (أمير) /

أبو الحسن بويه /

أبو الحسن طاهر بن الفضل /

أبو الحسن بن سعد /

أبو الحسن الشعرانى /

أبو الحسين الحمولى /

أبو الحسين العتبى /

أبو الحسين محمد المزنى /

أبو حفص ﷺ /

أبو خالد /

أبو الخصيب الحاجب

أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى

أبو الذباب /

أبو رافع /

أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى

أبو زيد الحكيم (البلخى) /

أبو ساج /

أبو سرايا /

أبو سفيان /

أبو سعيد الشيبى /

أبو سعيد (ملك) /

أبو سعيد مالك /

أبو سلمة الخلال /

أبو سهل الزوزني /

أبو سهل الحمدوى /

أبو شجاع بهاء الدين الدولة فناخسرو /

أبو شحمة بن عمر /

أبو صالح عبد الله بن محمد /

× أبو صير /

أبو ضميرة /

أبو طالب /

أبو عبادة ثابت بن يحيى /

أبو العباس أحمد بن حمويه /

أبو العباس الأصفهانى /

أبو العباس تاش /

أبو السفاح /

أبو العباس الصعلوك /

أبو العباس /

أبو العباس فضل بن سليمان /

أبو عبد الله /

أبو عبد الله بن حفص /

أبو عبد الله محمد بن أحمد الشبلى /

أبو عبد الله عثمان /

أبو عبد الله معاوية بن عبد الله /

أبو عبد الله يعقوب بن داود /

أبو عبد الله خوارزم شاه /

أبو عبد الله محمد الجيهاتى /

أبو عبد الله أحمد بن محمد الجيهانى /

أبو عبد الرحمن معاوية /

أبو على أحمد بن محمد الچاغانى /

أردشير هرمز /

أردشير خره /

أردوان أصغر بن بلاش/

أرسالوس /

أرسطاطاليس /

أرسطراطس /

أرسلان الجاذب /

× أرض الداور /

أرطكسراكس /

أرسيجانس /

أرسين /

× أرگك /

× أرگان /

× أرمان /

أرماييل (وزير) /

أرميا (النبى) /

× أرمينية /

أرنواز /

أروندّاسب /

أروى بنت كريز /

الزكى /

× اللان /

× الوممن /

الوحاطيس /

الياروق /

إلياس (عليه السلام) /

إلياس بن أسد /

إلياس بن إسحاق /

× اليشور /

أمامة (بنت على) /

أم أبيها (بنت على) /

أم أيمن /

أم الحسن (بنت على) /

أم حبيبة (زوجة النبى ﷺ) /

أم الحجاج /

أم حكيم (عمة النبى ﷺ) /

أم الخير سلمى /

أم سلمة (زوجة النبى ﷺ) /

أم عمر (بنت عثمان) /

أم الكرام (بنت على) /

حرف الباء

باينجور /

بانهه بن محمد بن مللى /

× باورد /

بايتوز /

بئرأسد /

ببداح /

بجكم ماكانى /

بجناك /

بجيراو راجه بهاطية /

× بحرين /

بحير بن ورقا /

× بحيرة خوارزم /

× بخارى /

بخت نصر /

بختيار (الحاجب) /

بختيشوع بن جبرائيل /

بدان سانكو /

بدر الدجى /

بدر عبد الله (أبو النجم) /

بدر الشرابى /

× بيت المقدس /

بيثرن /

بيستون وشمگير /

بيكليغ /

بيوراسب /

× بيه /

(پ)

× پاراب /

پارس (اسم شخص) /

× پارس خان /

× پايش (بالس) /

× پرشاور /

× پروان /

پروزى بن هرمز /

پرويز (خسرو) /

بشوتن بن گشتاسب /

× پنجده /

× پنجواى /

پورتگين /

× پوشنگك /

× پونجه /

(ت)

(ث)

(ج)

(چ)

چون غر /

چهر أزاد /

چينا نجكث /

(ح)

هاتم بن نعمان الباهلى /

حاحوقا /

حاربكسالس /

الحارث /

الحارث (عم الرسول ﷺ) /

الحارث بن سريج /

حام /

× حبش - حبشة /

حبشية الرومية /

الحجاج بن يوسف /

× الحجاز /

× حديثه /

× حران /

حرب بن زياد /

الحارث بن الأغر /

(خ)

دهاكان نكاهيد /

× دهستان /

× دهك /

× ده نو /

دهولبور /

ديا سقور يدوس /

ديبال هريانه /

× ديدى رو /

× دير الجماجم /

دير العاقول /

× ديره رام /

ديلم ديالمة /

ديمقراطيس /

× دينارزارى /

× دين أوريان /

× ديتور /

ديواتريه /

(ذ)

(ر)

(ز ژ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

× قسطنطينية /

قسورة بن محمد /

× قصر ابن هبيرة /

قصر شيرين /

× قصر المقابل /

× قصر مجاشع /

قصر مسرور /

القعديين /

قلطيانوس /

× قلعة بلخ /

× قم /

× قمول /

قنبر /

× قندهار /

× قنسرين /

× قنوج /

قورى (قبيلة) /

× قومش /

× قهستان /

× قهندز /

(ك)

كتاب الدعائم /

كتاب القنى /

كتب أبى الريحان البيرونى /

× كتر /

× كجا /

كدليا بن احيقام /

× كربلاء /

× كرخ – كروخ /

كرد /

كرسيوز /

كركيس /

× كرمان /

كرمانشاه /

كرمين كث /

كسرى بن پرويز /

كسرى بن هرمز /

× كش /

الكشترية (فرقة) /

الكشتكرتية (فرقة) /

× كشكرى /

× كشمير /

× كشميهن /

× كشنور /

× الكعبة /

كلبية /

كلجندر /

كلمانس /

كليلة ودمنة (كتاب) /

× كمكانان /

كمندان /

الكميجية /

× كميزارت /

كناش (كتاب) /

كناش ثريا (كتاب) /

× كندا أورتاعى /

× كندسان /

كنده (سالار) /

× كنديلو /

كندية (قبيلة) /

كنية (شخص) /

× الكيماك /

كيومرث /

(گـك)

گشتاشب بن لهراسب /

گرشاسب /

× گرگان /

گرگانج /

گل كامگارى /

× گندبان دز /

× گنج /

گنج رستاق /

× گنگك /

گنگاياترية /

× گواليار /

گودرز بن شاپور /

گودرز بن كشواذگان /

گودرز بن كهبن /

گور /

× گوزگانان - گوزگان /

(ل)

(م)

× ماتوره /

× ماخان /

ماداب /

مادفس /

× مادون النهر /

ماذاموموس /

مارتوما السليح /

مارده /

مارسب /

مارنقوس /

ماريس /

× ماريگلة /

مارينوس /

مارية /

× مارندان /

مازيار بن قارن /

ماسرجس /

ماسقوريدوس /

ما كان بن كاكي /

محمد بن بشر /

محمد البلعمي /

محمد بن جعفر (أبو سعيد) /

محمد بن جعفر (المتوكل) /

محمد بن جعفر العارض /

محمد بن حسن /

محمد بن حسين مت /

محمد بن حميد الطوسي /

محمد بن حميد الطاهري /

محمد بن زبيدة /

محمد بن زيد /

محمد بن سعيد /

محمد بن سليمان /

محمد بن سهل /

محمد بن الصول /

محمد بن طاهر /

محمد الطائي /

محمد طغان الحاجب /

محمد بن العباس /

محمد بن عبد الله البلعمي /

محمد بن عبد الله بن عامر /

محمد بن عبد الجبار العتبي /

محمد بن عبد الرزاق /

محمد بن عبد الصمد /

محمد بن عبد الملك /

محمد بن عزيز /

محمد بن علي (الإمام) /

محمد بن علي بن مقلة /

محمد بن عيسي الدامغاني /

محمد بن القاسم /

محمد بن قريعة (قاض) /

محمد بن مسلم /

محمد المصعبي /

محمد بن المظفر /

محمد بن المغيرة /

محمد بن محمد الحاكم /

محمد بن محمد المزني /

محمد بن المهلب المروزي /

محمد (ابن السلطان محمود) /

محمد بن نصر /

(هـ)

(و)

(ى)

المؤلف فى سطور:

أبو سعيد عبد الحى بن محمود الجرديزى أحد المؤرخين العظام فى منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى، وهو ينتسب إلى مدينة جرديز إحدى المدن المعروفة في جنوب شرق العاصمة كابل.

عاش الجرديزى في مدينة غزنة عاصمة السلطان محمود الغزنوى وأحد عواصم المشرق الإسلامي فى ذلك الوقت، ويبدو أن الجرديزى كتب مصنفه (زين الأخبار) فى هذه المدينة، وأطلق عليه هذا الاسم تيمنًا بالسلطان عبد الرشيد نجل السلطان محمود الغزنوى، وكان يلقب بزين الملة.

ويبدو من الأحداث التي سردها الجرديزى عن الدولة الغزنوية أنه كان يشغل منصبًا سياسيًا فى البلاط الغزنوى، وهذا أتاح له معرفة كثير من الأسرار التى كانت تجرى فى الدولة، مما جعل لمصنفه أهمية كبيرة.

توفى الجرديزى حوالى عام ٤٤٣هـ، ولم يصلنا منه إلا زين الأخبار، وربما تكون له مؤلفات أخرى وضاعت.

المترجمة فى سطور:

عــفاف السيد زيــدان

أستاذ اللغة الفارسية وأدابها بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر

- أول سيدة عربية سافرت إلى أفغانستان لدراسة الدكتوراه فى الأدب الفارسى فى جامعة كابل، بأفغانستان.

* تولت العديد من المناصب فى جامعة الأزهر :

- رئيسة قسم اللغة الفارسية وأدابها بكليتى الدراسات الإسلامية والعربية والدراسات الإنسانية
- وكيلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- وكيلة كلية الدراسات الإنسانية.
- عميدة كلية الدراسات الإنسانية.
- مقررة اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغات الشرقية بجامعة الأزهر.

*لها فى مجال الترجمة العديد من الترجمات أهمها

- زين الأخبار للجرديزى المتوفى عام ٤٤٣هـ. وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه الكتاب الوحيد الذى يُؤَرخ لمنطقة خراسان حتى تاريخ وفاة المؤلف ؛ لأن جميع الكتب التى ألفت عن خراسان لم يتبق منها سوى هذا الكتاب.
- العلاقات الأفغانية الروسية من عهد الأمير دوست محمد خان حتي ببرك من ١٨٢٦م - ١٩٨٦م ، تأليف الدكتور حق شناس.

وترجع أهمية هذا الكتاب لتناوله الأحداث التى مرت على أفغانستان من منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين، كما يتناول تدخل الروس فى أفغانستان، ويركز على أهم الأحداث التى مرت بالمنطقة.

- أسد الإسلام الظافر أحمد شاه مسعود، وهذا الكتاب يتناول حرب الروس فى أفغانستان ، يلقى الضوء على حياة أحمد شاه مسعود وجهاده.

* المؤتمرات الدولية :-

رأست العديد من المؤتمرات الدولية التى أقيمت بجامعة الأزهر، وأهم هذه المؤتمرات :

- المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز : وهو أول مؤتمر دولى يعقد عن أسيا الوسطى بعد سقوط الاتحاد السوفييتى ، وطبعت أبحاث هذا المؤتمر فى ثمانية مجلدات بجامعة الأزهر.
- الدراسات الإسلامية عند غير العرب : وقد دعى لهذا المؤتمر العديد من العلماء على مستوى العالم، وطبعت أبحاثه فى سبعة مجلدات بجامعة الأزهر.
- الترجمة ودورها فى تفاعل الحضارات : وهو أول مؤتمر دولى يعقد عن الترجمة فى مصر ويوضح أثر الترجمة فى تلاقى الحضارات، ودعى له العلماء من جميع أنحاء العالم ، وجاءت مطبوعاته فى ثلاثة مجلدات كبيرة، كل مجلد ألف صفحة ، وقد طبعت أعمال هذا المؤتمر فى جامعة الأزهر ، وقد ترجم الكثير من أبحاث هذا المؤتمر إلى الفارسية فى كثير من الدوائر العلمية الإيرانية.
- سافرت إلى إيران وأفغانستان بدعوة من حكومتيهما؛ لتمثيل مصر فى عدد من المؤتمرات الدولية التى عقدت فى الدولتين الشقيقتين.